الجزء الاول من فتوح الشام
للامام العلامه الحبر
البحر الفهامه سيدى
محمد الواقدى
نفع الله به
آمين



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال الامام الواقدي رحمه الله آمين ﴿حدثني﴾ أبو بكر محمد بن الحسن بن سفيان بن نوفل بن
محمد بن ابراهيم التيمي ومحمد بن عبد الله الانصاري وأبو سعيد مولى هشام ومالك بن أبي الحسن
واسمعيل مولى الزبير ومازن بن عوف من بني النجار كل حدثني عن فتوح الشام بما كان
قالوا جميعا لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف بعده أبو بكر الصديق رضي
الله عنه وقاتل في خلافته مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وقاتل بني حنيفة وأهل الردة
وأطاعته العرب عزم أن يبعث جيشه الى الشام ويصرف وجهه لقتال الروم فجمع أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وقام فيهم خطيبا فحمد الله عز وجل وقال يا أيها
الناس رحمكم الله تعالى اعلموا أن الله فضلكم بالاسلام وجعلكم من أمة محمد عليه السلام
وزادكم ايمانا ويقينا ونصركم نصرا مبينا وقال فيكم اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عول
أن يصرف همته الى الشام فقبضه الله اليه واختار له ما لديه ألا واني عازم أن أوجه أبطال
المسلمين الى الشام بأهليهم ومالهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنبأني بذلك قبل موته وقال
زويت لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها فما قولكم
فقالوا يا خليفة رسول الله مرنا بأمرك ووجهنا حيث شئت فان الله تعالى فرض علينا

قال الله تعالى في كتابه يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فقرع أبو بكر رضي الله عنه ونزل عن المنبر وكتب الكتب الى ملوك اليمن وأهل مكة وكانت الكتب فيها نسخة واحدة وهي بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد عزمت أن أوجهكم الى بلاد الشام لتأخذوها من أيدي الكفار والطغاة فمن عول منكم على الجهاد والصدام فليبادر الى طاعة الملك العلام ثم كتب انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله الآية ثم بعث الكتب اليهم وأقام ينتظر جوابهم وقدومهم وكان الذي بعثه بالكتب التي لليمن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأمرت الايام حتى قدم أنس رضي الله عنه يبشره بقدوم أهل اليمن وقال يا خليفة رسول الله وحقك على الله ما قرأت كتابك على أحد الا وبادر الى طاعة الله ورسوله وأجاب دعوتك وقد تجهزوا في العدد والعديد والزرد النضيد وقد أقبلت اليك يا خليفة رسول الله مبشرا بقدوم الرجال وأي رجال وقد أجابوك شعثا غبرا وهم أبطال اليمن وشجعانها وقد ساروا اليك بالذرارى والاموال والنساء والاطفال وكأنك بهم وقد أشرفوا عليك ووصلوا اليك فتأهب الى لقائهم قال فسر أبو بكر رضي الله عنه بقوله سرورا عظيما وأقام يومه ذلك حتى اذا كان من الغد أقبلوا الى الصديق رضي الله عنه وقد لاحت غبرة القوم لأهل المدينة قال فأخبروه فركب المسلمون من أهل المدينة وغيرهم وأظهروا زينتهم وعددهم ونشروا الاعلام الاسلامية ورفعوا الألوية المحمدية فما كان الا قليل حتى أشرفت الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضا قوم في أثر قوم وقبيلة في أثر قبيلة فكان أول قبيلة ظهرت من قبائل اليمن حمير وهم بالدروع الداودية والبيض العادية والسيوف الهندية وامامهم ذو الكلاع الحميري رضي الله عنه فلما قرب من الصديق رضي الله عنه أحب أن يعرفه بمكانه وقومه وأشار بالسلام وجعل ينشد ويقول

أتتك حمير بالأهلين والولد * أهل السوابق والعالون بالرتب
أسد غضار قشوس شم القمة * يردوا الكماة غدا في الحرب بالقضب
الحرب عادتنا والضرب همتنا * وذو الكلاع دعا في الأهل والنسب
دمشق لي دون كل الناس أجمعهم * وساكنيها سأهويهم الى العطب

قال فتبسم أبو بكر الصديق رضي الله عنه من قوله ثم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أبا الحسن أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أقبلت حمير ومعها نساؤها تحمل أولادها فأبشر بنصر الله على أهل الشرك أجمعين فقال الامام علي صدقت وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنس رضي الله عنه وسارت حمير بكتائبها وأموالها وأقبلت من بعدها كتائب مذحج أهل الخيل العتاق والرماح الدقاق وامامهم سيدهم قيس بن هبيرة المرادي رضي الله عنه فلما وصل الى الصديق رضي الله عنه جعل يقول صلوا على طه الرسول

أتتك كتائب منا سراعا * ذوو التيجان أعني من مراد
فقدمنا أمامك كي ترانا * نبيد القوم بالسيف النجاد

قال فجزاه أبو بكر رضي الله عنه خيرا وتقدم بكتائبه ومواليه وتقدمت من بعده قبائل طيئ
يقدمها حارث بن مسعد الطائي رضي الله عنه فلما وصل هم أن يترجل فاقسم عليه أبو بكر
رضي الله عنه بالله تعالى أن لا تفعل فدنا منه فصافحه وسلم عليه وأقبلت الأزد في جموع كثيرة
يقدمها جندب بن عمرو الدوسي رضي الله عنه ثم جاءت من بعدهم بنو عبس يقدمهم الامير
ميسرة بن مسروق العبسي رضي الله عنه وأقبلت من بعدهم بنو كنانة يقدمهم عيشم بن أسلم
الكناني وتتابعت قبائل اليمن يتلو بعضها بعضا ومعهم نساؤهم وأموالهم فلما نظر أبو بكر
رضي الله عنه الى نصرتهم سر بذلك وشكر الله تعالى وأنزل القوم حول المدينة كل قبيلة
متفرقة عن صاحبتها واستمروا فأضر بهم المقام من قلة الزاد وعلف الخيل وجدوبة الارض
فاجتمع أكابرهم عند الصديق رضي الله عنه وقالوا يا خليفة رسول الله انك أمرتنا بأمر
فأسرعنا الله ولك رغبة في الجهاد وقد تكامل جيشنا وفرغنا من أهبتنا والمقام قد أضر بنا
لان بلدك ليست بلد جيش ولا حافر ولا عيش والعسكر نزل فان كنت قد بدلت فيما عزمت
عليه فأمرنا بالرجوع الى بلدنا وأقبل الجميع وخاطبوه بذلك فلما فرغوا من كلامهم قال
أبو بكر رضي الله عنه يا أهل اليمن ومن حضر من غيرهم أما والله ما أريد لكم الاضرار وانما
أردنا تكامل كم قالوا انه لم يبق من ورائنا أحد فاعزم على بركة الله تعالى ﴿قال المؤلف رحمه
الله تعالى﴾ لقد بلغني أن أبا بكر رضي الله عنه قام من ساعته يمشي على قدميه وحوله جماعة من
الاصحاب منهم عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين وخرجوا الى ظاهر المدينة ووقع النداء
في الناس وكبروا بأجمعهم فرحا بخروجهم وأجابتهم الجبال لدوي أصواتهم وعلا أبو بكر على
دابته حتى أشرف على الجيش فنظر اليهم قد ملؤا الارض فتهلل وجهه وقال اللهم أنزل عليهم
الصبر وأيدهم ولا تسلمهم الى عدوهم انك على كل شئ قدير وكان أول من دعاه أبو بكر يزيد
ابن أبي سفيان وعقد له راية وأمره على ألف فارس من سائر الناس ودعا بعده رجلا من بني
عامر بن لؤي يقال له ربيعة بن عامر وكان فارسا مشهورا في الحجاز فعقد له راية وأمره على
ألف فارس ثم أقبل أبو بكر على يزيد بن أبي سفيان وقال له هذا ربيعة بن عامر من ذوي العلى
والمفاخر قد علمت صولته وقد ضممته اليك وأمرتك عليه فاجعله في مقدمتك وشاوره في أمرك
ولا تخالفه فقال يزيد حبا وكرامة وأسرعت الفرسان الى لبس السلاح واجتمع الجند وركب
يزيد بن أبي سفيان وربيعة بن عامر وأقبلا بقومهما الى أبي بكر رضي الله عنه فأقبل يمشي مع
القوم فقال يزيد يا خليفة رسول الله الناجي من غضب الله من رضيت عنه لا نكن على ظهور
خيولنا وأنت تمشي فاما أن تركب واما أن ننزل فقال ما أنا راكب وما أنتم بنازلين وسار الى
أن وصل الى ثنية الوداع فوقف هنالك فتقدم اليه يزيد فقال يا خليفة رسول الله أوصنا
فقال اذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك في مسيرك ولا تغضب على قومك ولا على
أصحابك وشاورهم في الامر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور فانه لا أفلح قوم ظلموا
ولا نصروا على عدوهم واذا لقيتم القوم فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير واذا نصرتم
على عدوكم فلا تقتلوا ولدا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا تعقروا بهيمة الا بهيمة المأكول ولا

تغدروا اذا عاهدتم ولا تنقضوا اذا صالحتم وستمرون على قوم فى الصوامع رهبانا يزعمون أنهم
ترهبوا فى الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم وستجدون قوما آخرين من حزب الشيطان
وعبدة الصلبان قد حلقوا أوساط رؤسهم حتى كأنها مناحيض العظام فاعلوهم بسيوفكم
حتى يرجعوا الى الاسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقد استودعتكم الله ثم عانقه
وصافحه وصافح ربيعة بن عامر وقال يا عامر أظهر شجاعتك على بنى الاصفر بلغكم الله
آمالكم وغفر لنا ولكم قال وسار القوم ورجع أبو بكر رضى الله عنه بمن معه الى المدينة
قال فجد القوم فى السير فقال ربيعة بن عامر ماهذا السير يا يزيد وقد أمرك أبو بكر أن ترفق
بالناس فى سيرك فقال يزيد يا عامر ان أبا بكر رضى الله عنه سيعقد العقود ويرسل الجيوش
فأردت أن أسبق الناس الى الشام فلعلنا أن نفتح فتحا قبل تلاحق الناس بنا فيجتمع بذلك
ثلاث خصال رضا الله عز وجل ورضا خليفتنا وغنيمة نأخذها فقال ربيعة فسر الآن ولا
حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال فأخذ القوم فى السير على وادى القرى ليخرجوا على
تبوك ثم على الجابية الى دمشق قال واتصل الخبر للملك هرقل من قوم من عرب اليمن المتنصرة
كانوا فى المدينة فلما صح عند الملك ذلك جمع بطارقته فى عسكره وقال لهم يا بنى الاصفر ان
دولتكم قد عزمت على الانهزام ولقد كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتقيمون
الصلاة وتؤتون الزكاة التى أمركم بها الآباء والاجداد والقسوس والرهبان وتقيمون حدود
الله التى أمركم بها فى الانجيل لاجرم أنكم ماقصدكم ملك من ملوك الوشاة ونازعكم على
الشام الا وقهرتموه وقد قصدكم كسرى بجنود فارس فانكسروا على أعقابهم والآن قد
بدلتم وغيرتم فظلمتم وجرتم وقد بعث اليكم ربكم قوما لم يكن فى الامم أضعف منهم عندنا وقد
رماهم شدة الجوع الينا وأتى بهم الى بلادنا وبعثهم صاحب نبيهم ليأخذوا ما ملكنا من أيدينا
ويخرجونا من بلادنا ثم انه حدثهم بالذى سمعه من طرسيسه فقالوا أيها الملك نردهم عن
مرادهم ونصل الى مدينتهم ونخرب كعبتهم قال فلما سمع مقالتهم وتبين اختباطهم جرد منهم
ثمانية آلاف من أشجع فرسانهم وأمر عليهم خمسة من بطارقتهم وهم البطاليق وأخوه
جرجيس وصاحب شرطته ولوقا بن سمعان وصليب بن حنا صاحب غزة وكانت هذه الخمسة
البطارقة يضرب بهم المثل فى الشجاعة والبراعة ثم تدرعوا وأظهروا زينتهم وصلت عليهم
الامة صلاة النصر فقالوا اللهم انصر من كان منا على الحق وبخروهم ببخور الكنائس ثم
رشوا عليهم من ماء المعمودية وودعوا الملك وساروا وأمامهم العرب المتنصرة يدلونهم على
الطريق (قال) حدثنى رفاعة عن ياسر بن الحصين قال بلغنى أن أول من وصل الى تبوك
كان يزيد بن أبى سفيان وربيعة بن عامر ومن معهما من المسلمين قبل وصول الروم بثلاثة أيام
فلما كان فى اليوم الرابع والمسلمون قد هموا بالرحيل الى الشام اذ أقبل جيش الروم فلما
رآه المسلمون أخذوا على أنفسهم وكمن ربيعة بأصحابه الالف وأقبل يزيد بأصحابه الالف
ووعظهم وذكر الله تعالى وقال لهم اعلموا أن الله وعدكم النصر وأيدكم بالملائكة
وقال الله تعالى فى كتابه العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
وقد قال صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف وأنتم أول جند دخل الشام وتوجه

قوله بطارقته جمع بطريق ككبريت وهو كما فى القاموس القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل اه

لقتال بني الاصفر فكانكم بجنود الشام واياكم أن تطمعوا العدو فيكم وانصروا الله ينصركم فبينما يزيد يعظ الناس واذا بطلائع الروم قد أقبلت وجيوشها قد ظهرت فلما رأوا قلة العرب طمعوا فيهم وظنوا أنه ليس وراءهم أحد فبرز بعضهم على بعض بالرومية وقالوا دونكم ومن يريدون أخذ بلادكم واستنصروا بالصليب فانه ينصركم ثم حملوا وتلقاهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهمم عالية وقلوب غير دانية ودار القتال بينهم وتكاثرت الروم عليهم وظنوا أنهم في قبضتهم اذ خرج عليهم ربيعة بن عامر رضي الله عنه بالكمين وقد أعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وحملوا على الروم حملة صادقة فلما عاينت الروم من خرج عليهم انكسروا وألقى الله الرعب في قلوبهم فتقهقروا الى ورائهم ونظر ربيعة ابن عامر الى البطاليق وهو يحرض قومه على القتال فعلم أنه طاغية الروم فحمل عليه وطعنه طعنة صادقة فوقعت في خاصرته وطلعت من الناحية الأخرى فلما نظرت الروم الى ذلك ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار ونزل النصر على طائفة محمد المختار (حدثنا) سعد بن أوس عن السرية التي أنفذها أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع يزيد بن أبي سفيان وربيعة بن عامر قال قد اجتمعنا بعساكر الروم في أرض تبوك مع البطاليق وهزمهم الله تعالى على أيدينا وكان جملة من قتل منهم ألفا ومائتين ومن قتل من المسلمين مائة وعشرين رجلا فأول ما انقوم لما انهزموا قال لهم جرجيس وهو أخو المقتول ياويلكم بأي وجه ترجعون الى الملك وقد عملوا فينا عملا ذريعا وملؤا الارض من قتلانا ولا أرجع حتى آخذ بثار أخي أو ألحق به قال واجتمع القوم وسمعوا منه ذلك ورجع بعضهم الى بعض وعادوا الى القتال فلما استقروا في خيامهم بعثوا رجلا من العرب المتنصرة اسمه القداح وقالوا له امض الى بني عمك وقل لهم يبعثوا الينا رجلا من كبارهم وعقلائهم حتى ننظر ما يريدون منا قال فركب القداح جواده وأقبل نحو جيش المسلمين فلما رأوه مقبلا اليهم استقبله رجال من الاوس وقالوا له ماذا تريد قال لهم ان البطارقة يريدون رجلا من عقلائكم ليخاطبوهم فيما يريد الله به صلاح شأن الجميع قال فأخبروا يزيد وربيعة بما قال المتنصر فقال ربيعة بن عامر أنا أسير الى القوم فقال له يزيد يا ربيعة انا أخاف عليك من القوم لانك قد قتلت كبيرهم بالأمس فقال ربيعة قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون واني أوصيك والمسلمين أن تكونوا همتكم عندي فاذا رأيتم القوم غدروا بي فاحملوا عليهم ثم ركب جواده وسار حتى أتى جيش الروم وقرب من سرادق أميرهم فقال القداح عظم جيش الملك وانزل عن جوادك فقال ربيعة رضي الله عنه ما كنت بالذي أنتقل من العز الى الذل ولست أسلم جوادي لغيري وما أنا نازل الا على باب السرادق والا رجعت من حيث جئت لانا ما بعثنا اليكم بل أنتم بعثتم الينا قال فأعلم القداح الروم بما تكلم به ربيعة بن عامر فقال بعضهم لبعض صدق العربي في قوله دعوه ينزل حيث أراد قال فنزل ربيعة على باب السرادق وجثا على ركبته وأمسك عنان جواده بيده وسلاحه معه فقال له جرجيس يا أخا العرب لم تكن أمة أضعف منكم عندنا وما كانت حدثتنا أنفسنا أنكم تغزوننا وما الذي تريدون منا فقال ربيعة نريد منكم أن تدخلوا في ديننا وأن تقولوا بقولنا وان أبيتم تعطونا الجزية عن يد وأنتم صاغرون والا فالسيف بيننا وبينكم فقال

جرجيس

جرجيس فما منعكم أن تقصدوا الفرس وتدعوا الصداقة بيننا وبينكم فقال ربيعة بدأنا بكم لانكم أقرب الينا من الفرس وان الله تعالى أمرنا فى كتابه بذلك قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قال جرجيس فهل لك أن تعقد الصلح بيننا وبينكم وأن نعطى كل رجل منكم دينارا من ذهب وعشرة أوسق من الطعام وتكتبوا بيننا وبينكم كتاب الصلح لا تغزوا الينا ولا نغزو اليكم قال ربيعة لا سبيل الى ذلك وما بيننا وبينكم الا السيف أو أداء الجزية أو الاسلام قال جرجيس أما ما ذكرت من دخولنا فى دينكم فلا سبيل الى ذلك ولو نهلك عن آخرنا لاننا لا نرى بدينها بدلا وأما اعطاء الجزية فان القتل عندنا أيسر من ذلك وما أنتم بأشهى منا الى القتال والحرب والنزال لان فينا البطارقة وأولاد الملوك رجال الحرب وأرباب الطعن والضرب قال جرجيس لاصحابه على بالقسيس صقالبة حتى يناظر هذا البدوى فى كلامه قال وكان الملك هرقل قد بعث معهم قسيسا عظيما عارفا بدينهم مجادلا عن شرعهم قال فأتى الحاجب به فلما استقر به الجلوس قال له جرجيس يا أبانا استخبر من هذا الرجل عن شريعتهم وعن دينهم فقال القسيس يا أخا العرب انا نجد فى علمنا أن الله تعالى يبعث من الحجاز نبيا عربيا هاشميا قرشيا علامته أن الله تعالى يسرى به الى السماء أكان ذلك أم لا قال نعم أسرى به وقد ذكره ربنا فى كتابه العزيز بقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا قال القسيس انا نجد فى كتابنا أن ربنا يفرض على هذا النبي وأمته شهرا يصومونه يقال له شهر رمضان قال ربيعة نعم وقد قرأنا فى القرآن العظيم شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فقال القسيس انا وجدنا فى كتابنا أن من أحسن حسنة تكتب بعشرة قال ربيعة نعم قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قال القسيس انا نجد فى كتابنا أن الله يأمر أمته بالصلاة عليه قال ربيعة نعم وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال فعجب القسيس من كلامه وقال للبطارقة ان الحق مع هؤلاء القوم فقال بعض الحجاب ان هذا هو الذى قتل أخاك فلما سمع ذلك ازورت عيناه وغضب غضبا شديدا وهم أن يثب على ربيعة ففهم ربيعة ذلك منه فوثب من مكانه أسرع من البرق وضرب بيده الى قائم سيفه وعاجل جرجيس بضربة فجدله صريعا قتيلا ووثب على فرسه فركبها فأسرعت البطارقة اليه وهو راكب فحمل فيهم ونظر يزيد بن أبى سفيان الى ذلك فقال للمسلمين ان أعداء الله قد غدروا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدونكم واياهم فحمل المسلمون على المشركين واختلط الجيش بالجيش وصبرت الروم لقتال العرب فبينما هم فى القتال اذ أشرفت جيوش المسلمين مع شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر المسلمون الى اخوانهم فى القتال حملوا على القوم حملة صادقة وحكمت سيوفهم فى الروم (قال الواقدى) لقد بلغنى أن الثمانية آلاف المذكورة من الروم لم ينج منهم أحد لان العرب التقطوهم بسبق الخيل وبعد الشام من تبوك ثم ان المسلمين أخذوا أموالهم وخيامهم ثم سلموا على شرحبيل ومن معه وجمعوا المال والغنائم

فقالوا ابعث الجميع الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فرضوا بذلك وبعثوا الجميع الا العدة والسلاح وبعثوا مع الغنائم والأموال شداد بن أوس رضي الله عنه في خمسمائة فارس ولما أن وصل بالمال الى المدينة المنورة وعاين المسلمون أموال المشركين رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم وسمع الصديق بقدوم شداد بن أوس رضي الله عنه ومن معه من المسلمين ففرح بذلك فرحا شديدا ثم أقبلوا الى الصديق وأعلموه بالفتح بعد أن سلموا عليه فسجد لله عزوجل ثم كتب كتابا الى أهل مكة يستدعيهم الى الجهاد مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر الى أهل مكة وسائر المؤمنين فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فاني قد استنفرت المسلمين الى الجهاد وفتح بلاد الشام وقد كتبت اليكم والى المسلمين أن تسرعوا الى ما أمركم به ربكم تبارك وتعالى اذ يقول الله عزوجل انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وهذه الآية فيكم وأنتم أحق بها وأهلها وأول من صدق وقام بحكمها من ينصر دين الله فالله ناصره ومن بخل استغنى الله عنه والله غني حميد فسارعوا الى جنة عالية قطوفها دانية أعدها الله للمهاجرين والانصار فمن اتبع سبيلهم من الاولياء الاخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل قال وختم الكتاب ودفعه الى عبد الله بن حذافة فأخذه وسار حتى وصل مكة وصرخ في أهلها فاجتمعوا اليه فدفع اليهم الكتاب فقرؤه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعوه قام سهل بن عمرو والحرث ابن هشام وعكرمة بن أبي جهل وقالوا أجبنا داعي الله وصدقنا قول نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأما عكرمة فانه قال الى متى نبسط لا نفسنا وقد سبقنا القوم الى المواطن وقد فاز من فاز بالصدق وان كنا تأخرنا عن السبق فاللحاق السباق فلعلنا نكسب في الحال ثم خرج عكرمة بن أبي جهل في بني مخزوم وخرج الحرث بن هشام معهم وتلاحق أهل مكة خمسمائة رجل وكتب أبو بكر للطائف فخرجوا في أربعمائة رجل (قال الواقدي) خرج بهم سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص وكان غلاما نجيبا وذلك أن سعيد بن خالد أتى الى الصديق رضي الله عنه فقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انك أردت ان تعقد لأبي خالد راية ويكون قائدا من قواد جيشك فتكلم فيه المتكلمون فعزلته حين رجع من بعثك وقد حبس نفسه في سبيل الله عزوجل ولم أزل مجيبا داعيا لك في بعثك فهل لك أن تقدمني على هذا الجيش فوالله لا يراني الله وانيا أبدا ولا عاجزا عن الحرب قال وكان سعيد بن خالد غلاما نجيبا أنجب من أبيه وأفرس فعقد له أبو بكر رايته ودفعها اليه وأمره على ألفين من العرب قال فلما سمع عمر بن الخطاب كلام سعيد بن خالد وأنه خير من أن يكون أميرا كره له ذلك وأقبل على الصديق رضي الله عنه وقال يا خليفة رسول الله عقدت هذه الراية لسعيد بن خالد على من هو خير منه ولقد سمعته يقول عند ما عقدتها على رغم الاعادي والله لتعلم أنه ما يريد بالقول غيري والله ما تكلمت في أبيه قال الواقدي فثقل ذلك على أبي بكر وكره أن يعقده وكره أيضا أن يخالف عمر لمحبته له ونصحه ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم ووثب قائما ودخل على عائشة رضي الله عنها وأخبرها بخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما كان من كلامه فقالت عائشة قد علمت أن عمر

بنصر الدين ويريد النصر لرب العالمين وما في قلب عمر بغض للمسلمين قال فقبل قول عائشة رضي الله عنها ثم دعا بأزد الدوسي وقال له امض الى سعيد بن خالد وقل له رد علينا رايتك قال فردها وقال والله لأقتلن تحت راية أبي بكر حيث كان فاني قد حبست نفسي في سبيل الله (قال الواقدي) ولقد بلغني أن الصديق حال تفكره فيمن يقدم طليعة الجيش قال فتقدم اليه سهل ابن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وهشام بن الحرث وقالوا اشهد وأننا قد حبسنا أنفسنا في سبيل الله فلا نرجع عن القتال أبدا فقال أبو بكر اللهم بلغهم أفضل ما يؤملون ثم ان أبا بكر دعا عمرو ابن العاص فسلم اليه الراية وقال قد وليتك على هذا الجيش يعني أهل مكة والطائف وهوازن وبني كلاب فانصرف الى أرض فلسطين وكاتب أبا عبيدة وأنجده اذا أرادك ولا تقطع أمرا الا بمشورته امض بارك الله فيك وفيهم قال فأقبل عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له يا أبا حفص أنت تعلم شدتي على العدو وصبري على الحرب فلو كلمت الخليفة أن يجعلني أميرا على أبي عبيدة وقد رأيت منزلتي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واني أرجو أن يفتح الله على يدي البلاد ويهلك الأعداء قال عمر رضي الله عنه ما كنت بالذي كذبك وما كنت بالذي أكلمه في ذلك فانه ليس على أبي عبيدة أمير ولأبو عبيدة عندنا أفضل منزلة منك وأقدم سابقة منك والنبي صلى الله عليه وسلم قال فيه أبو عبيدة أمين الامة قال عمرو ما ينقص من منزلته اذا كنت واليا عليه قال عمر بن الخطاب ويلك يا عمرو انك ما تطلب بقولك هذا الا الرياسة والشرف فاتق الله ولا تطلب الا شرف الآخرة ووجه الله تعالى فقال عمرو بن العاص ان الأمر كذا كرت ثم أمر الناس بالمسير تحت رايته فساروا وتقدم أهل مكة وتبعهم بنو كلاب وطيء وهوازن وثقيف وتخلف المهاجرون والانصار ليسيروا مع أبي عبيدة بن الجراح وتقدم عمرو بن العاص وسار قال أبو الدرداء كنت مع عمرو بن العاص في جيشه فسمعت أبا بكر يقول وهو يوصيه اتق الله في سرك وعلانيتك واستحيه في خلواتك فانه يراك في عملك وقد رأيت تقدمتي لك على من هو أقدم منك سابقة وأقدم حرمة فكن من عمال الآخرة وأرد بعملك وجه الله وكن والدا لمن معك وارفق بهم في السير فان فيهم أهل ضعف والله ناصر دينه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون واذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد وربيعة وشرحبيل بل اسلك طريق ايليا حتى تنتهي الى أرض فلسطين وابعث عيونك يأتوك بأخبار أبي عبيدة فان كان ظافرا بعدوه فكن أنت لقتال من في فلسطين وان كان يريد عسكرا فانفذ اليه جيشا في أثر جيش وقدم سهل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحرث بن هشام وسعيد بن خالد واياك أن تكون وانيا عما ندبتك اليه واياك والوهن أن تقول جعلني ابن أبي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي به وقد رأيت يا عمرو ونحن في مواطن كثيرة ونحن نلاقي ما نلاقي من جموع المشركين ونحن في قلة من عددنا ثم رأيت يوم حنين ما نصر الله علينا بهم واعلم يا عمرو أن معك المهاجرين والانصار من أهل بدر فأكرمهم واعرف حقهم ولا تتطاول عليهم بسلطانك ولا تداخلك نخوة الشيطان فتقول انما ولاني أبو بكر لأني خيرهم واياك وخدائع النفس وكن كأحدهم وشاورهم فيما تريد من أمرك والصلاة ثم الصلاة أذن بها اذا دخل وقتها ولا تصل صلاة الا بأذان يسمعه أهل العسكر ثم ابرز وصل

بمن رعب فى الصلاة معك فذلك أفضل له ومن صلاها وحده أجزأته صلاته واحذر من عدوك وأمر أصحابك بالحرس ولتكن أنت بعد ذلك مطلعا عليهم وأطل الجلوس بالليل على أصحابك وأقم بينهم واجلس معهم ولا تكشف أستار الناس واتق الله اذا لاقيت العدو واذا وعظت أصحابك فأوجز وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك فالامام ينفرد الى الله تعالى فيما يعلمه وما يفعله فى رعيته وانى قد وليتك على من قد مررت من العرب فاجعل كل قبيلة على حميتها وكن عليهم كالوالد الشفيق الرفيق وتعاهد عسكرك فى سيرك وقدم قبلك طلائعك فيكونوا أمامك وخلف على الناس من ترضاه واذا رأيت عدوك فاصبر ولا تتأخر فيكون ذلك منك خورا وألزم أصحابك قراءة القرآن وانههم عن ذكر الجاهلية وما كان منها فان ذلك يورث العداوة بينهم وأعرض عن زهرة الدنيا حتى تلتقى بمن مضى من سلفك وكن من الائمة الممدوحين فى القرآن اذ يقول الله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين قال فكان أبو بكر رضى الله عنه يوصى عمرو بن العاص وأبو عبيدة حاضر ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وقاتلوا أعداء الله وأوصيكم بتقوى الله فان الله ناصر من ينصره قال فسلم المسلمون عليه وودعوه وساروا فى تسعة آلاف مع من ذكرنا يريدون أخذ فلسطين فلما كان بعدهم بيوم واحد عقد العقود والرايات الى أبى عبيدة ابن الجراح وأمره بأن يقصد بمن معه أرض الجابية وقال يا أمين الامة قد سمعت ما وصيت به عمرو بن العاص وودعه المسلمون فلما عاد أبو بكر والمسلمون دعا خالد بن الوليد وعقد له راية وكانت راية النبى صلى الله عليه وسلم وأمره على لخم وجذام وضم له جيش الزحف وكانوا شجعانا ما منهم الا من شهد الوقائع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا أبا سليمان قد وليتك على هذا الجيش فاقصد به أرض العراق وفارس وأرجو الله أن ينصركم ثم انه ودعه وسار خالد بمن معه يطلب العراق (قال) حدثنى ربيعة بن قيس قال كنت فى الجيش الذى وجهه أبو بكر الصديق مع عمرو بن العاص الى فلسطين وأيليا وكان صاحب رايته سعد بن خالد قال وبعث أبو بكر مع كل جيش أميرا وهو يدعو لهم بالنصر وأخذه القلق على المسلمين حتى عرف ذلك فى وجهه فقال له عثمان بن عفان رضى الله عنه ما هذا الغم الذى نزل بك فقال اغتممت على جيوش المسلمين وأرجو الله أن ينصرهم على عدوهم فقال عثمان والله ما خرج جيش سررت به الا هذا الجيش الذى سار الى الشام وهذا الذى أوصى الله نبيه به وليس فى قوله خلف وانا سنظهر على الروم وفارس ولكن ما ندرى متى يكون أفى هذا البعث أو غيره ولكن أحسن الظن بالله قال وبات الصديق فرأى فى منامه كأن عمرو بن العاص فى وجهه طرمة هو وأصحابه ثم قصد عمرو أرضا خضرة سهلة وفرجة فحمل على فرسه ثم اتبعه أصحابه فاذا هم فى أرض واسعة فنزلوا واستراحوا قال وانتبه أبو بكر من منامه فرحا بما رأى فقال عثمان يدل على فتح الا أنه يوشك أن يلقى عمرو فى قتال المشركين مشقة عظيمة ثم يخلص منها (قال الواقدى) كانت الساقطة تنزل المدينة فى الجاهلية والاسلام يقدمون بالبر والشعير والزيت والتين والقماش وما يكون فى الشام فقدم بعض الساقطة الى المدينة وأبو بكر يعقد الجيوش وسمعوا كلام أبى بكر لعمرو بن العاص وهو يقول عليك بفلسطين وايليا قال

فساروا بالخبر الى الملك هرقل فلما سمع ذلك جمع أرباب دولته و بطارقته وأعلمهم بالحديث الذي جرى وقال يابني الاصفر هذا الذي كنت حذرتكم منه قد عما وان أصحاب هذا النبي لا بد أن تملك ما تحت سريري هذا وقد قرب الوعد وان خليفة محمد قد أنفذ لكم الجيوش وكأنكم بهم وقد أتوكم وقصدوا نحوكم فحذروا أنفسكم وقاتلوا عن دينكم وعن حريمكم فان تهاونتم ملكت العرب بلادكم وأموالكم قال فبكى القوم فقال لهم دعوا عنكم البكاء ثم قال له وزيره أيها الملك قد اشتهينا أن تدعو بعض من قدم بهذا الخبر عليك فأمر هرقل بعض حجابه ان يأتي برجل من المتنصرة ممن قدم عليه بالاخبار فأتي برجل منهم فقال له الملك كم عهدك قال منذ خمسة وعشرين يوما قال فمن المتولي عليهم قال له رجل يقال له أبو بكر الصديق وجه جيوشه الى بلدك قال هل رأيت أبا بكر قال نعم وانه أخذ مني شملة بأربعة دراهم وجعلها على كتفه وهو كواحد منهم وهو يمشي في ثوبين ويطوف بالاسواق ويدور على الناس يأخذ الحق من القوي للضعيف قال هرقل صفه لي قال هو رجل آدم اللون خفيف العارضين فقال هرقل وحق ديني هو صاحب أحمد الذي كانجد في كتبنا أنه يقوم بالامر من بعده ونجد في كتبنا أيضا أن بعد هذا الرجل رجلا آخر طويلا كالاسد الوثاب يكون على يديه الدمدمة والجلاء قال فشهق المتنصر من قول هرقل وقال ان هذا الذي وصفته لي رأيته معه لا يفارقه قال هرقل هذا الامر والله قد صح وقد دعوت الروم الى الرشد والصلاح فأبوا أن يطيعوني وان ملكي سوف ينهدم ثم عقد صليبا من الجوهر وأعطاه قائد جيوشه روبيس وقال له قد وليتك على الجيش فسير وامنع العرب من فلسطين فانها بلد خصب كثيرة الخير وهي عزنا وجاهنا وتاجنا فسار روبيس الصليب وسار من يومه الى أجنادين واتبعه جيش الروم (قال الواقدي) لقد بلغني أن عمرو بن العاص توجه الى ايليا حتى وصل الى أرض فلسطين هو ومن معه قال فلما نزل المسلمون بفلسطين جمع عمرو المسلمين المهاجرين والانصار وشاورهم في أمرهم فبينما هم في المشورة اذ أقبل عليهم عدي بن عامر وكان من خيار المسلمين وكان كثيرا ما يتوجه الى بلاد الشام وداس أرضهم وعرف مساكنها ومسالكها فلما أشرف على المؤمنين دار رواية وأوقفوه بين يدي عمرو بن العاص فقال له عمرو بن العاص ما الذي وراءك يا ابن عامر قال ورائي المتنصرة وجنودهم مثل النمل فقال له عمرو يا هذا لقد ملأت قلوب المسلمين رعبا وانا نستعين بالله عليهم فقال له فكم حزرت القوم فقال أيها الامير اني قد علوت على شرف من الجبال عال فرأيت من الصلبان والرماح والاعلام ما قد ملأ الاجم وهو أعظم جبل بأرض فلسطين وهم زيادة عن مائة ألف فارس وهذا ما عندي من الخبر قال فلما سمع عمرو ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم أقبل على من حضر من كبار المسلمين وقال أيها الناس انا واياكم في هذا الامر بالسواء فاستعينوا بالله على الاعداء وقاتلوا عن دينكم وشرعكم فمن قتل كان شهيدا ومن عاش كان سعيدا فماذا أنتم قائلون قال فتكلم كل رجل بما حضر عنده من الرأي فقالت طائفة منهم أيها الامير ارجع بنا الى البرية حتى نكون في بطن البيداء فانهم لا يقدرون على فراق القرى والحصون فاذا جاءهم الخبر أنا توسطنا البرية يتفرق جمعهم و بـ[illegible] ذلك نعطف عليهم وهم على غفلة فنهزمهم ان شاء الله تعالى فقال سهل

ابن عمروان هذه مشورة رجل عاجز فقال رجل من المهاجرين لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نهزم الجمع الكثير بالجمع القليل وقد وعدكم الله النصر وما وعد الصابرين الا خيرا وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قال سهل بن عمرو أما أنا فلا رجعت عن قتال الكفرة ولا رددت سيفي عنهم فمن شاء فلينهض ومن شاء فليرجع ومن نكص على عقبيه فأنا وراءه بالمرصاد قال فلما سمع المسلمون أن وافقه على ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قالوا أحسنت يا أبا الفاروق قال ثم ان عمرو ابن العاص عقد راية وأعطاها لعبد الله بن عمر بن الخطاب وضم اليه ألف فارس فيهم رجال من الطائف ومن ثقيف وأمرهم بالمسير فسار عبد الله وجعل يجد السير بقية يومه الى الصباح واذا بغبرة القوم قد لاحت فقال عبد الله بن عمر هذه غبرة عسكر وأظنها طليعة القوم ثم وقف ووقف أمامه أصحابه فقال قوم من البادية انا كنا نرى ماهذه الغبرة فقال لا تتفرقوا من بعضكم حتى نرى ماهي فوقف الناس واذا بالغبرة قد قربت وانكشفت عن عشرة آلاف من الروم وقد بعث معهم روبيس بطريقا من أصحابه وكانوا قد ساروا يكشفون خبر المسلمين فلما نظرهم عبد الله بن عمر قال لأصحابه لا تمهلوهم لانه لا بد لهم منكم والله ينصركم عليهم واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف قال وأعلن القوم بقول لا اله الا الله محمد رسول الله فلما جهروا بها أجابهم الشجر والمدر والدواب والحجر وكان أول من حمل عكرمة بن أبي جهل وتبعه سهل بن عمرو والضحاك أيده ابا الحملة وصاح في رجاله وحمل المهاجرون والانصار معهم والتقى الجمعان وعمل السيف في الفريقين قال عبد الله بن عمر وبينما أنا في الوقعة اذ نظرت من القوم بطريقا عظيم الخلقة وهو كالحائر البليد وهو يركض يمينا وشمالا فقلت ان يكن لهذا الجيش عين فهذا عين الجيش وصاحب الطلائع وهو مرعوب من الحرب فلما حملت عليه ومددت قناتي اليه نفر فرسه من الرمح فنفر بت منه وأوهمته أني أريد الانهزام ثم عطفت عليه وطعنته فوالله لقد خيل لي أني ضربت بسيفي حجرا وسمعت طنين السيف حتى حسبت أن سيفي انفصل واذا هو صريع ثم عطفت عليه وأخذت لامته فلما رأى المشركون صاحبهم مجندلا داخلهم الفزع والهلع وصدمهم المسلمون في الضرب والقتال فلله در الضحاك والحرث بن هشام لقد قاتلا قتالا شديدا ماعليه من مزيد فما كان غير قليل حتى انهزم الكفار من بين أيديهم دابرين قال فرجع المسلمون واجتمع بعضهم على بعض وجمعوا الغنائم والاموال وقال بعضهم لبعض ما فعل الله بعبد الله بن عمر قال قائل منهم الله خبير بحسن زهده وعبادته وقال آخرون قد أصبنا بابن عمر فما كان يساوي هذا الفتح شعرة من رأسه قال عبد الله بن عمر وأنا مع ذلك أسمع كلامهم خلف الراية فأعلنت بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وهززت الراية فلما نظر المسلمون الراية سارعوا الى وقالوا أين كنت فقلت اشتغلت بقتال صاحبهم فقالوا أفلح والله وجهك فهذا والله فتح قد رزقنا الله اياه ببركتك قال عبد الله وبوجوهكم ثم حازوا الاموال والغنائم والخيل وسبعمائة أسير وقتل من المسلمين سبعة نفر فواروهم وصلى عليهم ابن عمر وانعطف الجيش الى عمرو بن العاص وحدثوه بما جرى ففرح وحمد الله تعالى ثم دعا بالا[illegible] واستنطق منهم

بالعربية فما كان فيهم غير ثلاثة نفر من أقباط الشام فسألهم عن خبرهم وخبر أصحابهم فقالوا يامعشر العرب ان هذا روبيس قد أقبل فى مائة ألف فارس وقد أمره الملك أن لا يدع أحدا من العرب يصل ايليا وانه بعث بهذا البطريق طليعة وقد قتل وكأنكم به فقال عمرو ان الله يقتله كما قتل صاحبكم ثم عرض عليهم الاسلام فما أحد منهم أسلم فقال عمرو للمسلمين كأنكم بصاحبهم وقد أتى بأخذ ثارهم وهؤلاء تركهم علينا بلاء ثم أمر بضرب أعناقهم وصاح بالمسلمين استعدوا فانى أظن أن القوم سائرون فان أتوا الينا فهم فى شدة وقوة وسنلاقى منهم تعبا فى القتال وان سرنا اليهم نرجو من الله النصر والظفر بهم كما ظفرنا بغيرهم وما عودنا الله الا خيرا قال أبو الدرداء وبتنا مكاننا فلما جاء الله بالصباح رحلنا فما بعدنا غير قليل حتى أشرفت علينا عشرة صلبان تحت كل صليب عشرة آلاف فارس فلما أشرف الجيش على الجيش أقبل عمرو ورتب أصحابه وجعل فى الميمنة الضحاك وفى الميسرة سعيدا وأقام على الساقة أبا الدرداء وثبت عمرو فى القلب ومعه أهل مكة وأمر الناس يقرؤن القرآن وقال لهم اصبروا على قضاء الله وارغبوا فى ثواب الله وجنته ثم انه جعل يصفهم ويعبيهم تعبية الحرب ونظر روبيس بطريق الروم الى عسكر المسلمين وقد صفهم عمرو بن العاص لا يخرج سنان عن سنان ولا عنان عن عنان ولا ركاب عن ركاب وهم كأنهم بنيان مرصوص وهم يقرؤن القرآن والنور يلمع من نواصى خيولهم فشم منهم رائحة النصر وتبين من نفسه الجزع وعلم أن كل ما معه كذلك فوقف ينظر ما يكون من المسلمين وانكسرت حميته قال وكان أول من برز من جيش المسلمين سعيد بن خالد رضى الله عنه وهو أخو عمرو بن العاص من أمه فلما برز نادى برفيع صوته ابرزوا يا أهل الشرك ثم حمل على الميمنة فألجأها الى الميسرة وحمل على الميسرة فألجأها الى الميمنة وقتل رجالا وجندل أبطالا ثم اقتحم فيهم فشوشهم وزعزع جيشهم قال فاجتمعوا عليه فقتلوه رحمة الله عليه قال فحزن المسلمون على قتله حزنا عظيما وأكثرهم عمرو بن العاص وقال واسعيداه لقد اشترى نفسه من الله عز وجل ثم قال يا فتيان من يحمل معى هذه الحملة حتى ننظر ما يكون من أمرها وأنظر حال سعيد قال فأسرع بالاجابة ذو الكلاع الحميرى وعكرمة بن أبى جهل والضحاك والحرث بن هشام ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين قال عبد الله وكنا سبعين رجلا وحملنا حتى دنونا من القوم وهم لا يفكرون من حملتنا لأنهم جبال من حديد (قال الواقدى) رحمة الله عليه فلما رأى المسلمون ثبات الروم صاح بعضنا لبعض ابعجوا دوابهم فما هالكهم غير ذلك قال فبعجنا دوابهم بالاسنة فتنكسوا فبعد اشتكائهم تفرق بعضهم عن بعض وحملوا علينا وحملنا عليهم وكنا فيهم كالشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود وكان شعارنا يوم فلسطين لا اله الا الله محمد رسول الله يارب انصر أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال أبو الدرداء فلقد شغلنى الحرب عن مناشدة الاشعار ولقد كان أحدنا لا يدرى أهو يضرب أخاه أو عدوه من كثرة القتام قال فثبت المسلمون مع قلتهم وفوضوا أمرهم الى الله عز وجل وما كان أحد من المسلمين يضرب الا وظهره ناطق بالدعاء يقول اللهم انصرنا على من يتخذ معك شريكا قال عبد الله بن عمر بن الخطاب فلم يزل الحرب بيننا الى وقت الزوال وهبت الرياح والناس فى القتام اذ نظرت

الى السماء وقد انفرج فيها فرج وخرجت منها خيول شهب تحمل رايات خضرا أسنتها تلمع ومناد ينادي بالنصر أبشر وايا أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أتاكم الله بالنصر قال فما كان غير قليل اذ نظرت الى الروم منهزمين والمسلمون فى أعقابهم لان خيل العرب أسبق من خيل الروم قال ابن عمر فقتلنا فى هذه الوقعة قريبا من خمسة عشر ألف فارس وأكثر ولم نزل فى آثارهم الى الليل وعمرو بن العاص قد فرح بالنصر وقلبه متعلق بالمسلمين لا سراعهم وراء العدو وقال عمرو بن غياث فنظرت الى عمرو بن العاص والراية فى يده وقد أوفى القناة على عاتقه وهو يحركها سده ويقول من يرد الناس على رد الله عليه ضالته اذ نظرت العرب قد عطفت راجعة كعطفة الام على ولدها فاستقبلهم عمرو وهو يقول هنيأ لهذه الوجوه التى تعبت فى رضا الله تعالى أما كان لكم كفاية فى أن خولكم الله حتى اتبعتم العدو فقالوا اما أردنا الغنيمة بل القتال والجهاد قال ولما رجع المسلمون لم يكن لهم همة الا افتقاد بعضهم بعضا ففقد من المسلمين مائة وثلاثون رجلا ختم الله لهم بالسعادة منهم سيف بن عباد ونوفل بن دارم والاهب بن شداد والباقى من اليمن ووادى المدينة قال فاغتم عمرو لفقدهم ثم راجع نفسه وقال قد نزل بهم خير وأنت يا عمرو تأبى ذلك ثم ندب الناس الى الصلاة كما أمره أبو بكر الصديق رضى الله عنه فصلى ما فاته كل صلاة بأذان واقامة قال ابن عمر ما صلى خلفه الا القليل بل صلى الناس فى رحالهم من تعبهم ولم يجمعوا من الغنائم الا القليل وبات الناس فلما أصبح عمرو أذن وصلى بهم وأمر الناس بجمع الغنائم وأن يخرجوا اخوانهم المؤمنين من الروم فجعلوا يلتقطوهم قال فأخرجوا مائة وثلاثين رجلا ووجدوا سعيد بن خالد فلما نظر عمرو الى ما نزل به بكى وقال رحمك الله فلقد نصحت لدين الله وأديت النصيحة ثم جعله فى جملة المسلمين وصلى عليهم وأمر بدفنهم وذلك قبل أن يخمس شيأ من الغنائم ثم بعد ذلك جمعها اليه وكتب الى أبى عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص الى أمين الامة * أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانى قد وصلت الى أرض فلسطين ولقينا عساكر الروم مع بطريق يقال له روبيس فى مائة ألف فارس فمن الله بالنصر وقتل من الروم خمسة عشر ألف فارس وفتح الله على يدى فلسطين بعد أن قتل من المسلمين مائة وثلاثون رجلا فان احتجت الى سرت اليك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ودفع الكتاب الى أبى عامر الدوسى وأمره أن يسير الى أبى عبيدة قال فأسرع أبو عامر بالكتاب فوجد أبا عبيدة وهو نازل بأرض الشام وجاهر بالدخول اليها غير أنه أمره كما أمره أبو بكر قال فلما وصل أبو عامر قال له أبو عبيدة ما وراءك قال خير هذا كتاب من عمرو بن العاص يخبرك بما فتح الله على يديه ثم سلم اليه الكتاب فلما قرأه خر ساجدا فرحا بنصر الله ثم قال والله قتل من المسلمين رجال أخيار منهم سعيد بن خالد قال أبو عامر فكان خالد والده جالسا فلما سمع بأن ولده قد قتل قال وابناه وجعل يبكيه حتى بكى المسلمون لبكائه ثم ان خالدا أسرع الى فرسه فركبها وعزم الى أرض فلسطين لينظر الى قبر ولده فقال أبو عبيدة كيف تسير وتدعنا فقال انما أنظر قبر ولدى وأرجو الله أن يلحقنى به قال وكتب أبو عبيدة كتابا لعمرو بن العاص يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم انما أنت مأمور فان كان أبو بكر أمرك

أن تكون معنا فسر الينا وان كان أمرك بالثبات فى موضعك فاثبت والسلام عليك ورحمة
الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى خالد بن سعيد وسار مع أبي عامر الى أن أتيا الى جيش
عمرو بن العاص فدفع له الكتاب وهو يبكي فوثب عمرو وسافح خالدا ورفع منزلته وعزاه فى
ولده سعيد وعزاه المسلمون فقال خالد يا أيها الناس هل أروى سعيد رمحه وسيفه فى الكفار
قالوا نعم فلقد قاتل وما قصر ولقد جاهد فى الدين ونصر فقال أروني قبره قال فأروه اياه فأقام
على القبر وقال يا ولدي رزقني الله الصبر عليك وألحقني بك وانا لله وانا اليه راجعون والله
ان مكنني الله لآخذن بثارك يا ولدي عند الله احتسبتك ثم قال لعمرو بن العاص انى أريد أن
أسري بسرية فى طلب القوم فلعل أن أجد فيهم فرصة أو غنيمة وأكون قد أخذت بثار ولدي
فقال عمرو ان الحرب امامك يا ابن الام فاذا رأيت الروم فلا تبق عليهم فقال خالد والله لأسيرن
اليهم ثم أخذ خالد أهبته للسير وعزم أن يسير وحده فركب معه ثلثمائة فارس من فتيان
حمير فساروا يومهم ذلك أجمع وأرادوا النزول فى الاودية ليعلفوا دوابهم ويسيروا فى ليلتهم
اذ نظر خالد بن سعيد الى أشباح على ذروة جبل هنالك عال منيع فقال لأصحابه انى أرى
اشباحا على ذروة هذا الجبل ونحن فى هذا الوادي ثم قال كونوا فى أماكنكم ثم نزل عن فرسه
وتقلد سيفه والتحف بأزاره وقال اعلموا أن القوم ما علموا بنا ولو نظروا الينا ما ثبتوا فى
أماكنهم فمن منكم يبذل نفسه ويصنع كما أصنع قالوا كلنا لك قال فطافوا فى الجبل حتى أشرفوا
على القوم وهم فى أماكنهم فعند ذلك قال خذوهم بارك الله فيكم فأسرع اليهم المسلمون فقتلوا
منهم ثلاثين وأسروا أربعة فسألهم خالد بن سعيد فاذا هم من أقباط الشام عن حالهم فقالوا
نحن من أهل هذا البقيع والجامعة وكفار القرية وقد عظم علينا دخول العرب الى بلادنا
وقد فزعنا منهم فزعا عظيما وقد هرب أكثرنا الى الحصون والقلاع وقد اعتصمنا نحن بهذا
الجبل لانه ليس فى الرستاق أحصن منه فعلونا عليه وأنتم كبستمونا قال خالد فما بلغكم عن
جيش الروم قالوا بأجناد وهذا البطريق أقبل الينا ليأخذ الميرة والعلوفة وقد جمعوا له الدواب
والبغال والحمير تحمل الميرة وهم مع ذلك خائفون أن تلحقهم خيل العرب وهذا خبر قومنا
ولا شك أنهم رحلوا من يومهم قال فلما سمع خالد بن سعيد مقالتهم قال غنيمة للمسلمين ورب
الكعبة ثم قال اللهم انصرنا عليهم ثم سأل على أي طريق سار القوم قالوا على هذه الطريق
التي أنتم عليها لانها أوسع الطرق كلها وأما الميرة فانها مجموعة من حول البلاد فلما سمع خالد
كلامهم قال لهم أسلموا فقالوا والله ما نعرف الا دين الصليب ونحن فلاحون قال فهم خالد بقتلهم
فقال رجل من أصحابه دعهم يدلونا على الطريق الى ميرة القوم فأجابوهم الى ذلك وساروا
وهم يدلونهم الى تل عظيم قال فتوافقوا القوم وهم يحملون دوابهم حول التل ومعهم
ستمائة لابس من القوم فلما نظر خالد الى ذلك قال لاصحابه اعلموا ان الله تعالى قد وعدكم
بالنصر على عدوكم وفرض عليكم الجهاد وهذا جيش العدو أمامكم فارغبوا فى ثواب الله
تعالى واسمعوا ما قال الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان
مرصوص وها أنا أحمل فاحملوا ولا يخرج أحد عن صاحبه ثم ان خالدا حمل وحمل أصحابه قال
فلما رأونا استقبلونا وانهزم من كان مع الدواب من الفلاحين وصبرت الخيل لقتالنا ساعة

من النهار قال فبينما ذو الكلاع الحميري يشجع أصحابه ويقول يا أهل حمير أبواب الجنة قد فتحت والحور العين قد تزخرفت واذا بصاحب القوم قد لقيه خالد فعرفه بلامته وحسن زيه قال فاستقبله وصرخ فيه فأرعبه ثم قال يا لثار ولدي سعيد وطعنه طعنة صادقة فخذله صريعا كأنه برج من حديد ومابقي أحد الا قتل من الروم قال فلما رأى الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وقتل منهم ثلثمائة وعشرون فارسا وولى الباقون منهزمين وتركوا الأثقال والبغال والميرة وأخذ المسلمون الجميع بعون الله تعالى قال وأطلق سبيل الفلاحين وعاد خالد ومن معه بالغنائم والميرة الى عمرو بن العاص ففرح بسلامتهم وشكر فعلهم وكتب كتابا الى أبي بكر الصديق وذكر له ماجرى مع الروم وبعث الكتاب مع أبي عامر الدوسي رضي الله عنه وأخذه وقدم به المدينة وأعطاه أبا بكر الصديق رضي الله عنه فلما قرأه على المسلمين فرحوا وضجوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم ان أبا بكر استخبر عن أبي عبيدة فقال له عامر انه قد أشرف على أوائل الشام ولم يجسر على الدخول اليها وانه سمع أن جيوش الملك قد اجتمعت من حول أجنادين وهم أمم لا تحصى وقد خاف على المسلمين أن يتوسط بهم عدوهم فلما سمع أبو بكر ذلك علم أن أبا عبيدة لين العريكة وغيره لا يصلح لقتال الروم وعول أن يكتب الى خالد بن الوليد ليوليه على جيوش المسلمين وقتال الروم قال واستشار المسلمين في ذلك فقالوا الرأي ماتراه وكتب كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عتيق ابن أبي قحافة الى خالد بن الوليد سلام عليك أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واني قد وليتك على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم وأن تسارع الى مرضاة الله عز وجل وقتال أعداء الله وكن ممن يجاهد في الله حق جهاده ثم كتب يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم الآية وقد جعلتك الامير على أبي عبيدة ومن معه وبعث الكتاب مع نجم بن مقدم الكناني فركب على مطيته وتوجه الى العراق فرأى خالدا رضي الله عنه قد أشرف على فتح القادسية فدفع اليه الكتاب فلما قرأه قال السمع والطاعة لله ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتحل ليلا وأخذ طريقه عن اليمين وكتب كتابا الى أبي عبيدة يخبره بعزله وبسيره الى الشام وقد ولاني أبو بكر على جيوش المسلمين فلا تبرح من مكانك حتى اقدم عليك والسلام وبعث الكتاب مع عامر بن الطفيل رضي الله عنه وكان احد أبطال المسلمين فأخذه وتوجه يطلب الشام وأما خالد فلما وصل الى أرض السماوة قال أيها الناس ان هذه الارض لا تدخلونها الا بالماء الكثير لانها قليلة الماء ونحن في جيش عظيم والماء معكم قليل فكيف يكون الامر فقال له رافع بن عميرة الطائي رضي الله عنه أيها الامير اني أشير عليك بما تصنع فقال يا رافع أرشدك الله بما نصنع وفقك الله مولانا جل وعلا للخير قال فأحضر رافع ثلاثين جملا وعطشها سبعة أيام ثم أوردها الماء فلما رويت حزم أفواهها ثم ركبوا المطايا وجنبوا الخيول وساروا فكانوا كلما نزلوا منزلا أخذوا عشرة من الابل يشقون بطونها ويأخذون ما يجدون من الماء في بطونها فيجعلونه في حياض الادم فاذا برد سقوه للخيل وأكلوا اللحم ولم يزالوا كذلك حتى تمت الابل وفرغ الماء وقطعوا مرحلتين بلا ماء وأشرف خالد ومن معه على الهلاك فقال خالد لرافع بن عميرة يا رافع قد أشرفنا على

الهلاك والتلف أتعرف لنا ماء ننزل عليه (قال الواقدى) وكان رافع رمدت عيناه فقال أيها الامير أنا رمد كما ترى ولكن اذا أشرفتم على أرض سهلة فأعلموني قال فلما أشرفوا عليها أعلموا رافعا بذلك قال فرفع طرف عمامته عن عينيه وسار على راحلته يضرب يمينا وشمالا والناس من ورائه الى أن أقبل على شجرة من الأراك فكبر وكبر المسلمون ثم قال احفروا ههنا قال فحفر العرب واذا الماء قد طلع كالبحر فنزل الناس عليه وشكروا الله تعالى وأثنوا عليه وعلى رافع خيرا ثم وردوا الماء وسقوا خيلهم وابلهم ثم جدوا فى طلب من انقطع من المسلمين ومعهم القرب بالماء قال فسقوهم فارتجعت قوتهم ثم لحقوا بالجيش وأراحوا أنفسهم ثم فى ثانى يوم جدوا فى المسير الى أن بقى بينهم وبين أركة مرحلة واحدة فبينما هم كذلك اذ أشرفوا على حلة عامرة وأغنام وابل قد سدوا الفضاء والمستوى فأسرع المسلمون الى الحلة واذا براع يشرب الخمر والى جانبه رجل من العرب مشدود فقال فقيده المسلمون واذا هو عامر بن الطفيل الذى أرسله خالد قال فأقبل خالد بن الوليد مسرعا حتى وقف عليه فلما رآه تبسم وقال يا ابن الطفيل كيف كان سبب أسرك قال عامر أيها الملك الامير انى أشرفت على هؤلاء القوم فى هذه الحلة وقد أصابنى الحر والعطش فأتيت الى هذا الراعى ليسقينى من اللبن فوجدته يشرب خمرا فقلت له يا عبد والله أتشرب الخمر وهى محرمة فقال لى يا مولاى انها ليست بخمر وانما هى ماء زلال دائر كما تراه واستنشق ما فى الجفنة فان كان خمرا فافعل ما بدا لك فلما سمعت كلامه أنخت المطية ونزلت عن كورها وجلست على ركبتى فى الجفنة واذا أنا بالعبد قد طلبنى بعصا كانت الى جانبه وضربنى على رأسى فشجنى شجة موضحة فانقلبت على جانبى فأسرع العبد الىّ وشدنى كتافا وأوثقنى رباطا وقال لى أظنك من أصحاب محمد بن عبد الله ولست أدعك من بين يدىّ أو يقدم سيدى من عند الملك فقلت له ومن سيدك من العرب فقال القداح بن واثلة وانى عند هذا العبد كلما شرب الخمر أحضرنى كما ترى وألقى علىّ فضلة من كاسه قال فلما سمع خالد بن الوليد كلام عامر بن الطفيل اشتد به الغضب ومال على العبد وضربه ضربة هائلة فجدله صريعا ونهب المسلمون المال والاغنام والابل وقلعوا الحلة بما فيها واطلق عامرا وقال له أين رسالتى يا عامر فقال يا مولاى هى فى طرف عمامتى لم يعلم بها العبد فقال خالد انطلق بها يا عامر على بركة الله تعالى قال فركب عامر وسار يطلب الشام وارتحل خالد من موضعه ذلك فنزل بأركة وهى رأس الامانة لمن يخرج من العراق وكانت الروم تمسك بها القوافل وكان عليها بطريق من قبل الملك فأغار خالد عليها وأخذ ما كان فيها وتحصن أهلها بحصنها وكان يسكن فيها حكيم من حكماء الروم وقد طالع الكتب القديمة والملاحم فلما رأى المسلمين وجيشهم انتقع لونه وقال اقترب الوقت وحق دينى فقال أهل اركة وكيف لك قال ان عندى ملحمة فيها ذكر هؤلاء القوم وان أول راية تشرف من خيلهم هى الراية المنصورة وقد دنا هلاك الروم فانظروا ان كانت رايتهم سوداء واميرهم عريض اللحية طويل ضخم بعيد ما بين المنكبين واسع الهيكل فى وجهه أثر جدرى فهو صاحب جيشهم فى الشام وعلى يديه يكون الفتح قال فنظر القوم واذا الراية على رأس خالد وهى كما قال حكيمهم قال واجتمعوا الى بطريقهم وقالوا له أنت تعلم أن الحكيم سمعان لا ينطق الا بالحق والحكمة وقد

قال كذا وكذا والذى وصفه لنا رأساه عيانا ونرى من الرأى أن نعقد بيننا وبين العرب صلحا ونأمن على حريمنا وأنفسنا فلما سمع ذلك بطر يقهم قال أخرونى الى غد لأرى من الرأى قال فانصرفوا من عنده وبات البطريق يحدث نفسه ويدبر أمره وكان عارفا عاقلا خبيرا بالامور وقال ان انا خالفتهم خفت ان يسلمونى للعرب وقد تحقق أن روبيس سار بجيش عظيم فهزمهم العرب ولم يزل يراود نفسه الى أن أصبح الصباح فدعا قومه وقال على ماذا عولتم قالوا عولنا على أننا نقيم الصلح بيننا وبين العرب فقال البطريق انا واحد منكم مهما فعلتم لا اخالفكم قال فخرج مشايخ أركة الى خالد وكلموه فى الصلح فأجابهم الى الصلح وألان الكلام لهم وتلقاهم بالرحب والسعة ليسمع بذلك أهل السخنة ويبلغ الخبر لاهل تدمر وكان الوالى عليهم بطريق اسمه كوكب فجمع رعيته وقال لهم بلغنى عن هؤلاء العرب أنهم فتحوا أركة والسخنة وأن قومنا يتحدثون بعدلهم وحسن سيرتهم وأنهم لا يطلبون الفساد وهذا حصن مانع لا سبيل لاحد علينا ولكن نخاف على نخلنا وزرعنا وما يضرنا أن نصالح العرب فان كان قومنا هم الغالبين فسخنا صلحهم وان كان العرب ظافرين كنا آمنين قال ففرح قومه بذلك وهيئوا العلوفة والضيافة حتى خرج خالد رضى الله عنه من أركة ونزل عليهم فخرجوا اليه بالخدمة وصالحهم على ثلثمائة أوقية من الذهب وكتب لهم كتابا بالصلح ثم ارتحل عنها الى حوران وبلغ عامر بن الطفيل كتاب خالد الى أبى عبيدة فلما قرأه تبسم وقال السمع والطاعة لله تعالى وللخليفة رسول صلى الله عليه وسلم ثم أعلم المسلمين بعزله وولاية خالد بن الوليد وكان أبو عبيدة وجه شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بصرى فى أربعة آلاف فارس قال فسار على فنائها وكان على بصرى بطريق عظيم الشان والقدر عند الملك وعند الروم اسمه روماس وكان قرأ الكتب السالفة والاخبار الماضية وكان يجتمع اليه الروم من أقصى بلادها ينظرون الى عظيم خلقته ويسمعون ألفاظ حكمته وكانت آهلة بالخلق عامرة بالناس وكان فيها ألف فارس وكان العرب يقصدونهم ببضائعهم وتجاراتهم من أقصى اليمن وبلاد الحجاز فاذا كان فى أيام الموسم ينصب لبطريقهم كرسى ليجلس عليه ويجتمع الناس اليه ويستفيدون من علمه وحكمته فبينما هم قد اجتمعوا اليه وقعت الضجة بقدوم شرحبيل ابن حسنة وعسكره فبادروا الى جواده فركبه وصاح فى قومه فأجابوه وقال لا تحدثوا حتى نسمع كلام القوم وما عندهم ثم سار حتى قرب من شرحبيل بن حسنة وجيشه ونادى يا معشر المسلمين أنا روماس وانى أريد صاحبكم قال فخرج اليه شرحبيل فلما قرب منه قال البطريق من أنتم قال شرحبيل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم النبى الامى القرشى الهاشمى المبعوث فى التوراة والانجيل فقال روماس مافعل الله به فقال شرحبيل قبضه الله اليه فقال البطريق فمن ولى الامر بعده قال عتيق بن أبى قحافة بن بكر بن تميم بن مرة فقال روماس وحق دينى لقد أعلم بانكم على الحق ولا بد لكم أن تملكوا الشام والعراق وانا أشفق عليكم اذ أنتم فى جمع يسير ونحن فى جمع كثير ولكن ارجعوا الى بلادكم فانا لا نتعرض لكم واعلم يا أخا العرب أن أبا بكر هو صاحبى ورفيقى ولو كان حاضرا ما قاتلنى فقال شرحبيل لو كان ولده أو ابن عمه لما عفا عنه الا ان يكون من أهل ملته وليس له من الامر شئ لانه مكلف وقد أمره الله أن

نجاهدكم ولسنا نبرح عنكم الا باحدى ثلاث اما أن تدخلوا فى ديننا أو تؤدوا الجزية أو السيف فقال روماس وحق ما أعتقده من دينى لو كان الامر الى ما قاتلتكم لانى أعلم أنكم على الحق وهؤلاء طواغية الروم وقوم مجتمعون وانى أريد أن أرجع اليهم وأنظر ما عندهم فقال شرحبيل ارجع اليهم فلا بد لكم مما ذكرت قال فعاد روماس الى قومه وجمعهم وقال يا أهل دين النصرانية وبنى ماء المعمودية ان الذى كنتم تعتقدونه فى كتبكم من الخروج من بلادكم ودياركم ونهب أموالكم قد قرب وهذا وقته وزمانه ولستم بأعظم جيشا من روبيس سار الى شرذمة من العرب بأرض فلسطين فقتل وقتل من معه وانهزم الباقون ولقد بلغنى أن رجلا منهم خرج من أرض السماوة وصوب العراق اسمه خالد بن الوليد وقد فتح أركة والسخنة وتدمر وحوران وهو عن قريب يحضو اليكم والصواب أن تؤدوا الجزية عن يد الى هؤلاء العرب ويصرفون عنكم قال فلما سمع قومه ذلك غضبوا وشوشوا وهموا بقتله فقال روماس يا قوم انما أردت ان أختبركم وأرى حمية دينكم والآن دونكم والقوم وأنا فى أولكم قال فرجعت الروم الى عددها وعديدها وتظاهروا بالدروع البيض وقادوا الجنائب وتهيؤا للحملة فلما رأى شرحبيل بن حسنة ذلك وعظ أصحابه وقال اعلموا رحمكم الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة تحت ظلال السيوف وأحب ما قرب الى الله قطرة دم فى سبيل الله أو دمعة جرت فى جوف الليل من خشية الله قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم حمل وحمل المسلمون على جيش بصرى قال عبد الله بن هدى واجتمع علينا العدو وطمعوا فينا وحملوا علينا فى اثنى عشر ألف فارس من الروم ونحن فيهم كالشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود وصبرنا لهم صبر الكرام ولم يزل القتال بيننا وبينهم الى أن توسطت الشمس فى قبة الفلك وقد طمع العدو فينا فرأيت شرحبيل بن حسنة قد رفع يده الى السماء وهو يقول يا حى يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام اللهم انصرنا على القوم الكافرين قال فوالله ما استتم شرحبيل كلامه ودعاءه حتى جاء النصر من عند الله العزيز الحكيم وذلك أن القوم داروا بنا فرأينا غبرة قد أشرفت علينا من صوب حوران فلما قربت لما رأينا تحتها سوابق الخيل فلاحت لنا الاعلام الاسلامية والرايات المحمدية وقد سبق الينا فارسان أحدهما ينادى ويزعق يا شرحبيل يا ابن حسنة أبشر بالنصر لدين الله أنا الفارس الصنديد والبطل المجيد أنا خالد بن الوليد والآخر يزعق ويقول أنا عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وأشرفت العساكر من كل جانب قال وأشرفت راية العقاب يحملها رافع بن عميرة الطائى ﴿قال﴾ حدثنا سالم بن عدى عن ورقاء بن حسان العامرى عن ميسرة بن مسروق العبسى قال والله لقد خمدت أصوات الروم عند زعقة خالد رضى الله عنه وأقبل المسلمون يسلم بعضهم على بعض وأقبل شرحبيل بن حسنة الى خالد بن الوليد وسلم عليه فقال خالد يا شرحبيل أما علمت أن هذه مينا الشام والعراق وفيها عساكر الروم وبطارقتهم فكيف غررت بنفسك وبمن معك من المسلمين قال كله بأمر أبى عبيدة فقال خالد أما أبو عبيدة فانه رجل خالص النية وليس عنده غائلة الحرب ولا يعلم بمواقعها ثم أمر الناس بالراحة فنزلوا وارتاحوا من أوزارهم فلما كان فى اليوم الثانى زحفت جيوش بصرى على المسلمين فقال خالد

ان الروم زحفوا عليهم تعبنا وتعب خيولنا فاركبوا بارك الله فيكم واحملوا على بركة الله تعالى
قال فركب المسلمون وأخذوا أهبتهم للحرب فجعل فى الميمنة رافع بن عميرا لطائى وجعل
فى الميسرة ضرار بن الازور وكان غلاما فاتكا فى الحرب وجعل على الدرك عبد الرحمن بن
أبى بكر الصديق ثم قسم جيش الزحف فجعل على شطره المسيب بن نجيبة الفزارى وعلى الشطر
الآخر مذعور بن غانم الاشعرى وأمرهم أن يزفوا الخيل اذا حملت قال وبقى خالد فى الوسط
وهو يعظ الناس ويوصيهم وقد عزموا على الحملة واذا بصفوف الروم قد انشقت وخرج من
وسطها فارس عظيم الخلقة كثير الزينة يلمع ما عليه من الذهب الاحمر والياقوت فلما توسط
الجمعين نادى بلسان عربى كأنه بدوى يامعاشر العرب لا يبرز لى الا أميركم أنا صاحب بصرى
قال فخرج اليه خالد رضى الله عنه كالاسد الضرغام وقرب منه فقال له البطريق أنت أمير القوم
قال كذلك يزعمون أنى أميرهم مادمت على طاعة الله ورسوله فان عصيته فلا امارة لى عليهم
قال البطريق انى رجل عاقل من عقلاء الروم وملوكهم وان الحق لا يخفى على ذى بصيرة واعلم
انى قرأت الكتب السابقة والاخبار الماضية فوجدت أن الله تعالى يبعث نبيا قرشيا
واسمه محمد بن عبد الله قال خالد والله نبينا قال أنزل عليه الكتاب قال نعم القرآن قال روماس
البطريق أحرم عليكم فيه الخمر قال خالد نعم من شربها حددناه ومن زنى جلدناه وان كان
محصنا رجمناه قال أفرضت عليكم الصلوات قال نعم خمس صلوات فى اليوم والليلة قال أفرض
عليكم الجهاد قال خالد ولولا ذلك ماجئنا كم نبغى قتالكم قال روماس والله انى لأعلم أنكم
على الحق وانى أحبكم وقد حذرت قومى منكم وانى خائف منكم فابوا فقال خالد فقل
أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله يكون لك مالنا وعليك ماعلينا فقال انى أسلمت
وأخاف أن يعجل هؤلاء بقتلى وسبى حريمى ولكن أنا أسير الى قومى وأرغبهم فلعل الله أن
يهديهم فقال خالد ان رجعت الى قومك بغير قتال يكون بينى وبينك خفت عليك ولكن احمل
علىّ حتى لا يتهموك وبعد ذلك اطلب قومك فحمل بعضهم على بعض وأرى خالد الفريقين
أبوابا من الحرب حتى أبهر روماس فقال لخالد شدّد علىّ الحملة حتى يرى الدير جان فانى خائف
عليك من بطريق بعث به الملك يقال له الديرجان فقال خالد ينصرنا الله عليه ثم شدّد على
روماس الحملة حتى أنه انهزم من بين يديه الى قومه فلما وصل الى قومه قال ما الذى رأيت من
العرب قال ان العرب أجلاد مالكم بقتالهم طاقة ولا بدّ لهم أن يملكوا الشام وما تحت
سريرى هذا فادخلوا تحت طاعتهم وكونوا مثل أركة والسخنة قال فلما سمعوا كلامه زجروه
وأرادوا قتله وقالوا له ادخل المدينة والزم قصرك ودعنا لقتال العرب فانصرف روماس وقال
لعل الله ينصر خالدا ثم ان أهل بصرى ولوا عليهم الديرجان وقالوا اذا فرغنا من المسلمين سرنا
معك الى الملك ونسأله أن ينزع روماس ويوليك علينا قال الديرجان وما الذى تريدون قالوا نحمل
ونطلب قتال العرب قال فخرج الديرجان وطلب خالدا فقال عبد الرحمن لخالد يا أميرأنا
أخرج اليه فقال دونك يا ابن الصديق فخرج عبد الرحمن وحمل على الديرجان فما لبثوا غير
ساعة وقد أحس الديرجان من نفسه بالتقصير فولى منهزما وراح الى قومه فلما رأوا ذلك منه
نزل الرعب فى قلوبهم وعلم خالد ماعند القوم من الفزع فحمل وحمل عبد الرحمن بن أبى بكر

الصديق وحمل المسلمون فلما نظر أهل بصرى الى حملة المسلمين حملوا وتلاقى الفريقان وصحت الرهبان بكلمة كفرهم فقال شرحبيل بن حسنة اللهم ان هؤلاء الأنجاس يتهللون بكلمة كفرهم ويدعون معك الها آخر لا اله الا أنت ونحن نبتهل اليك بلا اله الا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك الا مانصرت هذا الدين على أعدائك المشركين ثم حملوا حملة واحدة فلم يكن للروم ثبات مع العرب فولى المشركون الادبار وركنوا الى الفرار فلما حطوا داخل المدينة أغلقوا الابواب وتحصنوا بالاسوار ورفعوا الصلبان وعوّلوا أن يكتبوا الملك ليمدهم بالخيل والرجال قال عبد الله بن رافع فلما تحصنوا ارجعنا عنهم وافتقدنا أصحابنا فوجدنا قد قتل منا مائة وثلاثون فارسا وقتل من الاعيان بدر بان قال وغنم المسلمون الاموال وصلى خالد على الشهداء وأمر بدفنهم فلما كان الليل تولى الحرس عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ومعمر بن راشد ومائة من جيش الزحف فبينما هم يدورون حول العسكر واذا بروماس صاحب بصرى قد أقبل عليهم وقال لهم أين خالد بن الوليد فأخذوه وأتوا به الى خالد فلما رآه رحب به فقال يا أيها الأمير بعد أن فارقتك طردني قومي وقالوا الزم قصرك والا قتلناك فلزمت قصري وهو ملاصق للسور ولما وقع لهم ماوقع وانهزموا وتحصنوا فلما جن الليل أمرت غلماني بحفر السور وفتحوا فيه بابا وأتيتك فأرسل معي من تعتمد عليه من أصحابك تستلمون المدينة فلما سمع خالد هذا الكلام أمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن يأخذ مائة من المسلمين ويسيروا مع روماس قال ضرار بن الازور وكنت ممن دخل المدينة فلما صرنا في قصر روماس فتح لنا خزانة السلاح فلبسنا من سلاحهم وقسمنا أربعة أقسام كل جانب خمسة وعشرون رجلا وقال لنا عبد الرحمن اذا سمعتم التكبير فكبروا فلما صرنا حيث أمرنا أخذنا أنفسنا بالحملة على القوم * قال الواقدي بلغني ممن أثق به من الرواة أن عبد الرحمن لما فارق أصحابه لبس سلاحه وسار هو وروماس يطلبون الدرج الذى عليه الديرجان وسار معهم ضرار ورافع وشرحبيل بن حسنة فلما قرب عبد الرحمن من الدرج الذى فيه الديرجان قال الديرجان من أنتم فقال أنا روماس فقال لا أهلا ولا مرحبا بك ومن الذى معك قال معي صديق لك ومشتاق الى رؤياك قال ويحك ومن هو ياروماس قال هذا ابن أبي بكر الصديق فلما سمع الديرجان ذلك هم أن يقتله فلم تطاوعه نفسه فحمل عليه عبد الرحمن وهز سيفه في وجهه وضربه على عاتقه فتجندل صريعا يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار قال وكبر عبد الرحمن فأجابه روماس وسمع أصحابه التكبير فكبروا من جوانب بصرى قال وأجابتهم الاحجار والاشجار قال وكبر المسلمون من جوانب بصرى ووضعوا السيف في الروم وسمع خالد التكبير فصرخوا واذا بغلمان روماس وأولاده قد فتحوا لهم الأبواب فعبر خالد ومن معه من المسلمين فلما نظر أهل بصرى الى الابواب وقد فتحت بالسيف فهرا صحوا بأجمعهم يقولون الامان الامان فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه ارفعوا السيف عنهم وأقام خالد الى الصباح واجتمع اليه أهلها وقالوا يا أيها الأمير لوصالحناك ماجرى شئ من ذلك ولكن نسألك بالذى أيدك ونصرك ما الذى فتح لك أبواب مدينتنا فاستحى خالد رضى الله عنه أن يقول فوثب روماس وقال أنا فعلت ذلك يا أعداء الله وأعداء رسوله وما فعلته الا ابتغاء مرضاة الله ووجها دافيكم فقالوا أولست منا فقال اللهم لا تجعلني منهم

رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبالكعبة قبلة وبالقرآن اماماً وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله قال ففرح خالد بذلك وأما أهل بصرى فغضبوا من كلامه وأضمروا له شراً وعلم بذلك روماس فقال لخالد أنا لا أريد المقام عندهم واني أسير معك حيث سرت فاذا فتح الله على يديك الشام وصار لكم الأمر ردوني اليها لان الوطن عزيز (قال الواقدي) حدثني معمر ابن سالم عن جده قال كان روماس يجاهد معنا جهاداً حسناً حتى فتح الله على أيدينا الشام فكان أبو عبيدة يكاتب به عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أيامه فولاه على بصرى فلم يلبث الا يسيراً حتى توفي رحمه الله وخلف عقباً يذكر به قال وأمر خالد رجالاً يعينونه على اخراج رحله وماله من المدينة ففعلوا ذلك واذا بزوجته تخاصمه وتطلب فراقه فقال لها المسلمون ما الذي تريدين قالت أريد أمير جيشكم يحكم بيننا فجاؤا بها الى خالد فقالت له أنا أستغيث بك من روماس فقال لها خالد وكيف ذلك فقالت اني كنت البارحة نائمة اذ رأيت شخصاً ما رأيت أحسن منه وجهاً كأنه البدر يطلع من بين عينيه وكأنه يقول ان المدينة فتحت على يد هؤلاء القوم والشام والعراق فقلت له ومن أنت يا سيدي قال أنا محمد رسول الله ثم دعاني الى الاسلام فأسلمت ثم علمني سورتين من القرآن قال فحدث الترجمان خالداً بما كان منها فقال ان هذا لعجيب ثم قال خالد للترجمان قل لها تقرأ السورتين فقرأت الفاتحة وقل هو الله أحد ثم جددت اسلامها على يد خالد بن الوليد وقالت يا أيها الأمير اما أن يسلم روماس والا يتركني أعيش بين المسلمين قال فضحك خالد من قولها وقال سبحان الله الذي وفقهما جميعاً ثم قال للترجمان قل لها ان روماس أسلم قبلها ففرحت بذلك ثم ان خالداً أحضر أهل بصرى وقررهم على أداء الجزية وولى عليهم من اتفق رأيه عليه ثم كتب الى أبي عبيدة كتاباً يبشره بالفتح ويقول له يا صاحب رسول الله قد ارتحلنا الى دمشق فالحقنا اليها ثم كتب كتاباً آخر الى أبي بكر الصديق يخبره برحيله ويقول له يوم كتبت اليك هذا الكتاب ارتحلت الى دمشق فادع لنا بالنصر والسلام عليك ومن معك ورحمة الله وبركاته ثم بعث الكتابين كلاهما ثم ارتحل خالد الى نحو دمشق حتى أشرف على موضع يقال له الثنية فوقف هناك وركز راية العقاب فسميت بذلك ثنية العقاب ثم ارتحل منها الى الدير المعروف الآن بدير خالد وكان أهل السواد قد التجؤا الى دمشق وقد اجتمعت خلائق وأمم لا تحصى من الرجال وأما أصحاب الخيل فكانوا اثني عشر ألفاً وقد زينوا أسوارهم بالطوارق والبيارق والصلبان وأقام خالد على الدير ينتظر قدوم المسلمين (قال الواقدي) واتصلت الاخبار الى الملك هرقل وما فتح خالد من الشام وكيف قدم على دمشق فغضب وجمع البطارقة وقال يا بني الأصفر قد قلت لكم وحذرتكم فأبيتم وهؤلاء العرب قد فتحوا أركة وتدمر والثنية وبصرى وقد توجهوا الى الربوة ففتحوها فوا كرباه لان دمشق جنة الشام وقد سارت اليها الجيوش وهم أضعاف العرب ثم قال أيكم يتوجه الى قتال العرب ويكفيني أمرهم فان هزمهم أعطيته ما فتحوه ملكاً فقال بطريق من البطارقة اسمه كلوس بن حنا وكان من فرسانهم وقد عرفت شجاعته في عساكر الروم والفرس أيها الملك أنا أكفيك وأردهم على أعقابهم مهزومين قال فلما سمع الملك قوله سلم اليه صليباً من الذهب وقدمه على خمسة آلاف فارس وقال له قدم صليبك أمامك فانه ينصرك قال

فأخذه كلوس وسار من يومه من أنطاكية الى أن وصل حمص فوجدها مزينة بالسلاح فلما بلغ أهلها قدومه خرجوا الى لقائه وقد خرجت القسوس والرهبان واستقبلوه ودعوا له بالنصر وأقام بحمص يوما وليلة ثم ارتحل الى مدينة بعلبك فخرج اليه القساء لا طمات الخدود وقالوا أيها السيد ان العرب فتحوا اركة وحوران وبصرى فقال لهن كيف قدرت العرب على حوران بصرى فقالوا أيها السيد ان الذين ذكرتهم لم يبرحوا من أماكنهم وان هذا الرجل قد أقبل من العراق وهو الذى فتح أركة فقال وما اسمه قالوا خالد بن الوليد قال فى كم يكون من العساكر قالوا فى ألف وخمسمائة فارس فقال وحق المسيح لاجعلن رأسه على رأس سنانى ثم رحل فلم ينزل الا بدمشق وكان واليها بطريق من قبل الملك هرقل اسمه عزازير فلما قدم كلوس اجتمع عليه عزازير وأصحابه وقرؤا عليهم منشور الملك ثم قال لهم أتريدون أنى أقاتل عدوكم وأصده عن بلادكم قالوا نعم فقال أخرجوا عزازير عنكم حتى أكون وحدى فى هذا الأمر فقالوا أيها السيد وكيف ينبغى أن نخرج صاحبنا من بلدنا وهذا العدو قاصد الينا قال فغضب عزازير فى وجه كلوس من كلامه وقد اتفق رأيهم على أن كل واحد يقاتل العرب يوما فثبتت عداوة عزازير فى قلب كلوس (قال الواقدى) ولقد بلغنى أنهم كانوا يخرجون كل يوم من باب الجابية مقدار فرسخ ينظرون قدوم أبى عبيدة بن الجراح فلم يشعروا حتى قدم اليهم خالد بن الوليد من نحو الثنية ※(قال حدثنا)※ يسار بن محمد قال أخبرنا رفاعة بن مسلم قال كنت فى جيش خالد بن الوليد لما نزل على الدير المعروف به واذا بجيش الروم قد زحف علينا وهو كالجراد المنتشر فلما نظر خالد لذلك تدرع بدرع مسلمة ثم صرخ فى وجه المسلمين وقال هذا يوم ما بعده يوم وهذا العدو قد زحف بخيله فدونكم والجهاد فانصروا الله ينصركم وكونوا ممن باع نفسه لله عز وجل وكافئكم اخوانكم المسلمين وقد قدموا عليكم مع أبى عبيدة بن الجراح ثم بعد ذلك استقبل الجيش وصرخ على رأسه فأرعب المشركين من صرخته وحمل شرحبيل بن حسنة وعبد الرحمن بن أبى بكر وضرار بن الازور ومذ حمل ضرار لم يول عنهم بل قتل من الميمنة خمسة فرسان ومن الميسرة كذلك ثم حمل ثانى مرة فقتل منهم ستة فرسان ولولا سهام القوم لما ارتد عن قتالهم فشكره خالد بن الوليد وقال لعبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه احمل بارك الله فيك قال فحمل عبد الرحمن وفعل كما فعل ضرار بن الازور وقاتل قتالا شديدا ثم حمل من بعده خالد بن الوليد ودور فعرجه وأرى العسكر من أمور الحرب حتى جزع الروم من شجاعته فلما نظر اليه البطريق كلوس علم أنه أمير الجيش وعلم أنه يقصده فتأخر كلوس الى ورائه من مخافته ولما نظر خالد الى قهقرة كلوس الى ورائه حمل عليه ليرده فوقعت عليه البطارقة ورموه بالسهام فلم يلتفت اليهم خالد ولم يعبأ بهم ولم يرجع حتى قتل عشرين ثم انثنى بجواده بين الصفين وجال بجواده بين الفريقين وطلب البراز فلم يجبه أحد وقالوا أخرجوا غيره منكم فقال ويلكم ها أنا رجل واحد من العرب وكلنا فى الحرب سواء فما منهم من فهم كلامه فأقبل عزازير على كلوس وقال أليس الملك قد قدمك على جيشه وبعثك الى قتال العرب فدونك حام عن بلدك ورعيتك فقال كلوس أنت أحق منى بذلك لانك أقدم منى وقد عزمت أنك لا تخرج الا باذن الملك هرقل فما بالك لا تخرج الى قتال أمير العرب فقال لهما العساكر

تقارعا فمن وقعت عليه القرعة فلينزل الى قتال أمير العرب فقال كلوس لا بل نحمل جميعا
فهو أهيب لنا قال وخاف كلوس أن يبلغ الملك ذلك فيطرده من عنده أو يقتله قال فتقارعا
فوقعت القرعة على كلوس فقال عزازير اخرج وبين شجاعتك فقال كلوس لاصحابه أريد
أن تكون همتكم عندي فان رأيتم مني تقصيرا فاحملوا وخلصوني فقال أصحابه هذا كلام
عاجز لا يفلح أبدا فقال يا قوم ان الرجل بدوي ولغته غير لغتي فخرج معه رجل اسمه جرجيس
وقال له أنا أترجم لك فسار معه فقال كلوس اعلم يا جرجيس أن هذا رجل ذو شجاعة فان
رأيته غلبني فاحمل أنت عليه حتى نقضي يومنا معه ويخرج له غدا عزازير فيقتله ونستريح
منه وأتخذك أنا صديقي فقال له ما أنا أهل حرب وانما أخوفه بالكلام قال فسكت وسارا حتى
قربا من خالد ونظر اليهما قال فهم أن يخرج اليهما رافع بن عميرة فصاح فيه خالد وقال مكانك
لا تبرح فاني كفؤ لهما فلما دنوا من خالد قال كلوس لصاحبه قل له من أنت وما تريد وخوفه من
سطواتنا فقرب جرجيس من خالد وقال له يا أخا العرب أنا أضرب لك مثلا ان مثلكم ومثلنا
كمثل رجل له غنم فسلمها الى راع وكان الراعي قليل الجراءة على الوحوش فأقبل عليه سبع
عظيم فجعل يلتقط منه كل ليلة رأسا الى أن انقضت الاغنام والسبع ثار عليها ولم يجد له
مانعا عنها فلما نظر صاحب الغنم ما حل بغنمه علم أنه لم يؤت الا من الراعي فانتدب لغنمه غلاما
نجيبا فسلمه الغنم فكان كل ليلة يكثر الطوفان حول الغنم فبينما الغلام كذلك اذ أقبل عليه
السبع على عادته الاصلية واخترق الغنم فهجم الغلام على السبع وبيده منجل فضربه به
فقتله ولم يقرب الغنم وحش بعدها وكذلك أنتم تتهاونون بأمركم لانه ما كان أضعف منكم
لانكم جياع مساكين ضعفاء وتعودتم أكل الذرة والشعير ومص النوى فلما خرجتم الى
بلادنا وأكلتم طعامنا وفعلتم ما فعلتم وقد بعث لكم الملك رجالا لا تقاس بالرجال ولا تكترث
بالابطال ولا سيما هذا الرجل الذي يحاببي فاحذر منه أن ينزل بك ما أنزل الغلام بالاسد وقد
سألني أن أخرج اليك وأتلطف بك في الكلام فأخبرني ما الذي تريد قبل أن يهجم عليك
هذا الفارس فلما سمع خالد منه ذلك قال يا عدو الله والله لا نحسبكم عندنا في الحرب الا كبغاث
الطير بشبكة وقد قبضها يمينا وشمالا فلم يخرج الا ما انفلت منها وأما ما ذكرت من بلادنا
وأنها بلاد قحط وجوع فالامر كذلك الا ان الله تعالى أبدلنا ما هو خير منه فأبدلنا بدل
الذرة الحنطة والفواكه والسمن والعسل وهذا كله قد رضيه لنا ربنا ووعدنا به على لسان
نبيه وأما قولك ما الذي تريدونه منا فنريد منكم احدى ثلاث خصال اما أن تدخلوا في ديننا أو
تؤدوا الجزية أو القتال وأما قولك ان هذا الرجل الذليل الذي هو عندكم مسكين فهو عندنا
أقل القليل وان يكن هو ركن الملك فأنا ركن الاسلام أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد
أنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الواقدي) رحمه الله تعالى فلما سمع جرجيس
كلام خالد تأخر الى ورائه وقد تغير لونه فقال له كلوس يا ويلك رأيتك في بدايتك تهجم كالسبع
فما لك قد تأخرت فقال وحق المسيح ما أعلم أنه الفارس الجحجاح وبطلهم الفصاح هذا
صاحب القوم الذي ملأ الشام شرا فقال كلوس يا جرجيس اسأله أن يؤخر الحرب بيننا الى
غد فالتفت الى خالد وقال له يا سيد قومك هذا صاحبي يريد أن يرجع الى قومه ليشاورهم فقال

خالد ويحك أتريد أن تخدعني بالكلام وأقبل برمحه فى وجه جرجيس فلما نظر جرجيس ذلك انعقد لسانه وولى هاربا فلما رأى خالد ذلك طلب كلوس وحمل عليه وتطاعنا واحترز البطريق من طعنات خالد فلما نظر خالد احترازا البطريق حط يده فى أطواقه وجذبه فقلعه من سرجه فلما نظر المسلمون فعل خالد كبروا بأجمعهم وتسابق الفرسان الى خالد فلما قربوا منه رمى لهم البطريق وقال أوثقوه كتافا فصار يهربر بلسانه فأتى له المسلمون برومأس صاحب بصرى وقالوا له اسمع ماذا يقول فقال لهم يقول لكم لا تقتلونى فانى أجبت صاحبكم فى المال والجزية فقال خالد استوثقوا منه ثم نزل عن جواده وركب جوادا أهداه له صاحب تدمر وعزم أن يهجم على الروم فقال ضرار بن الازور أيها الامير دعنى أنا أحمل على القوم حتى تستريح أنت فقال يا ضرار الراحة فى الجنة غدا ثم عوّل خالد على الحملة فصاح به البطريق كلوس وقال وحق دينك ونبيك الا ما رجعت الىّ حتى أخاطبك فرجع خالد اليه وقال لرومأس اسأله ما يريد فقال أعلمه أنى صاحب الملك وقد بعثنى اليكم فى خمسة آلاف فارس لأردكم عن بلده وأهله ورعيته وقد تخاصمت أنا وعزازير متولى دمشق وقدم الىّ معه كذا وكذا وأنا أسألك بحق دينك اذا خرج اليك فاقتله وان لم يخرج اليك فاستدعه واقتله فانه رأس القوم فان قتلته فقد ملكت دمشق فقال خالد لرومأس قل له انا لا نبقى عليك ولا عليه ولا على من أشرك بالله تعالى ثم انه بعد ذلك الكلام حمل وهو ينشد ويقول

لك الحمد مولانا على كل نعمة * وشكر الما أوليت من سابغ النعم
مننت علينا بعد كفر وظلمة * وأنقذتنا من حندس الظلم والظلم
وأكرمتنا بالهاشمى محمد * وكشفت عنا ما نلاقى من الغمم
فتمم اله العرش ما قد نرومه * وعجل لاهل الشرك بالبؤس والنقم
وألقهم ربى سريعا ببغيهم * بحق نبى سيد العرب والعجم

﴿قال الواقدى﴾ لقد بلغنى عمن أثق به أنه لما ولى جرجيس هاربا من بين يدى خالد الى أصحابه رأوه يرتعد من الفزع فقالوا له ما وراءك فقال يا قوم ورائى الموت الذى لا يقاتل والليث الذى لا ينازل وهو أمير القوم وقد آلى على نفسه أن يطلبنا أينما كنا وما خلصت روحى الا بالجهد فصالحوا الرجل قبل أن يحمل عليكم بأصحابه فلا يبقى منكم أحد فقالوا له ما يكفيك أنك انهزمت وقد هموا بقتله فبينما هم كذلك اذ أقبل أصحاب كلوس على عزازير وهم خمسة آلاف وصاحوا به وقالوا له ما أنت عبد الملك أعز من صاحبنا وقد كان بيننا وبينك شرط فاخرج أنت الى خالد واقتله أو أسره وخلص لنا صاحبنا والا وحق المسيح والمذبح والذبيح شققنا عليك الحرب فقال عزازير قد رجع به مكره ودهاه يا ويلكم أتظنون أنى جزعت من الخروج الى هذا البدوى من أول مرة ولكنى ما تأخرت عن الخروج اليه وتقاعدت عن قتاله حتى يتبين عجز صاحبكم وسوف ينظر الفريقان أينا أفرس وأشجع وأثبت فى مقام القتال اذا نحن تشابكنا بالنصال ثم انه فى الحال ترجل عن جواده ولبس لامته وركب جوادا يصلح للجولان وخرج الى قتال سيدنا خالد بن الوليد الفارس الصنديد رضى الله عنه فلما قرب منه قال يا أخا العرب ادن منى حتى أسألك وكان الملعون يعرف العربية فلما سمع خالد ذلك قال

ياعدو الله ادن أنت على أمر أسلك ثم هم أن يحمل عليه فقال على رسلك يا أخا العرب أنا أدنو
منك فعلم خالد أن الخوف داخله فأمسك عنه حتى قرب منه فقال يا أخا العرب ما حملك أن تحمل
أنت بنفسك أما تخشى الهلاك فلو قدمت بقية أصحابك بلا مقدم فقال خالد يا عدو الله قد
رأيت ما فعل الرجلان من أصحابي لو تركتهم لهزموا أصحابك بعون الله تعالى وانما معي رجال
وأي رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما ثم قال له خالد من أنت فقال أوما سمعت باسمي أنا
فارس الشام أنا قاتل الروم والفرس أنا كاسر عساكر الترك فقال خالد ما اسمك فقال أنا الذي
تسميت باسم ملك الموت اسمي عزرائيل (قال الواقدي) فضحك خالد من كلامه وقال يا عدو الله
تخوفني ان الذي تسميت باسمه هو طالبك ومشتاق اليك ليرديك الى الهاوية فقال له
البطريق ما فعلت بأسيرك كلوس فقال هو موثق بالقيود والاغلال فقال له عزازير وما منعك
من قتله وهو داهية من دواهي الروم فقال خالد منعني من ذلك أني أريد قتلكما جميعا فقال
عزازير هل لك أن تأخذ ألف مثقال من الذهب وعشرة أثواب من الديباج وخمس رؤس من
الخيل وتقتله وتأتيني برأسه فقال له خالد هذه دبسه فما الذي تعطيني أنت عن نفسك قال
فغضب عدو الله من ذلك وقال ما الذي تأخذ مني قال الجزية وأنت صاغر ذليل فقال عزازير
كلما ازددنا في كرامتكم زدتم في اهانتنا فخذ الآن لنفسك الحذر فاني قاتلك ولا أبالي فلما سمع
خالد كلام عزازير حمل عليه حملة عظيمة كأنه شعلة نار فاستقبله البطريق وقد أخذ حذره
وكان عزازير ممن يعرف بالشجاعة في بلاد الشام فلما نظر خالد الى عدو الله أظهر شجاعته
وبراعته تبسم فقال عزازير وحق المسيح لو أردت الوصول اليك لقدرت على ذلك ولكني
أبقيت عليك لأني أريد أن أستأسرك ليعلم الناس انك أسيري وبعد ذلك أطلق سبيلك على
شرط أنك ترحل من بلادنا وتسلم لنا ما أخذت من بلاد الشام فلما سمع خالد كلام عزازير قال
له يا عدو الله قد داخلك الطمع فينا وهذه العصابة قد ملكوا تدمر وحوران وبصرى وهم ممن
باعوا أنفسهم بالجنة واختاروا دار البقاء على دار الفناء وستعلم أينا من يملك صاحبه ويذل
جانبه ثم ان خالدا أرى البطريق أبواب الحرب قال فندم عزازير على ما كان منه من الكلام
وقال يا أخا العرب أما تعرف الملاعبة فقال خالد ملاعبتي الضرب في طاعة الرب ثم ان الملعون
هاجم خالدا ولوح اليه بسيفه وضربه به فلم يقطع شيأ فذهل عدو الله من جولان خالد وثباته
وعلم أنه لا يقدر عليه ولا على ملاقاته فولى هاربا وكان جواده أسبق من جواد خالد قال عامر
ابن الطفيل رضي الله عنه وكنت يوم حرب دمشق في القلب وشاهدنا ما جرى بين خالد وعزازير
لما ولى هاربا وقصر جواد خالد عن طلبه فوقع في قلبه الطمع وقال كأن البدوي خاف مني
ومالي الا أن أقف حتى يلحقني وآخذه أسيرا ولعل المسيح ينصرني عليه فلما وقع ذلك في نفسه
وقف حتى لحق به خالد وقد بل فرسه العرق فلما قرب منه صاح عزازير وقال يا عربي لا تظن
أني هارب خوفا منك وانما أبقيت عليك خوفا على شبابك فارحم نفسك وان أردت الموت
أسوقه اليك أنا قابض الارواح أنا ملك الموت فعند ذلك ترجل عن جواده وسحب السيف وسار
اليه كأنه الأسد الضاري فلما نظر عزازير الى ذلك والى ترجل خالد ازداد طمعه فيه وحام حوله
وهم اليه يريد أن يعلو رأسه بالسيف فزاغ خالد عنها وصاح فيه وضرب قوائم فرسه بضربة

عظيمة فقطعها فسقط عدو الله على الارض ثم ولى هاربا يريد أصحابه فسبقه خالد وقال يا عدو الله ان الذى سميت باسمه قد غضب عليك واشتاق اليك وها هو قد أقبل عليك يقبض روحك ايؤديك الى جهنم ثم هجم عليه وهم أن يجلد به الارض ونظرت الروم الى صاحبها وهو فى يد خالد فهموا أن يحملوا على خالد ويخلصوه من يده اذا قد أقبلت جيوش المسلمين وأبطال الموحدين مع الأمير أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وكان قد سار من بصرى فوجده وقد أخذ عزازير فى تلك الساعة فلما نظرت عساكر دمشق الى جيوش المسلمين قد أقبلت داخلهم الجزع والفزع فوقفوا عن الحملة * قال حدثنى عمرو بن قيس عن شعيب عن عبد الله عن هلال الهشيم قال لما قدم الامير أبو عبيدة سأل عن خالد فقالوا انه فى ميدان الحرب وقد أسر بطريق الروم فدنا أبو عبيدة اليه وهم أن يترجل فاقسم عليه خالد أن لا يفعل وأقبل عليه وصافحه وكان أبو عبيدة يحب خالدا لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة لخالد يا أبا سليمان لقد فرحت بكتاب أبى بكر الصديق حين قدمت علىّ وأمرك علىّ وما حقدت فى قلبى عليك لانى أعلم موافقتك فى الحرب فقال خالد والله لا فعلت أمرا الا بمشورتك ووالله لولا أمر الامام طاعة لما فعلت ذلك أبدا الا انك أقدم منى فى دين الاسلام وأنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت قال فيك أبو عبيدة أمين هذه الأمة فشكره أبو عبيدة وقدّم لخالد جواده فركبه وقال خالد لأبى عبيدة اعلم أيها الامير أن القوم قد خذلوا ووقع الرعب فى قلوبهم وأهينوا بأخذ كلوس وعزازير قال وسار مع أبى عبيدة يحدثه بما صار من البطريقين وكيف نصره الله عليهما الى أن أتيا الدير فنزلا هنالك وأقبل المسلمون يسلم بعضهم على بعض فلما كان الغد ركب الناس وترتبت المواكب وزحف أهل دمشق للقتال وقد أمروا عليهم قوما ظهر الملك هرقل ولما أقبلوا قال خالد لأبى عبيدة ان القوم قد انخذلوا ووقع الرعب فى قلوبهم فاحمل بنا على القوم قال أبو عبيدة أفعل قال فحمل خالد وحمل أبو عبيدة وحمل المسلمون على عساكر الروم حملة عظيمة وكبروا بأجمعهم فارتجت الارض من تكبيرهم ووقع القتل فى الروم وجاهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جهادا عظيما وذهلت منهم الكفار قال عامر بن الطفيل لقد كان الواحد منا يهزم من الروم العشرة والمائة قال فما لبثوا معنا ساعة واحدة حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وأقبلنا نقتل فيهم من الدير الى الباب الشرقى فلما نظر أهل دمشق الى انهزام جيشهم أغلقوا الابواب فى وجه من بقى منهم قال قيس بن هبيرة رضى الله عنه فمنهم من قتلناه ومنهم من أسرناه فلما رجع خالد عنهم قال لأبى عبيدة ان من الرأى أن أنزل أنا على الباب الشرقى وتنزل أنت على باب الجابية فقال أبو عبيدة هذا هو الرأى السديد

﴿قال حدثنا﴾ سهل بن عبد الله عن أويس بن الخطاب أن الذى قدم مع الامير أبى عبيدة من المسلمين من أهل الحجاز واليمن وحضرموت وساحل عمان والطائف وما حول مكة كان سبعة وثلاثين ألف فارس من الشجعان وكان مع عمرو بن العاص تسعة آلاف فارس والذى قدم بهم خالد بن الوليد رضى الله عنه من العراق ألف فارس وخمسمائة فارس فكان جملة ذلك سبعة وأربعين ألفا وخمسمائة غير ما جهز عمر بن الخطاب فى خلافته وسنذكر ذلك اذا وصلنا اليه ان شاء الله تعالى هذا وان خالدا نزل بنصف المسلمين على الباب الشرقى

ونزل أبو عبيدة بالنصف الثاني على باب الجابية فلما نظر أهل دمشق الى ذلك نزل الرعب في قلوبهم ثم ان خالدا أحضر البطريقين بين يديه وهما كلوس وعزازير فعرض عليهما الاسلام فأبيا فأمر ضرار بن الازور أن يضرب عنقيهما ففعل قال فلما نظر أهل دمشق ما فعلوا بالبطريقين كتبوا الى الملك كتابا يخبروه بما جرى على كلوس وعزازير وقد نزلت العرب على الباب الشرقي وباب الجابية وقد نزلوا بشبابهم واولادهم وقد قطعوا ارض البلقاء وأرض السواد ووصفوا له ما ملك العرب من البلاد فادركنا والا سلمنا اليهم البلد ثم سلموا الكتاب الى رجل منهم وأعطوه أوفى أجرة وأدلوه بالحبل من أعلى الاسوار في ظلمة الاعتكار (قال الواقدي) وان الرجل وصل الى الملك هرقل وهو بأرض أنطاكية فاستأذن اليه فأمر له بالدخول فلما دخل سلم الكتاب اليه فلما قرأه الملك رماه من يده وبكى ثم انه جمع البطارقة وقال لهم يا بني الاصفر لقد حذرتكم من هؤلاء العرب وأخبرتكم أنهم سوف يملكون ما تحت سريري هذا فاتخذتم كلامي هزؤا وأردتم قتلي وهؤلاء العرب خرجوا من بلاد الجدب والقحط وأكل الذرة والشعير الى بلاد خصبة كثيرة الاشجار والثمار والفواكه فاستحسنوا ما نظروه من بلادنا وخصبها وليس يزجرهم شيء لما هم فيه من العزم والقوة وشدة الحرب ولولا أنه عار علي لتركت الشام ورحلت الى القسطنطينية العظمى ولكن ها أنا أخرج اليهم وأقاتلهم عن أهلي وديني فقالوا أيها الملك ما بلغ من شأن العرب أن تخرج اليهم بنفسك وقعودك أهيب قال الملك هرقل نبعث اليهم قالوا عليك أيها الملك بوردان صاحب حمص لانه ليس فينا مثله في القوة وملاقاة الرجال ولقد بين لنا شجاعته في عساكر الفرس لما قصدونا قال فأمر الملك باحضاره فلما حضر وردان قال له الملك انما قدمتك لانك سيفي القاطع وسندي المانع فاخرج من وقتك وساعتك ولا تتأخر فقد قدمتك على اثني عشر ألفا فاذا وصلت الى بعلبك فانفذ الى من باجنادين بأن ينفروا في أرض البلقاء وجبال السواد فيكونوا هناك ولا تتركوا أحدا من العرب يلحق بأصحابه يعني عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال وردان السمع والطاعة لك أيها الملك وسوف يبلغك الخبر أني لا أعود الا برأس خالد بن الوليد ومن معه أهزمهم جميعا وبعد ذلك أدخل الحجاز ولا أخرج حتى أهدم الكعبة ومكة والمدينة قال فلما سمع الملك هرقل قوله قال وحق الانجيل لئن أنت فعلت ذلك ووفيت بقولك لاعطينك ما فتحوه حرثا وخراجا وكتبت كتاب العهد أنك الملك من بعدي ثم سوره وتوجه وأعطاه صليبا من الذهب وفي جوانبه أربع يواقيت لا قيمة لها وقال اذا لاقيت العرب فقدمه أمامك فهو ينصرك قال فلما تسلم وردان الصليب من وقته دخل الكنيسة وانغمر في ماء المعمودية وبخروه بخور الكنائس وصلى عليه الرهبان وخرج من وقته فضرب خيامه خارج المدينة قال وأخذت الروم على أنفسهم بالرحيل فلما تكاملوا ركب الملك هرقل وسار لوداعهم وصحبته أرباب دولته فوصل معهم الى جسر الحديد بها فودعه الملك وسار الى أن وصل الى حماه فنزل بها وأنفذ من وقته كتابا الى من باجنادين من جيوش الروم يأمرهم لينفروا في سائر الطرقات ليمنعوا عمرو بن العاص ومن معه أن يصلوا الى خالد فلما سار الرسول بالكتاب جمع وردان اليه البطارقة وقال لهم اني أريد أن أسير على حين غفلة على طريق مارس حتى أكبس على القوم ولا ينجو منهم أحد فلما كان

الليل رحل على طريق وادى الحياة (قال حدثني شداد بن أوس) قال لما دخل خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد قتل البطريقين أمر المسلمين أن يزحفوا الى دمشق قال فزحف منا الرجال من العرب وبأيديهم الجحف يتلقون بها الحجارة والسهام فلما نظر أهل دمشق الينا ونحن قد زحفنا اليهم رمونا بالسهام والحجارة من أعلى الأسوار وضيقنا عليهم فى الحصار وأيقن القوم بالدمار قال شداد بن أوس فأقمنا على حصارهم عشرين يوما فلما كان بعد ذلك جاءنا ناوى ابن مرة وأخبرنا عن جموع الروم بأجنادين وكثرة عددهم فركب خالد نحو باب الجابية الى أبى عبيدة يخبره بذلك ويستشيره وقال يا أمين الامة انى رأيت أن نرحل من دمشق الى اجنادين ونلقى من هناك من الروم فاذا نصرنا الله عليهم عدنا الى قتال هؤلاء القوم قال أبو عبيدة ليس هذا برأى قال خالد ولم ذلك قال أبو عبيدة اذا رحلنا يخرج أهل المدينة فيملكون مواضعنا فلما سمع خالد ذلك من أبى عبيدة قال يا أمين الامة انى أعرف رجلا لا يخاف الموت خبيرا بلقاء الرجال قدمات أبوه وجده فى القتال قال ومن هذا الرجل يا أبا سليمان قال هو ضرار بن الازور بن طارق قال أبو عبيدة والله لقد صدقت ووصفت رجلا بازلا معروفا فافعل قال فرجع خالد الى بابه واستدعى بضرار بن الازور وجاء اليه وسلم عليه فقال يا ابن الازور انى أريد ان أقدمك على خمسة آلاف قد باعوا أنفسهم لله عزوجل واختار وادار البقاء والآخرة على الاولى وتسير والى لقاء العدو هؤلاء القوم الذين وردوا علينا فان رأيت لك فيهم طمعا فقاتلهم وان رأيت أنك لا تقدر عليهم فابعث الينا رسولك فقال ضرار بن الأزور وافرحتاه والله يا ابن الوليد ما دخل قلبى مسرة أعظم من هذه فاتركنى أسير وحدى قال خالد لعمرى انك ضرار ولكن لا تلق نفسك الى الهلاك وسر بما ندب معك من المسلمين قال فقام ضرار رضى الله عنه مسرعا فقال خالد ارفق بنفسك حتى يجتمع عليك الجيش فقال والله لا وقفت ومن علم الله فيه خيرا أدركنى ثم ركب ضرار وأسرع الى ان وصل الى بيت لهيا وهو الموضع الذى كان يصنع فيه الأصنام فوقف هناك حتى لحق به أصحابه فلما تكاملوا نظر ضرار واذا بجيش الروم ينحدر كأنه الجراد المنتشر وهم غائصون فى الدروع وقد أشرقت الشمس على لاماتهم وطوارقهم فلما نظر اليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لضرار أما والله ان هذا الجيش عرمرم والصواب اننا نرجع فقال ضرار والله لا زلت أضرب بسيفى فى سبيل الله وأتبع سبيل من أناب الى الله ولا يرانى الله مهزوما ولا أولى الدبر لان الله تعالى يقول ولا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وتكلم رافع ابن عميرة الطائى وقال يا قوم وما الخيفة من هؤلاء العلوج أما نصركم الله فى مواطن كثيرة والنصر مقرون مع الصبر ولم تزل طائفتنا تلقى الجموع الكثيرة والجموع اليسيرة فاتبعوا سبيل المؤمنين وتضرعوا الى رب العالمين وقولوا كما قالت قوم طالوت عند لقائهم جالوت ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فلما سمع ضرار كلامهم وأنهم اشتروا الآخرة على الاولى كمن بهم عند بيت لهيا وأخفى أمره وجلس عارى الجسد بسراويله على فرس له عربى بغير سلاح وبيده قناة كاملة الطول وهو يوصى القوم (قال الواقدى) هكذا حدثنى تميم بن أوس عن جده عمرو بن دارم قال كنت يوم بيت لهيا ممن صحب ضرار بن

الازور رضى الله عنه وهو بهذه الصفة رغبة منه فى الشهادة فلما قارب العدو كان أول من برز وكبر ضرار بن الازور وقبل فأجابه المسلمون بتكبيرة واحدة رعبت منها قلوب المشركين وفاجؤهم بالحملة ونظروا الى ضرار بن الازور وهو فى أول القوم وهو فى حالته التى وصفناها فهالهم أمره وكان وردان فى المقدمة والاعلام والصلبان مشتبكة على رأسه قال فما طلب ضرار غيره لانه علم انه صاحبهم فحمل عليه غير مكترث به وطعن فارسا كان فى يده العلم فجندل من على فرسه قتيلا ثم انه طعن آخر فى الميمنة فأرداه وحمل يريد القلب وكان قد عاين وردان والصليب على رأسه يحمله فارس من الروم والجواهر تلمع من أربع جوانبه فعارضه ضرار وطعن حامله طعنة عظيمة فخرج السنان يلمع من خاصرته قال فسقط الصليب منكسا الى الارض فلما نظر وردان الى الصليب أيقن بالهلاك وهم أن يترجل لاخذه أو يميل فى ركابه ليأخذه فما وجد لذلك سبيلا لما قد أحدق به وترجل عليه قوم من المسلمين ليأخذوه وقد اشتغل كل عن نفسه ونظر ضرار الى من ترجل لاخذ الصليب فقال معاشر المسلمين ان الصليب لى دونكم وأنا صاحبه فلا تطمعوا فانى اليه راجع اذا فرغت من كلب الروم قال فسمع ذلك وردان وكان يعرف العربية فعطف من القلب يريد الهرب فقالت البطارقة الى أين أيها السيد أتفر من الشيطان فما رأينا أدنى من منظره ولا أهول من مخبره ونظر ضرار اليه وقد عطف راجعا فعلم أنه قد عزم على الهرب فصاح بقومه ثم اقتحم فى أثره ومد رمحه وهمز جواده فتصار خت به الروم وعطفت عليه المواكب من كل جانب فأنشد يقول

الموت حق أين لى منه المفر * وجنة الفردوس خير المستقر

هذا قتالى فاشهدوا يا من حضر * وكل هذا فى رضا رب البشر

ثم اخترق القوم وحمل عليهم وحمل المسلمون فى أثره فأحدقوا بهم من كل مكان ونظروا الى ضرار وقد قصده وردان صاحب حمص عندما علم أنه اخترق القوم فمد اليه رمحه وقد أحدقت به بطارقته وضرار يمانع عن نفسه يمينا وشمالا لا فما طعن أحدا الا أباده الى أن قتل من القوم خلقا كثيرا وهو يصرخ بقومه ويقول ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص قال وأكبت عليه جيوش الروم من كل جانب ومكان واشتعل الحرب بينهم ووصل همدان بن وردان الى ضرار بن الازور ورماه بسهم فأصاب عضده الايمن فوصل السهم اليه فأوهنه وأحس ضرار بالالم فحمل على همدان وصمم عليه برمحه وطعنه فأصاب بالطعنة فؤاده فوصل السنان الى ظهره فجذب الرمح منه فلم يخرج واذا به قد اشتبك فى عظم ظهره فخرج الرمح من غير سنان فطمعوا فيه وحملوا عليه وأخذوه أسيرا فنظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ضرار وهو أسير فعظم الامر عليهم وقاتلوا قتالا شديدا ليخلصوه فما وجدوا الى ذلك سبيلا وأرادوا الهرب فقال رافع بن عميرة الطائى يا أهل القرآن الى أين تريدون أما علمتم أن من ألوى ظهره لعدوه فقد باء بغضب من الله وان الجنة لها أبواب لا تفتح الا للمجاهدين الصابرين الصبر الصبر الجنة الجنة بأهل الكتاب كروا على الكفار عباد الصلبان وها أنا معكم فى أوائلكم فان كان صاحبكم أسر أو قتل فان الله حى لا يموت وهو يراكم بعينه التى لا تنام فرجعوا وحملوا معه قال ووصل الخبر الى خالد أن ضرارا قد أسر بيد الروم وأنه قتل من

الروم خلقا كثيرا فعظم ذلك على خالد وقال فى كم العدو قالوا فى اثنى عشر ألف فارس فقال والله ما ظننت الا أنهم فى عدد يسير ولقد غررت بقومى ثم سأل عن مقدمهم من يكون فقيل وردان صاحب حمص وقد قتل ضرار ولده همدان فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم أرسل الى أبى عبيدة يستشيره فبعث اليه أبو عبيدة يقول له انزل على الباب الشرقى من توبه وسر اليهم فانك تطحنهم باذن الله تعالى فلما وصل الجواب الى خالد قال والله ما أنا ممن يبخل بنفسه فى سبيل الله ثم أوقف بالمكان ميسرة بن مسروق العبسى رضى الله عنه ومعه ألف فارس وقال له احذر أن ينفذ من مكانك فقال ميسرة حبا وكرامة وعطف خالد بالناس وقال لهم أطلقوا الأعنة وقوموا الاسنة فاذا أشرفتم على العدو فاحملوا حملة واحدة لنخلص فيها ضرارا ان شاء الله تعالى ان كانوا أبقوا عليه والله ان كانوا عجلوا عليه لنأخذن بثاره ان شاء الله تعالى وأرجو ان لا يفجعنا به ثم تقدم أمام القوم وجعل يقول

اليوم يوم فاز فيه من صدق * لا أرهب الموت اذا الموت طرق
لأروين الرمح من ذوى الحدق * لاهتكن البيض هتكا والدرق
عسى أرى غدا مقام من صدق * فى جنة الخلد وألقى من سبق

فبينما خالد يترنم بهذه الأبيات اذ نظر الى فارس على فرس طويل وبيده رمح طويل وهو لا يبين منه الا الحدق والفروسية تلوح من شمائله وعليه ثياب سود وقد تظاهر بها من فوق لامته وقد حزم وسطه بعمامة خضراء وسحبها على صدره ومن ورائه وقد سبق أمام الناس كأنه نار فلما نظره خالد قال ليت شعرى من هذا الفارس وايم الله انه لفارس شجاع ثم اتبعه خالد والناس وكان هذا الفارس أسبق الناس الى المشركين قال وكان رافع بن عميرة الطائى رضى الله عنه فى قتال المشركين وقد صبر لهم هو ومن معه اذ نظر خالد وقد أنجده هو ومن معه من المسلمين ونظر الى الفارس الذى وصفناه وقد حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم ثم غاب فى وسطهم فما كانت الا جولة الجائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء من الروم وقد قتل رجالا وجندل أبطالا وقد عرض نفسه للهلاك ثم اخترق القوم غير مكترث بهم ولا خائف وعطف على كراديس الروم فى الناس وكثر قلقهم عليه فما رافع بن عميرة ومن معه فظنوا الا أنه خالد وقالوا ما هذه الحملات الا لخالد فهم على ذلك اذ أشرف عليهم رضى الله عنه وهو فى كبكبة من الخيل فقال رافع بن عميرة من الفارس الذى تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته فقال خالد والله انى أشد انكارا منكم له ولقد أعجبنى ما ظهر منه ومن شمائله فقال رافع أيها الامير انه منغمس فى عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا فقال خالد معاشر المسلمين احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامى عن دين الله قال فأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة والتصق بعضهم ببعض وخالد أمامهم اذ نظر الى الفارس وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار والخيل فى أثره وكلما لحقت به الروم ألوى عليهم وجندل فعند ذلك حمل خالد ومن معه ووصل الفارس المذكور الى جيش المسلمين قال فتأملوه فرأوه قد تخضب بالدماء فصاح خالد والمسلمون لله درك من فارس بذل مهجته فى سبيل الله وأظهر شجاعته على الاعداء اكشف لنا عن لثامك قال فمال عنهم ولم يخاطبهم

وانغمس في الروم فتصايحت به الروم من كل جانب وكذلك المسلمون وقالوا أيها الرجل الكريم أميرك يخاطبك وأنت تعرض عنه اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيما فلم يرد عليهم جوابا فلما بعد عن خالد سار اليه بنفسه وقال له ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي بفعالك من أنت قال فلما لج عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث وقال انني يا أمير لم أعرض عنك الا حياء منك لانك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور وانما حملني على ذلك أني محرقة الكبد زائدة الكمد فقال لها من أنت قالت أنا خولة بنت الازور المأسور بيد المشركين أخي وهو ضرار واني كنت مع بنات العرب وقد أتاني الساعي بأن ضرارا أسير فركبت وفعلت ما فعلت قال خالد نحمل بأجمعنا ونرجو من الله أن نصل الى أخيك فنفكه قال عامر بن الطفيل كنت عن يمين خالد بن الوليد حين حملوا وحملت خولة أمامه وحمل المسلمون وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الازور وقالوا ان كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة ولما حمل خالد ومن معه اذا بالروم قد اضطربت جيوشهم ونظر وردان اليهم فقال لهم اثبتوا للقوم فاذا رأوا ثباتكم ولوا عنكم ويخرج أهل دمشق يعينونكم على قتالهم قال فثبت المسلمون لقتال الروم وحمل خالد بالناس حملة منكرة وفرق القوم يمينا وشمالا وقصد خالد مكان صاحبهم وردان عند اشتباك الاعلام والصلبان واذا حوله أصحاب الحديد والزرد النضيد وهم محدقون به فحمل خالد عليهم حملة منكرة واشتبك المسلمون بقتال الروم وكل فرقة مشغولة بقتال صاحبها وأما خولة بنت الازور فانها جعلت تجول يمينا وشمالا وهي لا تطلب الا أخاها وهي لا ترى له أثرا ولا وقفت له على خبر الى وقت الظهر وافترق القوم بعضهم عن بعض وقد أظهر الله المسلمين على الكافرين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة قال وتراجعت كل فرقة الى مكانها وقد كمدت أنفس الروم مما ظهر لهم من المسلمين وقد هموا بالهزيمة وما يمسكهم الا الخوف من صاحبهم وردان فلما رجع القوم الى مكانهم أقبلت خولة بنت الازور على المسلمين وجعلت تسألهم رجلا رجلا عن أخيها فلم تر من المسلمين من يخبرها أنه نظره أو رآه أسيرا أو قتيلا فلما أيست منه بكت بكاء شديدا وجعلت تقول يا ابن أمي ليت شعري في أي البيداء طرحوك أم بأي سنان طعنوك أم بالحسام قتلوك يا أخي أختك لك الفداء لو أني أراك أنقذتك من أيدي الاعداء ليت شعري أترى أني أراك بعدها أبدا فقد تركت يا ابن أمي في قلب أختك جمرة لا يخمد لهيبها ولا يطفى ليت شعري لحقت بأبيك المقتول بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فعليك مني السلام الى يوم اللقاء قال فبكى الناس من قولها وبكى خالد وهم أن يعاودوا الحملة اذ نظر الى كردوس من الروم قد خرج من ميمنة العقبان فتأهب الناس لحربهم وتقدم خالد وحوله أبطال المسلمين فلما قربوا من القوم رموا رماحهم من أيديهم والسيوف وترجلوا ونادوا بالامان فقال خالد اقبلوا أمانهم وائتوني بهم فأتوا اليه فقال خالد من أنتم فقالوا نحن من جند هذا الرجل وردان ومقامنا بحمص وقد تحقق عندنا أنه ما يطيقكم ولا يستطيع حربكم فأعطونا الامان واجعلونا من جملة من صالحتم من سائر المدن حتى نؤدي لكم المال الذي أردتم في كل سنة فكل من في حمص يرضى بقولنا فقال خالد اذا وصلت الى بلادكم يكون

الصلح ان شاء الله تعالى ان كان لكم فيه أرب ولكن نحن ههنا الا انصار لكم ولكن كونوا
معنا الى أن يقضي الله ما هو قاض ثم ان خالدا قال لهم هل عندكم علم من صاحبنا الذي قتل ابن
صاحبكم قالوا لعله عاري الجسد الذي قتل منا مقتلة عظيمة وفجع صاحبنا في ولده فقال خالد
عنه سألتكم قالوا بعثه وردان عندنا أسيرا على بغل ووكل به مائة فارس وأنفذه الى حمص
ليرسله الى الملك ويخبره بما فعل قال ففرح خالد بقولهم ثم دعا برافع بن عميرة الطائي وقال
يا رافع ما أعلم أحدا أخبر منك بالمسالك وأنت الذي قطعت بنا المفازة من أرض السماوة
وأعطشت الابل وأوردتها الماء وردتنا أركة وما وطئها جيش قبلنا لمفازتها وأنت أوحد
أهل الارض في الحيل والتدبير فخذ معك من أحببت واتبع أثر القوم فلعلك أن تلحق بهم
وتخلص صاحبنا من أيديهم فلئن فعلت ذلك لتكونن الفرحة الكبرى فقال رافع بن عميرة
حبا وكرامة ثم انه في الحال انتخب مائة فارس شدادا من المسلمين وعزم على المسير فأتت
البشارة الى خولة بمسير رافع بن عميرة ومن معه في طلب أخيها ضرار فتهلل وجهها فرحا
وأسرعت الى لبس سلاحها وركبت جوادها وأتت الى خالد بن الوليد ثم قالت له أيها الامير
سألتك بالطاهر المطهر محمد سيد البشر الا ما سرحتني مع من سرحت فلعلي أن أكون مشاهدة
لهم فقال خالد لرافع أنت تعلم شجاعتها فخذها معك فقال له رافع السمع والطاعة وارتحل رافع
ومن معه وسارت خولة في أثر القوم ولم تختلط بهم وسار الى أن قرب من سلمية قال فنظر رافع
فلم يجد للقوم أثرا فقال لاصحابه أبشروا فان القوم لم يصلوا الى ههنا ثم انه كمن بهم في وادي
الحياة فبينما هم كامنون اذا بغبرة قد لاحت فقال رافع لاصحابه أيقظوا خواطركم وانتبهوا
فأيقظ القوم هممهم وبقوا في انتظار العدو واذا بهم قد أتوا وهم محدقون بضرار فلما رأى
رافع ذلك كبر وكبر المسلمون معه وحملوا عليهم فلم يكن غير ساعة حتى خلص الله ضرارا
وقتلوهم جميعا وأخذوا اسلابهم قال واذا بعساكر الروم قد أقبلت منهزمة وأولهم لا يلتفت الى
آخرهم فعلم رافع أن القوم انهزموا فأقبل يلتقطهم بمن معه قال وكان خالد لما أرسل رافع بن
عميرة في طلب ضرار لخلاصه ومعه المائة فارس صدم وردان صدمة من يحب الشهادة ويبتغي
دار السعادة وصدم المسلمون الروم فما لبثوا أن ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وكان أولهم
وردان واتبعهم المسلمون وأخذوا أسلابهم وأموالهم ولم يزالوا في طلبهم الى وادي الحياة
فاجتمع المسلمون برافع بن عميرة الطائي وضرار بن الازور وسلموا عليهم وفرحوا بضرار
رضي الله عنه وهنوه بالسلامة قال وأثنى خالد على رافع خيرا ورجعوا الى دمشق وفرح
المسلمون بالنصر واتصل الخبر الى الملك هرقل وان وردان قد انهزم وقتل ولده همدان قال
فأيقن بزوال ملكه من الشام فكتب الى وردان كتابا يقول فيه أما بعد فاني قد بلغني ان
جياع الاكباد عراة الاجساد قد هزموك وقتلوا ولدك رحمه المسيح ورحمك ولولا أعلم انك
فارس الحرب ومجيد الطعن والضرب وليس النصر آتيك لحل عليك سخطي والآن مضى
ما مضى وقد بعثت الى أجنادين تسعين ألفا وقد أمرتك عليهم فسر نحوهم وانجد أهل دمشق
وأنفذ بعضهم ليمنعوا من في فلسطين من العرب وحل بينهم وبين أصحابهم وانصر دينك
وصاحبك قال وأنفذ اليه الكتاب مع خيل البريد فلما ورد عليه الكتاب وقرأه سري عنه بعض

ما كان بجده وأخذ الاهبة الى أجنادين فسار فوجد الروم قد تجمعوا وأظهروا العدد والزرد وخرجوا الى لقائه وسلموا عليه وتقدموا بين يديه وعزوه فى ولده فلما استقر قراره قرأ عليهم منشور الملك فأجابوا بالسمع والطاعة وأخذوا على أنفسهم ﴿قال حدثنى﴾ روح بن طريف قال كنت مع خالد بن الوليد على باب شرقى حين رجعنا من هزيمة وردان واذا قد ورد علينا عباد ابن سعد الحضرمى وكان قد بعثه شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصرى يعلم خالدا بمسير الروم اليه من أجنادين فى تسعين ألف فارس فخذ أهبتك للقائهم قال فلما سمع خالد ذلك ركب الى أبى عبيدة وقال له يا أمين الامة هذا عباد بن سعد الحضرمى قد بعث به شرحبيل بن حسنة يخبر أن طاغية الروم هرقل قد ولى وردان على من تجمع بأجنادين من الروم وهم تسعون ألفا فما ترى من الرأى يا صاحب رسول الله فقال أبو عبيدة اعلم يا أبا سليمان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقون مثل شرحبيل بن حسنة بأرض بصرى ومعاذ بن جبل بحوران ويزيد بن أبى سفيان بالبلقاء والنعمان بن المغيرة بأرض تدمر وأركة وعمرو بن العاص بأرض فلسطين والصواب أن تكتب اليهم ليقصدونا حتى نقصد العدو ومن الله نطلب المعونة والنصر قال فكتب خالد الى عمرو بن العاص كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم (أما بعد) فان اخوانكم المسلمين قد عولوا على المسير الى أجنادين فان هنالك تسعين ألفا من الروم يريدون المسير الينا يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون فاذا وصل اليك كتابى هذا فاقدم علينا بمن معك الى أجنادين تجدنا هنالك ان شاء الله تعالى والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وكتب نسخة الكتاب الى جميع الامراء الذين ذكرناهم ثم أمر الناس بالرحيل فرفعت القباب والهوادج على ظهور الجمال وساقوا الغنائم والاموال فقال خالد لأبى عبيدة قد رأيت رأيا أن أكون على الساقة مع الغنائم والاموال والبنين والولدان وكن أنت على المقدمة مع خاصة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة بل أكون أنا على الساقة وأنت على المقدمة مع الجيش فان وصل اليك جيش الروم مع وردان يجدوك على أهبة فتمنعهم من الوصول الى الحريم والاولاد فلا يصلون الينا الا وأنت قتلت فيهم والا كنت أنا ومن معى غنيمة لهم اذا كنت أنا فى المقدمة فقال خالد لست أخالفك فيما ذكرت ثم ان خالدا قال أيها الناس انكم سائرون الى جيش عظيم فأيقظوا هممكم وان الله وعدكم النصر وقرأ عليهم قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم ان خالدا أخذ الجيش وسار فى المقدمة وبقى أبو عبيدة فى ألف من المسلمين ونظر الى ذلك أهل دمشق فعطفوا عليهم وأقبلوا بسيوفهم وهم يظنون أنهم منهزمون لاجل ما بلغهم من الجيش العظيم الذى هو بأجنادين فقال لهم عقلاؤهم ان كانوا سائرين على طريق بعلبك فانهم يريدون فتحها وفتح حمص وان كانوا على طريق سرج لاهط فالقوم لا شك هاربون الى الحجاز ويتركون ما أخذوا من البلاد قال وكان بدمشق بطريق يقال له بولص وكان عظيما عند النصرانية وكان اذا قدم على الملك يعظمه وكان الملعون فارسا وذلك أنهم كان عندهم شجرة فرماها بسهم فغاص السهم فى الشجرة من قوة ساعده ثم ان من عجبه كتب عليها أن كل من يدعى الشجاعة

فلم يرم بسهمه الى جانب سهمى وكان قد شاع ذكره بذلك ولم يحضر قتال المسلمين منذ دخلوا
دمشق فلما اجتمعوا عليه قال لهم بواص ما الذى حل بكم فاعلموه بما جرى عليهم من المسلمين
وقالوا له ان كنت تريد حياة الابد عند الملك وعند المسيح وعند أهل دين النصرانية فدونك
والمسلمين فاخرج اليهم واخطف كل من تخلف منهم وان رأيت لنا فيهم مطمعا قاتلناهم
فقال بواص انما كان سبب تخلفى عن نصرتكم لانكم قليلو الهمة لقتال عدوكم فتخلفت
عنكم والآن لا حاجة لى فى قتال العرب فقالوا وحق المسيح والانجيل الصحيح لئن سرت فى
مقدمتنا لنثبتن معك وما منا من يولى عنك وقد حكمناك فيمن ينهزم أن تضرب عنقه
ولا يعارضك فى ذلك أحد قال فلما استوثق منهم دخل الى منزله ولبس لامته فقالت له
زوجته الى أين عزمت قال أخرج فى أثر العرب فقد ولانى أهل دمشق عليهم فقالت
لا تفعل والزم بيتك ولا تطلب ما ليس لك به حاجة فانى رأيت لك فى المنام رؤيا فقال لها
وما الذى رأيت قالت رأيتك كأنك قابض قوسك وأنت ترمى طيورا وقد سقط بعضها
على بعض ثم عادت صاعدة فبينما أنا متعجبة اذ أقبلت نحوك سحابة من الجو فانقضت
عليك من الهواء وعلى من معك فجعلت تضربها ما نتم ثم وليتم هاربين ورأيتها لا تضرب
أحدا الا صرعته ثم انى انتبهت وأنا مذعورة باكية العين عليك فقال لها ومع ذلك رأيتنى
فيمن صرع قالت نعم وقد صرعك فارس عظيم قال فلطم وجهها وقال لا بشرك المسيح بخير لقد
دخل رعب العرب فى قلبك حتى صرت تحلمين بهم فى النوم فلا بد أن أجعل لك أميرهم
خادما وأجعل أصحابه رعاة الغنم والحمار ير فقالت له زوجته افعل ما تريد فقد نصحتك قال
فلم يلتفت الى كلامها وخرج من عندها وركب وسار معه من كان فى دمشق من الروم فعرضهم
فاذا هم ستة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل من أهل النجدة والحمية وسار يطلب القوم
وكان خالد فى المقدمة وأبو عبيدة يمشى مع الاموال والاغنام والجمال اذ نظر رجل من أصحابه
وهو يتأمل الغبرة من ورائهم فسأله أبو عبيدة عن ذلك فقال أظنها غبرة القوم فقال أبو
عبيدة ان أهل الشام قد طمعوا فينا وهذا العدو قاصد الينا قال فما استتم كلامه حتى
بدت الخيل كأنها السيل وبواص فى أوائلهم فلما نظر الى أبى عبيدة قصده ومعه الفرسان
وأخوه بطرس قصد الحريم والمال فاقتطعوا منها قطعة فلما احتوى عليها رجع بها
بطرس نحو دمشق فلما بعد بها جلس هنالك لينظر ما يكون من أمر أخيه وأما أبو عبيدة
فانه لما نظر الى ما جاءه من الروم قال والله لقد كان الصواب مع خالد لما قال دعنى فى الساقة
فلم أدعه وانه قد وصل اليه بولص وقصده والاعلام والصلبان على رأسه مشتبكة والنساء
يولولون والصبيان يصيحون والالف من المسلمين قد اشتغلوا بالقتال وقد قصد عدو الله
بولص أبا عبيدة واشتد بينهم الحرب ووقع القتال من أصحابه والروم وارتفعت الغبرة
عليهم وهم فى كر وفر على أرض سحورا قال وقد بلى أبو عبيدة بالقتال وصبر صبر الكرام قال
سهيل بن صباح وكان تحتى جواد محجل من خيل اليمن شهدت عليه اليمامة فقومت السنان
وأطلقت العنان فخرج كأنه الريح العاصف فما كان غير بعيد حتى لحقت بخالد بن الوليد
والمسلمين فاقبلت اليهم صارخا وقلت أيها الامير أدرك الاموال والحريم فقال خالد ما وراءك

يا ابن الصباح فقلت أيها الامير الحق اباعبيدة والحريم فان نفير دمشق قد لحق بهم وقد اقتطعوا قطعة من النسوان والولدان وقد بلى أبو عبيدة بما لا طاقة له به قال فلما سمع خالد ذلك الكلام من سهيل بن صباح قال انا لله وانا اليه راجعون قد قلت لابي عبيدة دعني أكون على الساقة فما طاوعني ليقضي الله أمرا كان مفعولا ثم أمر رافع بن عميرة على ألف من الخيل وقال له كن في المقدمة وأمر عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق على ألفين وقال له أدرك العدو وسار خالد في أثره ببقية الجيش قال فبينما أبو عبيدة في القتال مع بولص لعنه الله اذ تلاصقت به جيوش المسلمين وحملوا على أعداء الله وداروا بهم من كل مكان فعند ذلك تنكست الصلبان وأيقن الروم بالهوان وتقدم الامير ضرار بن الازور كأنه شعلة نار وقصد نحو بولص فلما رآه عدو الله تبلبل خاطره ووقعت الرعدة في فرائصه وقال لابي عبيدة يا عربي وحق دينك الا ما قلت لهذا الشيطان يبعد عني وكان بولص قد سمع به ورآه من سور دمشق وما صنع بعسكر كلوس وعزازير وسمع بفعاله في بيت لهيا فلما رآه مقبلا اليه عرفه فقال لابي عبيدة قل لهذا الشيطان لا يقربني فسمعه ضرار رضي الله عنه فقال له أنا شيطان ان قصرت عن طلبك ثم انه فاجأه وطعنه فلما رأى بولص أن الطعنة واصلة اليه رمى نفسه عن جواده وطلب الهرب نحو أصحابه فسار ضرار في طلبه وقال له أين تروح من الشيطان وهو في طلبك ولحقه وهم أن يعلوه بسيفه فقال بولص يا بدوي أبق علي ففي بقائي بقاء أولادكم وأموالكم قال فلما سمع ضرار قوله أمسك عن قتله وأخذه أسيرا هذا والمسلمون قد قتلوا من الروم مقتلة عظيمة (قال حدثني) أسلم بن مالك اليربوعي عن أبي رفاعة بن قيس قال كنت يوم وقعة سحورا مع المسلمين وكنت في خيل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال فدرنا بالروم من كل جانب وبذلنا أسيافنا في القوم وكانوا ستة كتائب في كل كتيبة ألف فارس قال رفاعة بن قيس فوالله لقد حملنا يوم فتح دمشق وانه ما رجع منهم فوق المائة ووجد خبر لضرار أن خولة مع النسوان المأسورات فعظم ذلك عليه وأقبل على خالد وأعلمه بذلك فقال له خالد لا تجزع فقد أسرنا منهم خلقا كثيرا وقد أسرت أنت بولص صاحبهم وسوف نخلص من أسر من حريمنا ولا بد لنا من دمشق في طلبهم ثم أمر خالد أن يسيروا بالناس على مهل حتى ننظر ما يكون من أمر حريمنا ثم انه سار في ألف فارس جريدة وبعث العسكر كله الى أبي عبيدة مخافة أن يلحقهم وردان بجيوشه فسار القوم وتوجه خالد بمن معه في طلب المأسورات وقد قدم أمامه رافع بن عميرة الطائي وميسرة بن مسروق العبسي وضرار بن الازور (قال حدثني سعيد بن عمر عن سنان بن عامر اليربوعي قال سمعت حبيب بن مصعب يقول لما اقتطعوا من ذكرنا من نساء العرب سار بهم بطرس أخو بولص الى أن نزل بهم الى النهر الذي ذكرناه ثم قال بطرس أنا لا أبرح من ههنا حتى أنظر ما يكون من أمر أخي ثم انه عرض عليه النساء المأسورات فلم يعجبه منهن الا خولة بنت الازور أخت ضرار فقال بطرس هذه لي وأنا لها لا يعارضني فيها أحد فقال له أصحابه هي لك وأنت لها قال وكل من سبق الى واحدة يقول هي لي حتى قسموا الغنيمة على ذلك ووقفوا ينتظرون ما يكون من أمر بولص وأصحابه وكان في النساء عجائز من حمير وتبع من نسل العمالقة والتبابعة وكن قد اعتدن ركوب الخيل وخوض الليل والهجوم

على

على القبائل قال فاجتمعت النساء بعضهن على بعض فقالت لهن خولة بنت الازور يا بنات حمير بقية تبع أترضين لأنفسكن علوج الروم ويكون أولادكن عبيد الاهل الشرك فأين شجاعتكن وبراعتكن التى تتحدث بها عنكن فى أحياء العرب ومحاضر الحضر ولا أراكن الا بمعزل عن ذلك وانى أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب وما نزل بكم من خدمة الروم الكلاب فقالت عفرة بنت غفار الحميرية صدقت والله يا بنت الازور نحن فى الشجاعة كما ذكرت وفى البراعة كما وصفت لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام ووالله لقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل غير أن السيف يحسن فعله فى مثل هذا الوقت وانما دهمنا العدو على حين غفلة وما نحن الا كالغنم فقالت خولة يا بنات التبابعة والعمالقة خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الاطناب ونحمل بها على هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم أو نستريح من معرة العرب فقالت عفرة بنت غفار والله ما دعوت الا ما هو أحب الينا مما ذكرت ثم تناولت كل واحدة عامودا من أعمدة الخيام وصحن صيحة واحدة وألقت خولة على عاتقها عامود الخيمة وسعت من ورائها عفرة وأم أبان بنت عتبة وسلمة بنت ذارع ولبنى بنت حازم ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت النعمان ومثل هؤلاء رضى الله عنهن فقالت لهن خولة لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة ولا تتفرقن فتملكن فيقع بكن التشتيت واحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهن قال فهجمت خولة أمامهن فأول ما ضربت رجلا من القوم على هامته بالعامود فتجندل صريعا والتفتت الروم ينظرون ما الخبر فاذا هم بالنسوة وقد أقبلن والعمد بأيديهن فصاح بهن بطريق يا ويلكن ما هذا فقالت عفرة هذه فعالنا فلنضربن القوم بهذه الاعمدة ولا بد من قطع أعماركم وانصرام آجالكم يا أهل الكفر قال فجاء بطرس وقال تفرقوا عن النسوة ولا تبذلوا فيهن السيوف ولا أحد منكم يقتل واحدة منهن وخذوهن أسارى ومن وقع منكم بصاحبتى فلا ينالها بمكروه فتفرق القوم عليهن وأحدقوا بهن من كل جانب وراموا الوصول اليهن فلم يجدوا الى ذلك سبيلا ولم تزل النساء لا يدنو اليهن أحد من الروم الا ضربن قوائم فرسه فاذا انتكس عن جواده بادرت النساء بالاعمدة فيقتلنه ويأخذن سلاحه (قال الواقدى) ولقد بلغنى أن النسوة قتلن ثلاثين فارسا من الروم فلما نظر بطرس الى ذلك غضب غضبا شديدا وترجل وترجلت أصحابه نحو النساء والنساء يحرض بعضهن بعضا ويقلن متن كراما ولا تمتن لئاما وأظهر بطرس بأسه وتلهفه عندما نظر الى فعلهن ونظر الى خولة بنت الازور وهى تجول كالاسد وتقول شعرا

نحن بنات تبع وحمير * وضربنا فى القوم ليس ينكر

لأننا فى الحرب نار تسعر * اليوم تسقون العذاب الاكبر

قال فلما سمع بطرس ذلك من قولها ورأى حسنها وجمالها قال لها يا عربية أقصرى عن فعالك فانى مكرمك بكل ما يسرك أما ترضين أن أكون أنا مولاك وأنا الذى تهابنى أهل النصرانية ولى ضيع ورساتيق وأموال ومواش ومنزلة عند الملك هرقل وجميع ما أنا فيه مردود اليك أما ترضين أن تكونى سيدة أهل دمشق فلا تقتلى نفسك فقالت له يا ملعون يا ابن ألف ملعون والله لئن ظفرت بك لأقطعن رأسك والله ما أرضى بك أن ترعى لى الابل فكيف أرضاك

أن تكون لى كفأ قال فلما سمع كلامها حرض أصحابه على القتال وقال أترون عاراً أكبر من هذا فى بلاد الشام أن النسوة غلبوكم فاتقوا غضب الملك وغضب المسيح بن مريم قال فافترق القوم وحملوا حملة عظيمة وصبرت النساء لهم صبرا لكرم فبينما هم على ذلك اذ أقبل عليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه ومن معه من المسلمين ونظروا الى الغبار وبريق السيوف فقال لاصحابه من يأتينى بخبر القوم فقال رافع بن عميرة الطائى أنا آتيك به قال ثم أطلق جواده حتى أشرف على النسوة وهن يقاتلن قتال الموت قال فرجع وأخبر خالدا بما رأى فقال خالد لا عجب من ذلك انهن من بنات العمالقة ونسل التبابعة وما بينهن وبين تبع الاقرن واحد وتبع بن بكر بن حسان الذى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وشهد له بالرسالة قبل أن يبعث وقال

شهدت بأحمد أنه رسول * من الله بارئ كل النسم

وسميت امته فى الزبور * بامة أحمد خير الأمم

فلو مد عمرى الى عصره * لكنت وزيرا له وابن عم

(قال الواقدى) قال خالد لا تعجب يا رافع واعلم أن هؤلاء النسوة لهن الحروب المذكورات والمواقف المشهورات وان يكن فعلهن ما ذكرت فلقد سددن على نساء العرب الى آخر الأبد وأزلن عنهن العار فتهللت وجوه الناس فرحا ووثب ضرار بن الازور عندما سمع كلام رافع فقال خالد مهلا يا ضرار لا تعجل فانه من تأنى نال ما تمنى فقال ضرار أيها الامير لا صبر لى عن نصرة بنت أبى وأمى فقال خالد قد قرب الفرج ان شاء الله تعالى ثم ان خالدا وثب ووثبت أصحابه وقال معاشر الناس اذا وصلتم الى القوم فتفرقوا عليهم وأحدقوا بهم فعسى أن نخلص حريمنا فقالوا حبا وكرامة ثم تقدم خالد قال فبينما القوم فى قتال شديد مع النسوة اذ أشرفت عليهم المواكب والكتائب والاعلام والرايات فصاحت خولة يا بنات التبابعة قد جاءكم الفرج ورب الكعبة ونظر بطرس الى الكتائب المحمدية وقد أشرفت نخفق فؤاده وارتعدت فرائصه وأقبل القوم ينظر بعضهم بعضا قال فصاح بطرس يا معاشر النسوة ان الشفقة والرحمة قد دخلت فى قلبى لان لنا أخوات وبنات وأمهات وقد وهبتكن للصليب فاذا قدم رجالكن فاخبرنهم بذلك ثم عطف يريد العرب اذ نظر الى فارسين قد خرجا من قلب العسكر أحدهما قد تكمى فى سلاحه والآخر عارى الجسد وقد أطلقا عنانهما كأنهما أسدان وكانا خالدا وضرارا فلما رأت خولة أخاها قالت له الى أين يا ابن أمى أقبل فصاح بها بطرس انطلقى الى أخيك فقد وهبتك له ثم ولى يطلب الهرب فقالت له خولة وهى تهزأ به ليس هذا من شيم الكرام تظهر لنا المحبة والقرب ثم تظهر الساعة الجفاء والتباعد وخطت نحوه فقال قد زال عنى ما كنت أجد من محبتك فقالت له خولة لا بد لى منك على كل حال ثم أسرعت اليه وقد قصده ضرار فقال له بطرس خذ أختك عنى فهى مباركة عليك وهى هدية منى اليك فقال له الأمير ضرار قد قبلت هديتك وشكرتها وانى لا أجد مكافأة لك على ذلك الا سنان رمحى فخذ هذه منى اليك ثم حمل عليه ضرار وهو يقول واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ثم همهم اليه بالطعنة ووصلت اليه خولة فضربت قوائم فرسه فكبا به

الجواد ووقع عدو الله الى الارض فأدركه ضرار قبل سقوطه وطعنه فى خاصرته فأطلع السنان من الجانب الآخر فتجندل صريعا الى الارض فصاح به خالد لله در ك يا ضرار هذه طعنة لا يخيب طاعنها ثم حملوا فى أعراض القوم وجميع المسلمين معهم فما كانت الا جولة جائل حتى قتل من الروم ثلاثة آلاف رجل قال حامد بن حامد اليربوعى لقد عددت لضرار بن الازور فى ذلك اليوم ثلاثين قتيلا وقتلت خولة خمسة وعفراء بنت غفار الحميرية أربعة قال وانهزم بقية القوم ولم يزالوا فى ادبارهم والمسلمون على أثرهم الى أن وصلوا الى دمشق فلم يخرج اليهم أحد بل زاد فزعهم واشتد الامر عليهم ورجع المسلمون وجمعوا الغنائم والخيل والسلاح والاموال ثم قال خالد الحقوا بأبى عبيدة لئلا يكون وردان وجيوشه قد لحقوا به فسار ضرار والقوم وقد جعل ضرار رأس البطريق على سنان رمحه ولم يزل القوم سائرين الى أن لحقوا بأبى عبيدة فى مرج الصفر وقد تخلف أبو عبيدة حتى أشرف المسلمون عليه فكبر وكبر خالد بن الوليد رضى الله عنه ومعه المسلمون فلما اجتمع الناس سلم بعضهم على بعض ورأوا المأسورات وقد خلصن وأخبر خالد أبا عبيدة بما فعلت خولة وعفرة وغيرهن من الصحابة فاستبشر بنصر الله وعلموا أن الشام لهم ثم دعا خالد ببولص فقال له أسلم والا فعلت بك ما فعلت بأخيك فقال له وما الذى صنعت بأخى قال قتلته وهذا رأسه ورماه ضرار قدامه فلما رأى رأس أخيه بكى وقال له لا بقاء لى بعده حيا فألحقونى به قال فقام اليه المسيب بن يحيى الفزارى رضى الله عنه فضرب عنقه بامر خالد ثم رحل القوم (قال الواقدى) حدثنا سعيد بن مالك قال لما بعث خالد الكتب الى شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى يزيد بن أبى سفيان والى عمرو بن العاص قرأ كل واحد من الامراء كتابه قال فساروا بأجمعهم الى أجنادين لعون اخوانهم وجاؤا بعددهم وعديدهم *قال سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت فى خيل معاذ بن جبل فلما أشرفنا بأجمعنا على أجنادين كأننا كلنا على سيارة واحدة فى يوم واحد وذلك فى شهر صفر سنة ١٣ من الهجرة وتبادر المسلمون يسلم بعضهم على بعض قال ورأينا جيوش الروم فى عدد لا تحصى فلما أشرفنا عليهم أظهروا النار بقيتهم وعددهم واصطفوا مواكب وكتائب ومدوا صفوفهم فكانوا ستين صفا فى كل صف ألف فارس قال الضحاك بن عروة والله لقد دخلنا العراق ورأينا جنود كسرى فما رأينا أكثر من جنود الروم ولا أكثر من عددهم وسلاحهم قال فنزلنا بازائهم قال فلما كان من الغد بادرت الروم نحونا قال الضحاك فلما رأيناهم وقد ركبوا أخذنا على أنفسنا وتأهبنا وان خالدا ركب وجعل يتخلل الصفوف ويقول اعلموا أنكم لستم ترون للروم جيشا مثل هذا اليوم فان هزمهم الله على أيديكم فما يقوم لهم بعدها قائمة أبدا فاصدقوا فى الجهاد وعليكم بنصرة دينكم واياكم أن تولوا الادبار فيعقبكم ذلك دخول النار واقرنوا المواكب ومكنوا المضارب ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة وأيقظوا هممكم (قال الواقدى) ولقد بلغنى ممن أثق به أن وردان لما رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اجتمعوا وعولوا على حربهم جمع اليه الملوك والبطارقة وقال لهم يابنى الاصفر اعلموا أن الملك يعول عليكم اذا انكسرتم ولا تقوم لكم بعدها قائمة أبدا وتملك العرب بلادكم وتسبى حريمكم فعليكم بالصبر ولتكن حملتكم واحدة

ولا تتفرقوا واعلموا أن كل ثلاثة منا بواحد منهم واستعينوا بالصليب ينصركم فهذا ما كان من هؤلاء وأما خالد رضي الله عنه فانه مشى على أصحابه وقال معاشر المسلمين من فيكم يتنزل لنا القوم ويبشرهم فقال ضرار بن الازور أنا أيها الامير فقال خالد أنت لها والله ولكن يا ضرار اذا أشرفت على القوم فاياك ان تحمل نفسك ما لا تطيق وان تغرر بنفسك وتحمل على القوم فما أمرك الله بذلك فقد قال الله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال فأطلق ضرار عنان جواده حتى أشرف على جيش الروم فرأى أثاثهم وخيامهم وشعاع البيض والطوارق والرايات كأجنحة الطيور قال وكان وردان ينظر الى نحو جيش المسلمين اذ نظر الى ضرار وهو مشرف على القوم فقال للبطارقة انى أرى فارسا قد أقبل ولست أشك أنه طليعة للقوم فأيكم يأتيني به فانتدب من القوم ثلاثون فارسا وطلبوا ضرارا فلما نظر اليهم ضرار ولى من بين أيديهم فتبعوه وظنوا أنه قد انهزم منهم وانما أراد بذلك أن يبعدهم عن أصحابهم فلما بعدوا علم أنه تمكن منهم فألوى رأس جواده اليهم وصوب السنان عليهم فأول ما طعن فارسا من القوم أرداه وثنى على الآخر فأعدمه الحياة وصال فيهم صولة الأسد على الغنم ودخل رعبه في قلوبهم فولوا منهزمين فتبعهم وهو يصرع منهم فارسا بعد فارس الى أن صرع منهم تسعة عشر فارسا فلما رأوا ذلك وقرب هو من جيوش الروم ألوى راجعا الى خالد ومعه أسلابهم وخيولهم وأعلمه بما كان فقال له خالد ألم أقل لك لا تغرر بنفسك ولا تحمل عليهم فقال ان القوم طلبوني فخفت أن يراني الله منهزما فجاهدت بالاخلاص ولا جرم ان الله ينصرنا عليهم والله لولا خوفي من ملامك لأحملن على الجميع واعلم أن القوم غنيمة لنا قال فرتب خالد عسكره ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فجعل في القلب معاذ بن جبل وفي الميمنة عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق وفي الميسرة سعيد بن عامر وفي الجناح الايسر شرحبيل بن حسنة وفي الساقة يزيد بن أبي سفيان في أربعة آلاف فارس حول الحريم والبنات والاولاد ثم التفت الى النسوة وهن عفراء بنت غفار الحميرية وام أبان ابنة عتبة وكانت عروسا قد تزوج بها في هذا اليوم أبان بن سعيد بن العاص والخضاب في يدها والعطر في رأسها وخولة بنت الازور ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت زارع وغيرهن من النسوة ممن عرفن بالشجاعة والبراعة فقال لهن خالد يا بنات العمالقة وبقية التبابعة قد فعلتن فعلا أرضيتن به الله تعالى والمسلمين وقد بقي لكن الذكر الجميل وهذه أبواب الجنة قد فتحت لكن وأبواب النار قد غلقت عنكن وفتحت لاعدائكن واعلمن أني واثق بكن فان حملت طائفة من الروم عليكن فقاتلن عن أنفسكن وان رأيتن أحدا من المسلمين قد ولى هاربا فدونكن واياه بالاعمدة وارمين بولده وقلن له الى أين تولى عن اهلك ومالك وولدك وحريمك فانكن ترضين بذلك الله تعالى فقالت عفراء بنت غفار أيها الامير والله لا يفرحنا الا أن نموت أمامك فلنضربن وجوه الروم ولنقاتلن الى أن لا تبقى لنا عين تطرف والله ما نبالي اذا رمينا الروم كله قال فجزاهن خيرا ثم عاد الى الصفوف فجعل يطوف بينهم بفرسه ويحرض الناس على القتال وهو ينادي برفيع صوته يا معاشر المسلمين انصروا الله ينصركم وقاتلوا في سبيل الله واحتسبوا نفوسكم في سبيل الله ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة ولكن السهام اذا خرجت من أكباد القسي كأنها من قوس واحدة فاذا تلاحقت السهام رشقا

كالجراد لم يخل ان يكون منها سهم صائب واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون واعلموا أنكم لم تلقوا بعد هذا عدوا مثله وان هذه الفئة جلتهم وابطالهم وملوكهم فجردوا السيوف وأوتروا القسي وفوقوا السهام ثم ان خالدا اقبل ووقف فى القلب مع عمرو ابن العاص وعبد الله بن عمر وقيس بن هبيرة ورافع بن عميرة وذي الكلاع الحميري وربيعة ابن عامر ونظائرهم قال فلما نظر وردان الى جيش المسلمين قد زحف زحفوا وكانوا ملء تلك الارض فى الطول والعرض من كثرتهم فتراءى الجمعان وتلاقى الفريقان وقد أظهر أعداء الله الصلبان والاعلام ورفع المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فلما قرب القوم بعضهم من بعض خرج من علوج الروم شيخ كبير وعليه قلنسوة سوداء فلما قرب من المسلمين نادى بلسان عربي أيكم المقدم فليخاطبني وليخرج الي وعليه الامان قال فخرج اليه خالد بن الوليد فقال له القس أنت أمير القوم فقال خالد كذلك يزعمون مادمت على طاعة الله وسنة رسوله وان أنا غيرت أو بدلت فلا امارة لي عليهم ولا طاعة قال القس بهذا نصرتم علينا ثم قال اعلم انك توسطت بلادا ما جسر ملك من الملوك أن يتعرض لها ولا يدخلها وان الفرس دخلوها ورجعوا خائبين وان التبابعة أتوها وأفنوا انفسهم عليها وما بلغوا ما أرادوا ولكنكم أنتم نصرتم علينا وان النصر لا يدوم لكم وصاحبي وردان قد شفق عليكم وقد بعثني اليكم وقال انه يعطي كل واحد منكم دينارا وثوبا وعمامة ولك أنت مائة دينار ومائة ثوب ومائة عمامة وارحل عنا بجيشكم فان جيشنا على عدد الذر ولا تظن أن هؤلاء مثل ما لقيت من جموعنا فان الملك ما أنفذ فى هذا الجيش الا عظماء البطارقة والاساقفة قال خالد والله ما نرجع الا باحدى ثلاث خصال اما أن تدخلوا فى ديننا أو تؤدوا الجزية أو القتال وأما ما ذكرت من أنكم عدد الذر فان الله تعالى قد وعدنا النصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل ذلك فى كتابه العزيز وأما ما ذكرت من أن صاحبكم يعطي كل واحد منا دينارا وعمامة وثوبا فعن قريب ان شاء الله تعالى نرى ثيابكم وبلادكم وعمائمكم كل ذلك فى ملكنا وبأيدينا فقال الراهب اني راجع الى صاحبي أخبره بجوابك ثم ألوى راجعا وأخبر وردان بما كان من جواب خالد فقال وردان أيظن أننا مثل من لقيه من قبل وانما هؤلاء لحقهم الطمع اذ تقاصرنا عن قتالهم والملك قد أرسل اليهم أكابر البطارقة وما بيننا وبينهم الا جولة الجائل ثم نتركهم صرعى ثم رتب أصحابه وزحف وقدم امامه الرجالة صفا أمام القوم والخيالة وبأيديهم المزاريق والقسي قال فصاح معاذ بن جبل معاشر الناس ان الجنة قد زخرفت لكم والنار قد فتحت لاعدائكم والملائكة عليكم قد أقبلت والحور العين قد تزينت لقائكم فأبشروا بالجنة السرمدية ثم قرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة بارك الله فيكم الحملة فقال خالد مهلا يا معاذ حتى أوصي الناس ومشى فى الصفوف ورتبها وقال اعلموا أن هؤلاء أضعافكم فطاولوهم الى وقت العصر فانها ساعة ترزق فيها النصر واياكم أن تولوا الادبار فيراكم الله منهزمين ازحفوا على بركة الله تعالى فلما تقارب الجمعان رمت الاروام سهامهم رمية واحدة قال فقتلوا رجالا وجرحوا أناسا وخالد قد منع الناس من الحملة فقال ضرار بن الازور ما لنا

والوثوق والحق سبحانه وتعالى قد تجلى علينا والله ما ظن أعداء الله الا أنا قد فشلنا عنهم وجزعنا فأمرنا بالحملة حتى نحمل معك قال فأنت لها يا ضرار فخرج ضرار بن الازور وقال والله ما من شيء أشهى الى قلبي من ذلك ثم حمل ضرار وقد تدرع بدرع كان لبطرس أخي بولص والقى الزرد على وجهه وركب جواده وكان عليه يومئذ جبتان من جلود الفيلة كان قد أخذهما أيضا من بطرس وقد أخفى نفسه عن الروم بلباسه ذلك وقد أطلق عنانه وقوم سنانه وحمل في صفوف الروم فرشقوه بالسهام فلم يصل اليه منهم أذى وهو يخترق صفوفهم لما كان قدر ساعة حتى قتل من الروم عشرين فارسا ومثلها رجالة قال عنان بن عوف النجبي كنت ممن يعد قتلى ضرار بن الازور وكنت كلما قتل فارسا من الروم أعده فكان جملة من قتل ضرار في حملته هذه فرسانا ورجالا ثلاثين فارسا (وقال عمر بن سالم) هكذا حدثني نوفل بن زياد ثم انه رمى البيضة عن رأسه والزرد عن وجهه ونادى بأعلى صوته أنا الموت الأصغر أنا ضرار بن الازور أنا صاحبكم أنا قاتل همدان بن وردان أنا البلاء المسلط عليكم وعلى من أشرك بالرحمن قال فلما سمعت الروم كلامه عرفوه وتقهقروا الى ورائهم قال فطمع فيهم وحمل اثرهم فعند ذلك انطبقت عليه الروم فقال وردان من هذا البدوي فقالوا أيها الملك هذا الذي بقي طول عمره عاري الجسد ومرة برمح ومرة بنبل فلما سمع بذلك وذكر ضرار بن الازور تنفس الصعداء وقال هذا قاتل ولدي ولقد اشتهيت من يأخذ منه بثاري وله مني ما يريد قال فبرز اليه بطريق وكان صاحب طبرية وقال لوردان أنا آخذ لك بالثار ثم ألوى عنانه وحمل على ضرار فجالا أكثر من ساعة ثم طعنه ضرار طعنة صادقة خرق بها كبد عدو الله فتجندل صريعا فقال وردان لهم ما أتى به ولو أتى به عيانا ما صدقته فان هذا لا تطيق الانس أن تقاتله وأنا ما أرى لهذا غيري ثم ترجل وغير لامته وألقى عليه درعا وجعل على رأسه التاج وركب جوادا من الخيول العربية وهم أن يخرج الى ضرار بن الازور فتقدم اليه بطريق اسمه اصطفان وهو صاحب عمان قال وباس ركاب وردان وقال أيها السيد ان أخذت بثارك من هذا الذميم أو أسرته لك أتزوجني ابنتك فقال له وردان هي لك وأشهد عليه من حضر من ملوك الشام فلما سمع اصطفان بذلك خرج كأنه شعلة نار وحمل على ضرار وقال له ويلك قد نزل بك ما لا قدرة لك به قال فلم يدر ضرار ما يقول غير أنه أخذ حذره منه وقد أخرج اصطفان صليبا من الذهب وجعله في عنقه في سلسلة من الفضة وجعل يقبله ويرفعه على رأسه فعلم ضرار أنه يستنصر به عليه فقال ضرار رضي الله عنه ان كنت تستنصر علي به فانا أستنصر عليك بالقريب المجيب الذي هو ممن دعاه قريب ثم حمل عليه وأريا الناس أبوابا من الحرب حتى ضج الناس من قتالهما فصاح خالد يا ابن الازور ما هذا التكاسل والتغافل والجنة قد فتحت لك والنار قد فتحت لأعدائك وايا التواكل فان الله عز وجل يعينك قال فأيقظ ضرار نفسه وانقض من سرجه وحمل على خصمه وتصايحت الروم بصاحبها تشجعه وكلاهما في ضرب عظيم وقد حميت الشمس وتعب الجوادان فأشار البطريق الى ضرار أن ترجل حتى نتقاتل ففهم ضرار أن يترجل شفقة على الجواد واذا بصفوف الروم قد خرجت ورجل يقود جنيبا أمامهم وكان ذلك غلام البطريق فلما نظر اليه ضرار صاح في جواده وقال له اجلد معي ساعة والا أشكو تلك

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجمجم الجواد وشهر أجنحته حربا واستقبل ضرار غلام البطريق بطعنة فقتله وأخذ الجنيب فركبه وأطلق جواده نحو عسكر المسلمين فتنا ولوه وعاد ضرار نحو البطريق فلما رآه أقبل اليه بعد ما قتل غلامه وركب جواده أيقن عدو الله بالهلاك وعلم أنه ولى قتله بلا محالة وان وقف أهلكه فلما نظر ضرار الى عدو الله علم ما عنده فهجم عليه اذ نظر الى الروم وقد خرج منهم كردوس وذلك أن وردان لما نظر الى صاحبه وقد أشرف على الموت علم أنه ان لم يدركه هلك فقال لقومه يا قوم ان هذا الشيطان قد أكل من كبدى قطعة واذا لم أقتله قتلت نفسي ولا بد لى من الخروج اليه قال فخرج فى عشرة من البطارقة وهم مدرعون وفى أرجلهم أخفاف من الحديد وسواعد من الحديد وبأيديهم أعمدة من الحديد ووردان قد لبس لامته وعلى رأسه تاج عظيم فخرجوا ووردان أمامهم كأنه شعلة نار ونظر اصطفان الى من خرج فصاح بضرار فلم يلتفت الى من خرج اليه الا أنه تأهب فبينما هم كذلك اذ نظر خالد الى القوم وخروجهم ونظر الى التاج وهو يلمع على رأس صاحبهم فقال ان التاج لا يكون الا على رأس الملك ولا شك أنه صاحب القوم وقد خرج الى صاحبنا فما الذى يقعدنا عن نصرته ثم قال لاصحابه لا يخرج الا عشرة حتى نساوى القوم فخرج خالد فى عشرة من أصحابه وأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة قال ووصل الروم الى ضرار فاستقبلهم بقلب أقوى من الحجر الجلمود قال فناداه خالد أبشر يا ضرار فقد أسعدك الجبار ولا تجزع من الكفار فقال ضرار رضى الله عنه ما أقرب النصر من الله وجاء خالد ومن معه والتفت الرجال بالرجال وانفرد كل واحد بصاحبه وطلب خالد وردان ولم يبرح ضرار عن خصمه اصطفان وقد كل ساعده وارتعدت فرائصه عندما نظر الى خالد ومن معه فنظر يمينا وشمالا ليطلب الهرب فعلم ضرار منه ذلك فهجم عليه بسنانه فلما أيقن بالموت ألقى نفسه الى الارض وولى هاربا فبادر اليه ضرار وألقى نفسه عن جواده وطلب عدو الله حتى لحقه وتقابضا على وجه الارض وكان عدو الله كالحجر الجلمود وكان ضرار نحيف الجسم غير أن الله تعالى أعطاه قوة الايمان فلما طال بهم العراك ضرب بيده الى مراق بطنه وقلعه من الارض بحيلة وجلد به الارض فصاح عدو الله وجعل يستنجد بوردان وقال بالرومية أيها السيد أنجدنى مما أنا فيه فقد هلكت فصاح وردان يا ويلك ومن ينقذنى أنا من هؤلاء السباع الا كاسرة فسمع خالد ذلك فطمع فيه وحمل وردان وهم ضرار بخصمه ونظر اليهما الفريقان وأقبل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار فلم يمهل على خصمه دون أن برك على صدره وذبحه مثل البعير وكل واحد مشتغل عن نصرة صاحبه قال فأخذ ضرار رأس عدو الله وهو ملطخ بالدماء وركب جواده وحملت الروم على المسلمين ونادى سعيد بن زيد يا معاشر الناس اذكروا الوقوف بين يدى الله الملك الجبار فاياكم أن تولوا الأدبار فتستوجبوا دخول النار يا أهل الايمان يا حملة القرآن اصبروا قال فزاد الناس بقوله نشاطا وتزاحم الفريقان قال وجاء وقت العصر فافترقوا وقد قتل من الروم ثلاثة آلاف وعشرة من ملوكهم وهم رومان صاحب الأميرة ودمرص صاحب نوى وكوكب صاحب أرض البلقاء ولاوى بن حنا صاحب غزة قال ثم افترق القوم ورجع وردان الى مكانه وقد امتلأ قلبه رعبا مما ظهر له من المسلمين من شدة صبرهم وقتالهم بجمع

البطارقة وقال لهم يا أهل دين النصرانية ما تقولون في هؤلاء العرب فاني أراهم غالبين علينا وقد رأيت أسيافهم قاطعة وخيلهم صابرة وسواعدكم بليدة وان القوم أطوع منكم لربهم وما خذلتم الا بالظلم والجور والغدر وما مرادي منكم الا أن تتوبوا الى ربكم فان فعلتم ذلك رحوت لكم النصر من عدوكم وان لم تفعلوا ذلك فائذنوا بحرب من المسيح وبهلاك أنفسكم فان الله عاقبكم أشد عقوبة اذ سلط عليكم أقواما لا نفكر بهم ولا نعدهم لان أكثرهم جياع وعبيد وعراة ومساكين أخرجهم الينا قحط الحجاز وجوعه وشدة الضرر والبلاء والآن قد أكلوا من خبز بلادنا وفواكه أرضنا وأكلوا العسل والتين والعنب وأعظم ذلك سبي نسائكم وأموالكم (قال الواقدي) فلما سمع القوم ذلك بكوا وقالوا نقتل عن آخرنا ولا يصل الينا هؤلاء القوم وانا نرى أن نقاتلهم بالرماح قال فلما سمع وردان ذلك منهم صاح بالبطارقة وقال لهم ما عندكم من الرأي فقال رجل منهم يا وردان اعلم أنك قد بليت بقوم لا تقوم لقتالهم وقد رأيت الواحد منهم يحمل على عسكرنا ولا يبالي من أحد ولا يرجع حتى يقتل منهم وقد قال لهم نبيهم ان من قتل منكم صار الى الجنة ومن قتل من الروم صار الى النار والموت والحياة عندهم سواء وما أرى لكم من القوم مطمعا الا أن تحيل على صاحبهم فنقتله فان قتلتموه تهزم القوم وانك لا تصل اليه الا بحيلة توقعه فيها فقال وردان وأي حيلة ندخل بها على القوم والحيل والخداع والمكر منهم فقال له البطريق أنا أقول لك شيأ ان صنعته وصلت به الى أمير العرب من حيث لا يصل اليك شئ ولا أذى وذلك أنك تنتخب عشرة من الفرسان من ذوي الشدة والبأس ويكمنون في مكمن من جهة العسكر قبل خروجك اليه وبعد ذلك تخرج اليه وتشاغله بالحديث ثم اهجم عليه وأخرج قومك يبادرون اليك من المكمن ويقطعونه اربا اربا وتستريح منه وبعد ذلك تتفرق أصحابه ولا يجتمع منهم أحد قال فلما سمع وردان ذلك من البطريق فرح فرحا عظيما وقال ما هذا الا رأي سديد فنعم ما أشرت به وقد أصبت فيما ذكرت غير أن هذا الامر يعمل في جنح الليل ولا يأتي الصباح الا وقد فرغنا مما نريد ثم ان وردان دعا برجل من العرب المتنصرة اسمه داود وكان في سكنه وقال له يا داود انا أعلم أنك فصيح اللسان واني أريد أن تخرج الى هؤلاء العرب وتسألهم أن يقطعوا الحرب بيننا وبينهم وقل لهم لا تخرجون لنا بكرة النهار حتى أخرج بنفسي اليهم منفردا عن قومي ولعلنا نصطلح مع العرب فقال داود ويحك وتخالف أمر الملك هرقل فيما أمرك به من الحرب وتصطلح أنت والعرب فان الملك ينسبك الى الجزع والفزع وما كنت بالذي أخاطب العرب في ذلك أبدا فيبلغ الملك أني كنت السبب في ذلك فيقتلني فقال له وردان يا ويلك انما دبرت حيلة على أمير العرب حتى أصل اليه بها فأقتله وتتفرق هؤلاء العرب عنا ثم انه حدثه بما عزم عليه من المكر بخالد ابن الوليد فقال لوردان ان الباغي مخذول في كل فعل فالق الجمع بالجمع واترك ما عزمت عليه فقال وردان وقد غضب ويلك أنت تعاندني فيما أمرتك به دع عنك المحاججة فقال حبا وكرامة ثم انه مضى وقال في نفسه ان وردان قد عزم أن يلحق بولده ثم أقبل حتى أنه وقف قريبا من المسلمين ونادى برفيع صوته يا معاشر العرب حسبكم من القتل وسفك الدماء فان الله تعالى يسألكم عن سفكها وأريد أن تخرج الى أمير العرب حتى أخاطبه بما أرسلت به قال فا

استتم كلامه حتى خرج اليه خالد رضي الله عنه وهو كأنه شعلة نار فلما نظر اليه داود
النصراني قال له يا عربي على رسلك فما خرجت أحارب ولا أنا من رجال الحرب وما أنا الا رسول
فلما سمع خالد مقالته قرب منه وقال اذكر مسئلتك واستعمل الصدق تنج فمن صدق نجا ومن
كذب هلك فقال صدقت يا عربي ان أميرا وردان كاره سفك الدماء وقد رأى شدتكم ولا يريد
حربكم وقد نظر الى من قتل من جماعته فكره أن يحاربكم وقد رأى أن يدفع لكم مالا
ويحقن به دماء الناس لكن بشرط أن يكون بينك وبينه كتاب وتشهد عليك كبراء قومك
أنك لا تتعرض له ولا لأحد من أصحابه ولا لحصن من حصونه فان فعلت ذلك وثق بقولك
وهو يسألك أن تقطع الحرب بقية يومك فاذا أصبحت فاخرج بنفسك ولا يكن معك أحد
ويخرج هو أيضا منفردا فننظر ما تتفقان عليه عسى أن تحقنا دماء الناس بيننا وبينكم قال
فلما سمع خالد ما نطق به داود قال له ان كان ما أخبر به صاحبكم يريد به حيلة أو مكيدة فنحن
والله جرثومة الخداع وما مثلنا يؤتى بحيلة ولا بخديعة فان كان ذلك ضميره واعتقاده فما هو
الاقرب أجله وانقطاع عمره وهلاك جموعكم والانفصال بيننا وبينكم وان كان ذلك حقا
من قوله فلست أصالحه الا اذا أدى الجزية عن جماعته وأما المال فلست براغب فيه الاعلى
ما ذكرته لكم وعن قريب نأخذ أموالكم ونملك بلادكم فقال داود وقد عظم عليه كلام خالد
ما يكون الامر الا كما ذكرت فاذا توافقتم كان الانفصال بيننا وها أنا راجع فاذكره ما ذكرت
ثم ألوى راجعا وقد امتلأ قلبه رعبا من خالد وفزع منه فزعا شديدا ثم قال في نفسه صدق
والله أمير العرب وأنا أعلم والله أن وردان أول مقتول ونحن من بعده وما لي الا أن أصدق
أمير العرب وآخذ لي ولأهلي منه أمانا ثم رجع الى خالد وقال له يا أمير اني قد أضمرت على سر
وأريد أن أبديه لك لأني أعلم أن البلاد لكم ان وردان قد نوى على شئ فقال خالد وما هو فقال
خذ لنفسك الحذر وكن مستيقظا فانه قد أضمر لك كيدا ثم أخبره بالقصة من أولها الى آخرها
ثم قال لخالد أريد منك الأمان لي ولأهلي فقال خالد الامان لك ولأهلك ولأولادك ان أنت لم تخبر
القوم ولم تغدر قال داود لو أردت أن أغدر لما حدثتك فقال خالد وأين كمين القوم قال عند
كثيب عن يمين عسكرهم ثم انه حلاه ورجع وأعلم وردان ففرح وقال الآن أرجو أن يظفرني
الصليب بهم ثم انه دعا بعشرة من الابطال وقال لهم امضوا رجالة وأكمنوا وأمرهم أن
يفعلوا ما دبروه وأما خالد فانه رجع فلقيه أمين الامة أبو عبيدة فرآه ضاحكا فقال يا أبا سليمان
أضحك الله سنك ما الخبر فحدثه بما جرى فقال أبو عبيدة على ماذا عزمت قال عزمت أن أخرج
الى القوم وحدي فقال يا أبا سليمان لعمري انك لكفء ولكن ما أمرك الله أن تلقي بنفسك
الى التهلكة والله تعالى يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به
عدو الله وعدوكم وقد أعد لك عشرة وهو حادي عشر وما آمن عليك من اللعين ولكن
اندب له رجالة كما ندب لك رجالة ويكمنون قريبا من القوم فاذا صرخ اللعين بقومه
فاصرخ أنت بقومك ونكون نحن متأهبين على خيولنا فاذا فرغت من عدو الله حملنا
جميعا ونرجو من الله النصر ثم قال والمسلمون هم رافع بن عميرة الطائي ومعاذ بن جبل وضرار
ابن الازور وسعيد بن زيد وقيس بن هبيرة وميسرة بن مسروق العبسي وعدي بن حاتم حتى

استخر العشرة وأخبرهم خالد بما قد عزم عليه الروم من الحيلة والمكيدة التي قد دبرها وردان وقال اخرجوا رجالة بحيث لا يدري بكم أحد حتى انكم تأتون الكثيب الذي عن يمين العسكر فاكمنوا هناك فاذا صرخت بكم فبادروا وانفروا القوم كل واحد لواحد واتركوني لعدو الله فاني ان شاء الله تعالى كفء له فقال ضرار أيها الامير أخاف أن يكثر عليك الجمع الكثير فلا تأمن أن يصلوا ابشرهم اليك وقد كنت أدركت حيلة أننا نسير من وقتنا هذا الى مكمن القوم فاذا وجدناهم رقودا قتلناهم وفرغنا منهم قبل الصباح ونكمن نحن في مواضعهم فاذا خلوت أنت بعدو الله خرجنا عليكم بغير مقالة فقال خالد افعل يا أبا الازور ماذكرت ان وجدت الى ذلك سبيلا وخذ معك هؤلاء الذين ندبتهم وأنت الامير عليهم وأرجو أن الله يبلغك ماتطلبه فان فعلت ذلك فهي الفرحة الكاملة فقال ضرار أرجو من الله الوصول اليهم وخرج هو وأصحابه في جنح الليل رجالة وبايديهم أسلحتهم وودعوا الناس وكان وقت خروجهم قد مضى ثلث الليل ثم سار ضرار حتى وصل الكثيب فاوقف أصحابه وقال على رسلكم حتى أستخبر لكم خبر القوم فلما أشرف عليهم من بعيد سمع غطيطهم وهم نيام سكرى غرقوا في النوم لما نالهم من التعب والنصب وقد أمنوا من أحد ينظرهم فقال ضرار في نفسه ان أنا دنوت من القوم لأقتلهم خشيت أن يوقظ بعضهم بعضا قال فرجع الى أصحابه وقال لهم أبشروا فقد أتاكم الله بما تريدون وأذهب عنكم ماتحذرون فجردوا اسيوفكم وسيروا الى القوم فاقتلوهم كيف شئتم ثم تقدم ضرار أمامهم وهم في أثره الى أن وصل بهم اليهم فوجدوهم نياما كل واحد منهم سلاحه عند رأسه فانفرد كل واحد بواحد فلم يلبثوا الا وقد فرغوا منهم عن آخرهم وأخذ كل واحد سلاح غريمه وأخذوا كل مامعهم من الزاد وغيره فقال لهم ضرار أبشروا فان هذا أول النصر ان شاء الله تعالى وأقبلوا بقية ليلتهم يصلون ويدعون الله أن ينصرهم على عدوهم ولم يزل كل واحد منهم في مصلاه الى أن أضاء الفجر فصلوا صلاة الفجر فلما فرغوا من الصلاة لبس كل واحد ثياب غريمه ولباسه وغيبوا القتلى مخافة أن يرسل اليهم وردان (قال الواقدي) فلما أصبح الصباح صلى خالد بالناس ورتب أصحابه لاهبة الحرب فبينما هم كذلك اذ خرج من القلب فارس وقال يامعاشر العرب أريد أميركم ليخرج الى صاحبنا وردان لننظر مايتفقان عليه من أمر الجيشين وحقن الدماء بينهما قال فخرج اليه خالد بن الوليد فقال له الفارس ان وردان يريد أن تنتظره حتى تتكلم معه فقال خالد السمع والطاعة ارجع وأخبره فعند ذلك خرج وردان وقد تزين بقلادة جوهر وعلى رأسه تاج فقال خالد عندما رآه هذه غنيمة للمسلمين ان شاء الله تعالى قال فلما نظر عدو الله الى خالد ترجل من جواده وكذلك خالد وجلس كلاهما وقد جعل عدو الله سيفه على فخذه فقال له خالد قل ماتشاء واستعمل الصدق والزم طريق الحق واعلم أنك جالس بين يدي رجل لا يعرف الحيل فقل ماتريد فقال وردان ياخالد اذكر لي ما الذي تريدون وقرب الامر بيني وبينكم فان كنت تطلب منا شيأ فلا نبخل به عليك صدقة منا عليكم لاننا ليس عندنا أمة أضعف منكم وقد علمنا انكم كنتم في بلاد قحط وجوع تموتون جوعا فاقنع منا بالقليل وارحل عنا فلما سمع منه خالد هذا الكلام قال له ياكلب النصرانية ان الله عز وجل أغنانا عن صدقاتكم وأموالكم

وجعل أموالكم تتقاسمها بيننا وأحل لنا نساءكم وأولادكم الا أن تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله وان أبيتم فالحرب بيننا وبينكم أو الجزية عن يد وأنتم صاغرون والله ينصر من يشاء منا ومنكم ومالكم عندنا الا السيف ان أبيتم الاسلام وبالله أقسم ان الحرب أشهى لنا من الصلح وأما قولك يا عدو الله لم تكن أمة أضعف منا عندكم فأنتم عندنا بمنزلة الكلاب وان الواحد منا يلقى ألفا منكم بعون الله تعالى وما هذا خطاب من يطلب الصلح فان كنت ترجو أن تصل الي بانفرادي عن قومي وقومك فدونك وما تريد قال فلما سمع وردان مقالات خالد وثب من مكانه من غير أن يجرد سيفه وتشابكا وتقابضا وتعانقا قال فصاح عدو الله عند ما وثق من خالد وقال لأصحابه بادروا الآن الصليب قد مكنني من أمير العرب قال فما استتم كلامه حتى بادر اليه الصحابة كأنهم عقبان ومقدمهم ضرار بن الازور وقد رموا القشاب عنهم وجردوا سيوفهم وضرار عاري الجسد بسراويله قابض على سيفه وهو يزأر كالأسد وأصحابه من ورائه فالتفت عدو الله ونظر الى القوم وهم يسابقون اليه وهو يظن أنهم قومه حتى أنهم وصلوا اليه ونظر في أوائلهم ضرار بن الازور فقال لخالد أسألك بحق معبودك أن تقتلني أنت بيدك ولا تدع هذا الشيطان يقتلني فقال خالد هو قاتلك لا محالة فهز ضرار سنانه وقال يا عدو الله أين خديعتك من خديعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد اصبر يا ضرار حتى آمرك بقتله ثم وصل اليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزوا سيوفهم في وجهه ومرادهم أن يقتلوه ونظر عدو الله الى ما دهمه فوقع الى الارض وهو يشير باصبعه الامان الامان فقال خالد يا عدو الله لا نعطي الامان الا لاهل الامان وأنت أظهرت لنا المكر والخديعة والله خير الماكرين فلما سمع ضرار كلام خالد لم يمهله دون أن ضربه على عاتقه فخرج السيف يلمع من علائقه ثم أخذ التاج من على رأسه وقال من سبق الى شئ كان أولى به وقد أدركته سيوف المجاهدين فقطعوه اربا اربا وتبادروا الى سيفه فأخذوه ثم ان خالدا قال لاصحابه اني أريد أن تحملوا على الروم لانهم مشتاقون الى أصحابهم قال فأخذوا رأس عدو الله وردان وتوجهوا نحو عسكر الروم فلما وصل خالد الصفوف نادى يا أعداء الله هذا رأس صاحبكم وردان أنا خالد بن الوليد أنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه رمى الرأس وحمل عليهم وحمل المسلمون وحمل أبو عبيدة وقال احملوا يا أهل القرآن وحفاظ الدين وحماة المسلمين فلما رأى الروم رأس وردان ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ولم يزل السيف يعمل فيهم من وقت الصباح الى الغروب قال عامر بن الطفيل الدوسي كنت مع أبي عبيدة ونحن نتبع المنهزمين الى طريق غزة اذ أشرف علينا خيل فظننا أنها نجدة من عند الملك هرقل فأخذنا على أنفسنا واذا بالغبرة قد قربت منا فاذا هي عسكر قد أرسلها أبو بكر الصديق وما رأى أحدا من المنهزمين الا قتلوه ونهبوا جميع ما معه (قال الواقدي) وكان الروم بأجنادين تسعين ألفا فقتل منهم في ذلك اليوم خمسون ألفا وتفرق من بقي منهم فمنهم من انهزم الى دمشق ومنهم من انهزم الى قيسارية وغنم المسلمون منهم غنيمة لم يغنم مثلها وأخذوا منهم صلبان الذهب والفضة فجمع خالد ذلك كله مع تاج وردان الى وقت القسمة وقال خالد لست أقسم عليكم شيأ الا بعد فتح دمشق ان شاء الله تعالى وكانت الوقعة

باجنادين لليلة ست خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية وذلك قبل وفاة أبي بكر بثلاث وعشرين ليلة ثم ان خالدا رضي الله عنه كتب كتابا الى أبي بكر يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد المخزومي الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليك أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأزيد حمدا وشكرا على المسلمين ودمارا على المتكبرين المشركين وانصداع بيعتهم وانا لقينا جموعهم باجنادين وقد رفعوا صلبانهم وتقاسموا بدينهم أن لا يفروا ولا ينهزموا فخرجنا اليهم واستعنا بالله عز وجل متوكلين على الله خالقنا فرزقنا الله الصبر والنصر وكتب الله على أعدائنا القهر فقتلناهم في كل واد وسبسب وجملة من أحصيناهم ممن قتل من المشركين خمسون ألفا وقتل من المسلمين في اليوم الاول والثاني أربعمائة وخمسون رجلا ختم الله لهم بالشهادة منهم عشرون رجلا من الانصار ومن أهل مكة ثلاثون رجلا ومن حمير عشرون والباقي من أخلاط الناس ويوم كتبت لك الكتاب كان يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الأخرى ونحن راجعون الى دمشق ان شاء الله تعالى فادع لنا بالنصر والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الرحمن بن حميد وأمره بالمسير الى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام وسار خالد بالمسلمين طالب دمشق (قال الواقدي) رحمة الله عليه ولقد بلغني أن أبا بكر الصديق كان يخرج كل يوم بعد صلاة الفجر اذا أقبل عبد الرحمن بن حميد فلما رآه تسابقت اليه أصحابه وقالوا له من أين أقبلت قال من الشأم وان الله قد نصر المسلمين فسجد أبو بكر الصديق لله شكرا وأقبل عبد الرحمن بن حميد الى أبي بكر وقال يا خليفة رسول الله ارفع رأسك فقد أقر الله عينك بالمسلمين فرفع أبو بكر رأسه وقرأ الكتاب سرا فلما فهم ما فيه قرأه على المسلمين جهرا فتزاحم الناس يسمعون قراءة الكتاب فشاع الخبر في المدينة فهرعت الناس من كل مكان فقرأه أبو بكر ثاني مرة وتسامع الناس من أهل مكة والحجاز واليمن بما فتح الله على أيدي المسلمين وما ملكوا من أموال الروم فتسابقوا بالخروج الى الشام ورغبوا في الثواب والاجر وأقبل الى المدينة من أهل مكة وأكابرهم بالخيل والرماح وفي أوائلهم أبو سفيان والغيداق بن وائل وأقبلوا يستأذنون أبا بكر في الخروج الى الشام فكره عمر بن الخطاب خروجهم الى الشام وقال لأبي بكر لا تأذن لقوم فان في قلوبهم حقائد وضغائن والحمد لله الذي كانت كلمته هي العليا وكلمتهم هي السفلى وهم على كفرهم وأرادوا أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ونحن مع ذلك نقول ليس مع الله غالب فلما أن أعز الله ديننا ونصر شريعتنا أسلموا خوفا من السيف فلما سمعوا أن جند الله قد نصروا على الروم أتونا لنبعثهم الى الاعداء ليقاسموا السابقين الاولين والصواب أن لا تقربهم فقال أبو بكر لا أخالف لك قولا ولا أعصي لك أمرا قال وبلغ أهل مكة ما تكلم به عمر بن الخطاب فأقبلوا بجمعهم الى أبي بكر الصديق في المسجد فوجدوا حوله جماعة من المسلمين وهم يتذاكرون ما فتح الله على المسلمين وعمر بن الخطاب عن يساره وعلي بن أبي طالب عن يمينه والناس حوله فأقبلت قريش الى أبي بكر فسلموا عليه وجلسوا بين يديه وتشاوروا فيمن يكون أولهم كلاما فكان أول من تكلم أبو سفيان

ابن

ابن حرب فأقبل على عمر بن الخطاب وقال يا عمر كنت لنا مبغضا فى الجاهلية فلما هدانا الله تعالى الى الاسلام هدمنا ما كان لك فى قلوبنا لان الايمان يهدم الشرك وأنت بعد اليوم تبغضنا الجاهلية هذه العداوة يا ابن الخطاب قديما وحديثا أما آن لك أن تغسل ما بقلبك من الحقد والتنافر وانا لنعلم أنك أفضل منا وأسبق فى الايمان والجهاد ونحن عارفون بمنزلتكم غير منكرين قال فسكت عمر رضى الله عنه واستحى من هذا الكلام فقال أبو سفيان انى أشهدكم أنى قد حبست نفسى فى سبيل الله وكذلك تكلم سادات مكة فقال أبو بكر اللهم بلغهم أفضل ما يؤملون واجزهم بأحسن ما يعملون وارزقهم النصر على عدوهم ولا تمكن عدوهم فيهم انك على كل شئ قدير (قال الواقدى) فما تمت أيام قلائل حتى جاء جمع من اليمن وعليهم عمرو بن معد يكرب الزبيدى رضى الله عنه يريد الشام فما لبثوا حتى أقبل مالك بن الاشتر النخعى رضى الله عنه فنزل عند الامام على رضى الله عنه بأهله وكان مالك يحب سيدنا عليا وقد شهد معه الوقائع وخاض المعامع فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عزم على الخروج مع الناس الى الشام (قال الواقدى) واجتمع بالمدينة نحو من تسعة آلاف فلما تم أمرهم كتب أبو بكر كتابا الى خالد بن الوليد يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبى بكر خليفة رسول الله الى خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأوصيكم وآمركم بتقوى الله فى السر والعلانية وقد فرحت بما أفاء الله على المسلمين من النصر وهلاك الكافرين وأخبرك أن تنزل الى دمشق الى أن يأذن الله بفتحها على يدك فاذا تم لك ذلك فسر الى حمص وأنطاكية والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وقد تقدم اليك أبطال اليمن وأبطال مكة ويكفيك ابن معد يكرب الزبيدى ومالك بن الاشتر وانزل على المدينة العظمى انطاكية فان بها الملك هرقل فان صالحك فصالحه وان حاربك فحاربه ولا تدخل الدروب وأقول قولى هذا وان الاجل قد قرب ثم كتب كل نفس ذائقة الموت ثم ختم الكتاب وطواه ودفعه الى عبد الرحمن وقال له أنت كنت الرسول من الشام وأنت ترد الجواب فأخذه عبد الرحمن وسار على مطيته يطوى المنازل والمناهل الى أن وصل الى دمشق (قال حدثنى) نافع بن عميرة قال لما بعث خالد بن الوليد الكتاب الى أبى بكر الصديق ارتحل يريد دمشق وكان أهلها قد سمعوا بقتل بطريقهم وأبطالهم وانهزام جيوشهم ومن أرسلهم الملك بأجنادين فخافوا وتحصنوا بدمشق وأعدوا آلة الحصار ورفعوا السيوف والطوارق وعلوا على الاسوار ونشروا الاعلام والصلبان فلما أخذوا على أنفسهم أشرف عليهم الأمير خالد بن الوليد والجيش قد زاد عمرو بن العاص فى تسعة آلاف ويزيد بن أبى سفيان فى ألفين وشرحبيل بن حسنة وعامر ابن ربيعة فى ألفين وأقبل السواد من ورائهم مع معاذ بن جبل فى ألفين فلما رأى أهل دمشق عسكر المسلمين مثل البحر الزاخر أيقنوا بالهلاك وأقبل خالد فى جيش الزحف فنزل على الدير المعروف به وبينه وبين المدينة أقل من ميل فلما نزل هناك دعا بالامراء فأحضرهم فقال لأبى عبيدة أنت تعلم ما ظهر لنا من غدر هؤلاء القوم عند انصرافنا عنهم وخروجهم فى أثرنا فامض بمن معك من أصحابك وانزل بهم على باب الجابية ولا تسمع للقوم بالامان فيأخذوك بمكرهم

ولتكن متباعدا عن الباب وابعث اليهم فوجا بعد فوج واجعل قتال الناس دولا ولا يضق صدرك من كثرة المقام ولا تبرح من مكانك واحذر من القوم الكافرين فقال أبو عبيدة حبا وكرامة ثم انه خرج حتى أنه نزل بباب الجابية ونصب له بيتا من الشعر بالبعد من الباب (قال الواقدى) حدثنى مسلمة بن عوف عن سالم بن عبد الله عن جابر الانصارى قال قلت لجدى رفاعة بن عاصم وكان ممن قاتل بدمشق وكان فى خيل أبى عبيدة فقلت يا جداه مامنع أبا عبيدة أن ينصب له قبة من بعض قبب الروم مما أخذه من أجنادين ومن بصرى ممن كان عندهم ألوف من ذلك فقال يابنى منعهم من ذلك التواضع ولم يتنافسوا فى زينة الدنيا وملكها حتى ينظر الروم أنهم لا يقاتلون طلبا للملك وانما يقاتلون رجاء ثواب الله تعالى وطلب الآخرة ونصرة للدين ولقد كنا نزل فننصب خيامنا وخيام الروم بالبعد قال فلما نزل أبو عبيدة على باب الجابية أمر أصحابه بالقتال ثم ان خالدا استدعى بيزيد بن أبى سفيان وقال له يايزيد خذ صاحبك وانزل على الباب الصغير واحفظ قومك وان خرج اليك أحد لا يكون لك به طاقة فابعث الى حتى أنجدك ان شاء الله تعالى ثم استدعى بشرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له انزل على باب توما ثم توجه بقومه واستدعى بعمرو بن العاص وأمره أن يصير الى باب الفراديس ثم استدعى بعده بقيس بن هبيرة وقال له اذهب بقومك الى باب الفرج ثم نزل خالد على الباب الشرقى ودعا بضرار بن الازور رضى الله عنه وضم اليه ألفى فارس وقال له تطوف حول المدينة بعسكرك وان دهمك أمر أولاحت لك عيون القوم فأرسل الينا قال ثم سار ضرار واتبعه قومه وبقى خالد على الباب الشرقى ثم قدم عبد الرحمن بن حميد من المدينة بكتاب أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعدل الى ناحية خالد بن الوليد على الباب الشرقى وقد تقدم للقتال طائفة من أصحابه مع رافع بن عميرة فلما رفع اليه الكتاب فرح بعد ان قرأه على المسلمين واستبشر بقدوم عمرو بن معديكرب الزبيدى وأبى سفيان بن حرب قال وشاع الخبر عند جميع الناس وبعث خالد كتاب أبى بكر الى كل باب فقرئ على الناس وبات الناس متأهبين للعرب يتحارسون الى الصباح وضرار يطوف حولهم ولا يقف فى مكان واحد مخافة أن يكبسهم العدو (قال الواقدى) ولقد بلغنى أن أهل دمشق اجتمعوا الى كبارهم من البلد وتشاوروا فيما بينهم فقال بعضهم مالنا الا الصلح ونعطى العرب جميع ماطلبوه منا وقال آخرون مانحن بأكثر من جموع أجنادين فقال لهم بطريق من الروم اطلبوا الناصهر الملك توما نتشاور فى هذا الامر لنسمع مايقول ونطلب منه أن يكشف عنا مانحن فيه فاما أن يصالحهم واما أن يحامى عنا قال فمضى القوم الى توما وعليه رجال موكلون بالسلاح فقالوا لهم ما الذى تريدون فقالوا نريد صهر الملك توما نشاوره فى هذا الامر قال فأذنوا لهم فدخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه فقال لهم ما الذى تريدون فقالوا أيها السيد انظر مانزل ببلادنا وقد جاءنا مالا طاقة لنا به فاما أن نصالح العرب على ماطلبوا واما أن نرسل الى الملك فينجدنا أو يمانع عنا فقد أشرفنا على الهلاك فلما سمع ذلك منهم تبسم ضاحكا وقال ياويلكم أطمعتم العرب فيكم وحق رأس الملك ما أرى القوم أهلا للقتال ولا هم خاطرون لى على بال فلو فتحتم لهم الباب ما حسروا أن يدخلوا قالوا أيها السيد ان أكبرهم وأصغرهم يقاتل العشرة والمائة

وصاحبهم داهيـة لا تطاق فان كان ولا بد فاخرج بنا لقتالهم فقال لهـم توما انكم أكثر منهم ومدينتنا حصينة ولـكم مثل هـذا الغدد والسلاح وأما القوم فهم حفاة عراة فقالوا له أيها السـيد ان معهم من عددنا وأسلحتنا كثيرا مما أخـذوه من واقعة فلسطين ومما أخذوه من بصرى ومن يوم لقائهم بكلوس وعزازير ومما أخذوه من أجنادين وأيضا ان نبيهم قال لهم ان من قتـل منا صار الى الجنة فلاجل ذلك يأتون عراة الاجساد ليصلوا الى ما قال لهم نبيهم قال فضحك من قولهـم وقال لهـم لاجل ذلك أطمعتم العرب فينا ولو صدقتم فى الحرب والصدام لقتلتموهـم لانكم أضعافهم مرارا فقالوا أيها السـيد أكفنا مؤنتهم كيف شئت واعلم أنك ان لم تمنعهم عنا فتحنا لهم الابواب وصالحناهـم فلما سمع توما كلامهـم فكر طويلا وخشى أن تفعل القوم ذلك فقال أنا أصرف عنكم هؤلاء العرب وأقتل أميرهم وأريد منكم أن تقاتلوا معى قالوا نحن معـك وبين يديك نقاتل حتى نهلك عن آخرنا فقال لهم باكـروا القوم بالقتال فانصرفوا عنـه وهـم له شاكرون ولامره منتظرون وباتوا بقية ليلتهم على الحصن وأصحاب رسول الله صـلى الله عليه وسلم فى مواضعهم ولهم ضجة بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وخالد بن الوليـد عنـد الدير ومعه النساء والعيال والاموال والغنائم التى غنموها من أعـدائهم ورافع بن عميرة على الباب الشرقى فى عسكر الزحف وغيرهم ولم يزل الناس فى الحرس الى أن برق الصـباح وصلى كل أمير بمن معه من قومه وصلى أبو عبيدة بمن معه ثم أمر أصحابه بالزحف وقال لهم لا تخلوا عن القتال واركبوا الخيل (حدثنى) رفاعة بن قيس قال سألت والدى قيسا وكان ممن حضر فتوح دمشق الشام فقلت له أكـنتم تقاتلون فى دمشق خيالة أو رجالة يوم حصار المسلمين فقال ما كان أحد منا فارسا الا زهاء من ألفى فارس مع ضرار بن الازور وهو يطوف بهم حول العسكر وحول المدينة وكلما أتى بابا من الابواب وقف عنـده وحرض أهله على القتال وهو يقول صبرا صبرا لأعـداء الله قال وأقبـل توما صهر الملك هرقل من بابه الذى يدعى باسمه وكان عنـدهم عابدا راهبا ولم يكن فى بلاد الشرك أعبد منه ولا أزهد فى دينهم وكان معظما عنـد الروم فخرج ذلك اليوم من قصره والصليب الاعظم على رأسـه وعلا به فوق البرج وأوقف البطارقة حوله والانجيل تحمله ذوو المعرفة قال ونصبوه بالقرب من الصليب ورفع القوم أصواتهم وتقدم توما ووضع يده على أسطر من الانجيل وقال اللهم ان كنا على الحق فانصرنا ولا تسلمنا لاعدائنا واخـذل الظالم منا فانك به عليم اللهم انا نتقرب اليك بالصليب ومن صلب على دينه وأظهر الآيات الربانية والافعال اللاهوتية انصرنا على هؤلاء الظالمين قال وأمن الناس على دعائه قال رفاعة بن قيس هكذا حـدثنى شرحبيل بن حسـنة كاتب وحى رسول الله صـلى الله عليه وسلم والذى فسر لنا هـذا الـكلام روماس صاحب بصرى وكان فى جيش شرحبيـل بن حسـنة يقاتل على باب توما وكلما قال الروم شيأ بلغتهم فسره لنا قال ونهض شرحبيـل وقصد الباب بحملته وقد عظم عليه قول توما اللعـين وقال له يا لعـين لقـد كذبت ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب أحياه متى شاء ورفعـه متى شاء ثم ان روماس ناوشه بالقتال فقاتل الملعون توما قتـالا شـديدا وهشم الناس بالحجارة ورمى النشاب رميا متـداركا فجرح رجالا وكان ممن جرح أبان بن سـعيد بن العاص أصابتـه نشابة

وكانت مسموصة فأحس بلهيب السم فى بدنه فتأخر وحمله اخوانه الى أن أتوا به الى المعسكر فأرادوا حل العمامة فقال لا تحلوها فان حللتم جرحى تبعتها روحى أما والله لقد رزقنى الله ما كنت أتمناه قال فلم يسمعوا قوله وحلوا عمامته فلما حلوها شخص الى السماء وصار يشير باصبعيه أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون لما استتمها حتى توفى الى رحمة الله تعالى وكانت زوجته بنت عمه وكان قد تزوجها باجنادين وكانت قريبة العهد من العرس ولم يكن الخضاب ذهب من يدها ولا العطر من رأسها وكانت من المترجلات البارزات من أهل بيت الشجاعة والبراعة فلما سمعت بموت بعلها أتته تتعثر فى أذيالها الى أن وقفت عليه فلما نظرته صبرت واحتسبت ولم يسمع منها غير قولها هنئت بما أعطيت ومضيت الى جوار ربك الذى جمع بيننا ثم فرق ولأجهدن حتى ألحق بك فانى لمشوقة اليك حرام على أن يمسنى بعدك أحد وانى قد حبست نفسى فى سبيل الله عسى أن ألحق بك وأرجو أن يكون ذلك عاجلا ثم حفر له ودفن مكانه فقبره معروف وصلى عليه خالد بن الوليد فلما غيب فى التراب لم تقف على قبره دون أن أتت الى سلاحه ولحقت الجيش من غير أن تعلم خالدا بذلك وقالت على أى باب قتل بعلى فقيل لها على باب توما والذى قتله هو صهر الملك قال فسارت الى أصحاب شرحبيل بن حسنة فاختلطت بهم وقاتلت مع الناس قتالا لم ير مثله وكانت أرمى الناس بالنبل وكان قد جعل لها قوس وكنانة قال شرحبيل بن حسنة رأيت يوم حصار دمشق رجلا على باب توما يحمل الصليب وهو أمام توما وهو يشير اليه اللهم انصر هذا الصليب ومن لاذ به اللهم أظهر له نصرته وأعل درجته قال شرحبيل بن حسنة وأنا دائما أنظر اليه اذ رمته زوجة أبان بنبلة فلم تخطئ رميتها واذا بالصليب قد سقط من يده وهوى الينا وكأنى أنظر لمعان الجوهر من جوانبه لما فينا الا من بادر اليه ليأخذه وقد استتر بالدرق وتزاحم بعضنا على بعض كل منا يسبق اليه ليأخذه ونظر عدو الله توما الى ذلك من تنكس الصليب الاعظم واهوائه الى المسلمين فعند ذلك كفر وعظم عليه الامر وقال يبلغ الملك أن الصليب الاعظم أخذ منى وملكته العرب لا كان ذلك أبدا ثم أنه حزم وسطه وأخذ سيفه وقال من شاء منكم فليتبعنى ومن شاء فليقعد فلا بد لى من القوم عسى أن أشفى صدرى ثم انحدر مسرعا وأمر بفتح الباب وكان هو أول مبادر فلما نظرت الروم الى ذلك لم يكن فيهم الا من انحدر فى أثره لما يعلمون من شجاعته وخرجوا كالجراد المنتشر هذا والمسلمون محيطون بالصليب فلما خرج الروم ووقع صياحهم حذر الناس بعضهم بعضا فلما نظر المسلمون الى الروم سلموا الصليب الى شرحبيل بن حسنة وانفردوا الاعدائهم وحملوا فى أعراضهم وأخذهم النشاب والحجارة من كل مكان من أعلى الباب فصاح شرحبيل بن حسنة معاشر المسلمين تقهقروا الى ورائكم لتأمنوا النشاب من أعداء الله العالين على الباب قال فتقهقر الناس الى ورائهم الى ان أمنوا من ضرب النشاب فاتبعهم عدو الله توما وهو يضرب يمينا وشمالا وحوله أبطال المشركين من قومه وهو يهدر كالجمل فلما نظر شرحبيل بن حسنة ذلك صرخ بقومه وقال معاشر الناس كونوا آيسين من آجالكم طالبين جنة ربكم وأرضوا خالقكم بفعلكم فانه لا يرضى منكم بالفرار ولا أن تولوا الادبار فاحملوا عليهم واقربوا اليهم بارك الله

فبكم قال فحمل الناس حملة منكرة واختلط الناس بعضهم ببعض وعملت بينهم السيوف وتراموا بالنبل وتسامع أهل دمشق أن توما خرج الى العرب من بابه وان صليبه الاعظم سقط اليهم من كف حامله فعلوا يهرعون الى أن تزايد أمرهم وجعل عدو الله ينظر يمينا وشمالا وينظر الصليب فانت منه التفاتة فنظر فرآه مع شرحبيل بن حسنة فلما نظر اليه لم يكن له صبر دون أن حمل وصاح هات الصليب لا أم لك فقد لحقك بوائقه قال ونظر شرحبيل بن حسنة الى عدو الله وهو مقبل فرمى الصليب من يده وصادمه فلما رأى عدو الله الصليب مرميا على الارض صرخ بأصحابه صرخة هائلة ونظرت زوجة أبان بن عتبة الى حملة عدو الله على شرحبيل فقالت من هذا قيل هو سهر الملك وهو قاتل بعلك أبان بن سعيد فلما سمعت ذلك منهم حملت حملة منكرة الى أن قاربته ورمته بنبلة وكان الروم أرهبوها فلم تلتفت اليهم دون أن حققت بنبلتها على صاحبها وقالت بسم الله و بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أطلقتها وكان عدو الله واصلا الى شرحبيل اذ جاءته النبلة فأصابت عينه اليمنى فسكنت النبلة فيها فتقهقر الى ورائه صارخا وهمت أن ترميه بأخرى فتبادرت اليها الرجال واستتروا بالطوارق وتبادر اليها قوم من المسلمين يحامون عنها فلما أمنت من شر الاعداء أخذت ترمي بالنبل ثم انهارمت عليها من الروم فأصابت صدره فسقط هاويا الى الارض وكان عدو الله أول من تقهقر ذلك اليوم هاربا من شدة حرارة النبلة وصرخ صرخة عظيمة الى أن دخل الباب ونظر شرحبيل الى ذلك فصرخ بأصحابه يا ويلكم دونكم وكلب الروم أحملوا على الكلاب عسى أن تدركوا عدو الله قال فحمل الناس على الروم الى أن أوصلوهم الى الباب فحماهم قومهم من أعلى الباب بالحجارة والنشاب قال فتراجع الناس الى مواضعهم وقد قتلوا من الروم مقتلة عظيمة وأخذوا أسلابهم وأموالهم وصليبهم ودخل عدو الله توما الى المدينة وأغلقوا الابواب وجاء الحكماء يعالجون في قلع النبلة من عينه فلم تطلع فجذبوها فلم تنجذب وهو يضج بالصراخ فلما طال على القوم ذلك ولم يجدوا حيلة في اخراجها نشروها وبقي الفضل في عينه ولم تزل في مكانها وسألوه المسير الى منزله فأبى وجلس داخل الباب الى أن سكن ما به وخف عنه الالم فقالوا له عد الى منزلك بقية ليلتك فقد نكبنا في يومنا هذا نكبتين نكبة الصليب ونكبة عينك كل هذا انما وصل الينا من النبال وقد علمنا أن القوم لا يصطلى لهم بنار وقد سألناك أن نصالح القوم على ما طلبوه منا قال فغضب توما من قولهم وقال يا ويلكم يؤخذ الصليب الاعظم وأصاب بعيني وأغفل عن هذا ويبلغ الملك عني ذلك فينسبني للوهن والعجز ولا بد من طلبهم على كل حال وآخذ صليبي وآخذ في عيني ألف عين منهم وسأوقع حيلة أصل بها الى كبيرهم وآخذ جميع ما غنموه وبعد ذلك أسير الى صاحبهم الذي هو في الحجاز وأقطع آثاره وأخرب دياره وأهدم مساكنه وأجعل بلده مسكنا للوحوش ثم ان الملعون صار الى أعلى السور وهو معصوب العين وصار يحرض الناس لكي يزيل عن قلوبهم الرعب وأقبل يقول لهم لا تفزعوا ولا تجزعوا انما ظهر لكم من العرب ولا بد للصليب أن يرميهم وأنا الضامن لكم قال فثبت القوم من قوله وحاربوا حربا شديدا وبعث شرحبيل بن حسنة الى خالد بن الوليد يخبره بما صنع مع القوم فقال الرسول ان عدو الله توما قد ظهر لنا منه ما لم يكن في الحساب ونطلب منك رجالا لان

الحرب عندنا كثر من كل باب فلما سمع خالد ذلك الخبر حمد الله وقال كيف أخذتم الصليب من الروم فقال الرسول كان يحمل صليب الروم رجل وهو امام توما صهر الملك فرمته زوجة أبان بنبلة فوقع الصليب الينا وخرج عدو الله فرمته زوجة أبان بنبلة فاشتبكت في عين توما اليمنى فقال خالد ان توما عند الملك معظم وهو الذي منعهم عن الصلح ونرجو من الله أن يكفينا شره ثم قال للرسول عد الى شرحبيل وقل له كن حافظا ما أمرتك به فكل فرقة مشغولة عنك ولم تؤت من قبلهم وأنا بالقرب منك وهذا ضرار بن الازور يطوف حول المدينة وكل وقت عندك قال فرجع الرسول فاخبره بذلك فصبر وقاتل بقية يومه ووصل الخبر الى أبي عبيدة بما نزل بشرحبيل ابن حسنة من توما وبما غنم من صليبه فسر بذلك قال ولما أصبح الصباح بعث توما الى أكابر دمشق وأبطالهم فلما حضروا بين يديه قال لهم يا أهل دين النصرانية انه قد طاف عليكم قوم لا أمان لهم ولا عهد لهم وقد أتوا يسكنون بلادكم فكيف صبركم على ذلك وعلى هتك الحريم وسبي الاولاد وتكون نساءكم جواري لهم وأولادكم عبيدا لهم وما وقع الصليب الا غضبا عليكم مما أضمرتم لهذا الدين من مصالحة المسلمين واذلالكم للصليب وأنا قد خرجت ولولا اني أصبت بعيني لما عدت حتى أفرغ منهم ولا بد من أخذ ثاري وأن أقلع ألف عين من العرب ثم لا بد أن أصل الى الصليب وأطالبهم به عن قريب فلما سمعوا كلامه قالوا ها نحن بين يديك وقد رضينا بما رضيت لنفسك فان أمرتنا بالخروج خرجنا معك وان أمرتنا بالقتال قاتلنا فقال توما اعلموا أن من خاض الحروب لم يخف من شيء واني قد عزمت على أن أهجم هذه الليلة وأكبسهم في أماكنهم فان الليل مهاب وأنتم أخبر بالبلد من غيركم فلا يبقى الليلة منكم أحد حتى يتأهب للحرب ويخرج من الباب وأرجو أن لا أعود حتى تنقضي الاشغال فاذا فرغت من القوم أخذت أميرهم أسيرا وأحمله الى الملك يأمر فيه بأمره فقالوا حبا وكرامة فعند ذلك فرق القوم على الباب الشرقي فرقة وعلى باب الجابية فرقة وعلى كل باب جماعة وقال لهم لا تجزعوا فان أمير القوم متباعد عنكم وليس هناك الا الاراذل والموالي فاطحنوهم طحن الحصيد قال ودعا بفرقة أخرى الى باب الفراديس الى عمرو بن العاص وخرج توما من بابه وأخذ معه أبطال القوم ولم يترك بطلا يعرف بالشجاعة الا أخذه معه ورتب على الباب ناقوسا وقال لهم اذا سمعتم الناقوس فهي العلامة التي بيننا فافتحوا الابواب واخرجوا مسرعين الى أعدائكم ولا تجدوا رجالا نياما الا وتضعون السيف فيهم فان فعلتم ذلك فرقتم جمعهم في هذه الليلة وانكسروا كسرة لا يجبرون بعدها أبدا قال ففرح القوم بذلك وخرجوا الى حيث أمرهم وقعدت كل فرقة على بابها وأقاموا ينتظرون صوت الناقوس ليبادروا الى المسلمين قال ودعا توما برجل من النصارى وقال له خذ ناقوسا واعل به على الباب فاذا رأيتنا قد فتحنا الباب فاضرب الناقوس ضربة خفيفة يسمعها قومنا وقد سار توما بقطعة من جيشه عليهم الدروع وبأيديهم السيوف وتوما في أوائلهم وبيده صفيحة هندية وألقى على رأسه بيضة كسروية كان هرقل قد أهداها له وكانت لا تعمل فيها السيوف القواطع حتى وصل الى الباب ثم وقف حتى تكامل القوم فلما نظر اليهم قال يا قوم اذا فتحنا لكم الباب فأسرعوا الى عدوكم وجدوا في سعيكم الى أن تصلوا الى القوم فاذا وصلتم اليهم فاحملوا ومكنوا

السيوف

السيوف فيهم ومن صاح منهم بالامان فلا تبقوا عليه الا أن يكون أميرا لقوم ومن أبصر منكم الصليب فليأخذه فقالوا حبا وكرامة ثم أمر رجلا من أصحابه أن يسير الى الذى بيده الناقوس ويأمره أن يضربه ضربة خفيفة ثم فتح الباب وتبادر الرجال الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فى غفلة عما دبر القوم لهم الا أنهم فى يقظة فلما سمعوا الصوت أيقظ بعضهم بعضا وتواثبت الرجال من أماكنهم كالاسد الضارية فلم يصل اليهم العدو الا وهم على حذر وحملوا عليهم وهم فى غير ترتيب فتقاتل القوم فى جنح الظلام وعمل السيف وسمع خالد ابن الوليد فقام ذاهل العقل مما سمع من الزعقات فصاح واغوثاه واسلاماه كيد قومى ورب الكعبة اللهم انظر اليهم بعينك التى لا تنام وانصرهم يا أرحم الراحمين وسار خالد ومن معه وهم أربعمائة فارس من أصحابه وهو بغير درع قد لبس ثوبا كان من عمل الشام مكشوف الرأس ثم جد فى السير والاربعمائة فارس معه كانهم الليوث العوابس الى أن وصلوا الى الباب الشرقى واذا بالفرقة التى هنالك قد هاجمت أصحاب رافع بن عميرة الطائى قال وأصوات المسلمين عالية بالتهليل والتكبير والقوم من أعلى الاسوار قد أشرفوا وتصايحوا عند ما استيقظ لهم المسلمون فحمل خالد بن الوليد على الروم ونادى برفيع صوته أبشروا يا معاشر المسلمين أتاكم الغوث من رب العالمين أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد وحمل فى أوساط الناس بمن معه فجندل أبطالا وقتل رجالا وهو مع ذلك مشتغل القلب على أبى عبيدة والمسلمين الذين على الابواب وهو يسمع أصواتهم وزعقاتهم قال وتصايح الروم والنصارى واليهود (قال سنان بن عوف) قلت لابن عمى قيس هل كانت اليهود تقاتلكم قال نعم بقاتلوننا من أعلى الاسوار ويرمون بالسهام وخشى خالد على شرحبيل بن حسنة مما وصل اليه من عدو الله توما لانه ملازم الباب قال ولقى شرحبيل بن حسنة من عدو الله توما أمرا عظيما لم يلق أحد مثله وذلك أنه هجم عليه توما فى تلك الليلة وكان أول من وصل الى المسلمين عدو الله توما قال فصبروا له صبر الكرام وقاتل عدو الله توما قتالا شديدا وهو ينادى أين أميركم الذميم الذى أصابنى انا ركن الملك الرحيم أنا ناصر الصليب قال فلما سمع شرحبيل صوته قصد جهته وقد جرح رجالا من المسلمين وقال له ها أنا صاحبك وغريمك أنا مبيد جمعكم وآخذ صليبكم انا كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطف عليه توما عطفة الاسد ورأى من شرحبيل بن حسنة أمرا هائلا ولم يزالوا كذلك الى أن زال من الليل شطره وكل قرن مع قرينه وكانت زوجة أبان مع شرحبيل وكانت فى تلك الليلة أحسن الناس صبرا ورمت بنبالها وكانت لا تقع نبلة من نبالها الا فى رجل من المشركين الى أن قتلت من الروم مقتلة عظيمة بالنبال والروم يتحايدون عنها الى أن لاح رجل من الروم فرمته بنبلة فبقيت النبلة معلقة فى نحره قال فصرخ بالروم فهاجوها وأخذوها أسيرة ومات عدو الله الذى رمته قال ولقى شرحبيل من الروم مالا يلقاه أحد وانه ضرب توما ضربة هائلة فتلقاها الملعون بدرقته فانكسر سيف شرحبيل فطمع عدو الله فيه وحمل عليه وظن أنه يأخذه أسيرا واذا بفارسين قد أشرفا من ورائهما مع كبكبة من الفرسان فهجموا على الروم ونظروا واذا بزوجة أبان قد حصلت وهجمت على الروم وهتفت فلحقها فارسان فبرز لهما عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى

الله عنهم وأبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه فقتلا الرجلين ورجع عدو الله توما هاربا الى
المدينة (قال حدثني) تميم بن عدي وكان ممن شهد الفتوحات قال كنت في خيمة أبي عبيدة
وذلك أن أبا عبيدة كان يصلي فيها اذ سمع الصياح فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم ثم لبس سلاحه ورتب قومه ودنا من القوم فنظر اليهم وهم في المعمعة والحرب وعدل
عنهم ميسرة وميمنة الى أن جاوزهم وعطف نحو الباب وكبر وكبر المسلمون فلما سمع المشركون
تكبيرهم ظنوا أن المسلمين قد دهموهم من ورائهم في جمع كثير فولوا راجعين فتلقاهم أبو
عبيدة وقومه وأخذوا عليهم المجاز وبذل أبو عبيدة السيف فيهم (قال الواقدي) ولقد بلغني
انه ما سلم من الروم تلك الليلة أحد من الذين هم غرماء أبي عبيدة ولقد قتلوا عن آخرهم فبينما هم
في القتال اذ أشرف عليهم ضرار بن الازور وهو ملطخ بالدماء فقال له خالد ما وراءك يا ضرار
فقال أبشر أيها الامير ما جئتك حتى قتلت في ليلتي هذه مائة وخمسين رجلا وقتل قومي ما لا يعد
ولا يحصى وقد كفيتكم مؤنة من خرج من الباب الصغير الى يزيد بن أبي سفيان ثم عطفت الى
سائر الابواب فقتلت خلقا كثيرا قال فسر بذلك خالد بن الوليد ثم ساروا جميعا حتى أتوا
شرحبيل بن حسنة وشكروا فعله وكانت ليلة مقمرة ولم يلق مثلها الناس فقتلوا في تلك الليلة
ألوفا من الروم قال فاجتمع كبار أهل دمشق الى توما وقالوا له أيها السيد انا قد نصحناك فلم تسمع
لقولنا وقد قتل منا أكثر الناس وهذا أمر لا يطاق يعني خالد بن الوليد فصالح فهو أصلح لك ولنا
وان لم تصالح صالحنا وأنت وشأنك فقال يا قوم أمهلوني حتى أكتب الى الملك وأعلمه بما نزل
بنا فكتب من وقته وساعته كتابا يقول فيه الى الملك الرحيم من صهرك توما أما بعد فان العرب
محدقون بنا كاحداق البياض بسواد العين وقد قتلوا أهل أجنادين ورجعوا الينا وقد
قتلوا منا مقتلة عظيمة وقد خرجت اليهم وأصيبت عيني وقد عزمت على الصلح ودفع الجزية
للعرب فاما أن تسير بنفسك واما أن ترسل لنا عسكرا تنجدنا بهم واما أن تأمرنا بالصلح مع القوم
فقد تزايد الامر علينا ثم طوى الكتاب وختمه وبعث به قبل الصباح فلما أصبح الصباح باكرهم
المسلمون بالقتال وبعث خالد لكل أمير أن يزحف من مكانه فركب أبو عبيدة ووقع القتال
واشتد الامر على أهل دمشق فبعثوا لخالد أن أمهلنا فأبى خالد الا القتال ولم يزل كذلك
الى أن ضاق بهم الحصار وهم ينتظرون أمر الملك واجتمع أهل البلد وقالوا لبعضهم ما لنا
صبر على ما نحن فيه من الامر وان هؤلاء ان قاتلناهم نصروا علينا وان تركناهم أضر بنا
الحصار فاطلبوا من القوم صلحا على ما طلبوه منكم فقال لهم شيخ كبير من الروم وقد قرأ
الكتب السالفة يا قوم والله اني أعلم أنه لو أتى الملك في جيشه جميعا لما منعوا عنكم هؤلاء لما
قرأت في الكتاب أن صاحبهم محمدا خاتم المرسلين سيظهر دينه على كل دين فأطيعوا القوم
وأعطوهم ما طلبوا منكم فهو أوفق لكم فلما سمع القوم مقالات الشيخ ركنوا اليه لما
يعلمون من علمه ومعرفته بالاخبار والملاحم فقالوا كيف الرأي عندك فنحن نعلم أن هذا
الامير الذي على باب شرقي رجل سفاك للدماء فقال لهم ان أردتم تقارب الامر فامضوا الى
الذي على باب الجابية وليتكلم رجل يعرف بالعربية ويقول بصوت رفيع يا معاشر العرب
الامان حتى ننزل اليكم ونتكلم مع صاحبكم قال أبو هريرة رضي الله عنه وكان أبو عبيدة قد

أنفذ رجالا من المسلمين مكثوا بالقرب من الباب مخافة المكيدة مثل الليلة التي خلت وكانت النوبة تلك الليلة لبني دوس والامير عليها عامر بن الطفيل الدوسي قال فبينما نحن جلوس في مواضعنا من الباب اذ سمعنا أصوات القوم وهم ينادون قال أبو هريرة فلما سمعت بادرت الى أبي عبيدة قال وبشرته بذلك فاستبشر وقال امض وكلم القوم وقل لهم لكم الامان قال فأتيت القوم وبشرتهم بالامان فقالوا ومن أنت فقلت أنا أبو هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أن عبيدا لنا أعطوكم الامان والذمام ونحن في الجاهلية لما غدرنا فكيف وقد هدانا الله الى دين الاسلام قال فنزل القوم وفتحوا الباب واذا هم مائة رجل من كبرائهم وعلمائهم فلما قربوا من عسكر أبي عبيدة تبادر اليهم المسلمون وأزالوا عنهم الصلبان الى أن وصلوا خيمة أبي عبيدة فرحب بهم وأجلسهم وقال ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قال اذا أتاكم عزيز قوم فأكرموه وتكلموا في أمر الصلح وقالوا انا نريد منكم أن تتركوا كنائسنا ولا تنقضوا علينا منها كنيسة وهي الجامع الآن بدمشق فقال لهم أبو عبيدة جميع الكنائس لا يؤمر بهدمها قال وكان في دمشق كنائس واحدة تسمى كنيسة مريم وكنيسة حنا وكنيسة سوق الليل وكنيسة أنذار وهي عند دار عبد الرحمن ذرة فكتب لهم أبو عبيدة كتاب الصلح والامان ولم يسم فيه اسمه ولا أثبت شهودا وذلك لانه لم يكن أمير المؤمنين فلما كتب لهم الكتاب تسلموه منه وقالوا له قم معنا الى البلد قال فقام أبو عبيدة وركب معه أبو هريرة ومعاذ ابن جبل ونعيم بن عمرو وعبد الله بن عمرو الدوسي وذو الكلاع الحميري وحسان بن النعمان وجرير بن نوفل الحميري وسيف بن سلمة ومعمر بن خليفة وربيعة بن مالك والمغيرة بن شعبة وأبو لبابة بن المنذر وعوف بن ساعدة وعامر بن قيس وعباد بن عتبة وبشر بن عامر وعبد الله بن قرط الاسدي وجملتهم خمسة وثلاثون صحابيا من أعيان الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وخمسة وستون من أخلاط الناس فلما ركبوا وتقدموا نحو الباب قال أبو عبيدة أريد منكم رهائن حتى ندخل معكم فأتوه برهائن وقيل ان أبا عبيدة رأى في منامه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له تفتح المدينة ان شاء الله تعالى في هذه الليلة فقلت يا رسول الله أراك على عجل قال لأحضر جنازة أبي بكر الصديق قال فاستيقظت من المنام (قال الواقدي) وقد بلغني أن أبا عبيدة لما دخل دمشق بأصحابه صارت القسوس والرهبان بين يديه على مسرح الشعر وقد رفعوا الانجيل والمباخر بالند والعود ودخل أبو عبيدة من باب الجابية ولم يعلم خالد ابن الوليد بذلك لانه شد عليهم بالقتال قال وكان هناك قسيس من قسوس الروم اسمه يونس بن مرقص وكانت داره ملاصقة للسور مما يلي باب شرقي الذي عنده خالد وكان عنده ملاحم دانيال عليه السلام وكان فيها أن الله تعالى يفتح البلاد على يد الصحابة ويعلو دينهم على كل دين فلما كانت تلك الليلة نقب يونس من داره وحفر موضعا وخرج على حين غفلة من أهله وأولاده وقصد خالدا وحدثه أنه خرج من داره وحفر موضعا والآن أريد أمانا لي ولاهلي ولاولادي قال فأخذ خالد عهده على ذلك وأنفذ معه مائة رجل من المسلمين أكثرهم من حمير وقال لهم اذا وصلتم المدينة فارفعوا أصواتكم بأجمعكم واقصدوا الباب واكسروا الاقفال وأزيلوا السلاسل حتى تدخلوا ان شاء الله تعالى قال ففعل القوم ما أمرهم به خالد

رضي الله عنه وسار يواوضي أمامهم يونس بن مرقص حتى دخل بهم من حيث خرج فلما حطوا في داره تدرعوا واحترسوا ثم خرجوا وقصدوا الباب وأعلنوا التكبير قال فلما سمع المشركون التكبير ذهلوا وعلموا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حطوا معهم في المدينة وان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قصدوا الباب وكسروا الاقفال وقطعوا السلاسل ودخل خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين ووضعوا السيف في الروم وهم مختلفون بين يديه الى أن وصل الى كنيسة مريم وخالد بن الوليد يأسر ويقتل (قال الواقدي) والتقى الجمعان عند الكنيسة جيش خالد وجيش أبي عبيدة وأصحابه سائرون والرهبان سائرون بين أيديهم وما أحد من أصحاب أبي عبيدة جرد سيفه فلما نظر خالد اليهم ورأى أن لا أحد منهم جرد سيفه بهت وجعل ينظر اليهم متعجبا قال فنظر اليه أبو عبيدة وعرف في وجهه الانكار فقال يا أبا سليمان قد فتح الله على يدي المدينة صلحا وكفى الله المؤمنين القتال (قال الواقدي) ما خاطب أبو عبيدة خالدا يوم الفتح بدمشق الا بالامارة فقال أيها الامير قد تم الصلح وما الصلح لا أصلح الله بالهم وأنى لهم الصلح وقد فتحتها بالسيف وقد خضبت سيوف المسلمين من دمائهم وأخذت الاولاد عبيدا وقد نهبت الاموال فقال أبو عبيدة أيها الامير اعلم أني ما دخلتها الا بالصلح فقال له خالد بن الوليد انك لم تزل مغفلا وأنا ما دخلتها الا بالسيف عنوة وما بقي لهم حماية فكيف صالحتهم قال أبو عبيدة اتق الله أيها الامير والله لقد صالحت القوم ونفذ السهم بما هو فيه وكتبت لهم الكتاب وهو مع القوم فقال خالد وكيف صالحتهم من غير أمري وأنا صاحب رايتك والامير عليك ولا أرفع السيف عنهم حتى أفنيهم عن آخرهم فقال أبو عبيدة والله ما ظننت أنك تخالفني اذا عقدت عقدا ورأيت رأيا فالله الله في أمري فوالله لقد حقنت دماء القوم عن آخرهم وأعطيتهم الامان من الله جل جلاله وأمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رضي من معي من المسلمين والغدر ليس من شيمنا قال وارتفع الصياح بينهما وقد شخص الناس اليهما وخالد مع ذلك لا يرجع عن مراده ونظر أبو عبيدة الى ذلك فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد وهم جيش البوادي من العرب مشتبكون على قتال الروم ونهب أموالهم قال فنادى أبو عبيدة واثكلاه خفرت والله ونقض عهدي وجعل يحرك جواده ويشير الى العرب مرة يمينا ومرة شمالا وينادي معاشر المسلمين أقسمت عليكم برسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تمدوا أيديكم نحو الطريق الذي جئت منه حتى نرى ما نتفق أنا وخالد عليه فلما دعاهم بذلك سكتوا عن القتل والنهب واجتمع اليهما فرسان المسلمين والامراء وأصحاب الرايات مثل معاذ بن جبل رضي الله عنه ويزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه وعمرو بن العاص رضي الله عنه وشرحبيل بن حسنة رضي الله عنه وربيعة بن عامر رضي الله عنه وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين ونظراتهم والتقوا عند الكنائس واجتمع هناك فرسان للشورة والمناظرة فقالت طائفة من المسلمين منهم معاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان الرأي أن تمضي الى ما أمضاه أبو عبيدة بن الجراح وتكفوا عن القتال للقوم فان مدن الشام لم تفتح أبدا وهرقل في أنطاكية كما تعلمون وان علم أهل المدن أنكم صالحتم وغدرتم لم تفتح لكم مدينة صلحا ولأن تجعلوا هؤلاء الروم

في

في صلحكم خير من قتلهم ثم قالوا لخالد أمسك عليك ما فتحت بالسيف ويعينك أبو عبيدة بجانبه واكتبا إلى الخليفة ونحا كما اليه فكل ما أمر به فعلناه فقال لهم خالد بن الوليد قد أجبت إلى ذلك وقبلت مشورتكم فأما أهل دمشق فقد أمنتهم إلا هذين اللعينين توما وهربيس وكان هربيس هو المأمور على نصف البلد ولاه توما حين رجع الأمر اليه فقال أبو عبيدة ان هذين أول من دخل في صلحي فلا تخفر ذمتي رحمك الله تعالى فقال خالد والله لولا ذمامك لقتلتهما جميعا ولكن يخرجان من المدينة فلعنهما الله حيث سارا قال أبو عبيدة وعلى هذا اصطلحنا قال ونظر توما وهربيس إلى خالد وهو يتنازع مع أبي عبيدة فخافا الهلاك فأقبلا على أبي عبيدة ومعهما من يترجم عنهما وقال له ما يقول هذا يعني خالدا قال الترجمان لأبي عبيدة ما تقول أنت وصاحبك فيه من المشاورة ان صاحبك هذا يريد غدرنا فنحن وأهل المدينة دخلنا في عهدكم ونقض العهد ما هو من شيمكم واني أسألكم أن تدعوني أن أخرج أنا وأصحابي وأسلك أي طريق أردت فقال أنت في ذمتنا فاسلك أي طريق شئت فاذا صرت في أرض تملكونها فقد خرجت من ذمتنا أنت ومن معك فقال توما وهربيس نحن في ذمتكم وجواركم ثلاثة أيام أي طريق سلكنا فاذا كان بعد ثلاثة أيام فلا ذمة لنا عندكم فمن لقينا منكم بعد ثلاثة أيام وظفر بنا فنحن لهم عبيد ان شاء أسرنا وان شاء قتلنا فقال خالد قد أجبناك إلى ذلك لكن لا تحملوا معكم من هذه البلد إلا الزاد الذي تتقوتون به قال أبو عبيدة لخالد هذا كلام داع لنقض العهد والصلح انما وقع بيننا أنهم يخرجون برحالهم وأموالهم فقال خالد سمحت لهم بذلك إلا الحلقة يعني السلاح فاني لا أطلق لهم شيأ من ذلك فقال توما لابد لنا من السلاح نمنع به عن أنفسنا في طريقنا ان طرقنا طارق حتى نصل إلى بلدنا وإلا فنحن بين أيديكم فاحكموا فينا بما أردتم فقال أبو عبيدة أطلق لكل واحد قطعة من السلاح ان أخذ سيفا فلا يأخذ رمحا وان أخذ رمحا فلا يأخذ سيفا وان أخذ قوسا فلا يأخذ سكينا فقال توما لما سمع منهم ذلك الكلام قد رضينا بذلك وما يريد كل واحد منا إلا قطعة من السلاح لا غير ثم قال توما لأبي عبيدة اني خائف من هذا الرجل أعني خالد بن الوليد فليكتب لي بذلك قال أبو عبيدة ثكلتك أمك أنا معاشر العرب لا نغدر ولا نكذب وان الأمير أبا سليمان قوله قول وعهده عهد ولا يقول إلا الصدق قال فانطلق توما وهربيس يجمعان قومهما ويأمرانهم بالخروج قال وكان الملك له خزانة ديباج في دمشق فيها ازهاء من ثلثمائة حمل ديباج وحلل مذهبة فعزم على اخراجها وأمر توما فضربت له خيمة من القز ظاهر دمشق وأقبلت الروم تخرج الأمتعة والأموال والأحمال حتى أخرجوا شيأ عظيما فنظر خالد بن الوليد إلى كثرة احمالهم فقال ما أعظم رحالهم ثم قرأ قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الآية ثم نظر خالد إلى القوم كأنهم حمر مستنفرة ولم يلتفت أحد إلى أخيه من شدة عجلتهم فلما نظر خالد إلى ذلك رفع يديه إلى السماء وقال اللهم اجعله لنا وملكنا اياه واجعل هذه الأمتعة قوتا للمسلمين آمين انك سميع الدعاء ثم أقبل على أصحابه وقال لهم اني رأيت أمرا فهل أنتم تتبعوني عليه فقالوا نتبعك ولا نخالف لك أمرا فقال خالد قوموا بخيولكم حق القيام وأحسنوا اليها

ما استطعتم وأنجزوا سلاحكم فاني أسير بكم بعد ثلاثة أيام في طلب هؤلاء القوم وأرجو من
الله أن يغنمنا هذه الغنيمة والاموال التي رأيتموها وان نفسي تحدثني أن القوم ما تركوا في
دمشق متاعا ولا ثوبا حسنا الا وقد أخذوه معهم فقالوا افعل ما تريد فما نخالف لك أمرا ثم
أخذوا في اصلاح شأنهم وتوما وهربيس قد جمعوا مال الرساتيق وجميع المال فلما جمعوه
جاؤا به الى أبي عبيدة فقال لهم وفيتم بما عليكم فسيروا حيث شئتم فلكم الامان منا ثلاثة
أيام قال يزيد بن طريف فلما سلموا المال لابي عبيدة ارتحلوا سائرين كأنهم سواد مظلم وكان
قد خرج مع القوم خلق كثير من أهل دمشق بأولادهم وكرهوا أن يكونوا في جوار المسلمين
قال واشتغل خالد عن اتباعهم بخلاف وقع بينهم و بين أهل دمشق في حنطة وشعير وجدوا في
المدينة منه شيأ كثيرا فقال أبو عبيدة هو للقوم دخل في صلحهم فكادت الفتنة أن تثور بين
أصحاب خالد وبين أصحاب أبي عبيدة واتفق رأيهم أن يكتبوا كتابا الى أبي بكر الصديق في ذلك
وليس عندهم خبر أنه مات يوم دخولهم دمشق (قال عطية بن عامر) كنت واقفا على باب
دمشق في اليوم الذي سارت فيه الروم مع توما وهربيس ومعهم ابنة الملك هرقل قال فنظرت
الى ضرار بن الازور وهو ينظر الى القوم شزرا و يتحسر على ما فاته منهم فقلت له يا ابن الازور
مالي أراك كالمتحسر ما عند الله أكثر من ذلك فقال والله ما أعني مالا وانما أنا متأسف على
ابقائهم وانفلاتهم منا ولقد أساء أبو عبيدة فيما فعل بالمسلمين فقلت يا ابن الازور ما أراد أمين
الامة الا خيرا للمسلمين أن يحقن دماءهم وأرواحهم من تعب القتال فان حرمة رجل واحد
خير مما طلعت عليه الشمس وان الله سبحانه وتعالى اسكن الرحمة في قلوب المؤمنين وان الرب
يقول في بعض الكتب المنزلة اني الرب لا ارحم من لا يرحم وقال تعالى والصلح خير فقال ضرار
لعمري انك لصادق ولكن اشهدوا علي أني لا أرحم من يجعل له زوجة وولدا (قال حدثني
عمرو بن عيسى عن عبد الواحد بن عبد الله البصري عن واثلة بن الاسقع قال كنت مع خالد بن
الوليد في جيش دمشق وكان قد جعلني مع ضرار بن الازور في الخيل التي تجول من باب شرقي الى
باب توما الى باب السلامة الى باب الجابية الى باب الصغير الى باب قيسان اذ سمعنا صرير الباب وذلك
قبل فتوح الشام واذا به قد خرج منه فارس فتركناه حتى قرب منا فأخذناه قبضا بالكف وقلنا
ان تكلمت قتلناك فسكت واذا قد خرج فارس آخر قام على الباب وجعل ينادي بالذي قد
أخذناه فقلنا له كلمه حتى يأتي قال فرطن له بالرومية أن الطير في الشبكة فعلم أنه قد أسر فرجع
وأغلق الباب قال فأردنا قتله فقال بعضنا لا تقتلوه حتى نمضي به الى خالد الامير قال فأتينا به
خالدا فلما نظر اليه قال له من أنت قال له أنا من الروم واني تزوجت بجارية من قومي قبل
نزولكم عليهم وكنت أحبها فلما طال علينا حصاركم سألت أهلها أن يزفوها علي فأبوا
ذلك وقالوا انا بما اشتغلنا عن زفافك وكنت أحب أن ألقاها ولنا في المدينة ملاعب نلعب فيها
فوعدتها أن تخرج الى الملاعب فخرجت وتحدثنا فسألتني أن أخرج بها الى خارج المدينة
ففتحنا الباب وخرجت أنظر أخباركم فأخذني أصحابك فنادتني فقلت ان الطير وقع في
الشبكة أحذرها منكم مخافة عليها ولو كان غيرها لهان علي ذلك فقال خالد ما تقول في
الاسلام فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فكان يقاتل معنا قتالا شديدا فلما

دخلنا

دخلنا المدينة صلحا أقبل يطلب زوجته فقيل له انها لبست ثياب الرهبانية فأقبل اليها وهي
لا تعرفه فقال لها ما حملك على الرهبانية قالت حملني على ذلك أني أغررت بزوجي حتى أخذته
العرب وترهبت حزنا عليه قال أنا زوجك وقد دخلت في دين العرب قال فلما سمعت ذلك
قالت وما تريد قال ان تكوني في الذمة فقالت وحق المسيح لا كان ذلك أبدا ومالي الى ذلك سبيل
وخرجت مع البطريق توما فلما نظر الى امتناعها أقبل الى خالد بن الوليد فشكى له حاله فقال
له خالد ان أبا عبيدة فتح المدينة صلحا ولا سبيل لك اليها واعلم أن خالدا يسير وراء القوم فقال
أسير معها لعلي أقع بها وأقام خالد بدمشق الى اليوم الرابع ثم أقبل اليه يونس الدمشقي زوج
الجارية وقال أيها الامير قد عزمت على المسير في طلب هذين اللعينين توما وهربيس وأخذ
ما معهما قال بلى فقال له وما الذي أقعدك عن ذلك قال بعد القوم وبيننا وبينهم أربعة أيام
مليا اليها وهم يسيرون سير الخوف وما يمكن اللحوق بهم فقال يونس ان كان تخلفك لبعد
المسافة بيننا وبينهم فأنا أعرف الديار وأسلك طريقا فنلحقهم ان شاء الله تعالى ولكن
البسوا زي لخم وجذام وهم العرب المتنصرة وخذوا الزاد وسيروا قال فسار خالد وأخذ
عساكر الزحف وهم أربعة آلاف فارس فأمرهم أن يسيروا ويخففوا حمل الزاد ففعلوا ذلك
وخالد ومن معه قد ساروا ويونس الدليل أمامهم وهو يتبع آثار القوم وقد أوصى خالد أبا
عبيدة على المدينة والمسلمين قال زيد بن طريف وكان يونس دليلنا قال فرأى آثار القوم وأنهم
اذا سقط منهم حمل جمل تركوه وسار خالد ومن معه كلما دخلوا بلدا من بلاد الروم يظنون أنهم
من العرب المتنصرة من لخم وجذام حتى أشرف بهم الدليل على ساحل البحر ونوى يطلب الاثر
واذا بالقوم قد عدوا عن انطاكية ولم يدخلوها خيفة الملك قال فوقع للدليل عند ذلك حيرة
في أمره فعدل الى قرية هناك وسأل بعضا من الناس فأخبروه أن الخبر قد اتصل الى الملك
بأن توما وهربيس قد سلما دمشق للعرب فنقم عليهما ولم يدعهما يأتيان اليه وذلك انه جمع
الجيوش وأرسلها الى اليرموك فخاف أن يتحدثوا بشجاعة العرب أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتضعف قلوبهم فبعث الى توما ومن معه أن يسيروا الى القسطنطينية فلما علم يونس
أن القوم عدلوا وأخذوا في طلب التحيز فكر في ذلك وغاب عن المسلمين فوقف خالد وصلى
بالناس واذا بيونس قد أقبل وقال أيها الامير اني والله قد أغررت بكم وبلغت الغاية في الطلب
قال خالد وكيف الامر قال أيها الامير يبعثني آثارهم في هذا المكان رجاء أن ألحقهم وان الملك
منعهم من الدخول الى انطاكية لئلا يرعبوا عسكره وأمرهم أن يطلبوا القسطنطينية وقد
قطع بينكم وبينهم هذا الجبل العظيم وأنتم في جبل هرقل وهو يجمع عسكره ويسير الى حربكم
واني خائف عليكم ان تركتم هذا الجبل خلف ظهوركم هلكتم وبعد هذا فالامر اليك وكلما
أمرتني به فعلت قال ضرار بن الازور فرأيت خالدا وقد انتقع لونه كالخضاب وكان ذلك منه
جزعا وما عهدت به ذلك فقلت يا أمير على ماذا عولت فقال يا ضرار والله ما فزعت من الموت ولا
من القتل وانما خفت أن يؤتى المسلمون من قبلي واني رأيت قبل فتح دمشق مناما أفزعني وأنا
منتظر تأويله وأرجو أن يجعل الله لنا خيرا وينصرنا على عدونا فقال ضرار خير لما رأيت وخيرا
يكون ان شاء الله تعالى فما الذي رأيت قال رأيت المسلمين في برية قفر ونحن سائرون

فبينما نحن كذلك واذا بقطيع من حمر الوحوش كثيرة عظيمة أجسامها مهزولة أخفافها وهي لا تكدم برماحنا ونحن نضرب بها بأسيافنا وهي لا تكترث فما نزل بها من الاذى ولا ينجع مما ينزل فلم نزل مثل ذلك حتى اجتهدنا واجتهدت خيولنا وكأني أقبلت على أصحابي وفرقتهم عليها من أربعة جوانب البر بوحملت عليهم فغفلت من أيدينا الى مضايق وتلال وأودية خصبة فلم نأخذ منها الا اليسير فبينما نحن نطلع ونشوى من ألماي بلحومها واذا هي قد رجعت تطلب الحرب منا فلما نظرت اليها وقد طرحت المضايق والآجام صحت بالمسلمين اركبوا في طلبها بارك الله فيكم فاستوى المسلمون على خيولهم وركبت معهم وطلبناها حتى وقعت بها وتصيدت منها بعيرا عظيما فقتلته فجعل المسلمون يقتلون ويتصيدون فما بقي منهم الا اليسير فبينما أنا فرح وأنا أريد الرجوع بالمسلمين الى وطنهم اذ عثرت فرسي فطارت عمامتي من على رأسي فهويت لآخذها فانتبهت من منامي وأنا فزع مرعوب فهل فيكم أحد يفسره فاني أقول الرؤيا ما نحن فيه قال فصعب ذلك على القوم وجعل خالد يراود نفسه على الرجوع فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أما تفسير الوحوش فهؤلاء الاعاجم الذين نحن في طلبهم وأما سقوطك عن فرسك فانه أمر تحط عليه من رفعة الى خفضة وأما سقوط العمامة عن رأسك فالعمائم تيجان العرب وهي معرة تلحقك فقال خالد أسأل الله العظيم ان كان هذا تأويل ما رأيته أن يجعله من أمر الدنيا ولا يجعله من أمر الآخرة وبالله أستعين وعليه أتوكل في كل الامور قال ثم سار خالد والدليل أمامهم حتى قطعوا الجبل فلما كانت الليلة التي أردنا أن نصبح فيها القوم أتى مطر كأفواه القرب وكان من توفيق الله عز وجل أنه حبس القوم عن المسير قال روح بن طر يف رضي الله عنه ولقد رأيتنا ونحن نسير والمطر ينزل علينا كأفواه القرب طول ليلتنا فلما أصبح الصباح وطلعت الشمس قال يونس أيها الامير قف حتى أنظر القوم لانهم لا شك بالقرب منا وقد سمعت صياحهم فقال له خالد بن الوليد أحقا سمعت صياحهم يا يونس قال نعم أيها الامير وأريد منك أن تأذن لي بالمسير اليهم وآتيك بخبرهم قال فعند ذلك التفت خالد بن الوليد الى رجل اسمه المفرط بن جعدة وقال له يا مفرط سر مع يونس وكن له مؤنسا واحذر أن يأخذ خبركما القوم فقال المفرط السمع والطاعة لله ولك أيها الامير ثم انطلقا الى أن صعدا على جبل يقال له الارش والروم تسميه جبل باردة قال المفرط فلما علونا عليه وجدنا مرجا واسعا كثير الجنبات كثير النبات وفيه خضرة عظيمة وان القوم قد أصابهم المطر حتى حل رحالهم وقد حميت عليهم الشمس فخافوا اتلافها فأخرجوها وأخرجوا الديباج ونشروها في طول المرج وقد نام أكثرهم من شدة السير والتعب والمطر الذي أصابهم قال المفرط بن جعدة فلما رأيت ذلك فرحت فرحا شديدا ورجعت الى خالد بن الوليد وتركت صاحبي يونس فلما رآني خالد وحدي أسرع الي وظن أن صاحبي كيد فقال لي ما وراءك يا ابن جعدة أخبرني وعجل بالخبر فقلت الخير والغنيمة يا أمير وان القوم خلف هذا الجبل وقد أصابهم المطر وقد وجدوا الراحة بطلوع الشمس وقد نشروا أمتعتهم فقال بشرك الله بالخير ثم ظهر لي من وجهه الخير والفرح والسرور فبينما نحن كذلك واذا بيونس قد أقبل فقال له خالد خبرا فقال أبشر أيها الامير فان القوم

امنوا

أمنوا على أنفسهم ولكن أوص أصحابك أن كل من وقع بزوجتي فليحفظها لما أريد من الغنيمة سواها فقال له خالد هي لك ان شاء الله تعالى ثم ان خالدا قسم أصحابه أربع فرق فأمر ضرار ابن الازور على ألف فارس وعلى الالف الثاني رافع بن عميرة الطائي وعلى الالف الثالث عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وبقي هو في الفرقة الرابعة وقال سيروا على بركة الله تعالى واياكم أن تخرجوا اليهم دفعة واحدة بل يخرج كل أمير منكم بينه وبين صاحبه قدر ساعة ثم افترق القوم وحمل ضرار ابن الازور والروم مطمئنون وحمل من بعده رافع بن عميرة الطائي ثم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ثم خالد بن الوليد سار في آخر القوم حتى وصلوا المرج قال عبيد بن سعيد والله لقد كدنا أن نفنى من حسن منظره فزعق فينا خالد بن الوليد وقال عليكم بأعداء الله ولا تشتغلوا بالغنائم ولا بالنظر الى المرج فانه لكم ان شاء الله تعالى ثم عطف خالد بن الوليد رضي الله عنه على الروم وقد نظرت الروم الى الخيل وقد خرجت عليهم وخالد أمامهم فعلموا أنها خيول المسلمين فبادروا الى السلاح وركبوا الخيل وقال بعضهم لبعض انها خيل قليلة ساقها المسيح اليكم وجعلها غنيمة لكم فبادروا اليها قال فتبادر الروم وهم يظنون أن ليس وراء خالد أحد واذا بضرار بن الازور قد خرج عليهم في ألف فارس وطلع رافع بن عميرة الطائي بعده وطلع عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بعدهم وطلبت كل كتيبة فرقة من الروم وتفرقوا من حولهم وطلبوا ما في أيديهم وقد رفعوا أصواتهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وانصبت خيل المسلمين على الروم كأنها السيل المنحدر ونادى اللعين هربيس برجاله قاتلوا عن نعمكم فما لهؤلاء القوم حيلة ولا يخلصون من هذا المكان أبدا فانفسحت الروم طائفة معه وطائفة مع اللعين توما فكان من طلب خالد توما وقد أحدق به خمسمائة فارس وقد رفع بين عينيه صليبا من الجوهر مقمعا بالذهب الاحمر فعدل خالد وحمل عليه وقال يا عدو الله أظننتم أنكم تقتلون منا والله تعالى يطوي لنا البلاد وكان توما أعور عوّرته أبان قال فحمل عليه وطعنه في عينه الأخرى ففقأها وأرداه عن جواده وحمل أصحابه على رجال توما وقد وقعوا للصليب ولله در عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فانه لما نظر الى توما وقد سقط عن جواده نزل وجلس على صدره واحتز رأسه ورفعها على السنان ونادى قد قتل والله توما اللعين فاطلبوا هربيس (قال الواقدي) ففرح المسلمون بذلك قال رافع بن عميرة الطائي كنت في الميمنة مع خالد بن الوليد اذ نظرت الى فارس بزي الروم وقد نزل عن جواده وهو يقاتل علجة من نساء الروم وهي تظهر عليه مرة فدنوت أنظرها فاذا هو يونس الدليل وهو يقاتل زوجته ويصارعها صراع الاسد قال رافع فدنوت أن أتقدم اليهما فأعينه فقصد الى عشرة من النساء يرمون قوسي بالحجارة فخرج حجر كبير من امرأة حسناء عليها ثياب الديباج قال فوقع الحجر في جبهة جوادي قال فانكب على رأسه وكان جوادا لشهدت عليه اليمامة فسقط الجواد ميتا قال فأسرعت في طلبها فهربت من بين يدي كأنها ظبية القناص وهربت النساء من ورائها فلحقتهن وقصدت قتلهن وزعقت عليهن وكنت أريد قتلهن ومالي قصد الا الجارية التي قتلت حصاني فدنوت منها وعلوت بالسيف على رأسها فجعلت تقول الغوث الغوث فرجعت عن قتلها وأقبلت اليها واذا عليها ثياب الديباج

وعلى رأسها شبكة من اللؤلؤ فأخذتها أسيرة من النساء وأوثقتها كتافا ورجعت على أثرى
فركبت جوادا من خيل الروم ثم قلت والله لأمضين وأنظر ما كان من أمر يونس
فوجدته وهو جالس وزوجته بجانبه وقد تلطخت بدمائها وهو يبكى عليها فلما رأيتها قلت
لها اسلمى فقالت لا وحق المسيح لا اجتمعت أنا وأنتم أبدا ثم أخرجت سكينا كانت معها
فقتلت بها نفسها فقلت ان الله عز وجل أبدلك ماهى أعظم منها وعليها ثياب الديباج
وشبكة من اللؤلؤ وهى كأنها القمر نخذها لتبدلا عن زوجتك فقال أين هى فقلت ماهى
معى قال فلما نظر اليها والى ماعليها من الحلى والزينة وتبين حسنها وجمالها طمنها بالرومية
وسألها عن أمرها فرطنت عليه وهى تبكى فالتفت الى وقال لى أتدرى من هذه قلت لا فقال
هذه ابنة الملك هرقل زوجة توما ومامثلى يصلح لها ولابد لهرقل من طلبها ويفديها بماله قال
وافتقد المسلمون خالدا فلم يجدوا له أثرا فقلقوا عليه قلقا عظيما وخالد رضى الله عنه غائص
فى المعركة وقصد اللعين هربيس بعد قتل توما فبينما هو يحمل يمينا وشمالا اذ نظر علجا من
علوج الروم عظيم الخلقة أحمر اللون فظن خالد أنه اللعين فأطلق جواده نحوه وطلبه طلبا
شديدا ليقتله فلما نظر اليه العلج والى حملته فر هاربا من بين يديه فوكزه خالد بالرمح واذا هو واقع
على الارض على أم رأسه وانقض عليه خالد كالأسد وهو يقول ويلك ياهربيس أظننت
انك تفوتنى وذلك العلج يعرف بالعربية فقال ياعربى ما أنا هربيس فأبق على ولا تقتلنى فقال
خالد مالك من يدى خلاص الا اذا كنت تدلنى على هربيس فاذا دللتنى عليه أطلقتك فقال
له العلج أبذا دللتك عليه تطلقنى فقال خالد نعم لك ذلك فقال العلج ياأخا العرب قم من على
صدرى حتى أدلك عليه فقام خالد من على صدره فوثب العلج يمينا وشمالا ثم قال لخالد أترى هذا
الجبل وهذه الخيل الصاعدة اقصدها فان هربيس فيها قال فوكل خالد بالعلج واحدا وهو ابن
جابر ثم أطلق خالد عنانه حتى لحق بهم وصرخ عليهم وقال ياويلكم أنى لكم منى خلاص فلما
سمع هربيس ذلك ظنه من بعض العرب ففزع فيه ورجع ورجعت البطارقة بالسلاح فقال
لهم خالد ياويلكم ظننتم أن الله لا يمكننا منكم أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد ثم طعن
فارسا فرماه وآخر فأرداه فلما سمع هربيس كلام خالد قال لاصحابه ياويلكم هذا الذى قلب الشام
على أصحابه هذا صاحب بصرى وحوران ودمشق وأجنادين دونكم واياه قال فطمع القوم فيه
لانفراده عن أصحابه وكان المسلمون فى قتال الروم ونهب الأموال وكل منهم مشتغل بنفسه قال
فترجلت البطارقة حول خالد لانهم فى جبل كثير الوعر وأحاطوا بخالد بن الوليد فعندها ترجل
عن جواده وأخذ سيفه وجحفته وصبر لقتالهم ﴿قال حدثنى﴾ شداد بن أوس وكان ممن حضر
وقعة مرج الديباج وقال خالد قد صحت الرؤيا فلما ترجل أقبل يقاتل بنفسه وأقبل اليه هربيس
وهو مشتغل بالقتال وأتاه من ورائه وضرب خالدا بالسيف فوقع السيف على البيضة فقدها
وقد عمامته وانقض السيف من يد هربيس وخاف خالد أن يلتفت الى ورائه فتهجم عليه الروم
وخاف أن يفلت هربيس من بين يديه فعند ذلك صاح بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير
النذير كأنه مستبشر بشئ أغاثه او أدركه وذلك خديعة منه وحيلة يريد بها أن يتمكن من
الاعلاج فبينما هو كذلك اذ سمع من المسلمين زعقات وقد أخذت الروم من ورائهم وهم يصيحون

بالتهليل والتكبير وقائل يقول لا اله الا الله محمد رسول الله أتاك النصر من رب العالمين أنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فلما سمع خالد صوته لم يلتفت الى عبد الرحمن ولا الى من معه دون أن فرق الاعلاج ذات اليمين وذات الشمال ولما أن سمع اللعين هربيس أصوات المسلمين أراد الهرب فلحقه سيدنا خالد وضربه ضربة فأرداه قتيلا وعجل الله بروحه الى النار واستطال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحاب هربيس ونزلوا فيهم بالسيف حتى أبادوهم عن آخرهم وكان أكثرهم قتلا من بدضرار بن الازور فلما انكشف الكرب عن خالد ونظر الى مافعل ضرار قال أفلح والله وجهك يا ابن الازور فلا زلت مباركا في كل أفعالك أنجح الله أعمالك وأصلح ربي حالك ثم سلم على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعلى المسلمين وقال من أين علمتم مكاني هذا فقال عبد الرحمن يا أمير بينما نحن في قتال الروم وقد نصرنا الله عليهم والمسلمون قد اشتغلوا بالغنائم اذ سمعنا هاتفا من الهواء يقول اشتغلتم بالغنائم وخالد قد أحاطت به الروم فلما سمعنا ذلك لم ندر أي مكان أنت فيه وقد نا شخص فدلنا عليك علج كان بيد رجل من أصحابك وقال ان صاحبكم أنا الذي دللته على هربيس وانه معه في هذا الجبل فسرنا اليك فقال خالد لقد دلنا على عدونا ودل علينا المسلمين وقد وجب له الحق علينا ورجع خالد وأصحابه الى المسلمين فلما رأوه بادروا وسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم ان خالدا رضي الله عنه دعا بذلك العلج الذي دله على هربيس وقال له انك وفيت لنا ونريد أن نوفي لك بما وعدناك لانك نصحت لنا فهل لك أن تكون من أصحاب دين الصلاة والصيام وملة محمد عليه السلام فتكون من أهل الجنة فقال ما أريد بديني بدلا فأطلق خالد سبيله قال نوفل بن عمرو فرأيته قد استوى على ظهر جواده يطلب بلاد الروم وحده ثم ان خالدا رضي الله عنه أمر بجمع الغنائم والاسارى فجمع ذلك اليه فلما رأى كثرته حمد الله تعالى وشكره وأثنى عليه ودعا بدليله يونس النجيب ثم قال له مافعلت بزوجتك فحدثه بحديثه معها وما كان من أمرها فعجب من ذلك فقال رافع بن عميرة أيها الأمير اني أسرت ابنة الملك هرقل وقد سلمتها اليه بدلا من زوجته فقال خالد وأين ابنة الملك هرقل فمثلت بين يديه فنظر الى حسنها وجمالها وما منحها الله به من الجمال فصرف وجهه عنها وقال سبحانك اللهم وبحمدك تخلق ما تشاء وتختار ثم قرأ قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ثم قال ليونس أتريدها بدلا من زوجتك قال نعم ولكني أعلم أن الملك هرقل لا بد له أن يفديها بالأموال أو يخلصها بالقتال فقال خالد خذها لك الآن فان لم يطلبها فهي لك وان طلبها فالله يعوضك خيرا منها فقال يونس أيها الامير انك في مكان ضيق وموضع صعب فاعزم على الخروج قبل أن يلحقك نفر القوم فقال خالد الله لنا ومعنا وعطف راجعا يجد في مسيره والغنائم أمامه والمسلمون في أثرها فرحين بالغنيمة والسلامة والنصر (قال روح بن عطية) فقطعنا الطريق كلها وما عرض لنا من الروم أحد ونحن نخوض في وسط ديار القوم خوضا فلما وصلنا مرج الصغير عند قنطرة أم حكيم نظرنا الى غبرة من ورائنا فلما عاينا هاأنكرنا ذلك فأسرع رجال من المسلمين الى خالد يخبرونه بالغبرة قال أيكم يأتيني بخبرها فبادر بالاجابة رجل من غفار يقال له صعصعة بن يزيد الغفاري قال انا أيها الامير ثم نزل عن جواده وكان بجرية يسبق

الفرس الجواد لقوة عزمه فورد الغبرة واختبرها ورجع على عقبه وهو ينادي يا أيها الامير أدركتنا الصلبان من ورائنا وهم مصفدون فى الحديد لم يبن منهم غير حما لبق الحدق فدعا خالد يونس الدليل عند ما قاربته الخيل وقال يا يونس اقصد نحو الخيل وانظر ما يريدون فقال السمع والطاعة ثم دنا من الخيل وقاربهم ثم رجع الى خالد وقال له الم أقل لك أيها الأمير ان هرقل لا يغفل عن طلب ابنته وقد أنفذ هذه الخيل يريدون أن يأخذوا الغنيمة من أيدى المسلمين فلما الحقوك ههنا قريبا من دمشق بعثوا رسولا يسألك فى الجارية اما بيعا واما هدية فبينما خالد يتحدث اذ أقبل اليه شيخ عليه لبس المسوح فأقبل حتى دنا من المسلمين فأوقفوه أمام خالد وقال له قل ما تشاء فقال الشيخ أنا رسول الملك هرقل وانه يقول لك بلغنى ما فعلت برجالى وقتلت توما زوج ابنتى وهتكت حرمتى وقد ظفرت وسلمت فلا تفرط بمن معك والآن اما أن تبيع ابنتى أو تهديها الى فالكرم شيمتكم وطبعكم ولا يرحم من لا يرحم وانى أرجو أن يقع بيننا الصلح فلما سمع خالد ذلك قال للشيخ قل لصاحبك والله لا رجعت عنه وعن أهل ملته وأملاك سريره وما تحت قدميه كما فى علمك وأما ابقاؤك علينا فلو وجدت الى ذلك من سبيل ما قصرت وأما ابنتك فهى لك هدية منا ثم ان خالدا أطلق ابنة الملك هرقل وسلمها للشيخ ولم يأخذ فى فدائها شيأ فلما بلغ ذلك الرسول الى الملك هرقل قال لعظماء الروم هذا الذى أشرت عليكم فلم تقبلوه وأردتم قتلى وسيكون الامر أعظم ولكن ليس هذا منكم بل هو من رب السماء (قال الواقدى) فبكت الروم بكاء شديدا وسار خالد حتى أتى دمشق وكان المسلمون وأبو عبيدة قد أيسوا من خالد ومن معه فهم فى أعظم القلق والاياس اذ قدم عليهم خالد رضى الله عنه والمسلمون فخرجوا الى لقائه وهنؤه بالسلامة وسلم المسلمون بعضهم على بعض ووجد خالد فى دمشق عمرو بن معديكرب الزبيدى ومالك بن الاشتر النخعى ومن كان معهما وأقبل خالد الى جانب أبى عبيدة وهو يحدثه بما لاقى فى غزوته وأبو عبيدة يتعجب من شجاعته وجسارته فلما استقر بخالد مكانه أخرج الخمس من الغنائم وفرق الباقى على المسلمين ثم ان خالدا أعطى من ماله ليونس وقال خذ هذا المال فتزوج به أواشتر به جارية لك من بنات الروم قال يونس والله لا أتزوج فى هذه الدار الدنيا زوجة أبدا وما أريد الا أن أتزوج فى الآخرة بعيناء من الحور العين قال رافع بن عميرة الطائى فشهد معنا القتال الى يوم اليرموك فما كنت أراه فى حرب الا ويجاهد جهادا عظيما وقد أبلى فى الروم بلاء حسنا فأتاه سهم فى لبته فخر ميتا رحمه الله تعالى قال رافع فحزنت عليه وأكثرت من الترحم عليه فرأيته فى النوم وعليه حلل تلمع وفى رجليه نعلان من ذهب وهو يجول فى روضة خضراء فقلت له ما فعل الله بك قال غفرلى وأعطانى بدلا من زوجتى سبعين حوراء لو بدت واحدة منهن فى الدنيا لكسف نور الشمس والقمر من نور وجهها فجزاكم الله خيرا فقصصت الرؤيا على خالد فقال ليس والله سوى الشهادة طوبى لمن رزقها (قال الواقدى) ولقد بلغنى ان خالدا رضى الله عنه لما رجع من غزوته ومسيرته غانما ظن أن الخليفة أبا بكر الصديق رضى الله عنه حى لم يقبض فهم أن يكتب له كتابا بالفتح والبشارة وما غنم من الروم وأبو عبيدة لا يخبره بذلك ولا يعلمه أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فدعا خالد بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من عامله على الشام خالد بن الوليد أما بعد سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انا لم نزل فى مكابدة العدو وعلى حرب دمشق حتى أنزل الله علينا نصره وقهر عدوه وفتحت دمشق عنوة بالسيف من باب شرقى وكان أبو عبيدة على باب الجابية فخدعته الروم فصالحوه على الباب الآخر ومنعنى ان أسبى وأقتل ولقيناه على كنيسة يقال لها كنيسة مريم وأمامه القسوس والرهبان ومعهم كتاب الصلح وأن صهر الملك توما وآخر يقال له هربيس خرجا من المدينة بمال عظيم وأحمال جسيمة فسرت خلفهما فى عساكر الزحف وانتزعت الغنيمة من أيديهما وقتلت الملعونين وأسرت ابنة الملك هرقل ثم أهديتها اليه ورجعت سالما وأنا منتظر أمرك والسلام عليك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وطوى الكتاب وختمه بخاتمه ودعا برجل من العرب يقال له عبد الله بن قرط فدفع اليه الكتاب وسار الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوردها والخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقرأ عنوان الكتاب واذا هو من خالد الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر أما عرف المسلمون وفاة أبى بكر رضى الله عنه فقال لا يا أمير المؤمنين فقال قد وجهت بذلك كتابا الى أبى عبيدة وأمرته على المسلمين وعزلت خالدا وما أظن أن أبا عبيدة يريد الخلافة لنفسه فسكت وقرأ الكتاب * قال أصحاب السير فى حديثهم ممن تقدم ذكرهم واسنادهم فى أول الكتاب ممن روى فتوح الشام ونقلوها عن الثقات منهم محمد بن اسحق وسيف بن عمرو وابو عبد الله محمد بن عمر الواقدى رضى الله تعالى عنهم كل حدث بما رواه وسمعه ثقة عن ثقة قالوا جميعا فى أخبارهم انه لما قبض أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وولى الامر بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله من العمر اثنتان وخمسون سنة فبايعه الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة تامة ولم يتخلف عن مبايعته أحد لا صغير ولا كبير وانقطع فى امارته الشقاق والنفاق وانحسم الباطل وقام الحق وقوى السلطان فى امارته وضعف كيد الشيطان وظهر أمر الله وهم كارهون ومن أمره أن يجلس مع الفقير و يتلطف بالناس والمسلمين ويرحم الصغير ويوقر الكبير ويعطف على اليتيم وينصف المظلوم من الظالم حتى يرد الحق الى أهله ولا تأخذه فى الله لومة لائم وكان فى امارته يدور فى أسواق المدينة وعليه مرقعة ومعه درته وكانت درته أهيب من سيف الملوك وسيوفكم هذه وكان قوته فى كل يوم خبز الشعير وأدمه الملح الجريش وربما أكل خبزه بغير ملح تزهدا واحتياطا ورفقا على المسلمين ورأفة ورحمة لا يريد بذلك الا الثواب من الله سبحانه وتعالى ولا يشغله شاغل عن أداء الفريضة وما أوجب الله عليه من حقوقه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى الله عنها ولقد تولى والله عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الخلافة فجد فى التشمر وترك عن نفسه التكبر ولقد كان أحرقه خبز الشعير والملح وأراد أكل الزيت واليابس من التمر وربما أخذ شيأ من السمن ويقول أكلت الزيت وخبز الشعير والملح والجوع أهون غدا من نار جهنم من حل بها لم يمت ولم يجد فيها راحة أبدا قرارها بعيد وغدا بها شديد وشرابها الصديد لا يؤذن لهم فيعتذرون جند الجنود فى امارته وبعث العساكر وفتح الفتوحات ومصر الامصار وكان يخاف عذاب النار رضى الله تعالى عنه (قال

الواقدي) رحمه الله تعالى ولقد بلغني أن هرقل لما بلغه أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قد ولي الامر من بعد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جمع الملوك والبطارقة وأرباب دولته وقام فيهم خطيبا على منبر قد نصب له في كنيسة القسيسين وقال يا بني الاصفر هذا الذي كنت أحذركم منه فلم تسمعوا مني وقد اشتد الامر عليكم بولاية هذا الرجل الاسمر وقد دنا ما بعد لولاية صاحب الفتوح المشبه بنوح والله ثم والله لا بد أن يملك ما تحت سريري هذا فالحذر ثم الحذر قبل وقوع الامر ونزول الضرر وهدم القصور وقتل القسوس وتبطيل الناقوس هذا صاحب الحرب والجالب على الروم والفرس الكرب هذا الزاهد في دنياه وهذا الغليظ على من اتبع في غير ملته هواه واني أرجو لكم النصر ان أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وتركتم الظلم واتبعتم المسيح في أداء المفرضات ولزوم الطاعات وترك الزنا وأنواع الخطا وان أبيتم الا الفساد والفسوق والعصيان والركون الى شهوات الدنيا يسلط الله عليكم عدوكم و يبلوكم بما لا طاقة لكم به ولقد أعلم أن دين هؤلاء سيظهر على كل دين لا تزال أهله بخير ما لم يغيروا ويبدلوا فاما أن ترجعوا اليه وأما أن تصالحوا القوم على أداء الجزية فلما سمع القوم ذلك نفروا و بادروا اليه وهموا بقتله فسكن غضبهم بلين كلامه ولاطفهم وقال لهم انما أردت أن أرى حميتكم لدينكم وهل تمكن خوف العرب في قلوبكم أم لا ثم استدعى برجل من المتنصرة يقال له طليعة بن ماران وضمن له مالا وقال له انطلق من وقتك هذا الى يثرب وانظر كيف تقتل عمر بن الخطاب فقال له طليعة نعم أيها الملك ثم تجهز وسار حتى ورد مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكمن حولها واذا بعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرج يشرف على أموال اليتامى ويفتقد حدائقهم فصعد المتنصر الى شجرة ملتفة الاغصان واستتر بأوراقها واذا بعمر رضي الله تعالى عنه قد أقبل الى أن قرب من الشجرة التي عليها المتنصر ونام على ظهره وتوسد بحجر فلما نام هم المتنصر أن ينزل اليه ليقتله واذا بسبع قد أقبل من البرية فطاف حوله وأقبل يلحس قدميه واذا بهاتف يقول يا عمر عدلت فأمنت فلما استيقظ عمر رضي الله تعالى عنه ذهب السبع ونزل المتنصر وترامى على عمر رضي الله تعالى عنه فقبل يديه وقال بأبي أنت وأمي أفدي من الكائنات من السباع تحرسه والملائكة تصفه والجن تعرفه ثم أعلمه بما كان منه وأسلم على يديه (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ثم ان عمر رضي الله تعالى عنه كتب كتابا لابي عبيدة بن الجراح يقول فيه قد وليتك على الشام وجعلتك أميرا على المسلمين وعزلت خالد بن الوليد والسلام ثم سلم الكتاب الى عبد الله بن قرط وأقام قلقا على ما يرد عليه من أمور المسلمين وصرف همته الى الشام (قال الواقدي) حدثني رافع بن عميرة الطائي قال حدثني يونس بن عبد الاعلى وقد قرأت عليه بجامع الكوفة قال حدثني عبد الله بن سالم الثقفي عن أشياخه الثقات قال لما كانت الليلة التي مات فيها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه رأى عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله تعالى عنه رؤيا قصها على عمر رضي الله تعالى عنه وكانت تلك الليلة بعينها قال رأيت دمشق والمسلمون حولها وكأني أسمع تكبيرهم في أذني وعند تكبيرهم وزحفهم رأيت حصنا قد ساخ في الارض حتى لم أر منه شيأ ورأيت خالدا وقد دخلها بالسيف وكأن نارا

امامه وكانه وقع على النار فاطمأنت فقال الامام على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنهم أجمعين أبشر فقد فتح الشام هذه الليلة أوقال يومك هذا ان شاء الله تعالى فبعد أيام قدم عقبة ابن عامر الجهنى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتاب الفتح فلما رآه قال يا ابن عامر كم عهدك قال قلت يوم الجمعة قال ما عندك من الخبر فقلت خير وبشارة وانى سأذكرها بين يدى الصديق رضى الله تعالى عنه فقال قبض والله حميدا وسار الى رب كريم وقلدها عمر الضعيف فى جسمه فان عدل فيها نجا وان ترك أو خلط هلك قال عقبة بن عامر فبكيت وترحمت على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأخرجت الكتاب فدفعته اليه فلما قرأه نظر فيه وكتم الامر الى وقت صلاة الجمعة فلما خطب وصلى رقى المنبر واجتمع المسلمون اليه وقرأ عليهم كتاب الفتح فضج المسلمون بالتهليل والتكبير وفرحوا ثم نزل عن المنبر وكتب الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه بتوليته وعزل خالد ثم سلمنى الكتاب وأمرنى بالرجوع قال فرجعت الى دمشق فوجدت خالدا قد سار خلف توما وهربيس فدفعت الكتاب الى أبى عبيدة فقرأه سرا ولم يخبر أحدا بموت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ثم كتم أمره وكتم عزل خالد وتوليته على المسلمين حتى ورد خالد من السرية فكتب الكتاب بفتح دمشق ونصرهم على عدوهم وبما ملكوا من مرج الديباج والطلاق بنت الملك هرقل وسلم الكتاب الى عبد الله بن قرط فلما ورد به على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقرأ عنوان الكتاب من خالد بن الوليد الى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنكر الامر ورجعت حمرته الى البياض وقال يا ابن قرط أما علم الناس بموت أبى بكر رضى الله عنه وتوليتى أبا عبيدة بن الجراح قال عبد الله بن قرط قلت لا فغضب وجمع الناس اليه وقام على المنبر ثم قال يا معاشر الناس انى أمرت أبا عبيدة الرجل الامين وقد رأيته لذلك أهلا وقد عزلت خالدا عن امارته فقال رجل من بنى مخزوم أتعزل رجلا قد أشهر الله سده سيفا قاطعا ونصر به دينه وان الله لا يعذرك فى ذلك ولا المسلمون ان أنت أغمدت سيفا وعزلت أميرا أمره الله لقد قطعت الرحم ثم سكت الرجل فنظر عمر رضى الله تعالى عنه الى الرجل المخزومى فرآه غلاما حدث السن فقال شاب حدث السن غضب لابن عمه ثم نزل عن المنبر وأخذ الكتاب وجعله تحت رأسه وجعل يؤامر نفسه فى عزل خالد فلما كان من الغد صلى صلاة الفجر وقام فرقى المنبر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فصلى عليه وترحم على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ثم قال أيها الناس انى حملت أمانة عظيمة وانى راع وكل راع مسؤل عن رعيته وقد جئت لاصلاحكم والنظر فى معايشكم وما يقربكم الى ربكم أنتم ومن حضر فى هذا البلد فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صبر على أذاها وشرها كنت له شفيعا يوم القيامة وبلادكم بلاد لا زرع فيها ولا ضرع ولا ماء أو قربه الابل الامن مسيرة شهر وقد وعدنا الله مغانم كثيرة وانى أريدها للخاصة والعامة لأؤدى الامانة والتوقير للمسلمين ولست أنى كرهت ولاية خالد على المسلمين لان خالدا فيه تبذير المال يعطى الشاعر اذا مدحه ويعطى للمجهد والفارس بين يديه فوق ما يستحقه من حقه ولا يبقى لفقراء المسلمين ولا لضعفائهم شيأ وانى أريد عزله وولاية أبى عبيدة مكانه والله يعلم أنى ما وليته

الا أمينا فلا يقول قائلكم عزل الرجل الشديد وولى الامين اللين للمسلمين فان الله معه
ليسدده ويعينه ثم نزل عن المنبر وأخذ جلد أدم منشور وكتب الى أبى عبيدة كتابا فيه بسم
الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى أبى عبيدة عامر بن الجراح
سلام عليك وانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبعد فقد
وليتك أمور المسلمين فلا تستحى فان الله لا يستحيى من الحق وانى أوصيك بتقوى الله الذى
يبقى ويفنى ما سواه والذى استخرجك من الكفر الى الايمان ومن الضلال الى الهدى وقد
استعملتك على جند ما كان مع خالد فاقبض جنده واعزله عن امارته ولا تنفذ المسلمين الى
هلكة رجاء غنيمة ولا تنفذ سرية الى جمع كثير ولا تقل انى أرجو لكم النصر فان النصر انما
يكون مع اليقين والثقة بالله واياك والتغرير بالقاء المسلمين الى الهلكة وغض عن الدنيا
عينك وأله عنها قلبك واياك أن تهلك كما هلك من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم وخبرت
سرائرهم وانما بينك وبين الآخرة ستر الحجاب وقد تقدم فيها سلفك وأنت كالمنتظر سفرا
ورحيلا من دار قد مضت نضرتها وذهبت زهرتها فأحزم الناس فيها الراحل منها الى غيرها
ويكون زاده التقوى وراع المسلمين ما استطعت وأما الحنطة والشعير الذى وجدت بدمشق
وكثرت فى ذلك مشاجرتكم فهو للمسلمين وأما الذهب والفضة ففيها الخمس والسهام وأما
اختصامك أنت وخالد فى الصلح أو القتال فانت الولى وصاحب الامر وان صلحك جرى على
الحقيقة انها للروم فسلم اليهم ذلك والسلام ورحمة الله وبركاته عليك وعلى جميع المسلمين
وأما هديته ابنة الملك هرقل فهديتها الى أبيها بعد أسرها تفريط وقد كان يأخذ فى فديتها مالا
كثيرا يرجع به على الضعفاء من المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وطوى
الكتاب وختمه بخاتمه ثم دعا بعامر بن أبى وقاص أخى سعد ودفع الكتاب اليه وقال له
انطلق الى دمشق وسلم كتابى هذا الى أبى عبيدة وأمره أن يجمع الناس اليه واقرأه أنت
على الناس يا عامر وأخبره بموت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ثم دعا عمر رضى
الله تعالى عنه بشداد بن أوس فصافحه وقال له امض أنت وعامر الى الشام فاذا قرأ أبو عبيدة
الكتاب فأمر الناس بما يعونك لتكون بيعتك بيعتى (قال الواقدى) فانطلقا يجدان
فى السير الى أن وصلا الى دمشق والناس مقيمون بها ينتظرون ما يأتيهم من خبر أبى بكر
الصديق رضى الله تعالى عنه وما يأمرهم به فاشرف صاحبا عمر رضى الله تعالى عنه على
المسلمين وقد طالت أعناقهم اليهما وفرحوا بقدومهما فأقبلا حتى نزلا فى خيمة خالد رضى الله
عنه وقال له عامر بن أبى وقاص تركته يعنى عمر بخير ومعى كتاب وانه أمرنى أن أقرأه على
الناس بالاجتماع فاستنكر خالد ذلك واستراب الامر وجمع المسلمين اليه فقام عامر بن أبى
وقاص فقرأ الكتاب فلما انتهى الى وفاة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ارتفع للناس
ضجة عظيمة بالبكاء والنحيب وبكى خالد رضى الله تعالى عنه وقال ان كان أبو بكر قد قبض
وقد استخلف عمر فالسمع والطاعة لعمر وما به أمر وقرأ عامر الكتاب الى آخره فلما سمع الناس
بما فيه من أمر المبايعة لشداد بن أوس بايعوه وكانت المبايعة بدمشق لثلاث خلت من شهر
شعبان سنة ثلاث عشرة من الهجرة (قال الواقدى) رحمه الله تعالى قد بلغنى أنه كان على

العدو بعد عزله أشد قطاعة وأصعب جهادا لاسيما في حصن أبي القدس

﴿ذكر حديث وقعة أبي القدس﴾

(قال الواقدي) رحمه الله تعالى سألت من حدثني بهذا الحديث عن حصن أبي القدس قال مابين عرقا وطرابلس مرج يقال له مرج السلسلة وكان بازائه دير فيه صوامع وفي الصومعة راهب عالم بدين النصرانية وقد قرأ الكتب السالفة وأخبار الامم الماضية المتقدمة وكانت تقصده الروم وتقتبس من علمه وله من العمر ما نوف عن مائة سنة وكان في كل سنة يقوم عند ديره عيد آخر صيام الروم وهو عيد الشعانين فتجتمع الروم والنصارى وغيرهم من جميع النواحي والسواحل ومن قبط مصر ويحدقون به فيطلع عليهم من ذروته فيعلمهم ويوصيهم بوصايا الانجيل وكان يقوم في ذلك العيد سوق عظيم من السنة الى السنة وكان يحمل له الامتعة والذهب والفضة ويبيعون ويشترون ثلاثة أيام وما كان المسلمون يعلمون بذلك ولا يعرفونه حتى دلهم عليه رجل نصراني من المعاهدين قد اصطفاه وأمنه وأهله فلما ولي أبو عبيدة أمر المسلمين أراد ذلك المعاهد أن يتقرب الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فعسى أن يكون فتح الدير والسوق على يديه فأقبل اليه وأبو عبيدة قد أطال الفكر فيما يصنع وأي بلد من بلاد الروم يقصد فمرة يقول أسير الى بيت المقدس بالجيش فانها أشرف بلد لهم وكرسي مملكة الروم بها قيام دينهم ووقتا يقول أسير الى انطاكية وأقصد هرقل وأفرغ منه وبينما يفكر في أمره وقد جمع المسلمين اذا أقبل ذلك المعاهد وكان من نصارى الشام فقال أيها الامير انك قد أحسنت الي وأمنتني ووهبتني أهلي ومالي وولدي وقد أتيتك ببشارة وغنيمة تغنمها المسلمون ساقها الله اليهم فان ظفرهم الله بها استغنوا غنى لا فقر بعده فقال أبو عبيدة أخبرنا ما هذه الغنيمة وأين تكون فاعلمتك الا ناصحا فقال أيها الامير ان بازائك على دير الساحل وهو حصن يعرف بأبي القدس وبازائه دير فيه راهب تعظمه النصرانية و يتبركون بدعائه ويقتبسون من علمه وله في كل سنة عيد يجتمعون اليه من كل النواحي والقرى والامصار والضياع والاديرة و يقوم عنده سوق عظيم يظهرون فيه فاخر ثيابهم من الديباج والذهب والفضة يقيمون عنده ثلاثة أيام أو سبعة وقد قرب وقت قيام السوق فتأخذون جميع ما فيه و تقتلون الرجال وتسبون النساء والذراري وهذه غنيمة يفرح بها المسلمون ويوهن لها عدوكم (قال الواقدي) فلما سمع أبو عبيدة ما قاله المعاهد فرح رجاء أن يكون ما قاله المعاهد غنيمة للمسلمين فقال للمعاهد كم بيننا وبين هذا الدير قال عشرة فراسخ للجد السائر قال أبو عبيدة وكم بقي الى قيام السوق قال أيام قلائل قال أبو عبيدة فهل يكون لهم حامية على أمرهم و يصدعنهم قال المعاهد لسنا نعرف ماذكرت في بلاد الملك لانه لا يصيب بعضنا بعضا لهيبة هرقل في قلوبهم فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال هل بالقرب منه شيء من مدائن الشام قال نعم بالقرب من السوق مدينة تسمى طرابلس وهي مينا الشام اليها تقدم المراكب من كل مكان وفيها بطريق عظيم كثير التجبر وقد أقطعه الملك اياها من تجبره وهو يحضر السوق وما كنت أعهد أن لهذا السوق حامية من الروم الا أن يكون الآن لخوفهم منكم ولو سار الى الدير والسوق أدنى المسلمين لرجوت لهم الفتح ان شاء الله تعالى فقال أبو عبيدة

أيها الناس أيكم يهب نفسه لله تعالى وينطلق مع جيش أبعثه فتحا للمسلمين فسكت الناس ولم يتكلم أحد فنادى أبو عبيدة ثانية وثالثة وانما يريد خالدا بقوله واستحى أن يواجهه فى ذلك لاجل عزله فقام من وسط الناس غلام شاب نبت شعر عارضيه واخضر شاربه وكان ذلك الشاب عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنه وكانت أمه أسماء بنت عميس الخثعمية وكان أبوه جعفر رضى الله تعالى عنه قد مات فى غزوة تبوك وخلف ولده عبد الله صغيرا فتزوجها أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فلما كبر وترعرع كان يقول لامه يا أماه ما فعل أبى فتقول يا ولدى قتله الروم وكان يقول ان عشت لآخذن بثاره فلما مات أبو بكر وتولى عمر رضى الله تعالى عنهما جاء عبد الله الى الشام فى بعث بعثه عمر مع عبد الله بن أنيس الجهنى وكان فيه مشابهة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خلقه وخلقه وهو أحد أصحاب الاستحياء فلما قال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه أيها الناس من ينطلق الى هذا الدير وثب عبد الله بن جعفر الطيار رضى الله تعالى عنهما فقال أنا أول من يسير مع هذا البعث يا أمين الامة ففرح أبو عبيدة وجعل يندب له رجالا من المسلمين وفرسان الموحدين وقال له أنت الامير عليهم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقد له راية سوداء وسلمها اليه وكان على الخيل خمسمائة فارس منهم رجال من أهل بدر وكان من جملة من سيره مع عبد الله أبو ذر الغفارى وعبد الله بن أبى أوفى وعامر بن ربيعة وعبد الله بن أنيس وعبد الله بن ثعلبة وعقبة بن عبد الله السلمى وواثلة بن الاسقع وسهل بن سعد وعبد الله بن بشر والسائب بن يزيد ومثل هؤلاء السادات رضى الله تعالى عنهم أجمعين (قال الواقدى) ولما أن اجتمعت الخمسمائة فارس تحت راية عبد الله بن جعفر وما منهم الا من شهد الوقائع وخاض المعامع لا يولون الادبار ولا يركنون الى الفرار عولوا على المسير وقال أبو عبيدة لعبد الله بن جعفر يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقدم على القوم الا فى أول قيام السوق ثم انه ودعهم وساروا (قال الواقدى) وكان فى هذه السرية مع عبد الله بن جعفر واثلة بن الاسقع وكان خروجهم من أرض الشام وهى دمشق الى دير أبى القدس فى ليلة النصف من شعبان وكان القمر زائد النور قال وأنا الى جانب عبد الله بن جعفر فقال لى يا ابن الاسقع ما أحسن قمر هذه الليلة وأنوره فقلت يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه ليلة النصف من شعبان وهى ليلة مباركة عظيمة وفى هذه تكتب الارزاق والآجال وتغفر فيها الذنوب والسيئات وكنت أردت أن أقومها فقلت ان سيرنا فى سبيل الله خير من قيامها والله جزيل العطاء فقال صدقت ثم اننا سرنا ليلتنا فبينما نحن سائرون اذا أشرفنا على صومعة راهب وعليه برنس أسود فجعل يتأملنا وينظر فى وجوهنا ويتفقدنا واحدا بعد واحد ثم جعل يطيل النظر فى وجه عبد الله ثم قال أهذا الفتى ابن نبيكم فقلنا لا قال ان نور النبوة يلوح بين عينيه فهل يلحق به فقلنا هو ابن عمه فقال الراهب هو من الورقة والورقة من الشجرة فقال عبد الله أيها الراهب وهل تعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وكيف لا أعرفه واسمه وصفته فى التوراة والانجيل والزبور وانه صاحب الجمل الاحمر والسيف المشهور فقال عبد الله فلم لا تؤمن به وتصدقه فرفع يده الى السماء وقال حتى يشاء صاحب هذه الخضراء فأعجبنا كلامه وسرنا والدليل بين أيدينا اذ أتى بنا

بنا الى وادكثير الشجر والماء أمرنا أن نكمن فيه ثم قال لعبد الله بن جعفر انى ذاهب أجس لكم الخبر فقال له عبد الله أسرع فى مسيرك وعد الينا بالخبر قال فانطلق مسرعا وأقام عبد الله ابن جعفر يحرس المسلمين بنفسه الى الصباح قال فلما أصبحنا صلينا صلاة الصبح وجلسنا ننتظر رجوع الرسول فلم يأت وأبطأ خبره علينا فقلق المسلمون عليه لاحتباسه وخافوا من المكيدة ووسوس لهم الشيطان وساءت بالدليل الظنون لهما من المسلمين الا من ظن بالمعاهد شرا الا أبو ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه فانه قال ظنوا بصاحبكم خيرا ولا تخافوا منه كيدا ولا مكرا ان له شأنا تعلمونه قال فسكت الناس بعد ذلك واذا بصاحبهم قد أقبل قال واثلة بن الاسقع فلما رأيناه فرحنا به وظننا أنه يأمرنا بالنهوض الى العدو فأقبل حتى وقف وسط المسلمين وقال يا أصحاب محمد وحق المسيح بن مريم انى لا أكذبكم فيما حدثتكم به وانى رجوت لكم الغنيمة وقد حال بينكم وبينها ماء فقال له عبد الله رضى الله تعالى عنه وكيف حيل بيننا وبينها قال حال بينكم وبينها بحر عجاج وذلك أنى أشرفت على السوق وقد قام فيه البيع والشراء فاجتمع فيه أهل دين النصرانية وقد دار أكثرهم بالدير دير أبى القدس واجتمع اليه القساوسة والرهبان والملوك والبطارقة فلما نظرت الى ذلك لم أرجع حتى اختبرت ما السبب الذى تجمعت له الخلق زائدة على كل سنة وذلك أنى مصيت واختلطت بالقوم واذا بصاحب طرابلس قد زوج ابنته ملكا من ملوك الروم وقد أتوا بالجارية الى الدير ليأخذوا لها من راهبهم قربانا وقد دار بها فرسان الروم المتنصرة فى عددهم وعديدهم كل ذلك خوفا منكم لانهم يعلمون أنكم بأرض الشام يا معاشر المسلمين وما أرى لكم صوابا أن تصلوا الى القوم لانهم خلق كثير وجم غفير وجمع غزير فقال عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنه فى كم يكون القوم وكم حزرتهم فقال أما السوق ففيه أكثر من عشرين ألفا من عوام الروم والأرمن والنصارى والقبط واليهود ومن مصر والشام وأهل السواد والبطارقة والمتنصرة وأما المستعدون للحرب فخمسة آلاف فارس فما لكم بالقوم طاقة وان وقع الصائح فى بلادهم انضاف اليهم أمثالهم فان بلادهم متصلة بهم وأما أنتم فعددكم يسير والعرب منكم بعيد ﴿قال الواقدى﴾ فصعب ذلك على عبد الله بن جعفر وعلى المسلمين وسقط فى أيديهم وهموا بالرجوع فقال عبد الله بن جعفر معاشر المسلمين ما الذى تقولون فى هذا الامر فقالوا نرى أن لا نلقى بأيدينا الى التهلكة كما أمرنا ربنا فى كتابه العزيز ونرجع الى الأمير أبى عبيدة رضى الله عنه والله لا يضيع أجرنا قال فلما سمع عبد الله قولهم قال أما أنا فأخاف ان فعلت ذلك أن يكتبنى الله من الفارين وما أرجع أو أبدى عذرا عند الله تعالى فمن ساعدنى فقد وقع أجره على الله ومن رجع فلا عتب عليه فلما سمعوا ذلك من عبد الله بن جعفر أميرهم وبذل مهجته استحيوا منه وأجابوه بأجمعهم وقالوا افعل ما تريد فما ينفع حذر من قدر ففرح باجابتهم ثم عمد الى درعه فافرغه عليه ووضع على رأسه بيضة وشد وسطه بمنطقة وتقلد بسيف أبيه واستوى على متن جواده وأخذ الراية بيده وأمر الناس بأخذ الاهبة فلبسوا دروعهم واشتملوا بسلاحهم وركبوا خيولهم وقالوا الدليل سر بنا نحو القوم فسمعنا ابن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا قال واثلة بن الاسقع فرأيت

الدليل قد اصفر وجهه وتغير لونه وقال سيروا أنتم بركة أبيكم وما على من أمركم وخرج قال أبو ذر الغفارى فرأيت عبد الله بن جعفر يتلطف به حتى سار بين يديه على القوم ساعة ثم وقف وقال أمسكوا عليكم فانكم قد قربتم من القوم فكونوا فى مواضعكم كامنين الى وقت السحر ثم أغيروا على القوم قال واثلة بن الاسقع فبتنا ليلتنا حيث أمرنا ونحن نطلب النصر من الله تعالى على الاعداء فلما أصبح النهار صلى بهم عبد الله بن جعفر صلاة الصبح فلما فرغوا من صلاتهم قال ماترون فى الغارة فقال عامر بن عمرة بن ربيعة أدلكم على أمر تصنعونه قالوا اقل قال اتركوا القوم فى سعيهم وشرائهم والظهار أمتعتهم ثم اكبسوا عليهم على حين غفلة وغرة من أمرهم فصوب الناس رأيه وصبروا الى وقت قيام السوق ثم أظهروا السيوف من أغمادها وأوتروا القسى وشرعوا الاسنة وعبد الله بن جعفر أمامهم والراية بيده فلما طلعت الشمس عمد عبد الله الى المسلمين فجعلهم خمسة كراديس كل كردوس مائة فارس وجعل على كل مائة نقيبا وقال تأخذ كل مائة منكم قطرا من أقطار سوقهم ولا تشتغلوا بنهب ولا غارة ولكن ضعوا السيوف فى المفارق والعواتق وتقدم عبد الله بن جعفر بالراية وطلع على القوم فنظر الى الروم متفرقين فى الارض كأنهم النمل لكثرتهم وقد أحدق منهم بدير الراهب خلق كثير والراهب قد أخرج رأسه من الدير وهو يعظ الناس ويوصيهم ويعلمهم معالم ملتهم وهم اليه شخوص بأبصارهم وابنة البطريق عنده فى الدير والبطارقة وأبناؤهم عليهم الديباج المثقل بالذهب ومن فوقهم دروع وجواشن تلمع وبيض وهم ينظرون صيحة بين أيديهم أو طارقا يطرقهم من خلفهم ونظر عبد الله الى الدير والى ما أحدق به والى الراهب وما حول صومعته فهاله ذلك من أمرهم وصاح فيهم قبل الحملة وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احملوا بارك الله فيكم فان كانت غنيمة وسرورا فالفتح والسلامة ويكون الاجتماع تحت صومعة الراهب وان كان غير ذلك فهو وعدنا الجنة ونلتقى عند حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصحابة قال وطلب عبد الله الجم العظيم فغاص فيهم وجعل يضرب بسيفه ويطعن برمحه وحمل المسلمون من ورائه وسمع الروم أصوات المسلمين مرتفعة بالتهليل والتكبير فتيقنوا أن جيوش المسلمين قد أدركتهم وكانوا لذلك منتظرين وعلى يقظة من أمرهم فأما السوقة فانهم تبادروا الى أسلحتهم والمنع عن أنفسهم وأموالهم وأخرجوا السيوف من الاغمدة وانعطفوا على قتال المسلمين عطفة الأسد الضارى وطلبوا صاحب الراية ولم يكن مع المسلمين راية غيرها فأحدقوا بالراية من كل جانب ومكان وقامت الحرب على ساق وثار الغبار وانعقد وأحدق الروم بالمسلمين فما كان المسلمون فيهم الا كشامة بيضاء فى جلد بعير أسود وما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف بعضهم بعضا الا بالتهليل والتكبير وكل أحد مشتغل بنفسه عن غيره قال أبو سبرة ابراهيم بن عبد العزيز ابن أبى قيس وكان من السابقين المتقدمين بايمانهم فى الاسلام وصاحب الهجرتين جميعا قال شهدت قتال الحبشة مع جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وشهدت المشاهد مع رسول صلى الله عليه وسلم فى بدر وفى أحد وفى حنين وقلت انى لا أشاهد مثلها فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنت عليه ولم أستطع أن أقيم بالمدينة بعد فقده فقدمت مكة فأقمت بها فعوتبت

فى منامى من التخلف عن الجهاد فخرجت الى الشام وشهدت أجنادين والشام وسرية خالد خلف توما وهربيس وشهدت سرية عبد الله بن جعفر وكنت معه على دير أبى القدس فأنستنى وقعتها ما شهدت قبلها من الوقائع بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنى نظرت الى الروم حين حملنا عليهم فى كثرتهم وعددهم وقلنا ما ثم غيرهم وليس لهم كمين فخرج لهم كمين عظيم قال فرأينا أجسادهم هائلة وعليهم الدروع وما يبين منهم الا الحماليق الحدق لهم طمطمة وزمجرة عند ما يحملون حتى نظرت الى المسلمين قد غابوا فى أوساطهم ولا أسمع منهم الا الاصوات تارة يجهرون بها وتارة أقول هلكوا ثم أنظر الى الراية بيد عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنه مرفوعة فأفرح بذلك وعبد الله يقاتل بالراية ويكر على المشركين ولا ينثنى ويجاهد على صغر سنه ولم تزل الحرب بيننا كلما طال مكثها اشتد ضرامها وعلا قتامها والتهبت نارها وصار عبد الله فى وسط القوم وهم حوله كالحلقة الدائرة والروم يحدقون به فيفعل كلما حمل يمينا حملت يمينا وان حمل شمالا حملت شمالا ولم نزل فى الحرب والقتال حتى كلت منا السواعد وخدرت منا المناكب قال وعظم الامر علينا وهالنا الصبر وتثلم سيف عبد الله فى يده وكادت تقع فرسه من تحته فالتجأ بأصحابه فى موضع فاجتمع أصحابه اليه فنظر المسلمون الى رايته فقصدوها وما منهم الا مكلوم من المشركين فضاق لذلك ذرعه وما نزل به فى نفسه مثل ما نزل بالمسلمين فالجأ الى الله تعالى أمره وفوض الى صاحب السماء شأنه ورفع يده الى السماء وقال فى دعائه يامن خلق خلقه وابلى بعضهم ببعض وجعل ذلك محنة لهم أسألك بجاه النبى محمد صلى الله عليه وسلم الا ماجعلت لنا من أمرنا فرجا ومخرجا ثم عاد الى القتال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلون معه تحت رايته فلله در أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه فانه نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاهد بين يديه قال عمرو بن ساعدة فلقد رأيته مع كبر سنه يضرب بسيفه ضربا شديدا فى الروم وينتمى الى قومه ويذكر عند حملاته اسمه ويقول أنا أبو ذر والمسلمون يفعلون كفعله الى أن بلغت القلوب الحناجر وظنوا أن فى ذلك الموضع قبورهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى عبد الله بن أنيس الجهنى قال كنت أحب جعفرا وأحب من أولاده عبد الله فلما قبض أبو بكر رضى الله تعالى عنه وكان قائما مقام أبيه نظرت الى أمه أسماء بنت عميس حزينة فكرهت أن أنظر اليها فى ذلك الحزن وأيضا ان أبا بكر رضى الله تعالى كان يحب عبد الله حبا شديدا فاستأذن عبد الله بن جعفر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى المسير الى الشام وقال لى يا ابن أنيس الجهنى أشتهى أن ألحق بالشام ومعنا عشرون فارسا أكون مجاهدا أفتصحبنى فقلت نعم فودع عمه عليا رضى الله تعالى عنهما وودع عمر رضى الله تعالى عنه وسار يريد الشام ومعنا عشرون فارسا حتى أتينا تبوك فقال يا ابن أنيس أتدرى موضع قبر أبى فقلت نعم فقال أشتهى أن أرى الموضع قال فنازلنا حتى أتينا الموضع فأريته موضع مصرع أبيه وموضع الوقعة وقبر أبيه جعفر رحمه الله تعالى وعليه حجارة فلما نظر اليه نزل ونزلنا معه وبكى وترحم فأقمنا عنده الى صبيحة اليوم الثانى فلما رحلنا رأيت عبد الله يبكى ووجهه مثل الزعفران فسألته عن ذلك فقال رأيت أبى البارحة فى النوم وعليه حلتان خضراوتان وتاج وله جناحان وبيده سيف مسلول أخضر

فسلمه الي وقال يا بني قاتل به أعداءك لما وصلت الي ما تري الا بالجهاد وكأني أقاتل بالسيف حتى تلم قال عبد الله بن أنيس وسرنا حتى أتينا عسكر أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه بدمشق فبعثه أمير تلك السرية الى دير أبي القدس قال عبد الله بن أنيس فلما رأيت الوقعة بينه وبين الروم قلت يوشك أن يذهب عبد الله فسرت كالبرق ورجعت الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فلما رآني قال أبشارة يا ابن أنيس أم لا فقلت أنفذ المسلمين الى نصرة عبد الله بن جعفر ومن معه ثم حدثته بالقصة فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه انا لله وانا اليه راجعون أصاب عبد الله بن جعفر ومن معه تحسرا يتك يا أبا عبيدة وهي أول امارتك (قال الواقدى) ثم التفت الى خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فقال له يا أبا سليمان سألتك بالله الحق عبد الله ابن جعفر فأنت المعد لها فقال خالد أنا لها ان شاء الله تعالى وما كنت أنتظر الا أن تأمرني فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه استحييت منك يا أبا سليمان فقال والله لو أمر علي طفل صغير لأطيعن له فكيف أخالفك وأنت أقدم مني ايمانا وأسبق اسلاما سبقت باسلامك مع السابقين وسارعت بايمانك مع المسارعين وسماك رسول الله بالأمين فكيف ألحقك أو أنال درجتك والآن أشهدك أني قد جعلت نفسي حبسا في سبيل الله تعالى ولا أخالفك أبدا ولا وليت امارة بعدها أبدا (قال الواقدى) فاستحسن المسلمون قوله فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه يا أبا سليمان الحق اخوانك رحمك الله قال فوثب خالد رضي الله عنه كأنه الأسد وسار الى رحله فأفرغ عليه درع مسيلمة الكذاب الذي سلبه منه يوم اليمامة وألقى بيضة على رأسه وأردفها بقلنسوة وتقلد بحسامه وانصب في سرجه كأنه السيل ونادى بجيش الزحف هلموا الى حرب السيوف فأجابوه مسرعين كأنهم العقبان وبادروا الى طاعة الرحمن وأخذ خالد الراية بيده وهزها على ركابه ودار به عسكر الزحف من كل جانب وودع المسلمون بعضهم بعضا وساروا وسار خالد وعبد الله بن أنيس يدلهم على الطريق قال رافع بن عميرة الطائي كنت يومئذ من أصحاب خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ولم يزل مجدا في السير والله عز وجل يطوي لنا البعيد فلما كان عند غروب الشمس أشرفنا على القوم والروم كالجراد المنتشر قد غرق المسلمون في كثرتهم فقال خالد يا ابن أنيس في أي جانب أطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له انه واعد أصحابه أن يلتقوا عند دير الراهب أو موعدهم الجنة (قال الواقدى) فنظر خالد نحو الدير الراية الاسلامية وهي بيد عبد الله بن جعفر ومامن المسلمين الا من أصيب بجرح وقد أيسوا من الحياة الفانية وطمعوا في الحياة السرمدية والروم تناوشهم بالحرب وتكاثر الطعن والضرب وعبد الله بن جعفر يقول لأصحابه دونكم والمشركين واصبروا القتال المارقين واعلموا أنه قد تجلى عليكم أرحم الراحمين ثم قرأ الآية قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فلما نظر خالد رضي الله تعالى عنه الى صبرهم وتجلدهم على قتال أعدائهم لم يطق الصبر دون أن حمل عليهم وهز رايته وقال لأصحابه دونكم القوم القباح فأروا من دمائهم السلاح وأبشروا بالنجاح يا أهل حي على الفلاح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فبينما أصحاب عبد الله بن جعفر في أشد ما يكونون فيه اذ خرجت عليهم خيل المسلمين وكتائب الموحدين كأنهم الطيور وعليها الرجال

كأنهم العقبان الكاسرة والليوث الضارية وهم غائصون فى الحديد وقد ارتفع لهم الضجيج
وبخيلهم الضجيج فلما نظر عبد الله وأصحابه الى ذلك ظنوا أنها نجدة للاعداء فأيقنوا بالهلاك
والفناء وجعلوا ينظرون الى الخيل التى رأوها واذا هى قاصدة اليهم ففزعوا وجزعوا وظنوا
أن كمينا من الروم قد خرج لقتالهم فعظم عليهم الامر وقل منهم الصبر وأخذهم البهر وقد لحق
بالمشركين الدمار وأتاهم حرب مثل النار والسيوف تلمع والرؤس من الرجال تقطع
والارض قد امتلأت قتلى وهم فى أيدى المشركين كالاسرى والقوم فى أشد القتال
والسيف يعمل فى الرجال اذ نادى فيهم مناد وهتف بهم هاتف خذل الآمن ونصر الخائف
ياحملة القرآن جاءكم النصر من الرحمن ونصرتم على عبدة الصلبان وقد بلغت القلوب
الحناجر وعملت المرهفات البواتر واذا بفارس على المقدمة كأنه الاسد الزائر أو الليث
الهادر وبيده تشرق بالانوار كاشراق القمر فنادى الفارس بأعلى صوته أبشروا يامعاشر
حملة القرآن بالنصر المشيد أنا خالد بن الوليد فلما نظر المسلمون الراية وسمعوا صوت
خالد رضى الله تعالى عنه كأنهم كانوا فى لجة وأخرجهم فأجابوه بالتهليل والتكبير وكانت
أصواتهم كالرعود القواصف والرياح العواصف ثم حمل خالد بن الوليد رضى الله
تعالى عنه بجيش الزحف الذى لا يفارقه ووضع السيف فى الروم قال عامر بن سراقة فما شهدت
حملته الا حملة الاسد فى الغنم ففرقهم يمينا وشمالا قال فثبت المسلمون وكل علج من الروم شديد
هو يمانع عن نفسه وخالد يطلب أن يصل الى عبد الله بن جعفر ولما نظر المسلمون الى الخيل
المقبلة عليهم لم يعلموا ماهى حتى سمعوا صوت خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهم فقال ياأيها
الناس دونكم الاعداء فقد جاءكم النصر من رب السماء ثم حمل وحملت المسلمون معه
قال واثلة بن الاسقع لقد كنا أيسنا من أنفسنا وأيقنا بالهلاك حتى أتتنا المعونة والنصر
من الله عز وجل فحملنا بحملة اخواننا قال فما اختلط الظلام حتى نظرت الى خالد بن الوليد
رضى الله تعالى عنه والراية بيده وهو يسوق المشركين بين يديه سوق الغنم الى المراعى والمسلمون
يقتلون ويأسرون فلله در أبى ذر الغفارى وضرار بن الازور والمسيب بن نجية الفزارى لقد
قرنوا المواكب وهزوا المضارب وقتلوا الروم من كل جانب والتقى ضرار بعبد الله بن
جعفر رضى الله تعالى عنهما فنظر اليه والدم على أكمام درعه كأكباد الابل فقال شكر الله
تعالى لك ياابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انك لقد أخذت بثار أبيك وشفيت
غليلك فقال عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهما من الرجل المخاطب لى وكان الظلام
قد اعتكر وضرار ملثم لا يبين منه الا الحدق فلم يعرفه عبد الله فقال أنا ضرار بن الازور
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بطل لعتك وباخ منا عدل لنا وقام لنصرتنا
قال عبد الله بن أنيس فبينما هم على ذلك اذ أقبل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وجيش
الزحف فقال شكر لك الله وأحسن جزاءك ثم قال عبد الله ياضرار اعلم أن حامية الروم
والبطارقة عند الدير لاجل ابنة صاحب طرابلس ومامعها من الاموال وقد أحاط بها كل
فارس من الروم فهل لك ياابن الازور أن تحمل معى فقال وأين هم فقال أما تنظر اليهم فمد
عينه واذا بحامية الروم وبطريق طرابلس وقد أحدقوا بالدير يمنعون عن الجارية والنيران

مشتعلة والصلبان تلمع كضوء النار وكأنهم سد من حديد فقال أرشدك الله الضربات فنعم
المرشد أنت احمل حتى أحمل معك بحملتك قال فحمل عبد الله بن جعفر من جهته وحمل ضرار
ابن الازور من جهته واتبعتهما الرجال وزعقوا فى الروم وحماة المشركين وهم يدافعون عن
أنفسهم وكان أشدهم منعة بطريقهم فبرز أمام القوم وهو يهدر كالبعير ويزأر زئير الاسد يصيح
بكلمة الكفر ويحمل حملات الشجعان فقصده ضرار بن الازور وبالغ فى الضرب والتقت
الاقران ونظر ضرار الى العلج وعظم خلقته وتمكنه فى سرجه وشدة ضربه وحسن احترازه
وأخذ ضرار منه حذره واحترز منه البطريق وطلبه أشد الطلب وكل واحد منهما طامع فى
صاحبه فانفرد ضرار بن الازور مع صاحب القوم وكل قرن مع قرنه وليس مع ضرار أحد من
المسلمين فانبسط ضرار بين أيديهم ليمكرهم وطلبه البطريق وأصحابه وقصدوه بحملتهم فلما
نظر ضرار الى ذلك قصد موضعا يصلح لجال الخيل فاعترضه واحد فى ظلمة الليل فكابه الجواد
فسقط الى الارض هاويا ثم ثار من سقطته يروم أخذ الفرس فلم يجد الى ذلك سبيلا فوقف
مكانه وسيفه وحجفته بيده وجعل يجاهدهم بسيفه وصبر لهم صبر الكرام ولم يأخذه فى الله لومة
لائم فتفق عليه بطريق الروم وأقبل يضربه بعموده فلما لازمه ورمى العمود عليه زاغ ضرار
عن الضربة ثم وثب اليه وثبة الاسد وضربه ضربة أرمحت فرس البطريق من تحته وقام
على رجليه وشبك يده وضربه الثانية فوقعت ضربة ضرار فى عين جواده فانتكس الجواد
الى الارض ووقع العلج على ظهره ولم يقدر أن يقوم لانه مزرد فى سرجه فعاجله ضرار قبل وصول
غلمانه اليه وضربه على حبل عاتقه فنبا سيفه ولم يعمل شيأ فناهضه العلج وقد أيقن بالهلاك
وقبض عليه وكان كالجبل العظيم فرماه ضرار تحته وملك صدره واستوى على نحره وكان مع
ضرار سكين من صنعة اليمن لا تفارقه فاستلها من غمدها وضرب صدر عدو الله الى سرته فسقط
عدو الله قتيلا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم وثب ضرار وملك جواد عدو الله
واستوى فى سرجه وكان على الجواد كثير من الذهب والفضة والفصوص التى تساوى ثمنا
كثيرا فلما صار على ظهر الجواد حمل وكبر على المشركين ففرقهم يمينا وشمالا وكان ضرار
لما انبسط أمام القوم ملك عبد الله بن جعفر الدير ومن فيه هو ومن معه من المسلمين
وأحدقوا به ولم يأخذوا منه شيأ حتى رجع خالد رضى الله تعالى عنه من اتباع الروم وذلك أن
خالدا اتبعهم الى نهر عظيم كان بينهم وبين طرابلس الشام والروم يعرفون مخاوضه فوقف
خالد ورجع الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم قد ملكوا الدير وقتلوا
العلج وانتشرت الناس فى جمع الغنائم وما كان فى السوق من المتاع والفراش والقماش
والثياب والطعام وغيره قال واثلة بن الاسقع فجعلنا نجمعه ونأكل من الخيرات
وأخرجوا ما كان فى الدير من آنية الذهب والفضة والستور والمراتب وأخرجوا ابنة البطريق
ومعها أربعون جارية لهن حلى وحلل والمال على البراذين والبغال والحمير فانقلب أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنيمة والاموال الجسيمة (قال الواقدى رحمه الله تعالى)
فسميت تلك السرية لثلاث عبد الله بن جعفر صاحبها وعبد الله بن أنيس مدركها وخالد بن
الوليد منجدها ولقى خالد فيها مشقة وجراحا مؤلمة فلما ساروا أقبل خالد الى الدير فصاح

بصاحبه يا رلشيخ ليكلمه فهتف به مرة أخرى وهدده فاطلع عليه وقال ما تشاء وحق المسيح
ليطأ لبن لمن صاحب هذه الخضراء بعدما من قدمت فقال خالد كيف يطأ لبنا وقد أمرنا أن
نقاتلكم ونجاهدكم ووعدنا على ذلك الثواب ووالله لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن
نتعرض لكم لا تركتك في صومعتك بل كنت قتلتك أشر قتلة فسكت الراهب عنه ولم يجبه
وانقلب خالد والمسلمون بالغنائم الى دمشق وأبو عبيدة رضي الله تعالى عنه فيها فشكر لهم
وسلم على خالد وعلى عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم ورجع الى مكانه فخمس الغنيمة
وقسمها على الناس فدفع لضرار بن الازور فرس البطريق وسرجه وما عليه من حلي الذهب
والفضة والجواهر والفصوص فاتى به ضرار الى أخته الست خولة رضي الله تعالى عنها
قال فرأيتها تنزع فصوص الجوهر فتفرقها على نساء المسلمين وان الفص منها ليساوي الثمن
الكثير قال وعرض السبي على أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وفي الجملة ابنة البطريق فقال
عبد الله بن جعفر أريدها قال أبو عبيدة حتى أستأذن أمير المؤمنين في ذلك فكتب اليه يعلمه
بها وبمسئلة عبد الله بن جعفر فكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه هي له فأخذها عبد
الله وأقامت زمانا عنده وعلمها الطبخ وكانت من قبل تعرف طبخ الفرس والروم وأقامت عنده
الى أيام يزيد فاخبر بها فاستهداها منه فأهداها له وكانت عنده وقال عامر بن ربيعة أصابني
من غنيمة سوق الدير أثواب ديباج حرير فيها صور الروم وكان في كل ثوب منها صورة حسنة وهي
صورة مريم وعيسى عليهما السلام فحملت الثياب الى اليمن فبيعت بثمن كثير وكتب الى عمي
وأنا مع أبي عبيدة يا ابن أخي ابعث لي من هذه الثياب وأكثر منها فانها تنفق (قال الواقدي
رحمه الله تعالى) فلما رجع جيش المسلمين غانما كتب أبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى
عنه الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كتابا يخبره بما فتح الله تعالى على يديه وما غنم المسلمون
من دير أبي القدس ويمدح خالدا ويشكره ويثني عليه ويخبره بما قال فيه وما تكلم به وسأله
في كتابه أن يكتب الى خالد يستشيره في المسير الى هرقل أو الى بيت المقدس وكتب اليه أيضا
أن بعض المسلمين يشربون الخمر قال عاصم بن ذؤيب العامري وكان ممن شهد قتال الروم بالشام
وفتح دمشق العرب الوافدون من اليمن فاخذوا في الشرب واستطابوا ذلك فأنكر ذلك الامير
أبو عبيدة فقال رجل من العرب أظنه سراقة بن عامر يا معاشر المسلمين خلوا شرب الخمور
فانها تزيل العقول وتكسب الاثم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن شارب الخمر حتى
لعن حاملها والمحمولة اليه ﴿وحدثني﴾ أسامة بن زيد الليثي عن الزهري عن حميد بن عبد
الرحمن بن عوف الغفاري قال كنت مع أبي عبيدة بالشام فكتب الى عمر بن الخطاب رضي
الله تعالى عنه يخبره بفتح الشام وفي الكتاب أن المسلمين يشربون الخمر واستقلوا الحد
فقدمت المدينة فوجدت عمر رضي الله تعالى عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالسا وعنده نفر من الصحابة وهم عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف يتحدثون فدفعت
الكتاب اليه فلما قرأه جعل يفكر في ذلك ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلد في
شربها ثم سأل عمر عليا رضي الله تعالى عنهما في ذلك وقال ما ترى في هذا فقال علي رضي الله
تعالى عنه ان السكران اذا سكر هذى واذا هذى افترى فكتب اليه عمر أن من شرب الخمر

فعليه ثمانون جلدة ولعمري ما يصلح لهم الا الشدة والفقر ولقد كان حقهم أن يراقبوا ربهم عز وجل ويعبدوه ويؤمنوا به ويشكروه فمن عاد فأقم عليه الحد (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما ورد كتاب عمر رضي الله تعالى عنه على أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وقرأه نادى في المسلمين من كان في نفسه حد فليعط ذلك من نفسه وليتب الى الله عز وجل ففعل ذلك كثير من الناس ممن كان شرب الخمر وأعطى الحد من نفسه ثم قال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه اني عزمت على المسير الى أنطاكية وقصد كلب الروم لعل الله تعالى يفتح فتحا على أيدينا فقال المسلمون سر حيث شئت فنحن تبع لك نقاتل أعداءك فسر بقولهم وقال تأهبوا للرحيل فاني سائر بكم الى حلب فاذا فتحناها توجهنا منها ان شاء الله تعالى الى أنطاكية فأسرع المسلمون في اصلاح شأنهم وأخذوا أهبتهم فلما فرغ أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه من جميع شغله أمر خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه أن يأخذ راية العقاب التي عقدها له أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأمره أن يسير أمام الجيش بعسكر الزحف فسار خالد على المقدمة ومعه ضرار ابن الازور ورافع بن عميرة الطائي والمسيب بن نجية الفزاري والناس يتبع بعضهم بعضا وترك على دمشق صفوان بن عامر السلمي وترك عنده خمسمائة رجل وسار أبو عبيدة بالمسلمين ومعه ناس من اليمن ومضر

ذكر فتح حمص

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وسار أبو عبيدة على طريق البقاع واللبوة فلما وصل الى هناك بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه الى حمص وقال يا أبا سليمان انهض على بركة الله تعالى وعونه ونازل القوم وشن الغارة على أرض العواصم وقنسرين وأنا أسير الى بعلبك فلعل الله تعالى أن يسهل علينا فتحها ثم ودعه وسار خالد رضي الله تعالى عنه بمن معه الى حمص وتوجه أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه الى بعلبك ادورد بطريق حوسية ومعه الهدايا والتحف وصالح المسلمين سنة كاملة وقال ان فتحتم بعلبك فانا بين أيديكم ولا نخالف لكم قولا وصالحهم أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه على أربعة آلاف درهم وخمسين ثوبا من الديباج فلما انبرم الصلح سار أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه يطلب بعلبك فما بعد من اللبوة الا وقد أشرف عليه راكب نجيب فاذا هو أسامة بن زيد الطائي فقال يا أسامة من أين أقبلت فأناخ نجيبه وسلم على أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وعلى المسلمين وقال أتيت من المدينة وسلم اليه كتابا من عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ففضه أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه واذا فيه لا اله الا الله محمد رسول الله بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين الى أمين الامة سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فلا مرد لقضاء الله وقدره ومن كتب في اللوح المحفوظ كافرا فلا ايمان له وذلك أن جبلة بن الايهم الغساني كان قدم علينا بني عمه وسراة قومه فأنزلتهم وأحسنت اليهم وأسلموا على يدي وفرحت بذلك اذ شد الله عضد الاسلام والمسلمين بهم ولم أعلم ما كمن في الغيب وانا سرنا الى مكة حرسها الله تعالى وعظمها نطلب الحج فطاف جبلة بالبيت أسبوعا فوطئ رجل من فزارة ازاره فسقط ازاره عن كتفه فالتفت الى الفزاري وقال يا ويلك كشفتني في حرم الله

تعالى

تعالى قال والله ما تعمد تلك فلطم جبلة بن الايهم الفزارى لطمة هشم بها أنفه وكسر ثناياه الاربع فأقبل الفزارى الىّ مستدعيا على جبلة فأمرت باحضاره وقلت له ما حملك على أن لطمت أخاك فى الاسلام وكسرت ثناياه الاربع وهشمت انفه فقال جبلة انه وطئ ازارى برجله فحله ووالله لولا حرمة هذا البيت لقتلته فقلت له قد أقررت على نفسك فاما أن يعفو عنك واما أن آخذ له منك القصاص فقال أيقتص منى وأنا ملك وهو من السوقة قلت قد شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية فقال أتتركنى الى غد أو تقتص منى فقلت للفزارى أتتركه الى غد قال نعم فلما كان الليل ركب فى بنى عمه وتوجه الى الشام الى كلب الطاغية وأرجو ان الله تعالى يظفرك به فانزل على حمص ولا تنفذ عنها فان صالحك أهلها فصالحهم وان أبوا فقاتلهم وابعث عيونك الى أنطاكية وكن على حذر من المتنصرة والسلام عليك ورحمة الله وعلى جميع المسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب فى سره جهر به مرة أخرى ثم ألوى يطلب حمص وكان خالد رضى الله تعالى عنه يسبقه اليها بثلث الجيش فنزل عليها يوم الجمعة من شوال سنة أربع عشرة من الهجرة النبوية وكان عليها والبطريق من قبل هرقل اسمه لقيطا وكان قد مات قبل نزول خالد والمسلمين عليها رضى الله تعالى عنهم أجمعين فاجتمع المشركون فى كنيستهم العظمى وقال كبيرهم اعلموا أن صاحب الملك قد مات وليس عند الملك خبر من هؤلاء العرب وقد نزلوا علينا وما ظننا ذلك ولقد حسبنا أنهم لا ينزلون علينا حتى يفتحوا جوسية وبعلبك وان أنتم قاتلتموهم وكاتبتم الملك أن يسير اليكم واليا وجيشا فان العرب لا تمكن أحدا من جنود الملك أن يسير اليكم ولا يصل لكم وليس عندكم طعام يقوم بكم للحصار فقالوا أيها السيد فما الذى ترى قال تصالحون القوم على ما أرادوا وتقولون نحن لكم وبين أيديكم ان فتحتم حلب وقنسرين وهزمتم جيش الملك فاذا توجه القوم عنا بعثنا الى الملك أن يمدنا بجيش عرمرم ويولى من أراد علينا ويستوثق لنا من الطعام والعدد وبعد ذلك نقاتلهم فاستصوب القوم رأيه وقالوا ادبرنا بحسن رأيك وتدبيرك فبعث البطريق الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه جاثليقا كان عندهم معظما ليعقد الصلح بينهم وبين المسلمين فخرج الجاثليق ووصل الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وتكلم فى الصلح معه بما تحدث به البطريق من أمر سير المسلمين الى حلب وقنسرين والعواصم وأنطاكية فأجابهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى ذلك وصالح القوم وهم أهل حمص على عشرة آلاف دينار ومائتى ثوب من الديباج وعقد الصلح مع القوم سنة كاملة أولها ذو القعدة وآخرها شوال سنة أربع عشرة من الهجرة قال وانبرم الصلح وخرجت السوقة من حمص الى عسكر المسلمين فباعوا واشتروا ورأى أهل حمص سماحة العرب فى بيعهم وشرائهم وربحوا منهم ربحا وافيا

﴿ذكر حديث سرية خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه﴾

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ان أبا عبيدة دعا بخالد وضم اليه أربعة آلاف فارس من لخم وجذام وطى ونبهان وكهلان وسندس وخولان وقال يا أبا سليمان شن الغارة بهذه الكتيبة واقصد بها المعرة واقرب من معرة حلب وشن بها الغارة على بلد العواصم وارجع

على أثرك ونفذ عيونك وانظر ان كان للقوم نجدة أو ناصر من قومهم أم لا فأجابه حالا الى ذلك وأخذ الراية وتقدم أمام الكتيبة وجعل ينشد ويقول

أخذتها والملك العظيم * وانني بحملها زعيم

لانني كبش بني مخزوم * وصاحب لاحمد الكريم

أسير مثل الاسد الغشوم * يارب فارزقني قتال الروم

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وسار خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه الى شيزر ونزل على النهر المقلوب ودعا بمصعب بن محارب اليشكري وضم اليه خمسمائة فارس وأمره أن يشن الغارة على العواصم وقنسرين وسار خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه الى كفرطاب والمراة والى دير سمعان وجعلت خيل المسلمين تغير يمينا وشمالا على القرى والرساتيق ويأخذون الغنائم والاسارى فرجعوا الى خالد بن الوليد بالاسارى فسار بهم الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فلما نظر الى خالد ومامعه من الغنائم والاموال فرح فرحا شديدا واذا خلف خالد سواد عظيم وقد ارتفعت أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فقال أبو عبيدة رضي الله عنه ماهؤلاء يا أبا سليمان فقال خالد يا أمير المؤمنين هذا مصعب بن محارب اليشكري وقد عقدت له راية على خمسمائة فارس من قومه ومن أهل اليمن وانه أغار بهم على العواصم وقنسرين وقد أتى بالغنائم والسبي والاموال فالتفت الامير أبو عبيدة فنظر الى سرح عظيم من البقر والغنم وبراذين عليهم رجال ونساء وصبيان ولهم دوي عظيم وبكاء شديد فقصدهم أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه واذا برجال مقرونين في الحبال وهم يبكون على عيالهم ونهب أموالهم وخراب ديارهم فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه لترجمانه قل لهم مابالكم تبكون ولم لاتدخلون في دين الاسلام وتطلبون الامان والذمام لتأمنوا على أنفسكم وأموالكم فقال لهم الترجمان ذلك فقالوا أيها الامير نحن كنا بالبعد منكم وكانت أخباركم تأتينا وماظننا أنكم تبلغون الينا فاشعرنا حتى أشرف علينا أصحابكم فنهبوا أموالنا وأولادنا وساقونا في الحبال كما ترى (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكانت الاعلاج زهاء من أربعمائة علج فقال لهم الاميران منناعليكم وأطلقناكم من أسركم ورددنا عليكم أموالكم وأهاليكم فهل تكونون في طاعتنا وتؤدون الجزية الينا والخراج فقالوا أوف لنا بذلك ونحن نفعل جميع ماشرطته علينا فعند ذلك أقبل أبو عبيدة رضي الله عنه الى المسلمين وقال لهم قد رأيت من الرأى أن أؤمن هؤلاء من القتل وأرد عليهم أموالهم وعيالهم فيكونوا عبيدا لنا ويعمروا الارض والبلاد ونأخذ خراجهم وجزيتهم لما أنتم قائلون فما كنت بالذي أقطع أمرا الا بمشورتكم فقالوا الرأى رأيك في ذلك أيها الامير انرأيت صلاحا للمسلمين (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ففرض على كل واحد أربعة دنانير وبذلك كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعند ذلك رد عليهم أموالهم وأولادهم وأقرهم على بلادهم وكتب أسماءهم وأمرهم بالرجوع الى أوطانهم فلما استقروا في خيامهم أخبروا من كان بالقرب منهم بحسن سيرة العرب وماعاملوهم به من الجميل وقالوا لقد ظننا أنهم يقتلوننا ويستعبدون أولادنا والآن قد رحمونا وأقرونا في بلادنا على أداء الجزية والخراج

(قال الواقدي) فسمعت الروم ذلك فأقبلوا الى أبي عبيدة رضي الله عنه في طلب الامان وأدا الجزية والخراج

﴿ذكر فتح قنسرين﴾

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وبلغ الخبر الى أهل قنسرين أن الامير أبا عبيدة يعطي الأمان من قصده فأحبوا أن يأخذوا الأمان من أبي عبيدة رضي الله عنه وأجمعوا رأيهم على ذلك وأن ينفذوا رسولا من غير علم بطريقهم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان على قنسرين والعواصم بطريق من بطارقة الملك من أهل الشدة والبأس وكان أهل قنسرين يخافون منه وكان اسمه لوقا وصاحب حلب عسكره مثل عسكره وسطوته مثل سطوته وكان الملك هرقل قد دعاهما اليه فقالا له أيها الملك ما كنا نترك ملكا من غير أن نقاتل قتالا شديدا فشكرهما الملك هرقل على ذلك ووعدهما أن يبعث اليهما جيشا عرمرما وكانا منتظرين ذلك من وعد الملك لهما وكان مع كل واحد منهما عشرة آلاف فارس الا انهما لا يجتمعان في موضع واحد قال فلما سمع صاحب قنسرين ماقد عزم عليه أهل قنسرين من الصلح مع أبي عبيدة غضب غضبا شديدا وعزم أن يمكر بهم فجمع أهل قنسرين اليه وقال لهم يا بني الاصفر ماترون أن أصنع مع هؤلاء العرب وكأنكم بهم وقد أقبلوا الينا يفتحون بلادنا كما فتحوا أكثر بلاد الشام فقالوا أيها السيد قد بلغنا أنهم أصحاب وفاء وذمة وقد فتحوا أكثر البلاد بالصلح والعدل ومن قاتلهم قاتلوه واستعبدوا أهله وأولاده ومن دخل تحت طاعتهم أقروه في بلده وكان آمنا من سطوتهم والرأي عندنا أن نصالح القوم ونكون آمنين على أنفسنا وأموالنا فقال لهم البطريق لقد أشرتم بالصواب والامر الذي لا يعاب لان هؤلاء العرب قوم منصورون على من قاتلهم وها أنا أعقد لكم الصلح معهم سنة كاملة الى أن توافينا جيوش الملك هرقل ونعطف عليهم وهم آمنون فنبيدهم عن آخرهم فقالوا افعل ما فيه الصلاح (قال الواقدي رحمه الله تعالى) واتفق أهل قنسرين والبطريق على صلح المسلمين وفي قلوبهم الغدر قال وان لوقا البطريق دعا برجل من أصحابه اسمه اصطخر وكان قسيسا عالما بدين النصرانية فصيح اللسان قوي الجنان يعرف العربية والرومية وقد عرف الدينين اليهودية والنصرانية فقال لوقا يا أبا ناسر الى العرب وقل لهم يصالحونا سنة كاملة حتى نبعد القوم بالحيلة والخداع ثم كتب الكتاب الى أمير المؤمنين أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فقال بعد كلمة كفره أما بعد يا معاشر العرب ان بلدنا بلد منيع كثير العدد والرجال فما تأتونا من قبله ولو أقمتم علينا مائة سنة ما قدرتم علينا وان الملك هرقل قد استنجد عليكم من حد الخليج الى رومية الكبرى ونحن قد بعثنا اليكم نصالحكم سنة كاملة حتى نرى لمن تكون البلاد ونحن نريد منكم أن تجعلوا بيننا وبينكم علامة من حد أرض قنسرين والعواصم حتى اذا همت العرب بالغارة بدت العلامة تريكم حد أرضنا ونحن نصالحكم خفية من الملك هرقل لئلا يعلم فيقتلنا والسلام ثم خلع على اصطخر خلعة سنية وأعطاه بغلة من مراكبه وعشرة غلمان وسار حتى وصل الى حمص فرأى الامير أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه يصلي بالمسلمين صلاة العصر فوقف اصطخر ينظر ما يفعلون ويتعجب من ذلك فلما فرغوا من صلاتهم ونظروا الى

القسيس وثبوا اليه وقالوا له من أنت ومن أين أقبلت فقال أنا رسول ومعي كتاب فتلوه بين يدي أبي عبيدة فهم القسيس بالسجود له فمنعه أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه من ذلك وقال له نحن عبيد الله عز وجل خاشق ومنا سعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض فلما سمع اصطخر ذلك بهت وبقي لا يرد جوابا وهو متعجب مما تكلم به الامير أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه فناداه خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وقال له ما شانك أيها الرجل ورسول من أنت فقال اصطخر أأنت أمير القوم فقال خالد لا بل هذا أميرنا وأشار الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فقال اصطخر أنا رسول صاحب قنسرين والعواصم ثم أخرج الكتاب ودفعه الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فأخذه وقرأه على المسلمين فلما سمع خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ما في الكتاب من صفة مدينتهم وكثرة عددهم ورجالهم وزادهم وتهديدهم بجيوش الملك هرقل حرك رأسه وقال لأبي عبيدة وحق من أيدنا بالنصر وجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الطاهر ان هذا الكتاب من عند رجل لا يريد الصلح بل يريد حربنا ثم قال لاصطخر تريدون أن تخدعونا حتى اذا جاءت جنود صاحبكم ورأيتم القوم وقد جاء تكم نقضتم صلحنا وكنتم أول من يقاتلنا وان رأيتم الغلبة لنا هربتم الى طاغيتكم هرقل فان أردتم ذلك فمواعدكم الحرب مواعدة من غير أن يكون صلحنا سنة كاملة فان لحق بكم جيش هذه السنة من الملك هرقل فلابد من قتاله فمن أقام في المدينة ولم يقاتل مع الجيش فهو على صلحنا لا نتعرض له قال اصطخر قد أجبنا كم الى ذلك فاكتبوا لنا كتابا بذلك فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه أيها الامير اكتب لهم كتابا بموادعة الحرب سنة كاملة أولها استهل شهر ذي القعدة سنة أربع عشرة من الهجرة النبوية قال فكتب له أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه بذلك فلما فرغ من الكتاب قال له اصطخر أيها الامير حد بلادنا معروف وبازائنا صاحب حلب وبلاده تحد بلادنا ونريد أن تجعل لنا علامة فيما بيننا وبينكم حتى اذا طلب أصحابكم الغارة لا يتجاوزون ذلك (قال الواقدي) فرضي أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه بذلك وقال أنا أبعث من يحدد لكم ذلك قال اصطخر أيها الامير نريد معنا أحدا من أصحابك نحن نصنع عمودا ونصبه ويكون عليه صورة الملك هرقل فاذا رآه أصحابك لا يجاوزنه فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه افعل ذلك ثم دفع اليه الكتاب ونادى في عساكر المسلمين وأصحاب الغارات من نظر الى عمود فلا يتعداه ولا يتجاوره بل يشن الغارة على أرض حلب وحدها ولا يتجاوز العمود فليبلغ الشاهد الغائب (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ورجع اصطخر الى بطريق قنسرين وأعلمه بما جرى له مع خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ودفع له الكتاب ففرح بذلك وقصد الى عمود عظيم وصنع عليه صورة الملك هرقل كأنه جالس على كرسي مملكته (قال الواقدي) وكانت خيل المسلمين تضرب غارتها الى أقصى بلاد حلب والعمق وأنطاكية ويحيدون عن حد قنسرين والعواصم ولا يقربون العمود قال عمر بن عبد الله الغبري عن سالم بن قيس عن أبيه سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه قال كان صلح المسلمين لأهل قنسرين والعواصم على أربعة آلاف دينار ملكية ومائة أوقية من الفضة وألف ثوب من متاع حلب وألف وسق من طعام (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثنا عامر

قال كانى بعض الغارات اذ نظرنا الى العمود وعليه صورة الملك هرقل فجئنا عنده وجعلنا نجول حوله بخيولنا ونعلمها الكر والفر وكان بيد أبي جندلة قناة تامة فقرب به الجواد من الصورة وهو غير متعمد ذلك ففقأ عين الصورة وكان عندها قوم من الروم وهم غلمان صاحب قنسرين يحفظون العمود فرجعوا الى البطريق وأعلموه بذلك فغضب غضبا شديدا ودفع صليبا من الذهب الى بعض أصحابه وضم اليه ألف فارس من أعلاج الروم وعليهم الديباج الرومي وعليهم المناطق المجوقة وأمر اصطخر أن يسير معهم وقال له ارجع الى أمير العرب وقل له غدرتم بنا ولم توفوا بذمامكم ومن غدر جندل فأخذ اصطخر الصليب وسار مع ألف فارس من الروم حتى أشرف على أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فلما نظر المسلمون الى الصليب وهو مرفوع أسرعوا اليه ونكسوه فاستقبل أبو عبيدة القوم وقال من أنتم قال اصطخر أنا رسول صاحب قنسرين اليك وهو يقول لك غدرتم ونقضتم العهد الذي بيننا وبينكم فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمت بذلك وسوف أسأل عنه ثم نادى يا معاشر الناس من فقأ عين التمثال فليخبرنا بذلك فقالوا أيها الأمير أبو جندلة وسهل بن عمرو وصنعا ذلك من غير أن يتعمداه فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه لاصطخر ان صاحبنا فعل ذلك من غير أن يتعمده فما الذي يرضيك منا فقالت الاعلاج لا نرضى حتى نفقأ عين ملككم يريدون بذلك أن يتطرقوا الى رقاب المسلمين فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه ها أنا فاصنعوا بي مثل ما صنع بصورتكم قالوا لا نرضى بذلك الا بعين ملككم الاكبر الذي يلي أمر العرب كلها فقال ان عين ملكنا تمنع من ذلك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وغضب المسلمون حين ذكر الاعلاج عين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهموا بقتل الاعلاج فنهاهم أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه عن ذلك فقالت المسلمون أيها الامير نحن دون امامنا فنفديه بأنفسنا ونفقأ عيوننا دون عينه فقال اصطخر عندما نظر الى المسلمين وقد هموا بقتله وقتل من معه من الاعلاج لا نفقأ عين عمر ولا عيونكم ولكن نصور صورة أميركم على عمود ونصنع به مثل ما صنعتم بصورة ملكنا فقالت المسلمون ان صاحبنا فعل ذلك من غير تعمد وأنتم تريدون العمد فقال أبو عبيدة رضي الله عنه مهلا يا قوم فاذا رضي القوم بصورتي فقد أجبتهم الى ذلك ولا يتحدث القوم عنا انا عاهدنا وغدرنا فان هؤلاء القوم لا عهد لهم ولا عقل ثم أجابهم الى ذلك (قال الواقدي) فصوروا صورة أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه على عمود وجعلوا له عينين من زجاج وأقبل فارس منهم حنقا ففقأ عين الصورة ثم رجع اصطخر الى صاحب قنسرين وأخبره بذلك فقال لقومه بهذا انالهم ما يريدون قال وأقام أبو عبيدة على حمص بغير يمينا وشمالا ينتظر خروج السنة لينظر ما بعد ذلك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وأبطأ خبر أبي عبيدة على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما ولم يرد عليه شيء من الكتب والفتح فانكر عمر ذلك وظن به الظنون وحسب أنه قد داخله خبر وقد ركن الى القعود عن الجهاد فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى أمين الامة أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وآمرك بتقوى

الله عزوجل سرا وعلانية وأحذركم عن معصية الله عزوجل وأحذركم وأنهاكم أن تكونوا
ممن قال الله فى حقهم قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم الآية
وصلى الله على خاتم النبيين وامام المرسلين والحمد لله رب العالمين فلما وصل الكتاب الى أبى
عبيدة رضى الله تعالى عنه قرأه على المسلمين فعلموا ان أمير المؤمنين عمر يحرضهم على القتال
وندم أبوعبيدة رضى الله عنه على صلح قنسرين ولم يبق أحد من المسلمين الا بكى من كتاب عمر بن
الخطاب رضى الله عنه وقالوا أيها الامير ما يقعدك عن الجهاد فدع أهل شيزر وقنسرين والطلب
بنا حلب وأنطاكية فلعل الله أن يفتحها على أيدينا وقد انقضى أجل الصلح وما بقى الا
القليل وما البقاء الا للملك الجليل فعزم أبوعبيدة رضى الله تعالى عنه على المسير الى حلب
وعقد راية لسهل بن عمرو وعقد راية أخرى لمصعب بن محارب اليشكرى وأمر عياض
ابن غانم أن يسير على مقدمتهم واتبعه خالد بن الوليد وسار أبوعبيدة رضى الله تعالى عنه الى أن
نزل على الرشين وصالح أهلها وسار الى حماه فخرج أهلها اليه ومعهم الانجيل وقد رفعه
الرهبان على أكفهم والقسوس أمام القوم يطلبون منه الصلح والذمام فلما رآهم أبوعبيدة
رضى الله تعالى عنه وقف وقال لهم ما الذى تريدون فقالوا أيها الامير نريد أن نكون فى
صلحكم وذمامكم فأنتم أحب الينا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فصالحهم أبوعبيدة
وكتب لهم كتاب الصلح والذمام وخلف رجالا من المؤمنين وسار حتى نزل الى شيزر فاستقبلوه
فصالحهم وقال لهم أسمعتم للطاغية هرقل خبرا فقالوا ما سمعنا له خبرا غير أنه اتصل بنا الخبر ان
بطريق قنسرين قد كتب الى الملك هرقل يستنجده عليكم وقد بعث بجبلة بن الايهم الغسانى
من بنى غسان والعرب المتنصرة ومعه بطريق عمورية فى عشرة آلاف فارس وقد نزلوا على
جسر الحديد فكن منهم على حذر أيها الامير فقال أبوعبيدة رضى الله عنه حسبنا الله ونعم
الوكيل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأقام الامير أبوعبيدة على شيزر وبقى مرة يقول
أسير الى حلب ومرة يقول أسير الى أنطاكية فجمع أمراء المسلمين اليه وقال أيها الناس
قد بلغنى أن بطريق قنسرين قد نقض العهد وأرسل للملك هرقل والخبر كذا وكذا فما أنتم
قائلون فقالوا أيها الامير دع أهل قنسرين والعواصم وسر بنا الى حلب وأنطاكية فقال
خذوا أهبتكم رحمكم الله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان بقى من الصلح والعهد الذى
بينهم وبين أهل قنسرين شهرا وأقل من ذلك فأقام أبوعبيدة رضى الله تعالى عنه ينتظر
انفصال العهد قال وكانت عبيد العرب يأتون بجرائم الشجر من الزيتون والرمان وغير ذلك
من الاشجار التى تطعم الثمار فعظم ذلك على الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فدعا العبيد
اليه وقال ما هذا الفساد فقالوا أيها الامير ان الاحطاب متباعدة منا وهذه الاشجار قريبة
فقال الامير أبوعبيدة عزيمة منى على كل حر وعبد قطع شجرة لها طعم أو ثمر لاجازينه ولأنكلن
به فلما سمع العبيد ذلك النكال جعلوا يأتون بالاحطاب من أقصى الديار قال سعيد بن عامر
وكان معى عبد نجيب وكان اسمه مهجعا وقد شهد معى الوقائع والحروب وكان جرىء القلب
فى القتال وكان اذا خرج فى غارة أو فى طلب حطب يتوغل ويبعد فخرج هو وجماعة من
العبيد ممن شهد الوقائع فى طلب الحطب فأبطأ خبره على سيده سعيد بن عامر فركب جواده

وخرج فى طلبه وجعل يقفو أثره واذا قد لاح له شخص وقد سال دمه على وجهه وصبغ سائر
جسده وما كاد يمشى خطوة واحدة الا ويهوى على وجهه قال سعيد بن عامر فنزلت اليه وقلت
له ما وراءك من الاخبار فقال هلكة ودمار يا مولاى فقلت عليك يا ابن الاسود حدثنى بخبرك
قال سعيد فلم يكد يقف حتى سقط على وجهه فنفحت على وجهه ماء فسكن ما به فقال يا مولاى
انج بنفسك والا أدركك القوم يصنعون بك مثل ما صنعوا بى فقلت وما القوم الذين صنعوا
بك ما أرى فقال خرجت يا مولاى أنا وجماعة من الموالى لنحتطب حطبا فتباعدنا كثيرا فى
البر واذا نحن بكتيبة من الخيل زهاء عن ألف فارس كلهم عرب وفى أعناقهم صلبان الذهب
والفضة وهم معتقلون بالذهب والفضة والرماح فلما نظروا الينا أسرعوا نحونا وداروا بنا
وعزموا على قتلنا فقلت لاصحابى هونكم واياهم فقالوا ويحك ومن نقاتل وليس لنا طاقة
بقتال هذه الكتيبة والخيل ومالنا الا أن نلقى بأيدينا الى الاسر فهو أهون من القتال فقلت
لا والله ما سلمت نفسى اليهم دون أن أقاتل قتال الاشد بد الفار أو امنى الجد فعلوا مثل فعلى
فقاتلنا القوم وقاتلونا فقتلوا منا عشرة وأسروا عشرة وأما أنا فأثخنت بالجراح حتى سقطت على
وجهى فرجعوا عنى وبقيت كما ترى قال سعيد بن عامر الانصارى فغمنى والله ما نزل بالعبيد
فأردفته ورائى ورجعت على أثرى واذا بالخيل قد طلعت من ورائى كأنها الريح الهبوب
أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب واذا بخيل غسان أحدقت بالرماح الطوال وهم يقولون
نحن بنو غسان من حزب الصلب والرهبان قال سعيد بن عامر فناديتهم أنا من أصحاب محمد
المختار صلى الله عليه وسلم فأسرع بعضهم الى وهم أن يعلونى بالسيف فناديته يا ويلك
أتقتل رجلا من قومك فقال من أى الناس أنت فقلت أنا من الخزرج الكرام فرد السيف
عنى وقال أنت طلبة سيدنا جبلة بن الايهم وحق المسيح فقلت ومن أين يعرفنى جبلة حتى يطلبنى
فقال انه يطلب رجلا من أهل اليمن من أنصار محمد بن عبد الله ثم قال سر بنا طائعا والا سرت
كرها قال سعيد بن عامر فسرت والجيش معى حتى أشرفنا على الجيش العرمرم وعنده أعلام
وصلبان قد رفعت فلم أزل مع القوم حتى أتوا بى الى مضرب جبلة بن الايهم واذا به جالسا على
كرسى من ذهب أحمر وعليه ثياب الديباج الرومى وعلى رأسه شبكة من اللؤلؤ وفى عنقه صليب
من الياقوت فلما وقفت بين يديه رفع رأسه الى وقال من أى العرب أنت قلت أنا من اليمن قال
أكرمت من أيها فقلت أنا من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ
القيس بن عبد الله بن الازور بن عود بن مالك بن كهلان بن سبأ فقال جبلة من أى الملأ أنت
نسبا فقلت أنا من ولد الخزرج بن حارثة من أنصار محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فقال
جبلة وأنا من قومك من بنى غسان فقلت أنا من القبيلة التى نسبت اليها فقال أنا جبلة بن الايهم
الذى رجعت عن الاسلام لما رضى صاحبكم عمر بن الخطاب أن يكون مثلى لهذا الدين
ناصرا حتى يأخذ منى القود لعبد حقير وأنا ملك اليمن وسيد غسان فقلت يا جبلة ان حق الله
أوجب من حقك ودينا لا يقوم الا بالحق والنصفة وان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
لا يخاف ولا تأخذه فى الله لومة لائم فقال لى ما اسمك فقلت سعيد بن عامر الانصارى فقال
أوطئ يا سعيد قال فجلست فقال ألك علم بحسان بن ثابت الانصارى فقلت شاعر رسول الله

صلى الله عليه وسلم ومن قال فيه المصطفى أنت حسان ولسانك حسام فقال لى كم لك منذ فارقته فقلت عهدى به قريب وقد دعانى الى دعوة صنعها وأمر مولاته أن تنشد بها شعرا فيك فأنشدت

لله درّ عصابة نادمتهم * يوما بجلق فى الزمان الاوّل
يغشون حتى ماتهرّ كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أنسابهم * شمّ الانوف من الطراز الاوّل
اللاحقين فقيرهم بغنيهم * المشفقين على اليتيم الأرمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

ثم خرجنا الى الشام وهذا آخر عهدى به قال جبلة بن الايهم أوحفظ لى هذه المكرمة قلت نعم فأمر لى بثوب من الكتان الرومى وفيه شئ من الورق وقال أنا أمرت لك بالكتان كى تلبسه ولا تحرّمه ثم قال لى بحق ذمة العرب ما كنت تصنع فى المكان الذى أسرت فيه فقلت ان الصدق أوفى ما استعمله الرجل أنا من أصحاب الامير أبى عبيدة بن الجرّاح وقد قصد دنا ربد حلب وأنطاكية فقال جبلة اعلم ان الملك قد بعثنى أنا وهذا البطريق صاحب عمورية حتى ننصر صاحب قنسرين فانه قد كادكم بصلحه لكم وأنا منتظر أن يلاقينا بهذا المكان ولكن ارجع الى صاحبك أبى عبيدة وحذره من أسيافنا وقل له يرجع من حيث قدم ولا يتعرّض لبلاد هرقل وسوف ينزع من أيديكم ما قد ملكتموه من الشام قال سعيد بن عامر فركبت وأردفت غلامى ورائى وسرت حتى أتيت عسكر المسلمين فأسرع الناس الىّ وقالوا أين كنت يا ابن عامر فأتيت خيمة الامير أبى عبيدة رضى الله عنه وحدثته بقصتى مع جبلة بن الايهم فقال لى لقد خلصك الله بذكرك لحسان بن ثابت الانصارى ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للشورة ثم قال أيها الناس ما ترون من قصة هذا البطريق وقد دوفيناله وكادنا فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه ان البغى مصرعة وان كادنا كان الله من ورائه بالمرصاد وسوف نكيده أعظم مكيدة وأنا أسير الى لقائه بعشرة رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة أنت لها يا أبا سليمان ولكل كريهة فخذ من أحببت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أين عياض بن غانم الأشعرى أين عمرو بن سعيد أين مصعب بن محارب اليشكرى أين أبو جندلة بن سعيد المخزومى أين سهل بن عمرو العامرى أين رافع بن عميرة الطائى أين المسيب بن نجية الفزارى أين سعيد بن عامر الانصارى أين عمرو بن معد يكرب الزبيدى أين عاصم بن عمرو القيسى أين عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فأجابوه بالتلبية (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان ضرار بن الازور رضى الله عنه رمد العينين لم يحضر هذه الوقعة فقال لهم خالد بن الوليد هلموا فوجدوه قد تدرّع بدرع مسيلمة الكذاب الذى استلبه منه يوم اليمامة واشتمل بلامة حربه وركب جواده وقال لعبده همام سر معى حتى ترى منى عجبا فسار معه وسار خالد بن الوليد رضى الله عنه والعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو عبيدة رضى الله عنه يدعو لهم بالنصر فأقبل خالد على سعيد بن عامر الانصارى وقال يا سعيد أما أخبرك جبلة بن الايهم من

أين يأتي البطريق صاحب قنسرين اليه فقال نعم يا أبا سليمان أخبرني فقال له خذ بنا في الطريق الى جبلة بن الايهم حتى نكمن له فيه فاذا أتى البطريق صاحب قنسرين كبسناه كما كادنا ودمرناه ومن معه فسار سعيد أمام القوم يدلهم ويجد السير طالب عسكر جبلة بن الايهم وكان مسيرهم ليلا فلما وصلوا الى قرب النيران وسمعوا أصوات القوم عدل بهم سعيد بن عامر الى صوب طريق البطريق وكمن بمن معه من الرجال الى وقت الصباح فلم يأت أحد فصلى خالد بأصحابه صلاة الفجر وهم في المكمن فبينما هم في المكمن اذ أشرف عليهم جيش جبلة ابن الايهم والعرب المتنصرة وصاحب عمورية وهم طالبون أرض العواصم وقنسرين فقال المسلمون لخالد يا أبا سليمان أما ترى هذا الجيش الذي قد أشرف علينا في عدد الشوك والشجر فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فما يكون من كثرتهم اذا كان النصر لنا والله معنا فاختلطوا بهم أنتم وكونوا في جملتهم كأنكم من جيشهم الى أن نلتقي بالبطريق صاحب قنسرين ويفعل الله تعالى ما يشاء ويختار فعند ذلك اختلطوا بهم وصاروا في جملتهم وهم لا يفترقون قال رافع بن عميرة الطائي فلما أشرفنا على حد صلحنا ولاح لنا بلد العواصم وقنسرين اذا بطريقها قد استقبلنا وقد رفع أمامه الصليب وأخرج بين يديه القسوس والرهبان وهم يقرؤن الانجيل وقد ارتفعت أصواتهم بكلمة الكفر ودنا بعضهم من بعض وخرج البطريق أمام أصحابه ليأتي الى جبلة بن الايهم يسلم عليه فاستقبله خالد بن الوليد رضي الله عنه مواجهاله وحوله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب البطريق منهم قال سلمكم المسيح وأبقاكم الصليب فقال خالد يا ويلك ما نحن من عباد الصليب بل نحن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد الحبيب وكشف خالد بن الوليد رضي الله عنه وجهه ونادى لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله يا عدو الله أنا خالد بن الوليد أبا المخزومي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب بيده البطريق وقبض عليه وانتزعه من سرجه وبرز أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلوا السيوف على أصحابه وارتفعت الضجة والجلبة وأعلن العدو بكلمة الكفر وضج المسلمون بكلمة التوحيد وسمع جبلة وصاحب عمورية أصوات المسلمين وقد ارتفعت بالتهليل والتكبير فأزعجا لذلك ونظروا الى السيوف وقد جردت والرماح وقد شرعت فبرزوا نحو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاطوا بهم من كل جانب ومكان فلما نظر خالد الى ما دهمه ونزل بأصحابه الذين معه والبطريق صاحب قنسرين لا يفارقه وقد ملك قياده وهو خائف ان ينفلت من يديه أو تجري عليه حادثة قبل أن يقتلهم خالد أن يقتله ورفع السيف ليعلوه به فتبسم البطريق من فعاله وعجب خالد من ضحكه وقال ويلك لم ضحكت فقال البطريق لانك مقتول أنت ومن معك وتريد قتلي وان أنت أبقيت علي فهو أصوب فتركه خالد ولم يقتله ثم صاح خالد بأصحابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا حولي واحموا عني واصبروا على ما نزل بكم ولا يكثر عليكم من أحدق بكم فان أشد ما تخافون منه القتل والموت منية خالد في سبيل الله واني والله أهديت نفسي للقتل مرارا لعلي أرزق الشهادة واعلموا رحمكم الله ان جنتنا واضحة ومفوضة الى الله عز وجل وكأني بكم وقد وصلتم الى ربكم وسكنتم دار لا يموت

سا كنها ثم قرأ الا عسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فاجتمع
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد رضى الله عنه وداروا من حوله وصار عبد الرحمن
ابن أبي بكر الصديق رضى الله عنه عن يمينه ورافع بن عميرة عن يساره وعبده همام من ورائه
وأصحابه محدقون به وسلم خالد البطريق صاحب قنسرين الى عبده همام وقال له أوثقه الى
جانبك ولا تبرح من مكانك وأبشر بالنصر من الله عز وجل (قال الواقدى) وأقبلت اليهم
العرب المتنصرة يقدمهم جبلة بن الأيهم فى عنقه صليب من الذهب الاحمر وفيه طوق من
الجوهر وعليه ثياب الديباج المزركش ومن فوقه درع مذهب الزرد وعلى رأسه بيضة من
الذهب وعلى أعلاها صليب من الجوهر وفى يده رمح طويل وسنانه يضئ كالقنديل وصاحب
عمورية كالبرج المشيد ومن حوله الاعلاج المدججة وقد أحدق بهم الجيش من
كل جانب فلما نظر صاحب عمورية الى خالد بن الوليد رضى الله عنه وقد ملك صاحب
قنسرين وهو فى يده أسير خاف أن يعجل عليه خالد فأقبل الى جبلة وقال له وحق المسيح
ماهؤلاء العرب الا شياطين ألا ترى الى هذا العربى ومن معه وهم عشرة رجال وقد أحدق بهم
هذا الجيش العظيم ومايفكرون فيه وقد ملكوا صاحبنا وهو معهم أسير ولا يخلص
من أيديهم وانى خائف عليه أن يقتلوه وهو عزيز عند الملك هرقل فاخرج الى هذا العربى
وقل له يخلى صاحبنا ويوصله الينا حتى نجود لهم بأنفسهم فاذا أطلقوا صاحبنا حملنا عليهم
وقتلناهم عن آخرهم قال رافع بن عميرة الطائى فبينما نحن وقوف حول خالد بن الوليد
رضى الله تعالى عنه وجيش الروم والعرب المتنصرة محدقون بنا ونحن لا نفكر فى
كثرتهم لأنا واثقون بالله عز وجل واذا بجبلة بن الايهم وهو ينادى برفيع صوته ويقول
من أنتم من أصحاب محمد المعروفين من أنتم من العرب التابعين أخبرونا من قبل أن ينزل
بكم الدمار فكان المكلم له خالد وبادره بالخطاب وقال له بل نحن من أصحاب محمد المختار
المعروفين بأهل القبلة والاسلام والاكرام والانعام وأما سؤالك عن أنسابنا فنحن الآن من
قبائل شتى وقد جعل الله كلمتنا واحدة ونحن مجتمعون عليها وهى قول لا اله الا الله محمد رسول
الله زاده الله تعالى شرفا فلما سمع جبلة كلام خالد بن الوليد غضب غضبا شديدا اذ لم يفكر
فيه ولا فيمن معه فقال جبلة يافتى أنت أمير هؤلاء العرب فقال خالد لست أميرهم بل
أخوهم فى الاسلام وهم اخوانى المؤمنون فقال جبلة من أنت من أصحاب محمد بن عبد الله
صلى الله عليه وسلم فقال خالد أنا المعروف بكبش بنى مخزوم أنا خالد بن الوليد صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل الذى عن يمينى هو عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق
رضى الله تعالى عنهما وهذا الذى عن شمالى من أهل اليمن من كرام طئ وهو رافع بن عميرة
الطائى صهرى وفؤادى وذلك أنى أخذت من كل قبيلة شجاعها المعروف وبطلها الموصوف
فلا تردر بقلتنا ولا تفرح بكثرتكم فما أنتم فى القتال الا كطيور وقع عليها صائدها
وهى كامنة فى أوكارها فألقى القانص الشبكة عليها فما نفلت منها الا النجيب (قال الراوى)
فزاد غضب جبلة من كلام خالد رضى الله تعالى عنه وقال له ستعلم أن كلامك عليك
ميشوم اذا دارت بك الاسنة وبقيت أنت ومن معك طعاما للوحوش فى هذه الفلاة تمزقكم

بكرة وعشيا فقال خالد له ذلك لا يكثر علينا وهو سهل لدينا فأنت من العرب التي قد نسبت لعبادة الصليب فقال أنا سيد بني غسان ومن ملوك همدان أنا ملك غسان وتاجها أنا جبلة بن الايهم فقال خالد أنت المرتد عن دين الاسلام ومن اختار الضلالة على الهدى وسلك سبيل الغي وضل وغوى فقال جبلة أنت كذلك أنا الذي اخترت العز على الذل والهوان فقال خالد فانك على ذل نفسك حريص وانما الكرامة غدا في دار البقاء والبعد عن دار الشقاء فقال جبلة يا أخا بني مخزوم لا تفرط علينا في المقال فانما بقاءى عليك وعلى أصحابك بسبب هذا الاسير الذي في يدك لاني أخاف ان حملت عليكم قتلته قبل قتلك وهو معظم عند الملك هرقل وقريب عنده في النسب فأطلقه من يدك حتى أجود عليكم بأنفسكم فقال خالد أما أسيري فلا أطلقه من يدي حتى أقتله ولا أبالي بما صنع بي بعده وأما قولك تحمل علي وعلى من معي بهذه الجموع فما أنصفت في المقال فاذا أردت النصفة في القتال فمعكم عظيم وعددكم كثير ونحن عشرة رجال وقد أحدقت بنا أعنة خيولكم وأسنة رماحكم وطيال سيوفكم فابرز وافارسا لفارس وهذا أمر كم فان قتلتمونا فقد خلصتم أسيركم وان أظفرنا الله بكم وما النصر الا من عند الله فما يعظم عليكم هلاك أسيركم اذا هلكت أنفسكم قبله (قال الواقدي) فعند ذلك نكس جبلة رأسه وأقبل يحدث صاحب عمورية بجواب خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فغضب صاحب عمورية غضبا شديدا وانتضى سيفه فلما نظر خالد بن الوليد الى البطريق وقد جرد سيفه علم أنه يريد القتال فلما هم صاحب عمورية بالحملة مسكه جبلة ومنعه عن الحملة وأوقفه تحت صليبه وأقبل جبلة على خالد بن الوليد وقال يا أخا بني مخزوم ان الحرب كما ذكرت يحتمل النصفة وهؤلاء بنو الاصفر أعلاج الروم غنم ما يعرفون النصفة في البراز وقد حدثتهم بحديثك معي وقد رضوا منك بالمبارزة فمن أراد منكم المبارزة فليبرز قال رافع بن عميرة الطائي فعزم خالد بن الوليد أن يبرز فمنعه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما وقال يا أبا سليمان وحق القبر الذي ضم أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق شيبة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لا يبرز لهؤلاء القوم غيري وأبذل المجهود فيهم فلعلي ألحق بأبي بكر الصديق فتركه خالد وقال اخرج شكر الله مقالك وعرف لك فعالك قال فخرج عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما وهو على فرس كان لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وكان دفعه له من قسمة غنيمة وقعة أجنادين وكان الجواد من خيل بني لخم وجذام من العرب المتنصرة وكان كالطود العظيم وعبد الرحمن غارق في الحديد والزرد النضيد وبيده قناة تامة الطول فجال عبد الرحمن بجواده بين عساكر الروم والعرب المتنصرة ودعاهم الى القتال والبراز والنزال وقال دونكم والقتال فأنا ابن الصديق ثم جعل يقول

أنا ابن عبد الله ذي المعالي * والشرف الفاضل ذي الكمال
أبي المجيد الصادق المقال * أدين هذا الدين بالفعال

ثم طلب البراز قال رافع بن عميرة فخرج اليه خمسة فوارس من شجعان الروم فما كان يحول عبد الرحمن على الفارس الا جولة واحدة فيصرعه قتيلا فلما قتل الخمسة فوارس توقفوا

عنه فهم بالحملة على عسكر الروم فخرج اليه جبلة بن الايهم وقد اشتد به الغضب فلما قرب من عبد الرحمن قال له يا غلام قد تعديت علينا في فعالك وبغيت علينا في قتالك فقال عبد الرحمن وكيف ذلك وما البغي من شيمنا قال جبلة لانك قد ملأت الارض من قتلانا وما خرجت اليك أقاتلك لانك لست لي كفأ في القتال وانما خرجت اليك لان رجلا من أصحابك قد خرج يعينك وليس هذا من شيم الاشراف والانصاف قال فلما سمع عبد الرحمن كلام جبلة تبسم وقال يا ابن الايهم تريد أن تخدعني وأنا تربية الامام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد شهدت معه الوقائع والقتال فقال جبلة لست مخادعا وما قلت الا حقا فقال عبد الرحمن فأخرج بازاء من خرج معي فارسا من قومك ان كنت صادقا في مقالتك واحمل علي فاني كفء كريم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما نظر جبلة بن الايهم الى عبد الرحمن وأنه لا يؤتى من قبل الخداع والحيل قال هل لك يا غلام أن تأتي بيدك الينا وأغمسك في ماء المعمودية غمسة تخرج منها نقيا من الذنوب كما خرجت من بطن أمك وتكون من حزب الصليب والانجيل وتأكل القربان وتأخذ الجائزة العظيمة من الملك هرقل وأزوجك ابنتي وأقاسمك نعمتي وأتفضل عليك باكرامي وانعامي وأنا الذي مدحني شاعر نبيكم حيث يقول

ان ابن جفنة من بقية معشر * لم تغذهم آباؤهم باللوم
يعطي الجزيل ولا يراه بأنه * الا كبعض عطية المذموم
لم ينثني بالشام اذ هو بارح * يوما ولا متنصرا بالروم
ان جئته يوما تقرب منزل * تسقى براحته من الخرطوم

فأسرع الى ماعرضته عليك لتنجو من المهالك وتكون في النعم والعيش السليم فقال عبد الرحمن لا اله الا الله وحده لا شريك له يا ويلك يا ابن الاثام أتدعوني من الهدى الى الضلال ومن الايمان الى الكفر والجهالة وأنا ممن وقر الايمان في قلبه وعرف رشده من غيه وصدق نبي الله وأبغض من كفر بالله فدونك والقتال ودع عنك الخديعة والمحال وتقدم الى ما عزمت عليه حتى أضربك ضربة أعجل بها حمامك وأرغم بها أنفك وتستريح العرب من أن تنسب اليك لانك كافر بالرحمن وعابد للصلبان قال فغضب جبلة من كلام عبد الرحمن وحمل عليه وهم به ورفع رمحه يريد أن يطعنه فزاغ عبد الرحمن من الطعنة وحمل على جبلة حملة عظيمة وتطاعنا بالرماح حتى كل عبد الرحمن من حمل قناته فرماها من يده وانتضى سيفه وتعاركا في الحرب فهجم عبد الرحمن على جبلة وضرب رمحه فبراه فرمى جبلة باقي الرمح من يده وانتضى سيفه من غمده وكان من سيوف كندة من بقايا عاد كأنه صاعقة بارقة ماضربه شيأ الابراه وحمل عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه حملة عظيمة قال رافع بن عميرة الطائي فعجبنا والله من عبد الرحمن وصبره على قتال جبلة ومبارزته له على صغر سنه وقلة أعوانه ثم التقيا بضربتين واصلتين فسبقه عبد الرحمن بالضربة فأخذها جبلة في جحفته فقطع الدرق ونزل السيف الى البيضة فانثنى سيف عبد الرحمن عنها لانها ذات سقاية عظيمة فجرحه جرحا واضحا أسال دمه وضربه جبلة ضربة واصلة فقطع ما كان عليه من الزرد والدروع والثياب ووصلت الضربة الى منكبه فجرحته فلما أحس عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه بالضربة قد وصلت اليه

ثبت نفسه وأرى قرينة كأن الفرس به لم تصل وحرك جواده وأطلق عنان فرسه حتى لحق بخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وأصحابه فلما وصل اليهم قال له خالد قد وصل اليك عدو الله بضربته فقال نعم وأطورله ضربته وما لحقه فأخذوه عن فرسه وسدوا جراحه فقال خالد يا ابن الصديق ان كان جبلة قد وصل اليك بضربته فوحق سعة أبيك لأفجعنهم فى أسيرهم كما فجعوني بك ثم صاح خالد بعبده همام وقال قدم هذا العلج فقدمه بين يديه فضربه بسيفه فأطاح رأسه عن جسده فلما نظرت الروم الى صاحبهم وقد قتله خالد فجعهم ذلك وغضب جبلة وقال أبيتم الا الغدر وقتلتم صاحبنا ثم صاح فى الروم والعرب المتنصرة وهموا بالحملة ونظر خالد اليهم وقد حملوا على المسلمين فقال لعبده همام قف أنت عند عبد الرحمن فامنع عنه من أراده بسوء ثم قال لاصحابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج أحد منكم عن صاحبه وكونوا حولى فما أسرع الفرج والنصر من الله عز وجل فوقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حول خالد بن الوليد رضى الله عنهم كما أمرهم وما قصدهم الا من أيس من نفسه وحملت الروم والعرب المتنصرة بأجمعهم وثبت لهم المسلمون الاخيار وعظم بينهم القتال ودارت بهم الاهوال * قال ربيعة بن عامر والله لقد كان خالد بن الوليد كلما كثرت الخيل حولنا وازدحمت علينا يتقيها بنفسه ويفرقها بسيفه ولم نزل كذلك حتى أخذنا العطش والظمأ قال رافع بن عميرة الطائى فلما رأيت ذلك قلت لخالد بن الوليد يا أبا سليمان لقد نزل بنا القضاء فقال والله لقد صدقت يا أبا عميرة لانى نسيت القلنسوة المباركة ولم أصحبها معى (قال الواقدى) وقد عظم عليهم الامر وعزمنهم الصبر وأخذهم الانبهار ورأوا من المشركين الدمار والارض قد ملئت من قتلى المشركين وهم بين الروم كأنهم أسرى واذا قد نادى بهم مناد وهتف بهم هاتف وهو يقول خذل الآمن ونصر الخائف أبشر وايا حملة القرآن جاءكم الفرج من الرحمن ونصرتم على عبدة الاوثان هذا وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت السيوف البواتر ودارت عليهم الحوافر (قال الواقدى) حدثنا بسرة عن اسحق بن عبد الله قال كنت مع أبي عبيدة رضى الله عنه فبينما نحن فى شيزر وأبو عبيدة فى مضربه واذا به قد خرج فى بعض الليل من مضربه وهو ينادى النفير النفير يا معاشر المسلمين لقد أحيط بفرسان الموحدين قال فأسرعنا اليه من كل جانب ومكان وقلنا له ما نزل بك أيها الامير فقال الساعة كنت نائما اذ طرقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرنى وقال لى معنفا يا ابن الجراح أتنام عن نصرة القوم الكرام فقم والحق بخالد بن الوليد رضى الله عنه فقد أحاط به القوم اللئام وانك تلحق به ان شاء الله تعالى رب العالمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما سمع المسلمون قول أبي عبيدة رضى الله عنه تبادروا الى لبس السلاح والزرد وركبوا خيولهم وساروا يريدون خالدا ومن معه قال فبينما الامير أبو عبيدة رضى الله عنه على المقدمة فى أوائل الخيل اذ نظر الى فارس يسرع به جواده وهو أمام الخيل ويكر فى سيره كرا فأمر أبو عبيدة رضى الله عنه رجالا من المسلمين أن الحقوا به فلم يقدروا على ذلك لسرعة جواده قال فلما كانت الخيل عن ادراكه نظر أبو عبيدة اليه وظن أنه من الملائكة قد أرسله الله امامهم غير أنه نادى به الامير أبو عبيدة على رسلك أيها الفارس الجد والبطل المكد ارفق بنفسك

يرحمك الله فوقف الفارس حين سمع النداء فلما قرب أبو عبيدة من الفارس اذا هي أم تميم زوجة خالد بن الوليد رضي الله عنها فقال لها أبو عبيدة ما حملك على المسير أمامنا فقالت أيها الامير انى سمعتك وأنت تصيح وتضج بالنداء وتقول ان خالدا أحاطت به الأعداء فقلت ان خالدا ما يخذل أبدا ومعه ذؤابة المصطفى صلى الله عليه وسلم اذ كانت منى التفاتة الى القلنسوة المباركة وقد نسيها فأخذتها وأسرعت اليه كما ترى فقال أبو عبيدة لله درك يا أم تميم سيرى على بركة الله وعونه قالت أم تميم كنت فى جماعة نسوة من مذحج وغيرهم من نساء العرب والخيل تطير بنا طيرانا حتى أشرفنا على الغبرة والقتال ونظرنا الاسنة والصوارم تلوح فى القتال كأنها الكواكب وما الحملين حس يسمع قالت فأنكرنا ذلك وقلنا ان القوم قد وقع بهم عدوهم فعند ذلك كبر الامير أبو عبيدة رضي الله عنه وحمل وحملت المسلمون قال رافع بن عميرة فبينما نحن قد أيسنا من أنفسنا اذ سمعنا التهليل والتكبير فلم تكن الاساعة حتى أحاط جيش المسلمين بعسكر الكافرين ووضعوا السيوف من كل جانب وعلت الاصوات وارتفعت الزعقات قال مصعب بن محارب اليشكرى فرأيت عبدة الصلبان وهم هاربون ورأيت خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو ثابت فى سرجه متشوق الى الاصوات من أين هي واذا بفارس قد خرج من الغبار وهو يسوق فرسان الروم بين يديه ويهربون منه حتى أزاح من حولنا الكتائب والرجال فأسرع خالد بن الوليد اليه وقال من أنت أيها الفارس الهمام والبطل الضرغام فقالت أنا أم تميم يا أبا سليمان وقد أتيتك بالقلنسوة المباركة التى تنصر بها على أعدائك فخذها اليك فوالله ما نسيتها الا لهذا الامر المقدر ثم سلمتها اليه فلمع من ذؤابة رسول الله صلى الله عليه وسلم نور كالبرق الخاطف (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وضع خالد القلنسوة على رأسه وحمل على الروم الا قلب أولاهم على أواخرهم وحملت المسلمون حملة عظيمة فما كان غير بعيد حتى ولت الروم الادبار وركنوا الى الفرار ولم يكن فى القوم الا قتيل وجريح وأسير وكان جبلة أول من انهزم والعرب المتنصرة اثره فلما رجع المسلمون من اتباعهم اجتمعوا حول راية الامير أبى عبيدة رضي الله عنه وأتباعه وسلموا على الامير أبى عبيدة رضي الله عنه وعلى المسلمين وشكروا الله على سلامتهم ونظر أبو عبيدة رضي الله عنه الى خالد بن الوليد وأصحابه وهم كأنهم قطعة أرجوان فصافحه وهنأه بالسلامة وقال لله درك يا أبا سليمان قد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل ثم قال الامير أبو عبيدة رضي الله عنه يا معاشر الناس قد رأيت أن نسير من وقتنا هذا ونغير على قنسرين والعواصم ونقتل الرجال وننهب الاموال فقال المسلمون نعم ما رأيت يا أمين الامة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فانتخب أبو عبيدة رضي الله عنه فرسانا فجعله فى المقدمة مع عياض بن غانم الاشعرى وساروا حتى أشرفوا على قنسرين والعواصم فقال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شنوا الغارات فشنوا الغارات عليهم وسبوا الذرارى وقتلوا الرجال فلما نظر أهل قنسرين الى ذلك غلقوا أبواب مدينتهم وأذعنوا الى الصلح وأداء الجزية فأجابهم أبو عبيدة رضي الله عنه الى ذلك وكتب لهم كتاب الصلح وفرض على كل رأس منهم أربعة دنانير وبذلك أمره عمر بن الخطاب رضي الله عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) لما فتح

أبو عبيدة رضي الله عنه قنسرين والعواصم قال لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي برأيكم رحمكم الله فان الله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله الآية فهل أسير الى حلب وقلعها وأنطاكية وملوكها وعساكرها أو نرجع الى ورائنا فقالوا أيها الأمير كيف نرجع الى حلب وأنطاكية وهذه أيام انقضاء الصلح الذي بيننا وبين أهل شيزر وأرمن وحمص وحوسية ولا شك أنهم قد أخذوا الحصار وقووا بلادهم بالأطعمة والرجال ونخاف أن يتغلبوا علينا فيما أخذناه من البلاد ويغيروا علينا الاسيما بعلبك وحصنها فانهم أولو شدة وعديد ونرى من الرأى أنا نرجع اليهم ونقاتلهم فلعل الله عز وجل أن يفتح على أيدينا قال فاستصوب ورجع على طريقه فوجدوا البلاد كما قالوا قد تحصنت بالعدد والرجال والطعام ولم يكن لأبي عبيدة مقصد الا حمص فوجدها قد تحصنت بالعدد والعديد وقد بعث اليها الملك هرقل بطريقا من أهل بيته وكان من أهل الشدة والبأس ومعه جيش عرمرم وكان اسم البطريق هربيس فلما نظر أبو عبيدة الى ذلك ترك على حمص خالد بن الوليد رضي الله عنه وسار هو الى بعلبك فلما قرب منها واذا بقافلة عظيمة فيها جمع من الناس ومعهم البغال والدواب وعليها من أنواع التجارات وقد أقبلت من الساحل يريدون بعلبك فلما نظر أبو عبيدة رضي الله عنه الى سوادها قال لمن حوله من الفرسان ما هذا الا جمع كثير أماسا فقالوا لا علم لنا بذلك فقال علي بخبرهم فسارت الخيل اليهم وأخذت أخبارهم ورجع بعضهم بخبرها وان القافلة من قوافل الروم محملة متاعا قال شداد بن عدي وكانت أحمال القافلة أعلاها سكر وكانت لأهل بعلبك فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال ان بعلبك لنا حرب وليس بيننا وبينهم عهد فخذوا ما قد ساقه الله اليكم فانها غنيمة من عند الله (قال الواقدي) فاحتوينا على القافلة وكان فيها أربعمائة حمل من السكر والفستق والتين وغير ذلك وأخذنا أهلها أسارى فقال أبو عبيدة رضي الله عنه كفوا عن القتل واطلبوا منهم الفداء فابتعناهم أنفسهم بالذهب والفضة والثياب والدواب وصنعنا من السكر العصيدة والفالوذج بالسمن والزيت ودعس المسلمون دعسا وبتنا حيث حوينا القافلة فلما أصبح الصباح أمرنا أبو عبيدة رضي الله عنه بالمسير الى بعلبك والنزول عليها وكان قد هرب قوم من القافلة وأخبروا أهل بعلبك بالقافلة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان على بعلبك بطريق عظيم يقال له هربيس وكان شديد البأس شجاع القلب فلما أتاه الخبر بقدوم عساكر المسلمين جمع رجاله وأهل الحرب وأمرهم بلبس السلاح والعدد وخرج بعسكره وجعل يسير وهو يعلم أن الأمير أبا عبيدة رضي الله عنه سائر اليهم بجيوش المسلمين فلما انتصف النهار وتراءى الجمعان وكان هربيس معه سبعة آلاف فارس سوى من اتبعه من سواد بلده فلما نظر طوالع جيش أبي عبيدة رضي الله عنه ونظر المسلمون الى ذلك نادوا النفير النفير فعندها تبادرت الفرسان وتقدمت الشجعان وشرعوا رماحهم وجردوا سيوفهم وصف هربيس رجاله وعباهم تعبية الحرب فقال له بعض بطارقته ما الذي تريد أن تصنع مع العرب فقال أقاتلهم لئلا يطمعوا فينا فينزلوا على مدينتنا فقال له الرأى عندي أن لا تقاتل العرب وارجع سالما أنت ورجالك فان أهل دمشق والشام ما قدروا عليهم ولا ردهم

عساكر أجنادين ولا جيوش فلسطين وقد بلغك ما فيه كفاية مما جرى لهم بالامس مع صاحب قنسرين وصاحب عمورية والعرب المتنصرة وكيف ردهم هؤلاء العرب على أعقابهم منهزمين والصواب أنك تفوز بنفسك وبمن معك وارجع فقال هربيس لست أفعل ذلك ولا أنهزم أمام العرب وقد بلغني أن عسكرهم الكبير على حمص مع الامير أبي عبيدة الذي كان فيها خالد بن الوليد وهذه غنيمة ساقها المسيح الينا فقال ذلك البطريق الناصح أما أنا فلست أتبع رأيك ولا أقاتل العرب ثم لوى عنان فرسه راجعا الى بعلبك واتبعه خلق كثير من القوم وأما هربيس فانه صف رجاله وزحف يريد القتال فلما نظر أبو عبيدة رضي الله عنه ذلك وأنهم قد عولوا على الحرب صف رجاله وعساكره وقال أيها الناس اعلموا رحمكم الله تعالى أن الله قد وعدكم وأيدكم بالنصر حتى هزم أكثر هؤلاء القوم وهذه المدينة التي أنتم قاصدون اليها وسط ما فتحتموه من البلاد وأهلها قد أكثروا من الزاد والعدد والقوة فاياكم والعجب وانتصروا واغزوا أعداء الدين وانصروا الله ينصركم واعلموا أن الله معكم ثم حمل الامير أبو عبيدة وحمل المسلمون قال عامر بن ربيعة وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ما كان بيننا وبينهم الا جولة الجائل حتى ولوا الادبار وطلبوا الاسوار ودخل هربيس المدينة مع أصحابه وفيه سبع جراحات فتلقاه الذي أشار عليه لا تقاتل العرب وقال له وأين غنائم العرب التي غنمتها فقال هربيس فجحك المسيح أتهزأ بي وقد قتلت العرب رجالي وقد جرحت هذه الجراحات فقال له البطريق ألم أقل لك انك مهلك نفسك ورجالك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ان الامير أبا عبيدة سار حتى نزل على بعلبك فنظر الى مدينة هائلة وحصن حصين والقوم قد أغلقوا الابواب وقد أحرزوا أموالهم ومواشيهم في جوفها وأطلع المسلمون على الاموال كأنها الجراد المنتشر قال فلما نظر الامير أبو عبيدة رضي الله عنه الى البلد وتحصينه واتساعه وكثرة رجاله وشدة برده وذلك أنه بلد لا يزايله البرد في الشتاء والصيف فقال الامير أبو عبيدة رضي الله عنه لخواص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الرأي في ذلك فاجتمع رأيهم على شورى واحدة وهو أن يحاصروا القوم ويضيقوا عليهم فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه أصلح الله الامير اني أعلم الروم ازدحم بعضهم ببعض من كثرتهم وأظن أن المدينة لا تسعهم وان طاولناهم رجونا من الله النصر وأن يفتحها الله على أيدينا فقال الامير يا ابن جبل من أين علمت أن القوم متضايقون في مدينتهم فقال أيها الامير اني كنت أول من أسرع بجواده قبل وأشرفت على هذه المدينة والقلعة البيضاء ورجوت أن ألحق سوابق الخيل فرأيت القوم يدخلون المدينة من جميع الابواب مثل السيل المنحدر والمدينة مشحونة بأهل السواد والقرى والمواشي ودوابهم فيها وقد ضاقت بهم وهذه أصوات القوم في المدينة كأنهم النحل من كثرتهم فقال أبو عبيدة صدقت يا معاذ ونصحت وايم الله ما عرفتك الا مبارك الرأي سديد المشورة (قال الواقدي) وبات المسلمون تلك الليلة يحرس بعضهم بعضا الى الصباح ثم كتب أبو عبيدة رضي الله عنه الى أهل بعلبك كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أمير جيوش المسلمين بالشام وخليفة أمير المؤمنين فيهم أبي عبيدة بن الجراح الى أهل بعلبك من المخالفين والمعاندين أما بعد فان الله سبحانه وتعالى وله

الحمد أظهر الدين وأعز أولياءه المؤمنين على جنود الكافرين وفتح عليهم البلاد وأذل أهل الفساد وان كتابنا هذا معذرة بيننا وبينكم وتقدمة الى كبيركم وصغيركم لانا قوم لانرى في ديننا البغي وما كنا الذين نقاتلكم حتى نعلم ما عندكم وان دخلتم فيما دخل فيه المدن من قبلكم من الصلح والامان صالحناكم وان أردتم الذمام ذممناكم وان أبيتم الا القتال استعنا عليكم بالله وحاربناكم فأسرعوا بالجواب والسلام على من اتبع الهدى ثم كتب انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى وطوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وأمره أن يسير به الى أهل بعلبك ويأتيه بالجواب فأخذ المعاهد الكتاب وأتى به الى السور وخاطبهم بلغتهم وقال انى رسول اليكم من هؤلاء العرب فدلوا حبلا فربطه في وسطه وأخذه القوم اليهم وأتوا به الى بطريقهم هربيس فناوله الكتاب فجمع هربيس أهل الحرب والبطارقة وقرأ عليهم كتاب أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال أشيروا علي برأيكم فقال له بطريق من بطارقته وهو صاحب مشورة الرأي عندي أن لا نقاتل العرب لانا ليس لنا طاقة بقتالهم ومتى صالحناهم كانا في أمن وخصب ودعة كما قد سار أهل اركوندموحوران و بصرى ودمشق وان نحن قاتلناهم وأخذونا في الحرب قتلوا رجالنا واستعبدونا وسبوا حريمنا والصلح خير من الحرب فقال هربيس لا رحمك المسيح فما رأيت أجبن منك ولا أقل جلدا او يلك كيف تأمرنا أن نسلم مدينتنا الى أوباش العرب لا سيما وقد عرفت حربهم وقتالهم واختبرت نزالهم واني في هذه النوبة لو حملت في ميسرتهم كنت هزمتهم فقال له البطريق نعم كانت الميسرة والقلب يخافون منك ثم تخاصما وتشاتما وافترق أهل بعلبك فرقتين فرقة يطلبون الصلح وفرقة يطلبون القتال ورمى هربيس الكتاب الى المعاهد بعد أن مزقه وأمر غلمانه أن يدلوه الى ظاهر المدينة ففعلوا ذلك ووصل المعاهد الى عسكر المسلمين وأتى أباعبيدة رضي الله تعالى عنه وحدثه بما كان من القوم وقال أيها الامير ان أكثر القوم عولوا على القتال فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه للمسلمين شدوا عليهم واعلموا أن هذه المدينة في وسط أعمالكم وبلادكم فان بقيت كانت وبالا على من صالحتم ولا تقدرون على سفر ولا على غيره قال فلبس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والعدد ورجعوا الى الاسوار وعطف أهل بعلبك عليهم وتراموا بالسهام والاحجار وان هربيس قد نصب كرسيه وسريره على برج من الابراج المطلة من ناحية القبلة وقد عصب جراحته ولبس سلاحه ولامته ولبس على رأسه صليبا من الجوهر وحوله البطارقة والديرجانية بالدروع المذهبة والعدد الكاملة وفي أعناقهم صلبان الذهب والجوهر وبأيديهم القسي والسهام قال عامر ابن وهب اليشكري شهدت حرب بعلبك وقد زحفت المسلمون الى سورها قال ونشاب الروم كالجراد المنتشر وكان أناس من العرب بلا سلاح فأصابهم سهام القوم قال ورأيت الروم يتساقطون علينا من السور تساقط الطير على الحب فذهبت الى رجل سقط لاضرب عنقه فصاح الغوث الغوث وكنا قد عرفنا من الحرب أن من قال الغوث يعني الامان فقلت له ويلك الامان فما الذي ألقاك الينا من سوركم فجعل يكلمني بالرومية وأنا لا أدري ما يقول قال عامر بن وهب اليشكري فجئته الى خيمة أبي عبيدة وقلت له أيها الامير اطلب من يعرف

لغة هذا العلج فاني رأيتهم يرمي بعضهم بعضا فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه لمن حضر من
التراجمة أخبرنا بخبر هذا العلج وما قصته ولم يرمي بعضهم بعضا فقال له الترجمان يا ويلك قد
أعطيناك الامان فأصدقنا في الكلام وقل لنا لم يرمي بعضكم بعضا قال ان بعضنا لا يرمي بعضا
ولكنا من أهل السواري والقرى فلما سمعنا بمسيركم الينا ورجوعكم عن أهل قنسرين
التجأنا الى هذه المدينة من جميع الرساتيق لنتحصن فيها لما نعلم من كثرة ما بها من الجيش
فضيق بعضنا على بعض وسددنا طرقات المدينة ومضى بعضنا الى السور فاذا ليس لنا موضع
نأوي اليه ولا مسكن نسكن فيه فجعلنا الابراج والاسوار مسكنا لنا فلما زحفتم الى القتال
برز اليكم أهل الحرب والنزال من هذه المدينة فجعلوا يدوسوننا بأرجلهم واذا اشتد الحرب
عليهم والقتال يدفع الرجل منهم الرجل منا فيلقيه اليكم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما
سمع الامير أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه ذلك فرح فرحا شديدا وقال أرجو من الله أن يجعلهم
غنيمة لنا قال وأخذت الحرب مأخذها وطحنت رجالها وعلا الضجيج وحمى الروم أسوارهم فلم
يقدر أحد من المسلمين أن يصل اليها من كثرة السهام والحجارة قال غياث بن عدي الطائي
حاربنا أهل بعلبك في أول يوم فأصيب من المسلمين اثنا عشر رجلا وأصيب من الروم على
السور خلق كثير من أهل الحرب وغيرهم وانصرف المسلمون الى رحالهم وما لهم همة الى
الطعام ولا الشراب ولا يريد أحدنا الا الاصطلاء بالنار من شدة البرد قال فبينما نحن ليلتنا
نوقد النار ونتناوب في الحرس الى الصباح فلما صلينا صلاة الفجر نادى مناد من قبل أبي
عبيدة رضي الله تعالى عنه يقول عزيمة مني على كل رجل من المسلمين لا يبرز الى حرب هؤلاء
القوم حتى ينفذ الى رحله ويصلح له طعاما حارا يأكله ليكون بذلك شديدا على لقاء العدو قال
فابتدرنا لاصلاح أمورنا فلما نظر أهل بعلبك الى تأخرنا عن حربهم وقتالهم طمعوا فينا وظنوا
أن ذلك فشل منا وعجز فصاح هربيس في الروم وقال اخرجوا اليهم بارك المسيح فيكم قال غياث
ابن عدي فلم يشعر المسلمون الا والابواب قد فتحت والخيل والرجال قد طلعت الينا كالجراد
المنتشر قال وكان بعضنا قد مد يده الى الطعام وبعضنا ينضج له القرص واذا بمناد ينادي
يا خيل الله اركبي وللجهاد تأهبي فدونكم والقوم قبل أن يدهموكم قال حمدان بن أسيد
الحضرمي وكان لي قرص خبزته وقدمت شيأ من الزيت لأحمله ادامي للقرص واذا بالمنادي
ينادي النفير النفير قال فوالله ما راعني ذلك حتى أخذت قطعة وغمستها في الزيت وهويت بها الى
في فسمعت النفير فقمت مسرعا وركبت جوادي عريانا من دهشتي لسرعة الاجابة وضربت
بيدي على عمود من أعمدة الخيام وحملت على القوم فوالله ما شعرت بما صنعت ولا عقلت على
نفسي حتى صرت في الروم فجعلت أحطمهم حطما وأهبرهم بالسيف هبرا قال فنظرت الى خيل
الروم متفرقة والامير أبو عبيدة قد نصب رايته والناس يهرعون اليها وان أبا عبيدة رضي
الله تعالى عنه ينادي برفيع صوته اليوم يوم له ما بعده قال ونظر أبو عبيدة الى شدة ضرب
الروم وصبرهم على قتال المسلمين فحمل عليهم بالخيل العربية وأحاط بالروم من كل جانب
ومكان وكان في جملة خيله عمرو بن معديكرب الزبيدي وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي
الله تعالى عنهما وربيعة بن عامر ومالك بن الاشتر وضرار بن الازور رضي الله تعالى عنهم

وذو

وذو الكلاع الحميري فلله درهم فلقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا فلما نظرت الروم الى فعلهم رجعوا الى أعقابهم طالبين الاسوار وغلقوا الابواب ورجع المسلمون الى عسكرهم وأضرموا نيرانهم ودفنوا من استشهد منهم وأقبلت رؤساء المسلمين الى الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وقالوا أيها الامير ما الذي قد عزمت عليه وما عندك من الرأي يرحمك الله فقال أبو عبيدة رضي الله عنه اعلموا أن من الرأي أن تتأخر عن المدينة مقدار شوط فرسخ ليكون ذلك مجالا لخيلكم ومنعة لحريمكم والنصر من عند الله تعالى ثم دعا أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعقد له راية وأمره على خمسمائة فارس وثلثمائة راجل وأمرهم أن يهبطوا الى الوادي وأن يقاتلوا القوم على الابواب وأن يشغلوهم عن المسلمين ثم دعا ضرار بن الازور وعقد له راية وأمره على خمسمائة فارس ومائتي راجل وسرحه الى باب الشام وقال يا ابن الازور أظهر شجاعتك على بني الاصفر فقاتل من هناك من الروم فقال حبا وكرامة قال ومضت كل فرقة الى جهة من الجهات فلما أصبح الصباح فتحت الروم الابواب وخرجوا في خلق كثير الى أن تكاملوا حول بطريقهم هربيس فقال لهم البطريق اعلموا يا معاشر النصرانية ان أهل هذا الدين من قبلكم قد فشلوا عن قتال هؤلاء العرب وعجزوا عن قتالهم ونزالهم فقالوا أيها السيد طب نفسا وقر عينا فانا كنا نخاف من العرب قبل أن نختبرهم ونعلم قتالهم وقد علمنا أنهم اذا لاقوا حربنا لم يكونوا أصبر منا على الحرب لان أحدهم يلقى الحرب وعليه ثوب خلق خام أو فروة خلقة ونحن علينا الدروع والزرد وقد وهبنا أنفسنا للمسيح (قال الواقدي) فلما نظر أبو عبيدة رضي الله عنه الى كثرتهم نادى برفيع صوته يا معاشر المسلمين لا تفشلوا فتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين قال وان الروم داخلهم الخوف لما كانوا قد نالوه من غرة المسلمين بالامس فحملوا حملة عظيمة قال سهل بن صباح العبسي شهدت قتال أهل بعلبك وقد خرج الينا أهلها في اليوم الثاني وهم أطمع مما كانوا في اليوم الاول وقد حملوا علينا حملة عظيمة شديدة منكرة وكنت في ذلك اليوم أصابني جرح في عضدي الايمن وما أطيق أن أحرك يدي ولا أحمل سيفا فترجلت عن جوادي وجريت بين أصحابي وقلت في نفسي اذا قصدني أحد من هؤلاء الاعلاج لم يكن لي غنى أن أدفع عن نفسي فطلعت الى ذروة الجبل فعلوته وأشرفت على العسكرين وجعلت أنظر الى حربهم وقتالهم وقد طمعت الروم في العرب والمسلمون ينادون بالنصر وأبو عبيدة يدعو لهم بالنصر والتحمت القبائل وافتخرت العشائر قال سهل بن صباح وأنا في الجبل من وراء حجر أنظر الى ضرب السيوف على البيض والحجف والشرر يطير من شعاعها وقد التقى الفريقان واختلط الجمعان فقلت في نفسي ويحي وما عسى أن ينفع المسلمين مقام سعيد بن زيد وضرار بن الازور على الابواب والامير أبو عبيدة في مثل هذا الحرب وانهم والله على وجل أن ينكشفوا من عظم شدتهم وحربهم وهول ما يلقونه قال فأسرعت الى جراثيم الشجر فجعلت أكسرها وأجمع الحطب بعضه على بعض وعمدت الى زناد كان معي فأوقدت النار وأضرمتها فيه وعبيت عليه حطبا أخضر ويابسا حتى علا منه دخان عظيم وكانت علامتنا اذا أردنا أن يجتمع بعضنا الى بعض بأرض الشام في الليل وقود النار وأثارة الدخان قال فما هو الا أن علا الدخان وتصاعد الى الافق حتى نظر اليه

سعيد بن زيد وأصحابه وضرار بن الازور وأصحابه فنادى بعضهم بعضا الحقوا الامير أبا عبيدة رحمكم الله فان هذا الدخان ما هو الا من شئ عظيم والصواب أن نكون بخيلنا فى موضع واحد فأسرعوا بخيلهم وساروا حتى أشرفوا على المسلمين وهم فى شدة الحرب وأعظم الكرب وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت السيوف البواتر واذا بمناد هتف بهم يا حملة القرآن جاءكم النصر من الرحمن ونصرتم على عبدة الصلبان واذا قد أشرف عليهم سعد بن زيد وضرار بن الازور فى أوائل خيلهم وقد شرعا سنانهما وحملا فى الروم وقد أيقن الروم أنهم الغالبون اذ ظهرت عليهم رايات المسلمين وكتائب الموحدين فالتفتوا ينظرون ما الخبر واذا بالمسلمين من ورائهم وقد حالوا بينهم وبين مدينتهم فنادوا بالويل والخراب وظنوا أنه قد أتى للمسلمين نجدة ومدد وقد غربهم البطريق فلما نظر البطريق الى تبلدهم زعق فيهم وقال ياويلكم لا ترجعوا الى المدينة فقد حيل بينكم وبينها وهذه مكيدة من مكايد العرب فلما سمعت الروم ذلك أحاطوا ببطريقهم كالحلقة المستديرة يحمى بعضهم بعضا فعدل بهم البطريق نحو الجبل ذات الشمال وكان سعيد بن زيد وضرار بن الازور قد أقبلا بجيشهما عن يمين الحصن وشماله فحملوا عليهم واتبعوا آثارهم حتى طلعوا الى الجبل والتجأت الروم الى ضيعة فى الجبل حصينة خالية من أهلها فاستند الروم اليها وتحصنوا فيها وتبعهم سعيد بن زيد فى الخمسمائة فارس الذين كانوا معه وذلك أن الامير أبا عبيدة رضى الله عنه لما نظر الى هزيمة الروم نادى فى المسلمين معاشر الناس لا يتبعهم أحد ولا يفترق جمعكم لانى أخشى أن تكون هزيمة القوم مكيدة لكم حتى اذا تفرق جمعكم زحفوا عليكم قال وان سعيد بن زيد لم يكن يسمع النداء ولو سمع النداء ما تبع القوم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) لما تحصنت الروم فى الضيعة قال سعيد بن زيد هذه طائفة قد أراد الله هلاكها فدوروا بهم وحاصروا فى كل مكان ولا تدعوا أحدا يطلع رأسه الى أن نلحق بكم المسلمون وأنى لكم أمر من الامير أبى عبيدة ثم أقبل الى رجل من عظماء المسلمين وقال له اخلفنى فى قومى حتى أنظر رأى الامير أبى عبيدة ومن معه ثم أخذ معه زهاء من عشرين فارسا من أصحابه وسار حتى لحق بجيش المسلمين فلما نظر اليه الامير أبو عبيدة ومن معه قال يا سعيد أين رجالك وما صنعت بهم قال أبشر أيها الامير فان المسلمين فى خير وسلامة وقد حاصروا أعداء الله فى ضيعة فى هذا الجبل ثم أخبره بالقصة من أولها الى آخرها فقال أبو عبيدة الحمد لله الذى هزمهم عن أوطانهم وجعلهم أشتاتا ثم أقبل أبو عبيدة على سعيد بن زيد وعلى ضرار بن الازور وقال لهما ما هذه المخالفة رحمكم الله ألم آمركم بالاقامة على أبواب المدينة والمشاغلة للقوم فما الذى ردكم الى وقد أرعبتم قلبى وقلب من كان معى وظننت أن أهل المدينة كادوكم وهو الذى منعنا أن نتبع المنهزمين فقال سعيد بن زيد أيها الامير والله ما عصيت لك أمرا ولا خالفتك فى قول وانى قد وقفت حيث أمرتنى اذ رأينا دخانا قد علا قتامه ولاح لنا سنانه فقلنا والله ما هذه الا داهية من دواهى الروم أو نفير قد استدعانا به المسلمون فأسرعنا نحوك فعندها نادى الامير أبو عبيدة فى المسلمين معاشر الناس أيكم أوقد نارا أو دخن دخانا فى هذا الجبل فليجب الامير أبا عبيدة قال سهل بن صباح فلما سمعت النداء أجبت المنادى وأتيت الامير أبا عبيدة فقال ما الذى

جرأك على ذلك فقصصت عليه قصتي فقال أبو عبيدة لقد وفقك الله تعالى الى الجنة فاياك بعدها أن تحدث حدثا من غير اذن أميرك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فبينما الامير كذلك يحدث سهل بن صباح واذا رجل من المسلمين منحدر من الجبل وهو ينادي النفير النفير يا أمة البشير النذير أدركوا اخوانكم المسلمين فقد أحاط بهم الروم وهم في أشد ما يكون من القتال وانه قد دنا البطريق من المسلمين ونادى بأصحابه ورجاله وقال يا عباد المسيح اليكم هذه الشرذمة اليسيرة والعصابة الحقيرة التي قد أحاطت بكم فاقتلوهم وادخلوا المدينة فانكم ان قتلتم القوم كسرتم بذلك حدة العرب والنصر فواعنكم * قال مصعب بن عدي وكنت في بعلبك من أصحاب سعيد بن زيد وقد جعلنا محاصرين البطريق والروم في الضيعة ونحن دون الخمسمائة رجل فما شعرنا الا والبطريق والروم قد تبادروا الينا من كل مكان فنادى بعضنا بعضا واجتمعنا قال والله لقد كبوا علينا الخيل وأحاطوا بنا بعدما كنا أحطنا بهم وكان شعارنا في ذلك اليوم الصبر الصبر قال فبينما نحن كذلك في أشد الحرب وأعظم الكرب اذ سمعنا صوتا عاليا قد ملأ الجبل ومناديا ينادي ويقول أمامن رجل يهب نفسه في الله ويستنفر المسلمين فانهم بالقرب منا ولا يعلمون ما نزل بنا قال مصعب بن عدي فلما سمعت الصوت همزت جوادي بكعبي وكان جوادا عتيقا يسبق الريح الهبوب أو الماء اذا انسكب من ضيق الأنبوب كأنه الطود العظيم والله لقد خرج من تحتي كأنه البرق ولم تلحق منه الروم الا الغبار بعد ما قتلت منهم رجلين ولقد نظرت الى فرسي وهو يثب الصخرة ويسلك الوعرة حتى أشرفت على عساكر المسلمين فناديت النفير النفير يا أمة البشير النذير فلما سمع أبو عبيدة ذلك صاح بالرماة فأجابه خمسمائة رام من أصحاب القسي العربية فضمهم الى سعيد بن زيد وقال له أسرع يرحمك الله والحق بأصحابك قبل أن يأتي العدو اليهم ثم نادى بضرار بن الازور وأصحابه وقال له أدرك أخاك سعيد بن زيد قال فسار المسلمون مثل الجراد المنتشر حتى علوا على قلة الجبل وأشرفوا على الروم وهم محدقون بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو زيد بن ورقة بن عامر الزبيدي وكنت ممن شهد القتال على الضيعة مع أصحاب سعيد بن زيد وقد أحاطت بنا الروم وقد صبرنا لهم صبر الكرام وقد صرع منا سبعون رجلا ما بين جريح وقتيل ونحن في أشد ما يكون من القتال والجراح وقد طمعت الروم فينا حتى سمعنا التهليل والتكبير ولحقنا النفير فلما أشرفت علينا راية المسلمين رجعت الروم على أعقابهم مدبرين الى الضيعة راجعين ولحقنا من تأخر منهم وكثر فيهم القتل والجراح لكثرتهم وتحصن القوم في الضيعة فأحطنا بهم من كل جانب وما بقي منهم أحد الا يخرج رأسه من كثرة النبل وورد الخبر الى الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه بمن استشهد من المسلمين ومن قتل من الكافرين وأن القوم قد لزمهم الحصار وأن لا زاد عندهم ولا ماء فقال أبو عبيدة الحمد لله ثم قال للمسلمين معاشر الناس ارجعوا الى أموالكم واضربوا خيامكم حول المدينة فان الله عز وجل كاد عدوكم وهو منجز لنا ما وعدنا من نصره قال فعندها رجع المسلمون الى أموالهم ومواضعهم التي كانوا فيها أول مرة وضربوا خيامهم وأنفذوا أموالهم وأرسلوا الى المرعى خيولهم وابلهم وسرحوا الى الحطب عبيدهم وأضرموا النيران في عسكرهم وذهب منهم الخوف وأتاهم

الامان وان أهل بعلبك افترقوا على السور وجعلوا يضربون على وجوههم و يصيحون بلغتهم
فقال الامير أبو عبيدة لبعض التراجمة ما يقول هؤلاء فقال له الترجمان أيها الامير انهم
يقولون ياويلهم وياعظم ما أصابهم وياخراب ديارهم ويافناء رجالهم حتى ظفرت العرب
ببلادهم (قال الواقدى) فلما دنا المساء أرسل الامير أبو عبيدة الى سعيد بن زيد يقول له يا ابن
زيد الحذر الحذر على من معك من المسلمين واجتهد رحمك الله أن لا يفوتك من الروم أحد
ولا تفسح لهم قدما واحدا فيخرج منهم واحد فيتبع أولهم آخرهم فتكون كمن حصل فى
يده شئ فأضاعه فلما وصل الرسول الى سعيد بن زيد بهذه الرسالة أمر المسلمين أن يحيطوا
بالضيعة من كل جانب وأن لا يخرجوا الى الحطب الا ماتة بالسلاح ففعلوا ذلك وأضرموا
نيرانهم وباتوا الطول ليلتهم يهللون ويكبرون وبالضيعة يطوفون فلما نظر البطريق هربيس
الى ذلك أقبل على أصحابه ورجاله وقال لهم ياويلكم لقد أيسنا من التدبير وأخطأنا الرأى
وما لنا مدد ولا نجدة ولا نصير ولو اجتهدنا لما اجتهدت العرب على أن يحبسونا فى هذه
الضيعة والآن قد حبسنا أنفسنا فى حبس ليس فيه طعام ولا شراب وان دام علينا هذا يوما
ثانيا أو ثالثا ضعف قوينا ومات ضعيفنا وبطلت حيلتنا وسلمنا أنفسنا كارهين فنقتل عن
آخرنا فقالت البطارقة فما الذى ترى أيها السيد فقال قد رأيت من الرأى أن أخدع العرب
وأحتال عليهم وأسألهم الصلح لنا ولأهل مدينتنا كما قد طلبوا وأفهمهم أن أفتح لهم المدينة
ويسكنون فى ذمامهم فاذا دخلنا المدينة حاربناهم على سورها ولعلنا نرسل الى صاحب عين
الجوز والى صاحب جوسية فلعلهما يقدمان الى نصرتنا فيكونان لقتال العرب من خارج
المدينة ونحن من على الاسوار ويكفينا المسيح هذه النوبة فقالت البطارقة اعلم أيها السيد
ان صاحب جوسية لا يجيبك الى نجدة أبدا لانه مشتغل بنفسه وربما يكون محاصرا مثل
حصارنا هذا فلقد بلغنا قبل نزول هؤلاء العرب علينا أنهم صالحوهم وليس لهم من القوة
والقدرة أن يقاتلوا العرب وأما صاحب عين الجوز فانهم فى تجارتهم متفرقون فى أقصى الشام
وما أظن الا أنهم فى صلح العرب فانظر لنفسك ورعيتك مافيه الصلاح فلما سمع البطريق
هربيس قولهم أجابهم الى ذلك فلما أصبح الصباح طلع البطريق على جدار الضيعة ونادى
برفيع صوته يامعاشر العرب أما فيكم رجل يعرف كلامى أنا هربيس البطريق فلما سمعه
بعض التراجمة أقبل على سعيد بن زيد وقال له يامولاى ان هذا العلج هو هربيس صاحب القوم
وهو يستدعى كلامك فقال له سعيد بن زيد ادن منه وانظر ماذا يريد وما يقول قال فدنا الترجمان
منه فقال له ما الذى تريد قال أريد أن يؤمننى أميركم هذا فى ذمامه وذمام أصحابه ويدنونى حتى
أخاطبه بما يعود صلاحه على الفريقين فقال الترجمان ذلك لسعيد بن زيد فقال سعيد بن زيد
لا كرامة له حتى أدنو منه وأمشى اليه حتى يخاطبنى فان كانت له حاجة فليأت الى خاضعا ذليلا
صاغرا حتى أسمع كلامه وأعلم مراده قال فأعلم الترجمان هربيس بكلام سعيد بن زيد فقال
هربيس فكيف أنزل اليه وأنا محارب له فأنا أخاف أن يقتلنى فقال له الترجمان أنا آخذ لك
منه الذمام فان العرب لا تخون اذا أمنت فقال البطريق نعم قد تشاعت الينا أخبارهم
ولكنى أريد أن أستوثق لنفسى ولاصحابى وأهل بلدى لانهم قوم قد لحقهم الشدة فينا وقد

اصبنا

أصبنا منهم دما كثيرا وانى أريد أن أرسل له شخصا يأخذ لى منه أمانا فقال الترجمان أنا أعرفه ذلك ثم أقبل الترجمان على سعيد بن زيد وقال له ان البطريق هربيس يريد أن يوجه اليك رجلا من أصحابه يأخذ له منك أمانا فقال سعيد بن زيد دعه يوجه من يريد وأعلمه أن رسوله منا فى أمان حتى يرجع اليه قال فاعلمه الترجمان بذلك فأقبل البطريق على رجل من عظماء أصحابه وقال له ترى ما قد نزل بنا وكيف قد ملك العرب علينا الطريق وان بلاد الشام قد أذن المسيح بخرابها وقد نصرت العرب علينا وانا فى شدة شديدة وان لم نأخذ من القوم الامان والا هلكنا وهلكت خيلنا وبعد ذلك يتحكمون فى أولادنا وحريمنا ويقتسمون أموالنا وديارنا وليس لنا نجدة لان كل بلد مشتغل بنفسه عن نصرتنا فانزل الى هؤلاء العرب وخذ لنا منهم أمانا واستوثق لنا منهم حتى أنزل أنا اليهم فلعلنا نجرى بيننا وبينهم صلحا ولعلى أمكر بهم حتى نرجع الى المدينة ولعلى أرغب صاحبهم فى شىء من المال فلعله يرغب وينصرف عنا الى أن نرى ما يكون بينهم وبين الملك هرقل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فنزل الرجل ووقف أمام الامير سعيد بن زيد وهم الرجل أن يسجد له فمنعه من ذلك وتبادرت اليه المسلمون فسكوه ففزع الرجل وقال لم تمنعونى أن أعظم صاحبكم فقال الترجمان ذلك لسعيد بن زيد فقال انما أنا وهو عبد الله تعالى ولا يجوز السجود والتعظيم الا الله الملك المعبود القديم فقال الرجل بهذا نصرتم علينا وعلى غيرنا من الامم فقال سعيد بن زيد فما الذى جاء بك قال جئت لآخذ منك أمانا لبطريقنا أن لا تنقض لنا عهدا فقال سعيد بن زيد ليس من أخلاق الامراء ومن يقود الجيوش أن يغدر بعد الامان ولسنا بحمد الله ممن ينقض عهدا وقد أعطيت صاحبك أمانا ولمن معه ممن ألقى السلاح وخرج يطلب الامان مستسلما فقال الرجل نريد منك الامان ومن أميرك وممن معك فقال سعيد لكم ذلك فعند ذلك رجع الرجل الى البطريق وأعلمه بجواب سعيد وقال له اخرج واياكم والغدر فانه يهلك صاحبه وان هؤلاء العرب لا يخونون أمانهم وعهدهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى أن البطريق هربيس خلع ما كان عليه من الثياب والديباج وألقى السلاح ولبس ثياب الصوف وخرج حافيا حاسرا ذليلا ومعه رجال من قومه حتى وقف بين يدى سعيد بن زيد فخر سعيد لله ساجدا وقال الحمد لله الذى أزال عنا الجبابرة وملكنا طارقتهم وملوكهم ثم أقبل عليه وقال له ادن منى فأدناه الى أن جلس الى جانبه وقال له أهذا لباسك دائما أو غيرته فقال لا وحق المسيح والقربان ما لبست الصوف أبدا غير الحرير والديباج وما لبست هذا الا فى وقتى هذا فانى ما أريد حربكم ولا قتالكم ثم قال لسعيد هل لك أن تصالحنى على أصحابى هؤلاء وعلى أهل المدينة ومن فيها فقال سعيد أما أصحابك هؤلاء فانى أوفيهم على شرط أن من دخل فى ديننا فله ما لنا ومن اختار الاقامة على دينه وألقى السلاح كان آمنا من القتل وعليه العهد أنه لا يحمل علينا سلاحا ولا يكون لنا حربا أبدا وأما المدينة فالأمير أبو عبيدة عليها وقد فضها ان شاء الله تعالى ثم قال ان أحببت أن تسير معى الى أبى عبيدة حتى يسمع كلامك وتصالح عن قومك فسر وأنت فى ذمامى فان اتفق بينكما الامر والا رددتك الى موضعك هذا ومن أراد الرجوع معك من رجالك الى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين فقال البطريق انا أفعل ذلك فعندها دعا سعيد بن زيد سعد بن أبى وقاص بن عوف

العدوى وقال يا ابن أبي وقاص كن بشيرا للامير أبي عبيدة بما سمعت وأسرع بالجواب قال
فأسرع ابن أبي وقاص بن عوف وركب جواده وكان حصانا شديد العدو وجعل يسير سيرا حثيثا
حتى أشرف على الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه ووقف بين يديه وسلم عليه وقال أصلح الله
تعالى شأن الأمير أبشرك بأن البطريق هربيس قد أخذ الامان من سعيد بن زيد وهو يريد أن
يقبل به عليك يسألك الصلح والأمان له ولاهل مدينته فلما سمع الامير ذلك سجد لله شكرا ورفع
رأسه وقال أيها الناس تقدموا الآن الى قتال أهل المدينة وأظهروا أسلحتكم عليها وكبروا
تكبيرة واحدة لكي ترعبوا بها القوم قال ففعل المسلمون ذلك فارتجت المدينة وفزع أهل
بعلبك وتداعوا للقتال وأحاط المسلمون بالمدينة من كل جانب وكان أول من سبق الى المدينة
وأعطاهم خبر البطريق المرقال بن عتبة وقال حصنوا أنفسكم وأولادكم وأموالكم بالصلح
فان أبيتم ذلك فقد وعدنا الله تبارك وتعالى على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يفتح لنا
بلادكم وأمصاركم وغيرها وان الله تعالى منجز أمره فلما سمع أهل بعلبك ذلك فزعوا فزعا
شديدا واغبرت وجوههم ورعبت قلوبهم وكلت من الحرب أيديهم وقالوا أهلكنا البطريق
وأهلك نفسه ولو كنا صالحنا العرب من قبل أن يوجد بنا هذا الحصار لكان خيرا لنا قال
وشدد المسلمون عليهم القتال ﴿قال الواقدي﴾ فلما علم أبو عبيدة أن نيران الحرب قد
أضرمت على المدينة أرسل الى سعيد بن زيد يقول له أسرع بالبطريق الينا وله الامان الذي
أمنت أنت فنحن لا ننقض لك عهدا فلما ورد رسول أبي عبيدة على سعيد بن زيد استخلف على
الضيعة رجلا من أصحابه وسار سعيد مع البطريق حتى وردا على الامير أبي عبيدة رضي الله
عنه فلما وقف البطريق بين يديه ونظر الى زيه وزي من معه وشهد قتالهم وعظم ما تلقى المدينة
من حربهم وقتالهم حرك البطريق رأسه وعض على أنامله فقال أبو عبيدة رضي الله عنه
لترجمانه ما لهذا يحرك رأسه ويعض أنامله كأنه يتأسف على شئ فاته قال فأعلمه الترجمان بذلك
فأقبل على الترجمان وقال له وحق المسيح وما مسح وحق البيعة والمذبح لقد ظننت أنكم أكثر
عددا من الحصى وأكثر مددا ولقد كان يخيل لنا عدد حربكم وشدة ما نلقى منكم أنكم على
عدد الحصى والرمل من كثرتكم ولقد كنا نرى خيلا شهبا وعليها رجال وبأيديهم رايات صفر
وعليهم ثياب خضر فلما صرت بينكم لم أر من ذلك شيأ وما أراكم الا في قلة عدد وما أدرى
ما فعل جمعكم أبعثتموه الى عين الجور أو الى جوسية أو مكان آخر فأخبر الامير الترجمان بذلك
فقال أبو عبيدة للترجمان قل له يا ويلك نحن معاشر المسلمين يكثرنا الله تعالى في أعين المشركين
ويمدنا بالملائكة كما فعل بنا يوم بدر وبذلك فتح الله تعالى بلادكم وحصونكم علينا وأذل
ملوككم فلما سمع البطريق كلام أبي عبيدة رضي الله عنه على لسان الترجمان قال لقد ولتم
الشام الذي عجزت عنه ملوك الفرس والترك والجرامقة وما ظننا أن يكون ذلك أبدا وأما
مدينتنا فهي حصينة لا تعبأ بالحصار لانها مدينة ليس بالشام مثلها بناها سليمان بن داود
عليهما السلام لنفسه وعملها دار مقامه وخزانة ملكه ولولا ما سبق من تفريطنا وخروجنا
عنها اليكم وانحرافنا عنها ما صالحناكم أبدا ولولاها ما ناحربكم ولو أقمتم علينا مائة سنة والآن
فقد كان ذلك فهل لكم أن تصالحونا حتى نصالحكم فتعدل فينا فهو أقرب لرشدنا ولكم

فوحق المسيح والانجيل الصحيح ائن فضنا لكم هذه المدينة لا يصعب عليكم في الشام حصن
ولا مدينة قال فلما أخبر الترجمان الامير أبا عبيدة رضي الله عنه بما قاله قال أبو عبيدة للترجمان
قل له ان شاء الله تعالى ملكنا أرضكم وديار كم وأذل لنا ملوككم فلا بد أن تؤدوا الجزية وقد
ظنفت لنفسك أمانا كاذبا حتى أراك الله الذل والصغار بعد العز والاقتدار ولا بد لنا أن
نملك مدينتكم ان شاء الله تعالى ونقتل الرجال ونأسر الابطال فمن أراد حربنا وقتالنا فلا
يدخل في صلحنا أبدا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال البطريق لما سمع ذلك على
لسان الترجمان لقد تيقنت أن المسيح قد غضب على أهل هذه المدينة اذ بعثكم اليها
وملككم عليها وقد اجتهدت في حربكم ومكرت بكم وما نفع مكري واجتهادي لانكم قوم
مسلطون وانما طلبت منكم الصلح وألقيت يدي في أيديكم بعد جهد مني لا شفقة مني على نفسي
ولا بقاء مني على ملكي ولكن أردت اصلاح البلاد لان الله تعالى لا يحب الفساد والآن فهل
لكم أن تصالحوا على المدينة ومافيها وعلى أصحابي هؤلاء فقال له الامير أبو عبيدة رضي الله
عنه فما الذي تبذل لنا في صلحك قال له البطريق أيها الامير انظر ما الذي تريد فقال الامير أبو
عبيدة لو أن الله فتح على المسلمين من الصلح على هذه المدينة بملئها ذهبا وفضة ما كان أحب الي
من سفك دم رجل واحد لكن الله تعالى أعطى الشهداء في الآخرة أكثر من ذلك فقال
البطريق أنا أصالحكم على ألف أوقية من الفضة البيضاء وألف ثوب من الديباج ﴿قال
الواقدي رحمه الله تعالى﴾ فتبسم الامير أبو عبيدة من كلامه وأقبل على المسلمين وقال لهم اما
تسمعون ما يقول هذا البطريق قالوا نعم قال فما رأيكم فيما شرط على نفسه فقالوا نزيد عليه
وشرطه يرضينا فأقبل الامير على البطريق وقال له أنا أصالحكم على ألفي أوقية من الذهب
الأحمر وألفي أوقية من الفضة البيضاء وألفي ثوب من الديباج وخمسة آلاف سيف من
مدينتكم وسلاح أصحابك الذين هم في الضيعة محاصرون ولنا عليكم خراج أرضكم في العام
الآتي وأداء الجزية في كل عام وأنتم بعد ذلك لا تجعلون علينا سلاحا ولا تكاتبون ملكا ولا
تحدثون حدثا ولا كنيسة وترون النصح للمسلمين فلما سمع البطريق ذلك من شرط الامير
أبي عبيدة رضي الله عنه قال لك ذلك كله علينا الا أني أريد أن أشرط عليك وعلى أصحابك
شرطا فقال له الامير أبو عبيدة وما شرطك فقال لا يدخل الينا من أصحابك أحد وتنزل
صاحبك الذي تستخلفه علينا خارج المدينة بأصحابه ويكون له الخراج والجزية وتدعني أنا من
داخل المدينة من قبل الاصلاح بين الناس والنظر في أحوالهم ونحن نخرج الى من تخلفه
علينا من أصحابك سوقا يكون فيه من جميع ما في مدينتنا ولا يدخلون الينا مخافة أن يغلظوا
بكلامهم على كبرائنا ويفسد الامر بيننا وبينكم ويكون سببا للغدر ونقض العهد قال
أبو عبيدة فاذا صالحنا كم نجاهد عدوكم لانكم تصيرون في ذمتنا ويكون الرجل الذي تخلفه
عليكم مثل الواسطة والسفير بينكم قال البطريق هو بئس يكون خارج المدينة ويفعل
ما يشاء أن يفعله من المحاماة فقال أبو عبيدة لكم ذلك وما لنا في الدخول الى مدينتكم من
حاجة فقال البطريق تم الصلح على ذلك ثم سار البطريق الى المدينة وأبو عبيدة معه فلما
وصل الى الباب حسر البطريق عن رأسه ورطن عليهم بلغة الروم فعرفوه عند ذلك فقالوا له

وأين أصحابك ورجالك فقص عليهم قصته وأخبرهم بخبره وخبر أصحابه وأعلمهم بالصلح فبكى
القوم وقالوا تلفت النفوس وذهبت الاموال فقال لهم البطريق يا قوم وحق المسيح ما سألتهم
ولى وجه غير الصلح فقالوا له اذهب أنت وصالح عن نفسك وأما نحن فلن نصالح العرب أبدا
ولن ندع أحدا منهم يملكنا ولا يدخل بلادنا ومدينتنا وهى أحصن مدينة فى الشام وكان الامير
أبو عبيدة رضى الله عنه قد أعلم المسلمين بمصالحة البطريق وأمرهم أن يكفوا عن القتال
والحرب فلما سمع الترجمان كلام أهل بعلبك للبطريق فهم أخبر الامير أبا عبيدة رضى الله عنه
بذلك فأقبل البطريق فقال له أبو عبيدة هات ما عندك والا برزنا للحرب كما كان فقال له البطريق
دعنى والقوم فوحق الانجيل الصحيح وعيسى المسيح لولم يقبلوا منى لأدخلنك بالكثرة اليهم
فتضع السيف فيهم وتقتل رجالهم وتسبى نساءهم وتنهب أموالهم لانى خبير بعورات بلدهم
وطرقاتها قال أبو عبيدة رضى الله عنه ما شاء الله كان قال وكان الروم على سورهم يسمعون
كلام البطريق لابى عبيدة رضى الله عنه فدخل الرعب فى قلوبهم فعند ذلك أقبل البطريق
على الروم وقال لهم ما تقولون فى صلح العرب فانى أسير فى أيديهم ورجالهم وبنو عمكم فى قبضتهم
فان لم تصالحوا العرب والا يقتلونا جميعا ويرجعوا اليكم من بعدنا فقالوا أيها السيد انا لا نطيق
هذا المال فقال يا ويلكم على وحدى ربع ما طلبوا فطابت قلوبهم بذلك وقالوا انا لا نفتح الباب
الا لك وحدك ولا يدخل معك أحد من العرب حتى نصلح مدينتنا ونرفع رحالنا ونخفى حريمنا
فقال البطريق ويحكم فانى قد صالحت القوم على أن لا يدخل مدينتكم أحد منهم وان الرجل
الذى يخلفونه عليكم يكون هو وأصحابه خارج المدينة وتخرجون اليه سوقا يتسوقون منه قال
ففرحت الروم بذلك وفتحوا له الباب فدخل اليهم وبعث الامير أبو عبيدة الى سعيد بن زيد أن
يخلى عن الرجال الذين هم فى الضيعة محاصرون فخلى سعيد بن زيد سبيلهم وجاءهم عند الامير
أبى عبيدة وأخذ سلاحهم وتركهم عنده رهائن على المال الذى عندهم لانه خاف ان تركهم
أن يرجعوا الى المدينة ويغدروا بالمسلمين فتركهم عنده فى عسكره هذا والبطريق فى المدينة
يجبى المال بعد اثنى عشر يوما وهم مع ذلك يحملون الى عسكر المسلمين الزاد والميرة والعلوفة
حتى كملت الاموال والثياب والسلاح وحملها البطريق الى حضرة أبى عبيدة رضى الله
تعالى عنه وقال له تسلم الاموال على ما وافقتك عليه وخل عن الرجال وانظر من تخلفه علينا
من أصحابك فأحضره لنا حتى نشترط عليه بحضرتك أن لا يجور علينا ولا يطالبنا بما
لا نطيق ولا يدخل مدينتنا قال فدعا أبو عبيدة برجل من سادات قريش اسمه رافع بن عبد الله
السهمى وقال له يا رافع بن عبد الله استعملتك على هذه المدينة وضم اليك خمسمائة فارس
من بنى عمك وعشيرتك وأربعمائة فارس من أخلاط المسلمين وانى آمرك بما أمرك الله به
فاتق الله حق تقاته ولا تكن الا من الولاة العادلين واياك والظلم والجور فتحشر مع الظالمين
واعلم أن الله تعالى سائلك عنهم ومطالبك بما تصنع بغير الحق واعلم أنى سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى بن عمران عليه السلام أن يا موسى
لا تظلم عبادى أخرب بيتك من نفسك فأقم الارصاد فى أطراف البلاد فانك بين أعدائك
وبعد هذا ما عرفتك الا استيقاظا وأحذرك من السواحل وشن الغارة عليهم ولتكن

غارتك فى المائة والمائتين ولا تمكن أحدا من المدينة يختلط بأصحابك فى غارة حتى يطمع عدوكم فيه وأحسن معاملة من ساعدك وأصلح بينهم وأمرهم بالعدل وكن بينهم كأحدهم وأمر أصحابك ومن معك أن يكفوا أيديهم عن الفساد والظلم للرعية والله تعالى خليفتى عليك والسلام عليك

﴿ذكر حديث نزول المسلمين على حمص﴾

﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا به آمين﴾ ثم هم أبو عبيدة رضى الله عنه بالرحيل الى حمص واذا قد ورد عليه صاحب عين الجوز يطلب منه الصلح فصالحه على نصف ما صالحه عليه أهل بعلبك وولى عليهم سالم بن ذؤيب السلمى ووصاه بمثل ما وصى به رافع بن عبد الله ورحل الامير أبو عبيدة رضى الله عنه يطلب حمص فلما وصل الى بين الرأس والكفيلة لاقاه صاحب الجوسية ومعه هدية كثيرة فقبلها منه وجدد معه صلحا وسار الامير أبو عبيدة رضى الله عنه حتى نزل على حمص (قال الواقدى) حدثنا حباب بن تميم الثقفى قال كنت فيمن أقام مع رافع بن عبد الله السهمى فى جملة أصحابه وذلك أنا نصبنا بيوت الشعر على العمد وأقمنا خارج المدينة لا يدخل اليها أحد منا ونحن مع ذلك نشن الغارة على سواحل الروم ونكبس على العرب التى لم تكن فى صلحنا وكنا اذا خرجنا فى سرية نبيع الغنائم فى بعلبك ففرح أهلها ببيعنا وشرائنا ووجدونا قوما ليس فينا كذب ولا خيانة ولا نريد ظلم أحد وطابت قلوبهم وربحوا فى تلك المدة اليسيرة مالا عظيما فلما نظر البطريق هربيس الى مارج أهل بعلبك منا فى تجارتهم ورخص ما يشترونه منا جمعهم اليه فى كنيسة المدينة وهى الجامع اليوم وكان ذلك بميعاد وعدهم فيه الاجتماع فلما اجتمعوا عنده أقبل عليهم وقال للتجار والباعة والسوقة لقد علمتم أنى قد اجتهدت فى أموركم وحرصت على سلامة نفوسكم وأهاليكم وأولادكم وأنتم تعلمون ما ذهب منى من المال وأنا اليوم واحد منكم وقد سلمت مالى وسلاحى وقتل أكثر غلمانى ورجالى وبنو عمى وأنتم قوم قد أصبتم مع هؤلاء العرب خيرا كثيرا فى هذه التجارات وقد أديت وحدى ربع المال فقالوا صدقت أيها البطريق وقد عرفنا كل ما وصفت فما الذى تريد الآن فقال يا قوم انما كنت قبل هذا اليوم بطريقكم وأنا اليوم واحد منكم وأريد أن تردوا على بعض ما بذلت من المال للعرب فقالوا أيها البطريق وأنى لك بذلك فقال البطريق يا قوم لست أكلفكم أن تخرجوا من أموالكم ولا مما حوته منازلكم شيأ وانما أريد أن تجعلوا لى فى هذه البيوع والاشرية العشر مما تأخذون وتعطون قال فاضطرب القوم اضطرابا شديدا لذلك وعظم عليهم وأقبل بعضهم على بعض وقالوا يا قوم هذا رجل منا وصاحب ملكنا وقد اجتهد فى أمورنا وحامى بماله ونفسه عنا وما عسى يصيب منا فى مالنا قال فأجابوه الى ذلك وجعلوا له عليهم العشر فنصب عليهم من قبله عشارا يأخذ منهم أعشارهم ويجمعها ويحملها اليه فأقام على ذلك أربعين يوما فلما نظر هربيس الى كثرة ما قد اجتمع له من مال العشر قال أنا أعلم أن هذه المدينة فى كسب عظيم وتجارة رابحة ما رأى أهل بعلبك مثل هذا أبدا ثم جمعهم بالكنيسة مرة ثانية وقال لهم يا قوم قد علمتم ما قد بذلت من المال على صلحكم وهذا الذى تعطونى اياه من العشر ليس يجزينى فان أردتم أن تردوا على مالى وتجعلونى

كأحدكم فاجعلوا الى الربع فى أموالكم حتى يرجع الى مالى سريعا والا فتى أخاف من هذا العشر مالى وسلاحى وغلمانى (قال الواقدى) فأبى القوم وضجوا عليه وأشهروا عددهم ووثبوا فى الطريق بغلمانه فقطعوهم اربا اربا وارتفع ضجيجهم ففزع المسلمون لذلك وهم لا يعلمون بالقصة فاجتمعوا الى أميرهم رافع بن عبد الله السهمى وقالوا أيها الامير أما تسمع أصوات هؤلاء القوم فى مدينتهم فقال يا قوم قد سمعت كما سمعتم فما عسى أن أصنع بهم ولا يحل لنا الدخول اليهم وبهذا جرى الشرط بيننا وبينهم ونحن أحق بمن أوفى بعهد الله تعالى فان هم خرجوا الينا وأعلمونا بأمرهم صالحنا بينهم ونظرنا فى أمورهم (قال الواقدى) فما استتم الامير رافع بن عبد الله كلامه حتى خرج أهل بعلبك يهرعون اليه فلما وقفوا بين يديه قالوا انا بالله وبك أيها الامير ثم أعلموه بقصتهم وما فعل البطريق بهم أول مرة وما فعل بهم ثانى مرة قال رافع بن عبد الله انا لا نمكنه من ذلك فقالوا يا أيها الامير انا قد قتلناه وجميع غلمانه فصعب ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رافع فما الذى تريدون فقالوا نريد أن تدخلوا الى المدينة فانا قد أطلقنا لكم الدخول اليها فقال رافع بن عبد الله أنا لا أقدر أن أدخل المدينة الا باذن الامير أبى عبيدة لانه ما أذن لى بذلك ثم كتب رافع بن عبد الله الى الامير أبى عبيدة يعلمه بالقصة وبحديث البطريق وبحديثهم الذى قالوه فكتب له بالدخول الى المدينة كما قد أذنوا له فدخل رافع وأصحابه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا موسى بن عامر قال حدثنا يونس بن عبد الله قال حدثنا سالم بن عدى عن جده عبد الرحمن بن مسلم الربعى وكان ممن حضر فتوح الشام أوله وآخره قال لما فتح الله بعلبك على يد المسلمين وترك أبو عبيدة رافع بن عبد الله وتوجه الى حمص للحوق بخالد بن الوليد فلما قرب من حمص وموضع يقال له الزراعة وجه على مقدمة جيشه ميسرة بن مسروق العبسى وعقد له راية سوداء معلمة بالبياض وضم اليه خمسة آلاف فارس من المسلمين فلما سار ميسرة حتى وصل الى حمص خرج خالد بن الوليد رضى الله عنه الى لقائه وسلم عليه وعلى من معه من المسلمين ثم بعث أبو عبيدة بعده ضرار بن الازور فى خمسة آلاف فارس وبعث بعده عمرو بن معد يكرب الزبيدى وقدم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه بقية الجيش فلما أشرف أبو عبيدة على حمص قال اللهم عجل علينا فتحها واخذل من فيها من المشركين واستقبلهم المسلمون باجمعهم وسلموا عليه وعلى من معه ونزل أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه على النهر المقلوب فلما استقر به القرار كتب الى أهل حمص وبطريقها الجديد وهو هربيس كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبى عبيدة عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على الشام وقائد جيوشه أما بعد فان الله تعالى قد فتح علينا بلادكم ولا يغرنكم عظم مدينتكم وتشييد بنيانكم وكثرة رجالكم فما مدينتكم عندنا اذا أتاكم الحرب الا كالبرمة قد نصبناها فى وسط عسكرنا وألقينا اللحم فيها وجميع العساكر يتوقع الاكل منها وقد داروا بها ينتظرون نضجها وأكل ما فيها ونحن ندعوكم الى دين ارتضاه لنا ربنا عز وجل فان أجبتم الى ذلك ارتحلنا عنكم وخلفنا عندكم رجالا امناء يعلمونكم أمر دينكم وما فرض الله تعالى عليكم وان أبيتم الاسلام أقررناكم على أداء الجزية وان أبيتم الاسلام والجزية فهلموا الى الحرب والقتال حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ثم طوى

الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وكان ذلك الرجل يحفظ بالعربية والرومية وقال له انطلق الى حمص وائتنا بالجواب فأخذ المعاهد الكتاب وسار حتى وصل الى السور فهم أهل حمص أن يرموه بالسهام والحجارة فقال لهم بالرومية يا قوم أمسكوا عليكم فأنا رجل معاهد وقد جئتكم بكتاب من هؤلاء العرب (قال الواقدي) فدلوا له حبلا فربط وسطه به وشالوه اليهم وأتوا به الى بطريقهم فلما وقف بين يديه خضع له وناوله الكتاب فقال له البطريق أرجعت عن دينك الى دين هؤلاء العرب قال لا ولكن في ذمتهم وعهدهم أنا وأولادي وأهلي ومالي وما رأينا من القوم الا خيرا والصواب عندي ان لا تقاتلوهم فان القوم أولو بأس شديد لا يخافون ولا يرهبون الموت قد تمسكرا بدينهم والموت عندهم أفضل من الحياة وقد أقسم القوم بدينهم لا يبرحون عن مدينتكم حتى تسلموها اليهم أو يفتحها الله على أيديهم وحق ديني انكم أحب الي من العرب وأريد النصر لكم دون القوم ولكني خائف عليكم من بأسهم وسطوتهم فسلموا اسلموا ولا تخالفوا تندموا (قال الواقدي) فلما سمع البطريق هرابيس كلامه غضب غضبا شديدا وقال وحق المسيح والانجيل الصحيح لولا أنك رسول لامرت بقطع لسانك على جراءتك علينا فلما قرأ الكتاب وعلم ما فيه أمر كاتبه أن يكتب الى الامير أبي عبيدة بجواب كتابه فكتب كلمة الكفر ثم قال يا معاشر العرب انه وصل الينا كتابكم وعلمنا ما فيه من التهديد والوعد والوعيد ولسنا كمن لاقيتم من أهل الشام ولم يزل الملك هرقل يستنصر بنا على من عاداه وعلى من قصد اليه من العساكر والآن فلا بد من الحرب والقتال فان سورنا شديد وأبوابنا حديد وحربنا عتيد والسلام وطوى الكتاب وسلمه الى المعاهد وأمر غلمانه أن يدلوه بالحبال من السور وسار حتى وصل الى الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وسلمه الكتاب ففضه وقرأه فلما سمع المسلمون ما فيه عولوا على الحرب والقتال وقسم الامير أبو عبيدة عسكر المسلمين أربع فرق فبعث فرقة مع المسيب بن نجية الفزاري فنزل بهم على باب الجبل مما يلي باب الصغير وبعث فرقة أخرى مع المرقال بن هاشم بن عقبة بن أبي وقاص فنزل بهم على باب الرستن وبعث فرقة أخرى مع يزيد بن أبي سفيان فنزل بهم على باب الشام ونزل الامير أبو عبيدة وخالد بن الوليد رضي الله تعالى عنهما على باب الصغير وزحف المسلمون اليهم من كل مكان وقاتلوهم بقية يومهم هذا وسهام الروم تصل اليهم فيلتقطونها بالحجف ونبال العرب تصل اليهم والى من بأعلى السور فأثرت لاجل ذلك ضرا فانثنوا عند المساء فلما كان الغد جمع خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه كل عبد كان في عسكر المسلمين وأمرهم أن يتقلدوا بالسيوف ويتنكبوا بالحجف ويزحفون الى سور حمص ويضربون السور بأسيافهم ويتلقون السهام بحجفهم فقال الامير أبو عبيدة وما عسى أن يغني عنا هذا يا أبا سليمان فقال خالد رضي الله عنه على رسلك أيها الامير ولا تخالفني فيما صنعت فاني عزمت أن أقاتلهم بالعبيد ونعلمهم أن ليس لهم عندنا من القدر شيء فنقاتلهم بأنفسنا الا أن يخرجوا الينا فقال أبو عبيدة رضي الله عنه افعل ما شئت فالله تعالى موفقك فعند ذلك أمرهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه بالزحف على الاسوار وكانوا أربعة آلاف عبد وأمر خالد ألفا من العرب أن تترجل معهم ففعلوا ذلك وزحفوا على السور وقد استتروا بالحجف والعرب من ورائهم

فرموا بالنبل وضربوا بسيوفهم فهلما تم ومنها ما أنكر (قال الواقدي) وأشرف عليهم هرابيس صاحب حمص وقد دارت بطارقته وأصحاب الحرب فجعلوا ينظرون الى أفعالهم فقال هرابيس يا معاشر البطارقه وحق المسيح ما ظننت أن العرب بهذه الصفة واذا هم كلهم سودان فقال له بعض من يلحقه باجنادين وسائر المواطن لا أيها السيد بل هؤلاء عبيدهم وهذه من بعض مكايد العرب في الحرب وقد قدم هؤلاء السودان والعبيد الى حربنا وقتالنا معناه أن ليس لنا عندهم من القدر أن يلقونا بأنفسهم أو نخرج اليهم فقال هرابيس وحق المسيح ان هؤلاء أشد من العرب باسا وأقوى مراسا واعلموا أنه ما رق قوم بسور مدينتنا ولا دنوا منها الا وقدهان عليهم أمرها واقترب على أيديهم فتحها (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ولقد بلغني أن العبيد قاتلوا يومهم قتالا شديدا وهجموا على الابواب مرارا ولم يزالوا بقية يومهم ذلك حتى أقبل الليل ورجعت الموالي الى عسكر المسلمين وبعث هرابيس من ليلته رسولا الى الامير أبي عبيدة رضي الله عنه فأقبل الرسول والظلام معتكر فأحس جيوش المسلمين به فهموا به فقال أنا رسول من البطريق هرابيس صاحب حمص وأريد الجواب عن هذا الكتاب فسلم اليهم كتاب هرابيس فأخذه أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وقرأه فاذا فيه يا معاشر العرب انا ظننا أن عندكم عقلا تدبرون به الحرب وتستعينون به على الامور واذا أنتم بخلاف ذلك لانكم في أول حربكم لنا تفرقتم على الابواب فقلنا هذا أشد ما يكون من الحصار وأعظم ما تقدرون عليه من الاضرار فلما كان الغد تأخرتم عن حربنا وبعثتم هؤلاء المساكين الى حربنا يقطعون أسيافهم ويكسرون سلاحهم فيا ليت شعري هل تصبر سيوفهم على فساد سورنا وقد بان لنا عجز رأيكم وتدبيركم في القتال وملاقاة الرجال والآن فأنا أشير عليكم بأمر فيه الصلاح لنا ولكم وهو أن تسيروا الى الملك هرقل وتفتحوا ما بين أيديكم كما فتحتم ما وراءكم واياكم واللجاج والبغي فانهما قاتلان لمن اتبعهما وراجعان على من بدأ بهما أو نحن نخرج اليكم صبيحة هذه الليلة والله ينصر من يشاء منا ومنكم ممن على الحق قال فلما قرأ الامير أبو عبيدة كتاب هرابيس صاحب حمص استشار المسلمين فيما يصنع وكان قد حضر عنده رجل كبير من أكابر خثعم وسيد من ساداتهم اسمه عطاء بن عمرو الخثعمي وكان كبير السن قديم الهجرة سديد الرأي قد قاد الرجال وولي أمر الجيش وحزم العساكر فلما سمع كتاب هرابيس وثب قائما على قدميه وقال للامير أبي عبيدة رضي الله عنه أقسمت عليك أيها الامير برسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما سمعت مقالي فان فيه صلاح المسلمين فالله وفقني لمقالة وأيد المسلمين بها قال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه قل يا أبا عمرو فأنت عندنا ناصح المسلمين قال فدنا من الامير أبي عبيدة وساره وقال له أصلح الله الامير اعلم أن خبرك عند هؤلاء منذ نزلت على هؤلاء الشام وهذا البطريق أشد منعة وأعظم جولة ممن كان قبله وقد علم بفتوح بعلبك وانك لا بد أن تنزل على حصارها وقد استدعى بالطعام والعلوفة وآلة الحصار وقد شحنها بالرجال وما ترك في رساتيقها وقراها طعاما الا وقد خزنوه عندهم ما يكفيهم أعواما وان نحن حاصرناهم يطول الامر كالحال أمرنا على دمشق والرأي عندي

أن تخدعهم بخديعة وتحتال عليهم بحيلة فان تمت لنا عليهم الحيلة فتحنا المدينة عن قريب
ان شاء الله تعالى قال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وما الحيلة عندك يا ابن عمرو فقال
الرأي عندي أن نكتب الى هؤلاء القوم أن يميرونا بالزاد والعلوفة ونضمن لهم أن نرتحل عنهم
الى أن يفتح الله تعالى عليك غير مدينتهم ونرجع اليهم وقد قل زادهم وانتشروا في سوادهم
وتفرقوا في امصارهم وتجاراتهم ونشن عليهم غارة فنملك ما ظهر منهم ويهون عليك
أمر من بقي في حمص مع قلة الزاد والعلوفة فقال أبو عبيدة أصبت الرأي يا ابن عمرو واني سوف
أفعل ما ذكرته ونرجو من الله التوفيق والعون ثم دعا أبو عبيدة رضي الله عنه بدواة
وبياض وكتب جواب الكتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاني رأيت في قولك
صلاحا لنا ولكم ولسنا نريد البغي على أحد من عباد الله عز وجل وقد علمت أن عسكرنا كثير
وخيلنا وابلنا كثير فان أردتم أن نرتحل عنكم فابعثوا لنا ميرة خمسة أيام وأنتم تعلمون
أن البطريق الذي أمامنا بعيد وما نلقى بعدكم الا كل حصن منيع وأبواب حديد فاذا أمرتمونا
رحلنا عنكم الى بعض مدائن الشام فاذا فتح الله علينا بعض مدائن الشام رجعنا عنكم كما
زعمتم فان فعلتم ذلك كان صلاحا لكم وطوى الكتاب وسلمه الى الرسول وسار الى حمص فلما قرأ
هربيس الكتاب فرح بذلك وجمع الرؤساء والرهابين وقال لهم اعلموا أن العرب قد بعثوا
يطلبون منكم الزاد والميرة حتى يرحلوا عنكم فان العرب مثلهم كمثل السبع اذا وجد فريسته
لم يرجع الى غيرها وهم قد لحقهم الجوع في مدينتكم واذا أشبعناهم انصرفوا عنا فقالوا
أيها الامير نخاف من العرب أن يأخذوا الزاد والعلوفة ولا يرحلوا عنا فقال انا نأخذ
لكم عليهم العهود والمواثيق أنكم اذا أمرتموهم يرحلوا عنكم فقالوا افعل ما بدا لك
واستوثق لنا ولك قال فبعث هربيس وأحضر القسوس والرهبان وأمرهم أن يخرجوا الى
الامير أبي عبيدة رضي الله عنه و يأخذوا عليهم العهود والمواثيق اذا أمرناهم يرحلوا عنا قال
فخرجوا وقد فتح لهم باب الرستن فساروا حتى وصلوا الى الامير أبي عبيدة وأخذوا عليهم ميثاقا
وعهدا أن يرحلوا عنهم اذا هم أمروهم ولا يرجع عليهم حتى يفتح الله على يديه مدينة من مدائن
الشام شرقا أو غربا سهلا كان أو جبلا فقال الامير أبو عبيدة رضي الله عنه قد رضيت بذلك وتم
الصلح على ذلك وأخرج لهم أهل حمص مما كانوا قد ادخروه من الزاد والعلوفة شيأ عظيما له
ولعسكره ما يكفيهم مدة خمسة أيام فأقبل أبو عبيدة عليهم وقال يا أهل حمص قبلنا ما حملتموه
لنا من الزاد والعلوفة فاذا رأيتم الآن أن تبيعوا من الزاد والعلوفة فقالوا نحن نفعل ذلك
فعندها نادى الامير أبو عبيدة بشراء الزاد والعلوفة ولتكثروا من ذلك فان قدامكم طريق واسع
قليل الزاد والعلوفة فقالوا أيها الامير بماذا نشتري الزاد وعلى أي شيء نحمله فقال ابو عبيدة من
كان معه شيء من الذي غنمتموه من الروم فليشتر به الزاد والعلوفة قال حسان بن عدي
الغطفاني خفف الله عن أبي عبيدة الحساب كما خفف عنا ما كنا نحمله من البسط والطنافس
مما كان قد أثقلنا وأثقل دوابنا فأخذنا به الزاد والعلوفة من القوم وكانت العرب تسمح لهم
في البيع والشراء ويشتري منهم أهل حمص ما يساوي عشرين دينارا بدينارين ورغب أهل
حمص في شراء الرخيص ولم يزل أهل حمص كذلك ثلاثة أيام وأهل حمص فرحون برحيل العرب

عنهم قال وكان للروم في عسكر العرب جواسيس وعيون يأخذون لهم الاخبار فلما نظرت الجواسيس الى أهل حمص وقد فتحوا مديتهم وهم يعيرون العرب ظنوا أنهم دخلوا في طاعتهم فسارت الجواسيس الى انطاكية طالبين وجعلوا كلما اجتازوا ببلد من البلاد أو بحصن من الحصون يقولون ان أهل حمص قد دخلوا في طاعة العرب وفتحوا مدينتهم صلحا فكان يعظم ذلك على الروم ويزيدهم خوفا ورعبا وكان ذلك توفيقا من الله عز وجل للمسلمين وكانت الجواسيس أربعين رجلا فدخل ثلاثة رجال منهم الى شيزر فأشاعوا ذلك وأشيع فيها ذلك

﴿ذكر فتح الرستن﴾

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وسار الامير أبو عبيدة بالعسكر حتى نزل على الرستن فرآها حصنا منيعا وماؤها غزير وهي مشحونة بالرجال والعدد والعديد فبعث اليهم رسولا يأمرهم أن يكونوا في ذمته فأبوا ذلك وقالوا لا نفعل حتى نرى ما يكون من أمركم مع الملك هرقل وبعد ذلك يكون ما شاء الله تعالى فقال الامير أبو عبيدة رضي الله عنه فانا متوجهون الى قتال الملك هرقل ومعنا رجال وأمتعة قد أثقلتنا واشتهينا أن نودعها عندكم الى وقت رجوعنا قال وأتى أهل الرستن الى بطريقهم وكان اسمه نقيطاس وشاوروه في ذلك فقال يا قوم ما زالت الملوك والعساكر يودع بعضها بعضا وما يضرنا ذلك ثم بعث الى الامير أبي عبيدة يقول له مهما كان لك من حاجة فنحن نقضيها ونريد منكم المراعاة لاهل سوادنا حتى نرى ما يكون من أمركم مع الملك هرقل فقال الامير أبو عبيدة ونحن نفعل ان شاء الله تعالى (ثم قال الواقدي رحمه الله تعالى) عن ثابت بن قيس بن علقمة قال كنت ممن حضر عند أبي عبيدة رضي الله عنه فعند ذلك دعا بأهل الرأي والمشورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم ان هذا حصن شديد منيع ليس لنا الى فتحه سبيل الا بالحيلة والخديعة وأريد أن أجعل منكم عشرين رجلا في عشرين صندوقا وتكون الاقفال عندهم من باطنها فاذا صاروا في المدينة فثوروا على اسم الله تعالى فانكم تنصرون على من فيها من المشركين فقال خالد بن الوليد فاذا عزمت على ذلك فلتكن الاقفال ظاهرة ويكون أسفل الصناديق أبنى في ذكر من غير شئ يمسكها فاذا حل أصحابنا في حصن هؤلاء القوم يخرجون جملة واحدة ويكبرون فان النصر مقرون بالتكبير فأجابه أبو عبيدة الى ذلك وأخذ صناديق الطعام المنتخبة عند الروم فقص أسافلها وجعلها ذكرا في أنثى فأول من دخل في الصناديق ضرار بن الازور والمسيب بن نجبة وذو الكلاع الحميري وعمرو بن معديكرب الزبيدي والمرقال وهاشم بن نجبة وقيس بن هبيرة وعبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق ومالك بن الاشتر وعوف بن سالم وسارية بن كلكل ومازن بن عامر والأسيد ابن سلمة وربيعة بن عامر وعكرمة بن أبي جهل وعتبة بن العاص ودارم بن فياض العبسي وسلمة بن حبيب والفارع بن حرملة ونوفل بن جرعل وجندب بن سيف وعبد الله بن جعفر الطيار وجعله أميرا عليهم وسلموا الصناديق الى الروم فلما حطت الصناديق في الرستن ألقاها نقيطاس في قصر امارته وارتحل الامير أبو عبيدة رضي الله عنه وسار حتى نزل في قرية يقال لها السودية فلما أظلم الليل بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه بجيش الزحف الى الرستن ينظر ما يكون من أصحابه وما فعلت الصحابة رضي الله عنهم فسار خالد بن الوليد برجاله حتى وصل القنطرة واذا

بالصياح

بالصياح قد علا والتهليل والتكبير من داخل مدينة الرستن (قال الواقدي رحمه الله تعالى) كان من أمر الصحابة أنه لما تركهم نقيطاس في دار امارته ركب الى البيعة مع بطارقته وأهل مدينته ليصلوا صلاة الشكر لاجل رحيل المسلمين عنهم وارتفعت أصواتهم بقراءة الانجيل وسمع أصواتهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا من الصناديق وشدوا على أنفسهم وأشهروا سلاحهم وقبضوا على امرأة نقيطاس وحريمه وقالوا نريد مفاتيح الابواب فسلمتها اليهم فلما حصلت المفاتيح في أيديهم رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وكبس القوم على أبواب مدينتهم فلم يجسروا عليهم لانهم بدون عدة ولا سلاح وبعث عبد الله بن جعفر الطيار ربيعة بن عامر والاصيد بن سلمة وعكرمة بن أبي جهل وعتبة ابن العاص والفارع بن حرملة وسلم اليهم المفاتيح وقال افتحوا الابواب وارفعوا أصواتكم بالتهليل والتكبير فان اخوانكم المسلمين من حول المدينة كامنون فتبادر الخمسة الى الباب القبلي وهو باب حمص وفتحوه ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة واذاهم بعسكر الزحف وعلى المقدمة خالد بن الوليد رضي الله عنه فأجابوهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة وسمع أهل الرستن أصوات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلموا أنهم في قبضتهم وأن مدينتهم قد أخذت من أيديهم فاستسلموا جميعا وخرجوا اليهم وقالوا لهم انالاتقا تلكم ونحن الآن أسرى لكم فاعدلوا فينا فانتم أحب الينا من قومنا قال فعرض خالد بن الوليد رضي الله عنه الاسلام عليهم فأسلم منهم كثير وبقي الاكثر يؤدون الجزية وأما أميرهم نقطياس فانه قال لاأريد بديني بدلا فقال له خالد بن الوليد رضي الله عنه الآن فاخرج بأهلك عنا وحدث قومك بعد لنا فأخرجوه من الرستن فتوجه بأهله وأمواله الى حمص وأعلم أهلها بفتح الرستن فصعب ذلك على أهل حمص وعلموا أن العرب تصبحهم أوتمسيهم بالغارة وبعث جعفر بن عبد الله الطيار الى أبي عبيدة يخبره بالفتح والنصر فسجد لله تعالى شكرا وبعث اليهم ألف رجل من اليمن ووصاهم بحفظ الرستن وأمر عليهم هلال بن مرة اليشكري فلما استقروا بالرستن رحل خالد بن الوليد رضي الله عنه وعبد الله بن جعفر وأهلهم وعساكرهم وتوجهوا الى حماة وكان أهل حماة في صلح المسلمين كماذكرنا وكذلك أهل شيزر الا أن بطريق أهل شيزر مات وبعث اليهم الملك هرقل بطريقا عاتيا جبارا اسمه نكس فنقض الصلح وأذاق أهل شيزر ضرا وشرا وكان يصادرهم ويأخذ أموالهم ويحتجب عنهم لاهيا في أكله وشربه فلما بلغ الخبر الامير أباعبيدة بعث خيلا جريدة الى شيزر فغارت الخيل على بلدهم ووقعت الضجة بشيزر وسمع البطريق نكس الضجة فنزل اليهم من قلعته وأظهر لهم بعض حجابه وجلس في بيعتهم المعظمة عندهم وجمع الرؤساء منهم وقال لهم ياأهل شيزر أنتم تعلمون أن الملك هرقل قد استخلفني عليكم أحفظ مدينتكم وأمنع عن حريمكم وأموالكم ثم فتح خزانة السلاح وفرق عليهم العدد وأمرهم بالحرب والقتال فبينما القوم كذلك اذ أشرف عليهم خالد بن الوليد في أصحابه ومعهم جيش الزحف فنزلوا بازائهم وأشرف بعده يزيد بن أبي سفيان بأصحابه فنزل عليهم وأشرف بعده الامير أبو عبيدة في عساكره جميعهم فلما نظر أهل شيزر تلاحق العساكر بهم هالهم ذلك وعظم عليهم وحارت

أبصارهم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما نظر أبو عبيدة رضي الله عنه كتب الى أهل شيزر كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أهل شيزر فان حصنكم ليس بأمنع من حصن بعلبك ولا من الرستن ولا رجالكم أشجع فاذا قرأتم كتابي هذا فادخلوا في طاعتي ولا تخالفوني فيكون وبالا عليكم وقد بلغكم عدلنا وحسن سيرتنا فكونوا مثل سائر من صالحنا ودخل في طاعتنا من سائر بلاد الشام والسلام وطوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين و بعثه اليهم فلما وصل الكتاب اليهم أعطوه بطريقهم نكس فقرئ عليه فلما فهم ما فيه قال ما تقولون يا أهل شيزر فيما ذكرته العرب فقالوا صدقت العرب أيها البطريق الكبير فان حصننا ليس بأمنع من الرستن ولا بعلبك ولا دمشق ولا بصرى وأنت تعلم شدة أهل حمص وحدة شجاعتهم وقد صالحوا العرب وكذلك أهل فلسطين ومدنها والاردن وحصنها فكيف تمنع عنهم شيزر وهي حصن لطيف فان عصيت هؤلاء العرب فانك معول على هلاكنا وخراب مدينتنا (قال الواقدي) وكثر فيهم الخطاب وعلا الكلام وأقبل البطريق نكس يسب أهل شيزر وأمر غلمانه بضربهم فلما نظر أهل شيزر ذلك غضبوا وأظهروا سلاحهم عليه وعلى غلمانه ووقع القتال بين الفريقين فعرف المسلمون ذلك وقالوا اللهم أهلكهم بأسهم ولم يزل أهل شيزر في القتال حتى نصروا على البطريق وعلى غلمانه وقتلوهم عن آخرهم ثم خرجوا الى الامير أبي عبيدة رضي الله عنه رجالا الى لقائه بغير سلاح فلما وقفوا بين يدي الامير أبي عبيدة سلموا عليه وقالوا أيها الامير انا قتلنا بطريقنا في محبتكم قال يا أهل شيزر بيض الله وجوهكم وأدر رزقكم فقد كفيتمونا الحرب والقتال ثم قال للمسلمين ألا ترون الى حسن طاعة هؤلاء العرب وفعالهم ببطريقهم في محبتكم والدخول في طاعتكم وقد رأيت من الرأي أن أحسن الى القوم وأنعم عليهم فقال المسلمون نعم ما رأيت حتى يصل ما تصنع الى غيرهم ويفتح الله علينا البلاد ان شاء الله تعالى (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فأقبل على أهل شيزر وقال أبشروا فاني لست أكره أحدا منكم فمن أحب منكم الدخول في ديننا فله ما لنا وعليه ما علينا والخراج موضوع عنكم سنتين ومن أقام على دينه فعليه الجزية وقد وضعنا عنه الخراج سنة كاملة ففرح الروم بذلك وقالوا أيها الامير سمعنا وأطعنا وهذا قصر بطريقنا فأنت أحق بما فيه وهو هدية منا اليك فدونك واياه وما فيه من الرحال والآنية والاموال فأخرج أبو عبيدة رضي الله عنه منها الخمس وقسم الباقي على المسلمين بالسوية ونادى أبو عبيدة رضي الله عنه يا معاشر المسلمين قد فتح الله على أيديكم هذه المدينة أيسر فتح وأهونه وقد خرج أهل حمص من ذمتكم ووفيتم لهم ما عاهدوكم عليه فارجعوا بنا عليهم رحمكم الله تعالى (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فركب المسلمون ظهور خيولهم وهموا بالمسير واذا قد لاح لهم غبرة مرتفعة من وراء النهر المقلوب وهي منقلبة من طريق انطاكية وقد أخذت عرضا فأسرعت خيل المسلمين اليها فاذا معها قسيس كبير من قسوس الروم ومعه مائة برذون موسوقة بالاحمال ومن حولها مائة علج من علوج الروم يحفظونها (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ولم يكن للقسيس خبر بنزول المسلمين على شيزر فصاح بهم خالد بن الوليد رضي الله عنه وكبر المسلمون معه وأحدقوا بهم من كل جانب وأخذوا العلوج أسرى وأخذوا البراذين وأقبل خالد على القسيس وقال له

باويلك من أين أقبلت بهذه الاحمال قال فرطن القسيس بالرومية فلم يدر خالد ما يقول هذا القسيس المشؤم فبدا اليه رجل من أهل شيزر وقال أيها الامير انه يذكر أنه من القسوس المعظمة عند الملك هرقل وقد بعثه وبعث معه الى هربيس هذه الاحمال فيها ديباج أحمر منسوج بقضبان الذهب وعشرة أحمال مملوأة دنانير وباقى الاحمال مملوأة من الثياب والدنانير فأخذوها وأخرجوا منها مالا عظيما وغنم المسلمون غنيمة عظيمة لم يغنموا امثالها وساق خالد بن الوليد الاحمال الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنه فوجده على النهر المقلوب مما يلى شيزر وتحته عباءة قطوانية وعلى رأسه مثلها تظله من حر الشمس فأقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه بالقسيس فأوقفه بين يديه فقال أبو عبيدة رضى الله عنه ماهذا ياأباسليمان فقال خالد رضى الله عنه انهم قوم من انطاكية ومعهم هدية لهربيس صاحب حمص من كلب الروم هرقل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وعرض عليه الغنيمة ففرح الامير أبو عبيدة بها فرحا شديدا وقال ياأباسليمان لقد كان فتح شيزر علينا مباركا ثم دعا بترجمان كان معه لا يفارقه وقال اسأل هؤلاء عن كلب الروم الطاغية هرقل هل هو فى جمع كثير أم لا فكلم الترجمان القسيس ساعة فقال القسيس قل للامير ان الملك هرقل قد بلغه أنكم فتحتم دمشق وبعلبك وحوسية وانكم لم تنزلوا على حمص فبعث معى هذه الهدية الى هربيس البطريق وكتب اليه يأمره بقتالكم ويعده بالنجدة وقدوم العساكر اليه لان الملك هرقل قد استنجد عليكم كل من يعبد الصليب ويقرأ الانجيل فأجابته الروسية والصقالبة والافرنج والارمن والدوقس والمغليط والكرخ واليونان والعلف والغزانة وأهل رومية وكل من يحمل صليبا والعساكر قد وصلت الى الملك هرقل من كل جانب ومكان قال فحدث الترجمان الامير أباعبيدة رضى الله عنه بكل ماأعلمه القسيس به فعظم ذلك على الامير أبى عبيدة وعرض على القسيس الاسلام فقال القسيس للترجمان قل للامير أبى عبيدة انى البارحة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وقد أسلمت على يديه ففرح الامير أبو عبيدة بذلك وعرض على الاعلاج الاسلام فأبوا ذلك فضربت رقابهم ورحل أبو عبيدة رضى الله عنه متوجها الى حمص وقد سير الخيل جريدة فى مقدمته فما يشعر أهل حمص الا والخيل قد أغارت عليهم فرجع القوم الى المدينة وقد غلقوا الابواب وقالوا غدرت العرب وحق المسيح قال ونزل المسلمون حول حمص ودار وابها من كل جانب ومكان وقد نفد الزاد من المدينة وأكثر أهلها قد خرجوا الى تجاراتهم وفى طلب الميرة وقد تفرقوا فى البلاد فلما نزل الامير أبو عبيدة رضى الله عنه على حمص دعا بالعبيد والموالى وأمرهم أن يتفرقوا على الطرقات والمحارس وقال لهم كل من وجدتموه قد رجع الى حمص بزاد أو تجارة فائتونى به ففعل العبيد ذلك وصعب ذلك على هربيس صاحب حمص وكتب الى الامير أبى عبيدة كتابا يقول فيه أما بعد يامعاشر العرب فانا لم نخبر عنكم بالغدر ولا بنقض العهد ألستم صالحتمونا على الميرة فرناكم فطلبتم منا البيع فابتعنا كم فلم تقضتم ماعاهدناكم عليه فكتب الامير أبو عبيدة رضى الله عنه يقول أريد أن ترسل الى القسوس والرهبان الذين أرسلتهم الى حتى أوقفهم على ماعاهدتهم عليه ليعلموك أنا لم نغدر ولا مثلنا من يفعل ذلك ان شاء الله تعالى فلما قرأ هربيس الكتاب أحضر القسوس

والرهبان و بعث بهم الى الامير أبي عبيدة فخرجوا اليه وفتح لهم باب حمص وساروا الى أن وصلوا للامير أبي عبيدة فسلموا عليه وجلسوا بين يديه فقال لهم أبو عبيدة رضي الله عنه ألم تعلموا أني عاهدتكم وحلفت لكم أني منصرف عنكم حتى أفتح مدينة من مدائن الشام سهلا كان أو جبلا ثم يكون الرأي لي ان شئت رجعت اليكم أو سرت الى غيركم فقالوا بلى وحق المسيح فقال لهم ان الله تعالى قد فتح علينا شيزر والرستن في أهون وقت وقد غنمنا الله مال بطريقهم نكس وغيره مما لم نؤمله في هذه المدة اليسيرة والآن فلا عهد لكم عندنا ولا صلح الا أن تما لجونا على فتح المدينة وتكونوا في ذمتنا وأماننا فقال القسوس والرهبان لقد صدقت أيها الامير ليس عليكم لوم وقد وفيتم بذمتكم وقد بلغنا فتحكم شيزر والرستن والخطأ كان منا اذ لم نستوثق لانفسنا والآن الامر بيد بطريقنا ونحن نرجع اليه ونعلمه بذلك ثم رجعوا الى مدينتهم ودعا الامير أبو عبيدة رضي الله عنه بالرجال والابطال وأهل الحرب وقال خذوا أهبتكم فان القوم بلا زاد ولا مدد يأتي اليهم من عند طاغيتهم ولا نجدة فاستعينوا بالله وتوكلوا على الله قال فلبس المسلمون السلاح والعدد ورجعوا الى الابواب والاسوار واجتمع أهل حمص ببطريقهم هربيس وقالوا ما عندك من الرأي في أمر هؤلاء العرب فقال الامر عندي أن نقاتلهم ولا نريهم منا ضعفا قالوا فان الزاد قد نفد من مدينتنا وقد أخذه القوم منا وما سمعنا بمثل هذه الحيلة فقال هربيس ما لكم تعجزون عن حرب عدوكم وما قتل منكم قتيل ولا جرح منكم جريح ولم تصبكم شدة ولا جوع وانما أصابوا منكم على غرة ولو دخلوا المدينة لما قدروا عليكم وأقل الرجال على السور يكفيكم اياهم وعندي من الزاد في قصري ما يمير كثيركم المدة الطويلة وما أحسب أن الملك هرقل يغفل وسيبلغه خبركم ويوجه اليكم العساكر (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان عند البطريق هربيس في قصره جب عظيم مملوء طعاما ففتحه وفرق الطعام على أهل حمص فسكنت بذلك نفوسهم وجعل البطريق يفرق على كبيرهم وصغيرهم بقية يومهم ذلك وقد انحصر أهل حمص جميعهم فنفد ذلك اليوم نصف ما في الجب وقال لهم اقنعوا بما أعطيتكم ثلاثة أيام وابرزوا الى حرب عدوكم ثم أخذوا أهبة الحرب وعرض عسكره وانتخب منهم خمسة آلاف فارس من أولاد الزراوزة والعمالقة لا يساويهم غيرهم فيهم ألف مدبجة ملكية وفتح خزانة جده جرجيس وفرق عليهم الدروع والجواشن والبيض والمغافر والقسي والنشاب والحراب وأقبل يحرضهم على القتال ويوعدهم بالمدد والنجدة من الملك هرقل ثم دعا بالقسوس والرهبان وقال لهم خذوا أهبتكم وادعوا المسيح أن ينصرنا على العرب فان دعاءكم لا يحجب ولا يرد قال فدخلوا كنيستهم المعظمة عندهم وهي كنيسة جرجيس وهي الجامع اليوم ونشروا المزامير وضجوا بالتهمير وأقبلوا يبتهلون بكلمة الكفر وباتوا بقية ليلتهم على مثل ذلك فلما كان الصباح دخل هربيس الى البيعة وتقرب وصلوا عليه صلاة الموتى فدخل قصره وقدم له دخنوص مشوى فأكله حتى أتى على آخره وقدم بين يديه باطية الذهب والفضة فشرب حتى انقلبت عيناه في أم رأسه ثم لبس ديباجا محشوا بالفرو والزرد الصغار المضعف العدد ولبس فوقها درعا من الذهب الأحمر وعلق في عنقه صليبا من الياقوت وتقلد بسيف من صنعة

الهند وقدم له مهر كالطود العظيم فاستوى على ظهره وخرج من قصره طالبا باب الرستن فأحاطت به بطارقته من الروم من كل جانب ومكان وفتحت أبواب حمص وخرجت الروم في عددهم وعديدهم وراياتهم وصلبانهم وبين يدى هربيس خمسة آلاف فارس من علوج الروم وهم بالعدد العديد والزرد النضيد فصفهم هربيس أمام المدينة كأنهم سد من حديد أو قطع الجلمود وقد وطنوا نفوسهم على الموت دون أموالهم وذراريهم فتبادر المسلمون اليهم مثل الجراد المنتشر وحملوا عليهم حملة عظيمة والعلوج كأنهم حجارة ثابتة ما ولوا عن مواضعهم ولا فكروا فيما نزل بهم فعندها صاح البطريق هربيس على رجاله وزجرهم فتبادرت الروم وصاح بعضهم ببعض وركب المسلمون وحملوا عليهم ورشقوا الرجال بالسهام واشتبكت الحرب واختلط الفريقان واقتتلوا قتالا شديدا ما عليه من مزيد الا أن المسلمين رجعوا القهقرى وقد فشا فيهم القتل والجراح فلما نظر الامير أبو عبيدة الى ذلك من هزيمة المسلمين عظم عليه وكبر لديه وصاح فيهم بصوته يا بنى القرآن الرجعة الرجعة بارك الله فيكم فهذا يوم من أيام الله تعالى فاحملوا معى بارك الله فيكم فتراجع الناس وحملوا على أهل حمص حملة عظيمة وشددوا عليهم الحملة وحمل خالد بن الوليد رضى الله عنه في جمع كثير من بنى مخزوم وجعلوا يضربون فيهم بسيوفهم ويطعنون برماحهم حتى طحنوهم طحن الحصيد ووضع المسلمون فيهم السيف وحمل ابن مسروق العبسى فى طائفة من قومه من بنى عبس وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير وصدموا الروم صدمة عظيمة فتراجعت الروم الى الاسوار وقد فشا فيهم القتل فعبرت الروم بلغاتها وتراجعت على المسلمين وأحاطوا بهم من كل جانب ومكان ورشقت العلوج بالنشاب وطعنوا فى المسلمين بالحراب وقد استتروا بالدرق والطوارق قال فلما نظر خالد بن الوليد الى ذلك برز باللواء وكان هو صاحب اللواء يوم حمص وصاح خالد بأصحابه وقال شدوا عليهم بالحملة بارك الله فيكم فانها والله غنيمة الدنيا والآخرة قال فبينما خالد بن الوليد يحرض أصحابه على القتال اذ حمل عليه بطريق من عظماء الروم وعليه لامة مانعة وهو يهدر كالأسد فحمل خالد بن الوليد عليه وضربه على رأسه فوقع سيفه على البيضة فطار السيف من يد خالد بن الوليد وبقيت قبضته فى يده فطمع العلج فيه وحمل عليه ولاصقه حتى حك ركابه بركاب خالد وتعانقا جميعا بالسواعد والمناكب فضم خالد العلج الى صدره واحتضنه بيده وشد عليه بقوته فطحن أضلاعه وأدخل بعضها فى بعض فأرداه قتيلا وأخذ خالد سيف العلج وهزه فى يده حتى طار منه الشرر ووضع رأسه فى قربوس سرجه وحمل وصاح فى بنى مخزوم فحملوا حملة عظيمة وهاجوا فى أوساطهم وخالد بن الوليد رضى الله عنه يفرقهم يمينا وشمالا وهو ينادى برفيع صوته أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزالوا فى القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد حتى توسطت الشمس فى كبد السماء وحمى الدرع على خالد بن الوليد رضى الله عنه فخرج من المعركة وبنو مخزوم يتقاطرون من خلفه والدم يسيل من أدروعهم وسواعدهم كأنها شقائق الارجوان وخالد بن الوليد رضى الله عنه فى أوائلهم وهو يقول

ويل لجمع الروم من يوم شغب * انى رأيت الحرب فيه تلتهب

وكم لقوامنا مواقع النصب * وكم تركت الروم في حال العطب

قال فناداه الامير أبو عبيدة لله درك يا أبا سليمان لله درك لقد جاهدت في الله حق جهاده فلما نظر المرقال بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الى غفلة الروم صاح في بني زهرة وحملوا في ميمنة الروم وحمل ميسرة بن مسروق العبسي في قوم وحمل عكرمة بن أبي جهل وحوله جمع كثير من بني مخزوم وحمل المسلمون بأجمعهم وقد اطلعوا على الشهادة وأيقنوا بالعناية * قال الواقدي رحمه الله تعالى * فلم يكن يوم حمص أشد حربا ولا أقوى جلدا من بني مخزوم غير أن عكرمة بن أبي جهل كان أشدهم بأسا واقداما وهو يقصد الاسنة بنفسه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك فقال يا قوم انا كنت أقاتل عن الاصنام فكيف اليوم وأنا أقاتل في طاعة الملك العلام واني أرى الحور متشوقين الي ولو بدت واحدة منهن لأهل الدنيا لاغنتهم عن الشمس والقمر ولقد صدقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما وعد ثم سل سيفه وغاص في الروم ولم يزدد الا اقداما وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله فبينما هو كذلك اذ حمل عليه البطريق هربيس صاحب حمص وبيده حربة عظيمة تضيء وتلتهب فهزها في كفه وضربه بها فوقعت في قلبه ومرقت من ظهره فانجدل صريعا وعجل الله تعالى بروحه الى الجنة فلما نظر خالد ابن الوليد الى ابن عمه وقد وقع صريعا أقبل حتى وقف عليه وبكى وقال ياليت عمر ابن الخطاب نظر الى ابن عمي صريعا حتى يعلم أنا اذا لاقينا العدو ركبنا الاسنة ركوبا قال ولم يزل الواقدي الاهوال الشديدة حتى هجم الليل عليهم وتراجعت الروم الى مدينتهم وغلقوا الابواب وطلعوا على الاسوار ورجعت المسلمون الى رحالهم وخيامهم وباتوا ليلتهم يتحارسون فلما أصبح الصباح قال الامير أبو عبيدة رضي الله عنه معاشر المسلمين ما بالكم قد صدكم هؤلاء القوم وبعد الطمع فيهم ما بالكم هزمتم وجزعتم منهم والله ألبسكم عافية مجللة وسلامة سابغة وأظفركم على بطارقة الروم وفتح لكم الحصون والقلاع فما هذا التقصير والله تعالى مطلع عليكم فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه هؤلاء فرسان الروم أشد الرجال ليس فيهم سوقة ولا جبان وقد تعلم أنهم يكونون أشد في الحرب لانهم يمنعون عن الذراري والنسوان فقال أبو عبيدة رضي الله عنه فما الرأي عندك يا أبا سليمان يرحمك الله فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه أيها الامير قد رأيت من الرأي أننا ننكشف للقوم غدا وندع لهم سوائمنا وابلنا فاذا تباعدنا عن مدينتهم وتبعتنا خيلهم وتباعدوا عن مدينتهم وصاروا وامعنا عطفنا عليهم ومزقناهم بالاسنة ونقطع ظهورهم لبعدهم عن مدينتهم فقال أبو عبيدة نعم الرأي ما رأيت يا أبا سليمان ولقد أشرت وأحسنت قال وتواعد المسلمون على أن ينكشفوا بين أيدي الروم وان يتركوا لهم سوائمهم فلما أصبح الصباح فتحت أبواب حمص وخرجت الروم من جميع الابواب وزحفوا يريدون القتال فسألهم العرب كف القتال وأروهم التقصير والخوف وأطمعوهم في أنفسهم وجعلوا ينحرفون عن قتالهم حتى تضاحى النهار وانبسطت الشمس وطاب الحرب وطمعت الروم في المسلمين لما بان لهم من تقصيرهم فشد الروم بالحملة عليهم فانهزمت العرب من بين أيديهم وتركوا سوائمهم * قال نوفل بن عامر حدثنا عرفقة بن ماجد التميمي عن سراقة النخعي وكان ممن حضر يوم حمص

قال

قال لما انهزمت العرب أمام الروم وتبعناهم هربيس البطريق فى خمسة آلاف فارس على خمسة
آلاف شهب وكانوا أشد الروم قال سراقة بن عامر وانهزمنا أمام القوم كأننا نطلب الزراعة
وجوسية وأدركتنا البطارقة وبعضهم مال الى السواد لحمه عا فى الزاد والطعام (قال الواقدى
رحمه الله تعالى) وكان بحمص قسيس كبير السن عظيم القدر عند الروم قد حنكته التجارب
وعرف أبواب الحيل والخداع وكان عالما من علماء الروم وقد قرأ التوراة والانجيل والزبور
والمزامير وصحف شيث وابراهيم وأدرك بعض حوارى عيسى بن مريم عليه السلام فلما
أشرف ذلك القسيس ونظر الى العرب وقد ملك الروم سوادهم جعل يصيح ويقول وهو ينادى
وحق المسيح ان هذه خديعة ومكر ومكيدة من مكايد العرب وان العرب لا تسلم أولادها
وابلها ولو قتلوا عن آخرهم قال وجعل القسيس يصيح وأهل حمص قد وقعوا فى النهب وليس
يغنيهم سوى الزاد والطعام والبطريق هربيس قد ألح فى طلب المسلمين فى خمسة آلاف فارس
فلما أبعدوا عن المدينة صاح الامير أبو عبيدة رضى الله عنه برفيع صوته اعطفوا على الروم
كالسباع الضارية والعقبان الكاسرة فردوا عليهم كردوسا واحدا حتى أحاطوا بالبطريق
وأصحابه من كل جانب وداروا بهم مثل الحلقة المستديرة وأحدقوا بهم كاحداق البياض
بسواد العين وبقيت الروم فى أوساطهم كالشامة السوداء فى الثور الابيض فعند ذلك نصبت
العلوج نشابها على العرب والمسلمون يكرون عليهم مثل الاسود الضارية ويحومون عليهم كما
تحوم القسور ويضربونهم بالسيوف ويصرعونهم يمينا وشمالا حتى انكسر أكثرهم ❁ (قال
عطية بن فهر الزبيدى ❁ فلما نظرت الروم الى فعلنا بهم تكالبت علينا فلما حميت الحرب ابتدر
خالد بن الوليد رضى الله عنه من وسط العسكر وهو على جواد أشقر وعليه جوشن مذهب كان
لصاحب بعلبك أهداه له يوم فتح بعلبك وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه قد عمم نفسه بعمامة
حمراء وكانت تلك العمامة عمامته فى الحرب وجعل يهدر كالاسد الحردان وقد انتضى سيفه
من غمده وهزه حتى طار منه الشرر ونادى برفيع صوته رحم الله رجلا جرد سيفه وقوى عزمه
وقاتل أعداءه فعندها انتضت المسلمون سيوفهم وصدموا الروم صدمة عظيمة ونادى الامير
أبو عبيدة يابنى العرب قاتلوا عن حريمكم ودينكم وأموالكم فان الله مطلع عليكم وناصركم على
عدوكم قال وكان معاذ بن جبل قد انفرد فى خمسمائة فارس الى السواد والاموال وانقض على
الروم فما شعرت الروم والعلوج ممن انغمس فى الغارة وحمل الزاد والرحال والامتعة الا والطعن
قد أخذهم بأسنة الرماح من كل جانب كأنها ألسنة النار المضرمة ونادى مناد يافتيان العرب
اطلبوا الباب لئلا ينجو أحد من الروم برحالنا وأولادنا فجعل المسلمون يطلبون الابواب وكانت
علوج الروم قد غرقت فى رحال المسلمين فلما نظروا الى معاذ وقد حمل عليهم فى رجاله عادت
وقد رمت الرحال وطلبت الهرب فانفلت منهم من انفلت وقتل من قتل قال سهيب بن سيف
الفزارى فوالله ما انفلت من الخمسة آلاف الذين كانوا مع هربيس صاحب حمص الا مالا ينوف
عن مائة فارس قال واتبعنا القوم الى الابواب فكان أعظم المصيبة قتلنا اياهم على الابواب
لان أكثر الرجال من العواصم وغيرهم كانوا فى المدينة قال سعيد بن زيد شهدت يوم حمص وكنت
ممن أولع بعدد القتلى فعددت خمسة آلاف وستة غير أسير وجريح فدنوت من الامير أبى عبيدة

رضي الله عنه وقلت البشارة أيها الامير فاني قد عددت خمسة آلاف وستة غير أسير وجريح فقال الامير أبو عبيدة بشرت بخير يا سعيد يا ابن زيد فهل ترى قتل بطريقهم هربيس فقال سعيد بن زيد أيها الامير اذا كان قتل بطريقهم هربيس فما قتله غيري فقال الامير أبو عبيدة وكيف علمت أنه قتيلك يا سعيد فقال سعيد بن زيد أيها الامير اني رأيت فارسا عظيم الخلقة طويلا ضخما أحمر اللون وبيده سيف وعليه لامة حربه صفتها كذا وكذا وهو في وسط الروم كأنه البعير الهائج فحملت عليه وقلت في حملتي اللهم اني أقسم قدرتك على قدرتي وغلبتك على غلبتي اللهم اجعل قتله على يدي وارزقني أجره فقال له أبو عبيدة أما أخذت سلبه يا سعيد قال لا ولكن علامتي فيه نبلة من كنانتي أثبتها في قلبه فخر يهوي عن جواده ونفرت عنه أصحابه فلحقته فضربته بسيفي ضربة فصرمت حقوته ونبلتي في قلبه فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه أدركوه رحمكم الله وسلموا سلبه الى سعيد ففعلوا ذلك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما أخذت الحرب أوزارها أخذ المسلمون الاسلاب والدروع والشهابي ومثلوا الجميع امام الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فأخرج منها الخمس لبيت مال المسلمين وقسم الباقي على المجاهدين قال ووقع الصياح والبكاء في حمص على من قتل منهم من فرسان الكفار ورجالهم قال واجتمع مشايخ حمص ورؤساؤهم الى بيعتهم وتحدثوا مع القسوس والرهبان على أن يسلموا حمص الى المسلمين وخرج علماء دينهم ورؤساؤهم الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وصالحوه على تسليم المدينة اليه وأن يكونوا تحت دمامه وأمانه فصالحهم أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال لست أدخل مدينتكم حتى نرى ما يكون بيننا وبين الملك هرقل وأراد أهل حمص أن يكرموا المسلمين بالاقامة والعلوفة فنهاهم الامير أبو عبيدة عن ذلك ولم يدخل أحد من المسلمين الى حمص الا بعد وقعة اليرموك كل ذلك لتتقرب المسلمون الى الروم بالعدل وحسن الصحبة

(قال جرير) بن عوف حدثنا حميد الطويل قال حدثني سنان بن راشد اليربوعي قال حدثنا سلمة بن جريح قال حدثنا النجار وكان ممن يعرف فتوح الشام قال لما صالحنا أهل حمص بعد قتل هربيس خرج أهل حمص ودفنوا قتلاهم فافتقدنا القتلى الذين استشهدوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدنا من استشهد من المسلمين مائتين وخمسة وثلاثين فارسا كلهم من حمير وهمدان الا ثلاثين رجلا من أهل مكة وهم عكرمة بن أبي جهل وصابر ابن جرىء والريس بن عقيل ومروان بن عامر والمنهال بن عامر السلمي ابن عم العباس رضي الله عنه وجمع بن قادم وجابر بن خويلد الربعي فهؤلاء من جملة المسلمين الذين استشهدوا يوم حمص والباقون من اليمن وهمدان ومن أخلاط الناس

(ذكر وقعة اليرموك)

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) واتصلت الاخبار الى الملك هرقل أن المسلمين قد فتحوا حمص والرستن وشيزر وقد أخذوا الهدية التي بعثها الى هربيس البطريق فبلغ ذلك منه دون النفس وأقام ينتظر الجيوش والعساكر من أقصى بلاد الروم لانه قد كان كاتب كل من يحمل الصليب فما مضى عليه الا أيام قلائل حتى صار أول جيوشه عنده بانطاكية وآخره في رومية الكبرى وأنه بعث جيشا الى قيسارية بساحل الشام يكون حفظه على عكة وطبرية وبعث

بجيش آخر الى بيت المقدس وأقام ينتظر قوم ماهان الارمني ملك الارمن وقد جمع من الارمن مالم يجمعه أحد من أعالى الملك هرقل وبعد أيام قدم على الملك هرقل لقاء ثم في أرباب دولته فلما قرب منه ترجل ماهان وجنوده وكفروا بين يديه ورفعوا أصواتهم بالبكاء والنحيب مما وصل اليهم من فتح المسلمين بلادهم فنهاهم عن ذلك وقال يا أهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية قد حذرتكم وخوفتكم من هؤلاء العرب ولم تقبلوا مني فوحق المسيح والانجيل الصحيح والقربان ومذبحنا المعمدان لابد لهؤلاء العرب أن يملكوا ما تحت سريري هذا والآن البكاء لا يصلح الا للقضاء وقد اجتمع لكم من العساكر مالم يقدر عليه ملك من ملوك الدنيا وقد بذلت مالي ورجالي كل ذلك لأذب عنكم وعن دينكم وعن حريمكم فتوبوا الى المسيح من ذنوبكم واتقوا اللرعية خيرا ولا تظلموا وعليكم بالصبر في القتال ولا تخامر بعضكم بعضا واياكم والعجب والحسد فانهما مانزلا بقوم الا ونزل عليهم الخذلان واني أريد أن أسألكم وأريد منكم الجواب عما أسألكم عنه فقالت العظماء من الروم والملوك اسأل أيها الملك عما شئت قال انكم اليوم أكثر عددا وأغزر مددا من العرب وأكثر جمعا وأكثر خياما وأعظم قوة فمن أين لكم هذا الخذلان وكانت الفرس والترك والجرامقة تهاب سطوتكم وتفزع من حربكم وشدتكم وقد قصدوا اليكم مرارا ورجعوا منكسرين والآن قد علا عليكم العرب وهم أضعف الخلق عراة الاجساد جياع الاكباد ولا عدد ولا سلاح وقد غلبوكم على بصرى وحوران وأجنادين ودمشق وبعلبك وحمص قال فسكت الملوك عن جوابه فعندها قام قسيس كبير عالم بدين النصرانية وقال أيها الملك أما تعلم لم نصرت العرب علينا قال لا وحق المسيح فقال القسيس أيها الملك لأن قومنا بدلوا دينهم وغيروا ملتهم وجحدوا باجابة المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه وظلموا بعضهم وليس فيهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وليس فيهم عدل ولا احسان ولا يفعلون الطاعات وضيعوا أوقات الصلوات وأكلوا الربا وارتكبوا الزنا وفشت فيهم المعاصي والفواحش وهؤلاء العرب طائعون لربهم متبعون دينهم رهبان بالليل صوام بالنهار ولا يفترون عن ذكر ربهم ولا عن الصلاة على نبيهم وليس فيهم ظلم ولا عدوان ولا يتكبر بعضهم على بعض شعارهم الصدق ودثارهم العبادة وان حملوا علينا لا يرجعون وان حملنا عليهم فلا يولون وقد علموا أن الدنيا دار الفناء وأن الآخرة هي دار البقاء (قال الواقدي) فلما سمع القوم والملك هرقل ماقاله القسيس قالوا وحق المسيح لقد صدقت بهذا نصرت العرب علينا لا محالة واذا كان فعل قومنا ماذكرت فلا حاجة لي في نصرتهم واني قد عولت أن أصرف هذه الجيوش والعساكر الى بلادها وآخذ أهلي ومالي وأرحل من أرض سورية وأرحل الى أسطمبول يعني القسطنطينية فأكون هناك آمنا من العرب قال فلما سمع القوم ذلك من الملك صفوا بين يديه وقالوا أيها الملك لا تفعل ولا تخذل دين المسيح فيطالبك بذلك يوم القيامة وتعيرك الملوك بذلك ويستضعفون رأيك وأيضا تشمت بنا أعداؤنا اذا أنت خرجت من جنة الشام وسكن بعدنا فيها العرب وقد اجتمع لنا مثل هذا الجيش الذي ما اجتمع لملك من ملوك الدنيا ونحن نلقى العرب ونصبر على قتالهم ولعل المسيح أن ينصرنا عليهم فاعزم وقدم من شئت وأمر كانهض الى قتال العرب قال ففرح

الملك هرقل بقولهم وقناطهم وعول على ان يبعث الجيش مع خمسة ملوك من الروم فاول ما عقد لواء من الديباج المنسوج بالذهب الاحمر وعلى رأسه صليب من الجوهر وسلمه الى قناطير ملك الروسية وضم اليه مائة ألف فارس من الصقالبة وغيرهم وخلع عليه وتوجه ومنطقه وسوّره ثم عقد لواء آخر من الديباج الابيض فيه شمس من الذهب الاحمر وعلى رأسه صليب من الزبرجد الاخضر وسلمه الى جرجير وهو ملك عمورية وملورية وخلع عليه وسوّره ومنطقه وضم اليه مائة ألف فارس من الروم والفرادنة ومن سائر الاجناس الرومية ثم عقد لواء ثالثا من الدستري الملوّن وعليه صليب من الذهب الاحمر وسلمه الى الديرجان صاحب القسطنطينية وضم اليه مائة ألف فارس من المغليط والافرنج والقلن وخلع عليه ومنطقه وسوّره ثم عقد لواء رابعا مرصعا بالدر والجوهر عليه قبضة من الذهب وعليه صليب من الياقوت الاحمر وسلمه الى ماهان ملك الارمن وكان يحبه محبة عظيمة لانه كان من أهل الشجاعة والتدبير وقد قاتل عساكر الفرس والترك وهزمهم مرارا فلما عقد له اللواء خلع عليه الثياب التي كانت عليه وتوجه وسوّره ومنطقه وقلده بالقلائد التي لا يتقلدها الا الملوك الاكابر وقال له يا ماهان قد وليتك على هذا الجيش كله ولا أمر على أمرك ولا حكم على حكمك ثم قال لقناطير وجرجير والديرجان وقورين وهم ملوك الجيش اعلموا أن صلبانكم تحت صليب ماهان وأمركم اليه فلا تصنعوا أمرا الا بمشورته ورأيه والحقوا العرب حيث كانوا ولا تفشلوا وقاتلوا عن دينكم القديم وشرعكم المستقيم وافترقوا على أربع طرق فانكم ان أخذتم على طريق واحدة لم تسعكم وتهلكون الارض ومن عليها ثم خلع على جبلة بن الايهم الغساني وضم اليه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام وقال لهم كونوا في المقدمة فان هلاك كل شئ بجنسه والحديد لا يقطعه الا الحديد ثم أمر القسوس أن يغمسوهم في ماء المعمودية ويقرؤا عليهم ويصلوا عليهم صلاة الموتى (قال حدثنا) نوفل بن عدى عن سراقة عن خالد قال أخبرنا قاسم مولى هشام بن عمرو بن عتبة وكان ممن حضر فتوح الشام كله قال فكانت جملة من بعث الملك هرقل الى اليرموك من العساكر ستمائة ألف فارس من سائر طوائف أهل الكفر ممن يعتقد الصليب (قال) وحدثنا جرير بن عبد الله عن يونس بن عبد الاعلى أن جملة من بعث الملك هرقل سوى جيش انطاكية الى اليرموك سبعمائة ألف فارس قال راشد بن سعيد الحميري كنت أحضر اليرموك من أوّله الى آخره فلما أشرفت علينا عساكر الروم باليرموك نحونا صعدت على محل من الارض مرتفع وأقبلت الروم بالرايات والصلبان فعددت عشر بن راية فلما استقرت الروم باليرموك بعث الامير أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه روماس صاحب بصرى ليحزر عدد القوم قال فتنكر روماس وغاب عنا يوما وليلة ثم عاد الينا فلما رأيناه اجتمعنا عنده وسأل أبو عبيدة روماس عن ذلك فقال أيها الامير سمعت القوم يذكرون أن عددهم ألف ألف فلا أدري أهم يتحدثون بذلك ليسمع جواسيسنا ويتحدثوا بذلك أم لا فقال أبو عبيدة يا روماس كم عهدك بهم وكم يكون تحت كل راية من عساكر الروم فقال أيها الامير أما ما عهدت في عساكر الروم فتحت كل راية خمسون ألف فارس فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال الله أكبر أبشروا بالنصر على الاعداء ثم قرأ الآية كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله

مع الصابرين (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ثم ان الملك هرقل لما قلد أمر جيوشه ماهان ملك الارمن وأمره بالنهوض الى قتال المسلمين ركب الملك هرقل وركب الروم وضربوا بوق الرحيل وخرج الملك هرقل ليتبع عساكره على باب فارس وسار معهم يوصيهم وقال لقناطر وجرجير والديرجان وقورين ليأخذ كل رجل منكم طريقا وأمر كل واحد منكم نافذ على جيشه فاذا لقيتم العرب فالامر فيكم لماهان ولا يد على يده واعلموا أنه ليس بينكم و بين هؤلاء الا هذه الوقعة فان غلبوكم فلا يقنعوا ببلادكم بل يطلبونكم حيث سلكتم ولا يقنعون بالمال دون النفس ويتخذون حريمكم وأولادكم عبيدا فاصبروا على القتال وانصروا دينكم وشرعكم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ثم وجه قناطر بجيشه على طريق جبلة واللاذقية وبعث جرجير على طريق الجادة العظمى وهي أرض العراق وسومين وبعث قورين على طريق حلب وحماه وبعث الديرجان على أرض العواصم وسار ماهان في أثر القوم بجيوشه والرجالة أمامه يخبتون له الارض ويزيلون من طريقهم الحجارة وكانوا لا يمرون على بلد ولا على مدينة الا أضروا بأهلها ويطالبونهم بالعلوفة والاقامات ولا قدرة لهم بذلك فيدعون عليهم ويقولون لاردكم الله سالمين قال وجبلة بن الايهم في مقدمة ماهان ومعه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني من أثق به أن الطاغية هرقل لما بعث جيوشه الى قتال المسلمين وكان للامير أبي عبيدة في جيوش الروم عيون وجواسيس من المعاهدين يتعرفون له الاخبار فلما وصل جيش الروم الى شيزر فارقتهم عيون أبي عبيدة وساروا طالبين عسكر المسلمين فلم يجدوهم على حمص فسألوهم عنهم فاخبروهم أنهم رحلوا الان الامير أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه لما فتح حمص ترك عندهم من يأخذ الخراج والذي تركه عندهم رجال من أهل حمص من كبرائهم ورؤسائهم وجعل الجواسيس يسيرون حتى وصلوا الى الجابية وحضروا بين يدي الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وأخبروه بما رأوه من عظم الجيوش والعساكر فلما سمع أبو عبيدة ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبات تلك الليلة لم تغمض له عين خوفا على المسلمين فلما طلع الفجر أذن فصلى بالمسلمين فلما فرغ من صلاته أقسم على المسلمين أن لا يبرحوا حتى يسمعوا ما يقول ثم قام فيهم خطيبا وحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وترحم على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ودعا للمسلمين بالنصر وقال يا معاشر المسلمين اعلموا رحمكم الله أن الله ابتلاكم ببلاء حسن لينظر كيف تعملون وذلك عندما صدقكم الوعد وأيدكم بالنصر في مواطن كثيرة واعلموا أن عيوني أخبروني أن عدو الله هرقل استنجد علينا من كان ببلاد الشرك وقد سيرهم اليكم وأثقلهم بالزاد والسلاح يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون واعلموا أنهم قد ساروا اليكم في طرق مختلفة ووعدهم طاغيتهم أن يجتمعوا بازائكم على قتالكم واعلموا أن الله معكم وليس بكثير من يخذله الله تعالى وليس بقليل من يكون الله تعالى معه فما عندكم من الرأي يرحمكم الله تعالى ثم قال لبعض عيونه قم وأخبر المسلمين بما رأيت فقام الرجل وأخبر الناس بما رأى من الجيوش الثقيلة وعددها وعديدها فعظم ذلك على المسلمين وداخل قلوب رجال منهم الهيبة والجزع وجعل بعضهم ينظر الى بعض ولم يرد أحد منهم جوابا فقال أبو عبيدة رضي الله عنه ما هذا

السكوت عن جوابي رحمكم الله فأشيروا على برأيكم فان الله عز وجل يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فتكلم رجل من أهل السبق وقال أيها الامير أنت رجل لك رفعة ومكان وقد نزلت فيك آية من القرآن وأنت الذي جعلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أمين هذه الامة فقال عليه السلام لكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه عامر بن الجراح أشر أنت علينا بما يكون فيه الصلاح للمسلمين فقال الامين أبو عبيدة رضي الله عنه انما أنا رجل منكم تقولون وأقول وتشيرون وأشير والله الموفق في ذلك فقام اليه رجل من أهل اليمن وقال أيها الامير الذي نشير به عليك أن تسير من مكانك وتنزل في فرجة من وادي القرى فيكون المسلمون قريبا من المدينة والنجدة تصل الينا من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه واذا طلب القوم أثرنا وأقبلوا الينا كنا عليهم ظاهرين فقال الامير أبو عبيدة رضي الله عنه اجلسوا رحمكم الله فقد أشرتم بما عندكم من الرأي واني ان برحت من موضعي هذا كره لي عمر بن الخطاب ذلك وأخذ يعنفني ويقول تركت مدائن فتحها الله على يديك وبرحت عنها وكان ذلك هزيمة منك ثم قال أشيروا على برأيكم رحمكم الله تعالى فقام اليه قيس بن هبيرة المرادي وقال يا أمير المؤمنين لا ردنا الله الى أهلنا سالمين ان خرجنا من الشام وكيف ندع هذه الانهار المتفجرة والزروع والاعناب والذهب والفضة والديباج ونرجع الى قحط الحجاز وجدبه وأكل خبز الشعير ولباس الصوف ونحن في مثل هذا العيش الرغد فان قتلنا فالجنة وعدنا ونكون في نعيم لا يشبه نعيم الدنيا فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه صدق والله قيس بن هبيرة وبالحق نطق ثم قال يا معاشر المسلمين أترجعون الى بلاد الحجاز والمدينة وتدعون لهؤلاء الاعلاج قصورا وحصونا وبساتين وأنهارا وطعاما وشرابا وذهبا وفضة مع ما لكم عند الله عز وجل في دار البقاء من حسن الطعام ولقد صدق قيس بن هبيرة في قوله لنا ولسنا ببارحين من منزلنا هذا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال فوثب قيس بن هبيرة وقال صدق الله قولك أيها الامير وأعانك على ولا يتلك ولا تبرح من مكانك وتوكل على الله وقاتل أعداء الله فان فاتنا فتح عاجل فيا يفوتنا ثواب آجل فقال أبو عبيدة رضي الله عنه شكر الله فضلك وغفر لنا ولك والرأي رأيك وتتابع قول المسلمين بحسن رأيهم الا خالد بن الوليد رضي الله عنه فانه ساكت لا يقول شيأ فقال أبو عبيدة رضي الله عنه يا أبا سليمان أنت الرجل الجريء والفارس الشهم ومعك رأي وعزم فما تقول فيما قال قيس بن هبيرة فقال خالد رضي الله تعالى عنه نعم ما أشار به قيس الا أن الرأي عندي غير رأيه ولكن لا أخالف المسلمين فقال ان كان عندك رأي فيه صلاح فأشر به وكلما رأيك نتبع فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه اعلم أيها الامير انك ان أقمت في مكانك هذا انك تعين على نفسك لان هذه الجابية قريبة من قيسارية وفيها قسطنطين بن الملك هرقل في أربعين ألف فارس وأهل الاردن قد اجتمعوا اليه خوفا منكم والذي أشير به عليكم أن ترحلوا من منزلكم هذا وتجعلوا أذرعات خلف ظهوركم حتى تنزلوا اليرموك ويكون المدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قريبا منكم متلاحقا بكم وأنتم على فتح لقتال عدوكم وهي أرض واسعة لمجال الخيل قال فلما نطق خالد بن الوليد رضي

الله

الله تعالى عنه بهذا الكلام قال المسلمون نعم ما أشار به خالد وقال أبو سفيان بن حرب أيها الامير
افعل برأى خالد بن الوليد رضي الله عنه وابعثه الى ما يلى الرمادة فيكون بين عساكرنا وعساكر
الروم المقيمة بالاردن لئلا ندهى منهم عند رحيلنا فانه سيكون لرحيلنا ورحيل عسكرنا بين
هذه الاشجار ضجة عظيمة وجلبة هائلة فيدا خل عدوكم فيكم الطمع فان أقبلوا يريدون غارة
ومكيدة لقيهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بمن معه فقال خالد بن الوليد والله يا ابن
حرب لقد نطقت من ضميرى وهكذا الرأى عندى فعند ذلك أمر أبو عبيدة الناس بالرحيل
من الجابية فرحلوا ودعا أبو عبيدة بجيش خالد بن الوليد الذى أقبل به من أرض العراق
وهو جيش الزحف وهو يومئذ أربعة آلاف فارس وأمر خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه
أن يسير بهم ويكون على طلائع المسلمين وحرسهم من وراء ظهورهم قال ووقعت الضجة للمسلمين
عند رحيلهم حتى سمع ضجيجهم من مسيرة فرسخين وطلبوا اليرموك وسمع الروم المجتمعة
بالاردن ضجة المسلمين عند رحيلهم فظنوا أنهم هاربون الى الحجاز لما بلغهم من جيش هرقل
فطمعوا فيهم وهموا بالغارة على أطرافهم فلقيهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه
فصاح فى رجاله وقال دونكم والقوم فهذه علامة النصر قال فانتضى المسلمون السيوف ومدوا
الرماح وحمل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وحمل ضرار بن الازور رضى الله تعالى عنه
والمرقال وطلحة بن نوفل العامرى وزاهد بن الاسد وعامر بن الطفيل وابن أكال الدم وغير
هؤلاء من الفرسان المعدودين للبراز فلم يكن للروم طاقة بهم فولوا منهزمين والمسلمون يقتلون
ويأسرون حتى وصلوا الى الاردن ففرق منهم خلق كثير ورجع خالد بن الوليد رضى الله تعالى
عنه وأما الامير أبو عبيدة فانه نزل باليرموك وجعل أذرعات من خلفه وكان هناك تل عظيم
فعمد أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى نساء المسلمين وأولادهم فاصعدهم على ذلك التل وأقام
الحراس والطلائع على سائر الطرقات فلما وصل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بالاسارى
والغنائم فرح أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه فرحا شديدا وقال أبشروا رحمكم الله تعالى هذه
علامة النصر والظفر وأقام المسلمون باليرموك وهم مستعدون لقتال عدوهم كأنهم
ينتظرون وعدا وعدوا به وبلغ الخبر الى قسطنطين بن الملك هرقل بأن المسلمين قد نزلوا باليرموك
وأن ملوك الروم سائرون لقتالهم فبعث رسولا الى الملوك يستضعف رأيهم فى ابطاء أمرهم
ويحثهم على قتال المسلمين فلما ورد رسوله الى ماهان دعا بالملوك والبطارقة وقرأ عليهم كتاب
قسطنطين بن الملك هرقل وأمرهم بالمسير فسارت جيوش الروم يتلو بعضها بعضا لا يمرون
ببلد من مدائن الشام التى فتحها المسلمون الا ويعنفون أهلها ويقولون لهم يا ويلكم تركتم أهل
دينكم وملتكم وملتم الى العرب فيقولون لهم أنتم أحق بالملامة منا لانكم هربتم منهم
وتركتمونا للبلاء فصالحنا عن أنفسنا فيعرفون الحق فيسكتون ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا
الى اليرموك فنزلوا بدير يقال له دير الجبل وهو بالقرب من الرمادة والجولان وجعلوا بينهم
وبين عسكر المسلمين ثلاثة فراسخ طولا وعرضا فلما تكاملت الجيوش باليرموك أشرفت
سوابق الخيل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جبلة بن الايهم فى المقدمة فى
ستين ألف فارس من العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام وهم على مقدمة ماهان فلما نظر

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كثرة جيوش الروم قالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال عطية بن عامر فوالله ماشبهت عساكر اليرموك الا كالجراد المنتشر اذا سد بكثرته الوادى قال ونظرت الى المسلمين قد ظهر منهم القلق وهم لا يفترون عن قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يقول ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين قال وأخذ المسلمون أهبتهم ودعا الامير أبو عبيدة بجواسيسه من المعاهدين وأمرهم أن يدخلوا عساكر الروم يجسون له خبر القوم وعددهم وعديدهم وسلاحهم وقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه أنا أرجو من الله تعالى أن يجعلهم غنيمة لنا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما نزل ماهان بعساكره بازاء المسلمين على نهر اليرموك أقام أياما لم يقاتل ولا يدنيهم حربا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان تأخر ماهان لأمر وذلك أن رسولا ورد عليه من الملك هرقل يقول له لا تجز الحرب بيننا وبين المسلمين حتى نبعث اليهم رسولا ونعدهم منا كل سنة بمال كثير وهدايا لصاحبهم عمر بن الخطاب ولكل أمير منهم ويكون لهم من الجابية الى الحجاز فلما وصل الرسول الى ماهان قال هيهات هيهات ان كانوا يجيبون الى ذلك أبدا فقال له جرجير وهو من بعض ملوك الجيش وما عليك فى هذا الذى ذكره الملك هرقل من المشقة فقال ماهان اخرج أنت اليهم وادع منهم رجلا عاقلا وخاطبه بالذى سمعت واجتهد فى ذلك قال فلبس جرجير ثياب الديباج وتعصب بعصابة من الجوهر وركب شهباء عالية بسرج من الذهب الاحمر المرصع بالدر والجوهر وخرج معه ألف فارس من المدبجة وسار حتى أشرف على عساكر المسلمين فأوقف جرجير أصحابه وقرب من المسلمين ووقف بازائهم وقال يامعاشر العرب أنا رسول من الملك ماهان فليخرج الى أميركم والمقدم عليكم حتى نعرض عليه مقالنا ولعلنا نصطلح ولا نسفك دم بعضنا قال فسمعه المسلمون فأعلموا الامير أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه بذلك فخرج بنفسه اليه وعليه ثوب من كرابيس العراق وعلى رأسه عمامة سوداء وهو متقلد بسيفه وسار الى أن وصل الى جرجير ورفس فرسه حتى التفت عنق فرسيهما والناس ينظرون اليهما فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ياأخا الكفر قل ما أنت قائل واسأل عما تريد فقال جرجير يامعاشر العرب لا يغرنكم أن تقولوا اهزمنا عساكر الروم فى مواطن كثيرة وفتحنا بلادهم وعلونا أكثر أرضهم فانظروا الآن ما قد أتاكم من العساكر فان معنا من سائر الاجناس المختلفة وقد تحالف الروم أن لا يفروا ولا ينهزموا وأن يموتوا عن آخرهم وليس لكم على ما ترون من طاقة فانصرفوا الى بلادكم وقد نلتم ما نلتم من بلاد الملك هرقل وقد عول الملك أن يتعود الاحسان اليكم وهو يهب لكم ما أخذتم من بلادهم منذ ثلاث سنين وقد أخذتم السلاح والذهب والفضة وقد كنتم حين قدمتم الشام منكم على رجليه ومنكم عريان فاجيبوا الى ما دعوتكم اليه والا كنتم من الهالكين فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه أما ما ذكرت من عساكر الروم وأنهم لا يفرون ولا ينهزمون فلو رأت الروم شفار سيوفنا هربت ناكصة على أعقابها وأما تهويلك لنا بكثرة عددكم فقد رأيت قلتنا وضعف أجسامنا وكيف لقينا جموعكم وكثرتها وعظم عددها وسلاحها وأحب الاشياء الينا يوم مشاجرتكم

بالحرب والقتال حتى يعرف من الذي يثبت للعرب فلما سمع جرجير كلام الامير أبي عبيدة التفت الى رجل من أصحابه يقال له بهيل فقال يا بهيل الملك هرقل كأنه أعرف بهؤلاء العرب منا ثم لوى رأس جواده ورجع الى ماهان وأخبره بما قال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه فقال له ماهان دعوتهم الى الموعد فقال لا وحق المسيح اني لم أفاتحه في شيء من ذلك لكن ابعث لهم بعض العرب المتنصرة فان العرب يميل بعضهم الى بعض قال فعندها دعا ماهان بجبلة بن الايهم الغساني وقال يا جبلة اخرج الى هؤلاء وخوفهم من كثرتنا وتواتر عددنا وألق في قلوبهم الرعب وأحط بهم مكرك قال فخرج جبلة بن الايهم وسار حتى قرب من عساكر المسلمين ونادى برفيع صوته يا معاشر العرب ليخرج الى رجل من ولد عمرو بن عامر لاخاطبه بما ارسلت به فلما سمع الامير أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه كلام جبلة بن الايهم قال قد بعث اليكم القوم بابناء جفنكم يريدون الخديعة بصلة الرحم والقرابة فابعثوا اليه رجلا من الانصار من ولد عمرو بن عامر فأسرع اليه بالخروج عبادة بن الصامت الخزرجي رضي الله تعالى عنه وقال لابي عبيدة أيها الامير أنا أخرج اليه وأنظر ماذا يقول فاجيبه عنه ثم خرج عبادة نحوه بجواده الى أن وقف أمام جبلة بن الايهم فنظر جبلة الى رجل اسمر طويل شديد السمرة كأنه من رجال شنوأة فهابه ودخل الرعب في قلبه من عظيم خلقته وكان عبادة بن الصامت من الخطاط رضي الله تعالى عنه فقال له جبلة يا فتى من أي الناس أنت فقال عبادة أنا من ولد عمرو بن عامر فقال جبلة حييت فمن أنت فقال أنا عبادة بن الصامت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأل عما تريد فقال جبلة يا ابن العم انما خرجت اليكم لاني أعلم ان أكثركم من الرحم والقرابة فخرجت اليكم ناصحا ومشيرا واعلم أن هؤلاء القوم الذين قد نزلوا بازائكم معهم جنود لا قبل لكم بها وخلفهم عساكر وحصون وقلاع وأموال ولا تقولوا كسرنا وهزمنا عساكر الروم واعلم أن الحرب دول وسجال وان هزمكم هؤلاء القوم لا يكون لكم ملجأ غير الموت وهؤلاء القوم ان انهزموا يرجعون الى بلادهم وعساكرهم والخزائن والحصون وما قد نلتم نيلا فخذوه وامضوا الى بلادكم سالمين (قال عبادة بن الصامت) رضي الله تعالى عنه يا جبلة أما علمت ما لقينا من جموعكم المتقدمة باجنادين وغيرها وكيف نصرنا الله عليكم وهرب طاغيتكم ونحن نعلم أنه من بقي من جموعكم قد تيسر علينا أمره ونحن لا نخاف ممن يقدم علينا من جموعكم وقد ولغنا في الدماء فلم نجد أحلى من دماء الروم وأنا يا جبلة أدعوك الى دين الاسلام وأن تدخل مع قومك في ديننا وتكون على شرفك في الدنيا والآخرة ولا تكون تابع علج من علوج الروم تفديه بنفسك من المهالك وأنت رجل من سادات العرب وملوكهم وان ديننا ظهر أوله وآخره يظهر كما ظهر أوله فاتبع سبيل من أناب الى الحق وصدق به فقل لا اله الا الله محمد رسول الله اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وسلم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فغضب جبلة بن الايهم من كلام عبادة بن الصامت وقال لست مفارقا ديني فقال عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه فان أبيت الا ما أنت عليه من الكفر فاياك أن تلقاني في الموعد الاول فان لنا وقعة عظيمة فان أحد تلتشفا رسيوفنا فلا تخلص من شفارها ودعنا وعساكر الروم فهم أهون علينا فان أبيت الا ما أنت عليه حل بك مثل ما يحل بهم (قال

الواقدي رحمه الله تعالى) فغضب جبلة بن الايهم وقال لماذا تخوفني من سيوفكم أما نحن عرب مثلكم رجل لرجل فقال عبادة بن الصامت قد علمنا انك انما خرجت الينا تخادعنا وتعيبنا ولسنا كما أنتم يا ويلكم نحن على ملتنا نوحد ربنا ونتبع سنة نبينا محمد وان وراءنا عسكرا يملؤ الاقطار ويسد القفار فقال جبلة لست أعرف وراءكم جيشا غير هذا الجيش ولا من ينصركم غيرهم فقال عبادة بن الصامت كذبت والله يا ابن الايهم في قولك وان وراءنا رجالا أنجادا وأبطالا أشداء يرون الموت مغنما والحياة مغرما كل واحد بنفسه يأتي جيشا حافلا يا ويلك أنسيت عليا وسطوته وعمر وشدته وعثمان وبراعته والعباس وطعنته والزبير مع ما يجتمع اليهم من فرسان المسلمين من مكة والطائف واليمن وغير ذلك قال فلما سمع جبلة ذلك من كلام عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال يا ابن الايهم أنا ما خرجت الا أريد النصيحة لكم فان أبيتم ذلك فاسأل قومك يجيبونا الى الصلح فقال عبادة بن الصامت لا صلح بيننا الا باداء الجزية أو الاسلام أو السيف وهو حكم بيننا وبينكم ووالله لولا أن الغدر يقبح بنا لعلوتك بسيفي هذا فلما سمع جبلة كلام عبادة وأنه قد حاف عليه في الكلام لم يرد عليه جوابا غير أنه ثني رأس جواده وأتى الى ماهان فزعا مرعوبا وقد امتلأ قلبه رعبا من كلام عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه فلما وقف بين يدي ماهان تبين في وجهه الجزع والفزع فقال له ما وراءك فقال أيها الملك اني خوفت وأرعبت ومنيت فكان ذلك كله عندهم بالسواء وقالوا ما بيننا الا الحرب والقتال فقال له ماهان فما هذا الفزع الذي أراه في وجهك وهم عرب مثلكم وأنتم عرب مثلهم وقد بلغني أنهم ثلاثون ألف فارس وأنتم ستون ألف فارس أما يقاتل الرجلان منكم الرجل الواحد منهم دونك يا جبلة فسر أنت وأبناء عمك من العرب المتنصرة الى قتالهم واذا وراءكم فان ظفرتم بهم كان الملك مشتركا بيننا وبينكم وتكونون أقرب الناس الينا ويسلم اليكم ما فتحه العرب من بلاد الشام (قال الواقدي) وجعل ماهان يرغب جبلة في العطاء ويلينه ويحرضه على القتال في المسلمين حتى أجابه الى ذلك وأخبر قومه وبني عمه من بني غسان ولخم وجذام وغيرهم من العرب المتنصرة وأمرهم بأخذ الاهبة للحرب والقتال ففعل القوم ذلك وركبوا في سوابغ الحديد والزرد النضيد وهم ستون ألف فارس ما يخالطهم من غير العرب أحد يقدمهم جبلة بن الايهم وعليه درع من الذهب الاحمر متقلد بسيف من عمل التبابعة وعلى رأسه الراية التي عقدها له الملك هرقل فسار جبلة نحو الصحابة في ستين ألف فارس حتى أشرف على عساكر المسلمين وأبو عبيدة رضي الله عنه يتحدث مع عبادة بن الصامت بما جرى بينه وبين جبلة بن الايهم اذ أشرفت عليهم العرب المتنصرة فلما رآهم المسلمون صاح بعضهم على بعض يا معاشر المسلمين قد أقبلت عليكم العرب المتنصرة لقتالكم فما أنتم قائلون قالوا نقاتلهم ونرجو من الله تعالى الظهور عليهم والمعونة على غيرهم وهموا بالحملة فصاح عليهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وقال اصبروا رحمكم الله ولا تعجلوا حتى أكيدهم بمكيدة يهلكون بها وقال لابي عبيدة رضي الله تعالى عنه أيها الامير ان القوم قد استعانوا علينا بالعرب المتنصرة وهم أضعاف عددنا وان نحن قاتلناهم بجمعنا كله كان فلك وهنا منا وضعفا وأريد أن أبعث لهم رسولا من بني عمهم يكلمهم في شأن ردهم عنا فان فعلوا

كان ذلك كسر الهم والمشركين ووهنا عظيما وان أبوا الا الحرب والقتال خرج منا نفر يسير يردونهم على أعقابهم بعزة الله عز وجل قال فتعجب أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال يا أيها المسلمون افعلوا ما تريدون فعند ذلك دعا خالد بن الوليد بقيس بن سعيد وعبادة بن الصامت الخزرجي وجابر بن عبد الله وأبي أيوب بن خالد بن زيد رضوان الله عليهم أجمعين فلما وقفوا بين يديه قال لهم يا أنصار الله تعالى ورسوله هؤلاء العرب المتنصرة يريدون قتالكم وهم غسان ولخم وجذام وهم بنو عمكم في النسب فاخرجوا اليهم وخاطبوهم واجتهدوا في ردهم عن حربكم وقتالكم فان فعلوا ذلك والا أخذهم السيف منا ومنكم وكنا لقتالهم كفاة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فخرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب المتنصرة فوجدوا جبلة بن الايهم قد نزل بازاء المسلمين يريد حربهم وقتالهم فلما قربوا من بني غسان نادى جابر بن عبد الله وقال يا معاشر العرب من لخم وغسان وجذام اننا بنو عمكم ونريد الدنو اليكم قال فأذن لهم جبلة بالدنو اليه فدخلوا عليه فاذا هو في مضرب من الديباج وقد فرش بالحرير الاصفر وهو جالس وحوله ملوكه وملوك جفنة فحيوه بتحية ملوك العرب فرفع جبلة أقدارهم وأدنى مزارهم وقال يا بني العم أنتم من الرحم ومن القرابة واني خرجت اليكم من جهة هذا الجيش الذي يرهقكم فخرج الي رجل منكم فأفرط علي في المقال فما الذي أتى بكم الي فكان أول من كلمه جابر بن عبد الله وقال يا ابن العم لا تؤاخذنا فيما تكلم به صاحبنا فان ديننا لا يقوم الا بالحق والنصيحة وان النصيحة لك منا واجبة لانك ذو قرابة ورحم وقد أتينا اليك ندعوك الى دين الاسلام وتكون من أهل ملتنا ويكون لك ما لنا وعليك ما علينا فان ديننا شريف ونبينا ظريف فقال ما أحب ذلك ولا غيره انني ضنين بديني وأنتم يا معاشر الاوس والخزرج رضيتم لانفسكم أمرا ونحن رضينا لانفسنا أمرا لكم دينكم ولنا ديننا فقال له الانصار ان كنت لا تحب أن تفارق دينك الذي أنت عليه فاعتزل عن قتالنا لننظر لمن تكون العاقبة والغلبة فان كانت لنا وأردت الدخول في ديننا قبلنا ذلك وكنت منا وأخانا وان أقمت على دينك قنعنا منك بالجزية وأقررناك على بلدك وعلى مواطن كثيرة لآبائك وأجدادك فقال جبلة أخشى ان تركت حربكم وقتالكم وكانت الدائرة للقوم لا آمن أن يتقووا على بلدي لان الروم لا ترضى مني الا أن أكون مقاتلا لكم وقد رأسوني على جميع العرب ولو دخلت دينكم كنت دنيا ولا أتبع فقال الانصار فان أبيت ما عرضناه عليك فان ظفرنا بك قتلناك فاعتزل عنا وعن سيوفنا فانها تفلق الهام وتبري العظام فتكون الوقعة بغيرك أحب الينا من الوقعة بك وبمن معك قال وكانت الانصار يريدون بهذا الكلام تخويفه وترغيبه كي ينصرف عنهم وجبلة يأبى ذلك فقال وحق المسيح والصليب لا بد أن أقاتل عن الروم ولو كان بجميع الاهل والقرابة فقال له قيس بن سعيد يا جبلة أبيت الا أن يحتوي الشيطان على قلبك فيهوي بك في النار فتكون من أهلها الهالكين وانما أتيناك لندعوك الى دين الاسلام لان رحمك متصلة برحمنا فان أبيت فستعاين منا حربا شديدا يشيب فيه الطفل الصغير ثم وثب قيس بن سعيد وقال لقومه انهضوا على بركة الله تعالى وعونه وحسن طاعته فبعد الهو سحقا فقام جبلة فاستعد للقتال بعدته قال فركب الانصار خيولهم ورجعوا الى الامير أبي عبيدة وخالد بن الوليد رضي الله تعالى

عنهما وأعلمهم هما بمقالة جبلة وأنه ما يريد الا القتال فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه أبعده الله تعالى فوعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين لينظرن منا جبلة ما ينظر ثم قال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه اعلموا معاشر المسلمين أن القوم في ستين ألف فارس من العرب المتنصرة وهم حزب الشيطان ونحن ثلاثون ألف فارس من حزب الرحمن ونريد أن نلقى هذا الجمع الكبير فان قاتلنا جبلة بجمعنا كله كان ذلك وهنا منا ولكن ينتدب منا أبطال ورجال الى قتال هؤلاء العرب المتنصرة فقال أبو سفيان صخر بن حرب لله درك يا أبا سليمان فلقد أصبت الرأى فاصنع ما تريد وخذ من الجيش ما أحببت فقال انى قد رأيت من الرأى أن ننتدب من جيشنا ثلاثين فارسا فيلقى كل واحد ألفي فارس من العرب المتنصرة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم يبق أحد من المسلمين الا عجب من مقالة خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وظنوا أنه يمزح بمقالته وكان أول من خاطبه فى ذلك أبو سفيان صخر بن حرب وقال يا ابن الوليد هذا الكلام منك جد أو هزل فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه لا وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت الا جدا فقال أبو سفيان فتكون نحن الفاعلين الامر الله تعالى ظالما لنفسك وما أظن أن لك فى هذه المقالة ما عدا ولو قاتل الرجل منا بما ثنين كان ذلك اسهل من قولك يقاتل الرجل منا ألفين وان الله عز وجل رحيم بعباده فرض علينا أن الرجل منا يقاتل الرجلين والمائة المائتين والالف الالفين وأنت تقول ثلاثون رجلا منا تلقى الستين ألف فارس فما يجيبك أحد الى ذلك وان أجابك رجل لما قلته فانه ظالم لنفسه معين على قتله فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه يا أبا سفيان كنت شجاعا فى الجاهلية فلا تكن جبانا فى الاسلام وانظر لمن أنتخب من رجال المسلمين وأبطال الموحدين فانك اذا رأيتهم علمت أنهم رجال قد وهبوا أنفسهم لله عز وجل وما يريدون بقتالهم غير الله تعالى ومن علم الله عز وجل ذلك من ضميره كان حقا على الله أن ينصره ولو سلك مقطعات النيران فقال أبو سفيان يا أبا سليمان الامر كما ذكرت وما أردت بقولى الا شفقة على المسلمين فاذ قد صح عزمك على ذلك فاجعل القوم ستين رجلا ليقاتل الرجل منهم ألف فارس من العرب المتنصرة فقال الامير أبو عبيدة رضي الله عنه نعم ما أشار به أبو سفيان يا أبا سليمان فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه والله يا أيها الامير ما أردت بفعلى هذا الا مكيدة لعدونا لانهم اذا رجعوا الى أصحابهم منهزمين بقوة الله عز وجل ويقولون لهم من لقيكم فيقولون لقينا ثلاثون رجلا يداخلهم الرعب منا ويعلم ماهان أن جيشنا كفء له فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه ان الامر كما ذكرت الا أنه اذا كان ستون رجلا منا يكونون عصبة ومعينا بعضهم بعضا فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه أنا أنتدب من المسلمين رجالا أعرف صبرهم وقرارهم واقدامهم فى الحرب وأعرض عليهم هذه المقالة فان أحبوا لقاء الله ورغبوا فى ثواب الله عز وجل فانهم يستجيبون الى ذلك وان أحبوا الحياة الدنيا والبقاء فيها ولم يكن فيهم من تطيب نفسه بالموت فما لخالد الا أن يبذل مهجته لله عز وجل والله الموفق لما يحبه ويرضاه ﴿قال أبو عبد الله﴾ حدثنا عمرو بن سالم عن جده ربعي بن عدي قال كنت بين يدى خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فدعا بستين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم فأول مادعا خالد بن الوليد قال أين عمرو التميمي أين شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم أين خالد بن سعيد أين العاص أين يزيد بن أبي سفيان الاموي أين صفوان بن أمية الجمحي أين سهل بن عمرو العامري أين ضرار بن الازور الكندي أين رافع ابن عميرة الطائي أين زيد الخيل أبيض الركابين أين حذيفة بن اليماني أين قيس بن سعد أين كعب بن مالك الانصاري أين سويد بن عمرو الغنوي أين عبادة بن الصامت أين جابر بن عبد الله أين أبو أيوب الانصاري أين عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم أجمعين أين عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أين رافع بن سهل أين يزيد بن عامر أين عبيد بن أوس أين مالك بن نصر أين نصر بن الحرث أين عبد الله بن ظفر أين أبو لبابة بن المنذر أين عوف أين عابس بن قيس أين عبادة بن عبد الله الانصاري أين رافع بن عجرة أين عبيد بن عبد الله أين معقب بن قيس أين هلال أين الصابرون يوم أحد وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين أين أسيد الساعدي أين كلال بن الحرث المازني أين حمزة بن عمر الاسلمي أين يزيد بن عامر ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ وقد سمى خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه الرجال الذين دعاهم لقتال جبلة بن الايهم الا اني اختصرت في ذكرهم وقدمت ذكر الانصار رضي الله تعالى عنهم لان خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه انتخب أكثر الرجال من الانصار فلما كثر النداء فيهم قالت الانصار ان خالدا اليوم يقدم ذكر الانصار ويؤخر المهاجرين من ولد المغيرة بن قصي ويوشك أنه يختبرهم أو يقدمهم للمهالك ويشفق على ولد المغيرة ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه﴾ فلما سمع خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ذلك من قولهم أقبل يخط بجواده حتى توسط جميع الانصار وقال لهم والله يا أولاد عامر مادعوتكم الالما ارتضيته منكم وحسن يقيني بكم وبأيمانكم فأنتم ممن رسخ الايمان في قلبه فقالوا انك صادق في قولك يا أبا سليمان ثم صافحه القوم ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ فلما انتخب خالد بن الوليد من فرسان المسلمين ستين رجلا كل واحد منهم يلقى جيشا بنفسه قال لهم خالد بن الوليد رضي الله عنه يا أنصار الله ما تقولون في الحملة معي على هذا الجيش الذي قد أتى يريد حربكم وقتالكم فان كان لكم صبر وأيدكم الله بنصره مع صبركم وهزمتم هؤلاء العرب المتنصرة فاعلموا أنكم لجيش الروم غالبون فاذا هزمتم هؤلاء العرب وقع الرعب في قلوبهم فينقلبوا خاسرين فقالوا يا أبا سليمان افعل بنا ماتريد والق ماتشاء فوالله لنفنا تلق أعداءنا قتال من ينصر دين الله ونتوكل على الله تعالى وقوته ونبذل في طلب الآخرة مهجنا فجزاهم خالد بن الوليد رضي الله عنه خيرا وكذلك الامير أبو عبيدة رضي الله عنه وقال لهم تأهبوا رحمكم الله وخذوا أسلحتكم وعدتكم وليكن قتالكم بالسيف ولا يأخذ أحد منكم رمحا فان الرمح خوان ربما زاغ عن الطعن ولا تأخذوا السهام فانها منا يا منها المخطئ ومنها المصيب والسيف والحجف عليها تدور دوائر الحرب واركبوا خيولكم السبق النواجي ولا يركب الرجل منكم الا جواده الذي يصبر به وتواعدوا أن الملتقى عند قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم قال فقدموا على أهاليهم وودعوهم فاما ضرار بن الازور فانه عمد الى خيمته ليستعد بما يريد ويسلم على أخته خولة رضي الله تعالى عنها بنت الازور فلما لبس لامة حربه قالت له أخته خولة يا أخي مالي أراك تودعني

وداع من أيقن بالفراق أخبرني ماذا عزمت عليه فأخبرها ضرار بما قد عزم عليه وأنه يريد أن يلقى العدو مع خالد بن الوليد رضي الله عنه فبكت خولة وقالت يا أخي افعل ما تريد أن تفعل والق عدوك وأنت موقن بالله تبارك وتعالى فانه لكم ناصر وان عدوك لا يقرب اليك أجلا بعيدا ولا يبعد عنك أجلا قريبا فان حدث عليك حدث أو لحقك من عدوك نائبة فوالله العظيم شأنه لا هدأت خولة على الارض أو تأخذ بثارك فبكى ضرار بن الازور لبكائها وأعد آلة الحرب وكذلك الستون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يناموا الطول ليلتهم حتى ودعوا أولادهم وأهاليهم وباتوا في بكاء وتضرع وهم يسألون الله تعالى النصر على الأعداء الى أن أصبح الصباح فصلى بهم الامير أبو عبيدة رضي الله عنه صلاة الفجر فلما فرغ من صلاته كان أول من أسرع الى الخروج خالد بن الوليد رضي الله عنه وحرض أصحابه على الخروج وهو ينشد ويقول

هبوا جميعا اخوتي أرواحا * نحو العدو نبتغي الكفاحا
نرجو بذاك الفوز والنجاحا * اذا بذلنا دونه أرواحا
ويرزق الله لنا صلاحا * في نصرنا الغدو والرواحا

﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ وأنشد بيتا آخر لم أدر ما هو وخرج أمام المسلمين وأصحابه يقدمون اليه واحدا بعد واحد حتى اجتمع اليه الستون رجلا الذين انتخبهم وكان آخر من أقبل عليه الزبير بن العوام رضي الله عنه ومعه زوجته أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وهي سائرة الى جانب أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهي تدعو لهم بالسلامة والنصر وتقول لاخيها يا أخي لا تفارق ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقت الحملة اصنع كما يصنع ولا تأخذكم في الله لومة لائم قال وودع المسلمون الستين أصحابهم وساروا بأجمعهم وخالد بن الوليد رضي الله عنه في أوساطهم كأنه أسد قد احتوشته الاسود ولم يزالوا حتى وقفوا بازاء العرب المتنصرة ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ ونظرت العرب المتنصرة الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقبلوا نحوهم وهم نفر يسير فظنوا أنهم رسل يطلبون الصلح والمواعدة فصاح جبلة بالعرب المتنصرة وحرضهم لرهب المسلمين ونادى يا آل غسان أسرعوا الى نصرة الصليب وقاتلوا من كفر به فبادروا بالاجابة وأخذوا الاهبة للحرب ورفعوا الصليب واصطفوا للقتال وقد طلعت الشمس على لامة الحرب فلمع شعاعها على الحديد والزرد والبيض كأنها شعل نار ووقفوا يبصرون ما يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن قاربوا صلبان العرب المتنصرة ونادى خالد بن الوليد رضي الله عنه يا عبدة الصلبان ويا أعداء الرحمن هلموا الى الحرب والطعان فلما سمع جبلة كلام خالد رضي الله عنه علم أنهم ما خرجوا رسلا وانما خرجوا للقتال فخرج جبلة من بين أصحابه وقد اشتمل بلامة حربه وهو يقول

انا لمن عبدوا الصليب ومن به * نسطو على من عابنا بفعالنا
ولقد علونا بالمسيح وأمه * والحرب تعلم أنها ميراثنا
انا خرجنا والصليب أمامنا * حتى تبددكم سيوف رجالنا

ثم قال جبلة من الصائح بنا والمستنهض لنا فى قتالنا فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أنا فاخرج الى حومة الحرب فقال جبلة نحن قد رمينا أمورنا الحربكم وقتالكم وأنتم تتربصون عن قتالنا فوحق المسيح لا أجبناكم الى الصلح أبدا فارجعوا الى قومكم وأخبروهم أننا ما نريد الا القتال قال فأظهر خالد التعجب من قوله وقال له يا جبلة أتظن أننا خرجنا رسلا اليك فقال جبلة أجل فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه لا تظن ذلك أبدا فوالله ما خرجنا الا لحربكم وقتالكم فان قلتم اننا شرذمة قليلة فان الله ينصرنا عليكم فقال جبلة يا فتى قد غررت بنفسك وبقومك اذ خرجت الى قتالنا ونحن سادات غسان ولخم وجذام فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه لا تظن ذلك وأننا قليلون فقتالكم رجل منا الا لف منكم وتخلف منا رجال أشهى اليهم الحرب من العطشان الى الماء البارد فقال جبلة يا أخا بنى مخزوم لقد كنت أفضل فى عقلك وأروم بك مرام الابطال حتى سمعت منك هذا الكلام أنك أنت وستين رجلا تر ومون قتالنا ونحن سادات غسان وأبطال الزمان ها أنا أحمل بهذه الستين ألف فارس فلا يبقى منكم أحد ثم صاح جبلة بقومه يا آل غسان الحملة فلما سمعوا كلام سيدهم حملت الستون ألف فارس فى وجه خالد ابن الوليد والستين رجلا فثبت لهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتبك الحرب بينهم فما كنت تسمع الا زئير الرجال وزمجرة الابطال ووقع السيف على البيض الصقال حتى ما ظن أحد من المسلمين ولا من المشركين أن خالدا ومن معه ينجو منهم أحد فبكى المسلمون وأخذهم القلق على اخوانهم وجعل بعضهم يقول لقد غرر خالد بن الوليد بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهلكهم والروم تقول ان جبلة أهلك هؤلاء القوم فهلاك العرب حاصل بأيدينا لا محالة ولم يزل القوم فى الحرب والقتال حتى قامت الشمس فى كبد السماء قال عبادة بن الصامت فلله در خالد بن الوليد رضى الله عنه والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما والفضل بن العباس وضرار بن الازور وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضوان الله عليهم أجمعين لقد رأيت هؤلاء الستة قد قرنوا مناكبهم فى الحرب وقام بعضهم بجنب بعض وهم لا يفترقون وزادت الحرب اشتعالا وخرقت الاسنة صدور الليوث حتى بلغت الى خزائن القلوب لانقطاع الآجال ولم يزالوا فى القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد قال عبادة بن الصامت فحملت معهم وكنت فى جملتهم وقلت يصيبنى ما يصيبهم ونادى خالد بن الوليد وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ههنا المحشر وقد أعطى خالد القلب مناه فلما حمى بينهم القتال حمل خالد بن الوليد وهاشم والمرقال وتكاثرت عليهم الرجال فلله در الزبير بن العوام والفضل بن عباس وهم ينادون افرجوا يا معاشر الكلاب وتباعدوا عن الاصحاب نحن الفرسان هذا الزبير بن العوام وأنا الفضل بن العباس أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه فوحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أحصيت للفضل بن العباس عشرين حملة يحملها عن خالد بن الوليد حتى أزال عنه الرجال والابطال وحملوا على المشركين حملة عظيمة ولم يزالوا فى القتال يومهم الى أن جنحت الشمس الى الغروب والمسلمون قد جهدهم القلق على اخوانهم أما الامير أبو عبيدة رضى الله عنه فانه صاح بالمسلمين وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك خالد بن الوليد ومن معه

لامحالة وذهبت فرسان المسلمين فاحملوا بارك الله فيكم لننظر ما كان من أمر اخواننا فكل
أجاب الى قوله واشارته الا أباسفيان صخر بن حرب رضي الله عنه فانه قال للامير أبي عبيدة رضي
الله عنه لاتفعل أيها الامير فانه لابد للقوم أن يتخلصوا ونرى ما يكون من أمرهم قال فلم يلتفت
أبو عبيدة رضي الله عنه الى كلامه وهم أن يحمل وقد أخذه القلق فبينما هو كذلك واذا بجيش
العرب المتنصرة منهزمون وأصوات الصحابة رضي الله عنهم قد ارتفعت بالتهليل والتكبير
كل ينادي أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله والعرب
المتنصرة منهزمة على أعقابهم كأنما صاح بهم صائح من السماء فبدد شملهم وأقبل خالد بن
الوليد من وسط المعمعة يلتهب بما لحقه من التعب وكذا أصحابه الذين كانوا معه قال وان خالد
ابن الوليد افتقد أصحابه الستين رجلا فلم يجد منهم الا عشرين فجعل يلطم على وجهه وهو يقول
أهلكت المسلمين يا ابن الوليد فما عذرك غدا عند الرحمن وعند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فبينما هو متحير في ذلك اذ أقبل عليه الامير أبو عبيدة رضي الله عنه وفرسان
المسلمين وأبطال الموحدين فنظر أبو عبيدة رضي الله عنه الى خالد بن الوليد وما يصنع بنفسه
وقد اشتغل عن متابعة المشركين فقال أبو عبيدة يا أباسليمان الحمد لله على نصر المسلمين
ودمار المشركين فقال خالد بن الوليد اعلم أيها الامير أن الله قد هزم الجيش ولكن أعقبتك
الفرحة ترحة فقال أبو عبيدة رضي الله عنه وكيف ذلك فقال خالد أيها الامير فقدت أربعين
رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفيهم الفضل بن العباس وجعل خالد بن الوليد رضي الله عنه يسمي فرسان
المسلمين واحدا بعد واحد حتى سمى أربعين رجلا فاسترجع أبو عبيدة رضي الله عنه وقال
لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وقال لخالد لابد لعجلتك يهلك المسلمون فقال سلامة بن
الاخوص السلمي أيها الامير دونك والمعركة فاطلب فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان رأيتهم والا فالقوم أسرى أو قد تبعوا المشركين فأمر أبو عبيدة فأتوا بهوادئ
النيران وكان الظلام قد اعتكر فافتقدوا المعركة بين القتلى فاذا قتل من العرب المتنصرة
خمسة آلاف فارس وسيدان من ساداتهم وهما رفاعة بن مطعم الغساني والآخر شداد بن
الاوس ووجدوا من قتل من المسلمين عشرة رجال منهم اثنان من الانصار أحدهما عامر
الاوسي والآخر سلمة الخزرجي فقال أبو عبيدة رضي الله عنه يوشك أن بعض الصحابة قد تبع
المشركين فقال أبو عبيدة رضي الله عنه اللهم ائتنا بالفرج القريب ولا تفجعنا بابن عمة نبيك
الزبير بن العوام ولا بابن عمه الفضل بن العباس ثم قال أبو عبيدة معاشر المسلمين من يقفو
لنا أثر القوم ويتعرف خبر الصحابة وأجره على الله عز وجل فكان أول من أجابه خالد بن الوليد
رضي الله عنه فقال له الامير أبو عبيدة لاتفعل يا أباسليمان لانك تعبت من شدة الحرب فقال
خالد والله لايمضي في طلبهم غيري ثم غير جواده بفرس من خيول المسلمين وهو فرس مازم بن
جبير بن عدي من بني النجار فركبه خالد بن الوليد رضي الله عنه وطلب آثار القوم وتبعه جماعة
من المسلمين فما سار خالد بعيدا حتى سمع خالد التهليل والتكبير فأجابهم بمثله فأقبل القوم
وفي أوائلهم الزبير بن العوام والفضل بن العباس وهاشم والمرقال فلما نظر خالد اليهم فرح

فرحا

فرحاشديدا ورحب بهم وسلم عليهم وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه للفضل بن العباس يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان أمركم فقال يا أبا سليمان هزم الله المشركين ورذهم على أدبارهم خائبين فتبعنا آثارهم وان رجالا منا أسروا فرجونا خلاصهم فلم نرهم ولا شك أنهم قتلوا فقال خالد رضي الله عنه ان القوم في الاسر لا محالة فقال له الزبير بن العوام من أين علمت ذلك يا أبا سليمان فقال خالد رضي الله عنه انا لم نجد في المعركة غير عشرة رجال ونحن عشرون وأنتم خمسة وعشرون وقد أسر خمسة رجال لا محالة وكانت الاسرى رافع بن عميرة وربيعة بن عامر وضرار بن الازور وعاصم بن عمرو ويزيد بن أبي سفيان فعظم ذلك على المسلمين ورجعوا الى أبي عبيدة رضي الله عنه فلما نظر الى الفضل بن العباس والى الزبير بن العوام والمرقال بن هاشم وقد رجعوا سالمين فرح بما نصرهم الله على الكافرين سجد على قربوس سرجه شكرا لله تعالى فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه معاشر المسلمين لقد بذلت مهجتي أن أقتل في سبيل الله تعالى فلم أرزق الشهادة لمن قتل من المسلمين كان أجله قد حضر ومن أسر كان خلاصه على يدي ان شاء الله تعالى قال وباتت الفرسان في فرح وسرور وبات الروم في نوح عظيم حين كسرت حامية عسكرهم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني من أثق به أن الامير أبا عبيدة رضي الله عنه لما نظر الى عساكر الروم معولة على قتاله كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من أبي عبيدة عامر بن الجراح عامله سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين أن كلب الروم هرقل قد استفز علينا كل من يحمل الصليب وقد سار القوم الينا كالجراد المنتشر وقد نزلنا باليرموك بالقرب من أرض الرمادة والجولان والعدو في ثمانمائة ألف مقاتل غير التبع وفي مقدمتهم ستون ألفا من العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام فأول من لقينا جبلة بن الايهم في ستين ألف فارس وأخرجنا اليه ستين رجلا فهزم الله تعالى المشركين على أيديهم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم وقتل من أصحابنا عشرة رجال وهم راعلة وجعفر بن المسيب ونوفل بن ورقة وقيس بن عامر وسلمة بن سلامة الخزرجي وأسر منهم خمسة رجال وهم رافع بن عميرة وربيعة بن عامر وضرار بن الازور وعاصم بن عمرو ويزيد بن أبي سفيان ونحن على نية الحرب والقتال فلا تغفل عن المسلمين وأمدنا برجال من الموحدين ونحن نسأل الله تعالى أن ينصرنا وينصر الاسلام وأهله والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن قرط الازدي وأمره أن يتوجه الى مدينة يثرب قال عبد الله بن قرط فركبت من اليرموك يوم الجمعة في الساعة العاشرة بعد العصر وقد مضى من شهر ذي الحجة اثنا عشر يوما والقمر زائد النور فوصلت يوم الجمعة في الساعة الخامسة والمسجد مملوء بالناس فأنخت ناقتي على باب جبريل عليه السلام وأتيت الروضة وسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصليت فيها ركعتين ونشرت الكتاب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال فضجت المسلمون عند رؤيته وتطاولت الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقبلت يديه وسلمت عليه فلما فتح عمر الكتاب امتقع لونه وتزعزع كونه وقال انا لله وانا اليه راجعون فقال عثمان بن عفان وعلي

ابن أبي طالب وأبو العباس وعبد الرحمن بن عوف وطلحة وغيرهم من الصحابة يا أمير المؤمنين
أطلعنا على ما في هذا الكتاب من أمر اخواننا المسلمين فقام عمر رضي الله عنه ورقي المنبر
خطيبا وقرأ الكتاب على الناس فلما سمعوا ما فيه ضجوا بالبكاء شوقا الى اخوانهم وشفقة
عليهم وكان أكثر الناس بكاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وقال يا أمير المؤمنين ابعثنا
اليهم ولو قدمت أنت الى الشام لشددت بك ظهور المسلمين فوالله ما أملك الا نفسي ومالي وما
أبخل بهما على المسلمين قال فلما سمع عمر بن الخطاب كلام عبد الرحمن بن عوف ونظر الى اشفاق
المسلمين وجزعهم على اخوانهم أقبل على عبد الله وقال يا ابن قرط من المقدم على عساكر الروم
فقلت خمسة بطارقة أحدهم ابن أخت الملك هرقل وهو قورين والديرجان وقناطر وجرجير
وصلبانهم تحت صليب ماهان الارمني وهو الملك على الجميع وجبلة بن الايهم الغساني متقدم
على ستين ألف فارس من العرب المتنصرة فاسترجع عمر وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم ثم قرأ عمر يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم قال
ما تشيرون به علي رحمكم الله فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبشروا رحمكم الله تعالى فان
هذه الوقعة يكون فيها آية من آيات الله تعالى يختبر بها عباده المؤمنين لينظر أفعالهم
وصبرهم فمن صبر واحتسب كان عند الله من الصابرين واعلموا أن هذه الوقعة هي التي ذكرها
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يبقى ذكرها الى الابد هذه الدائرة المهلكة فقال العباس
على من هي يا ابن أخي فقال يا عماه على من كفر بالله واتخذ معه ولدا فثقوا بنصر الله عز
وجل ثم قال لعمر يا أمير المؤمنين اكتب الى عاملك أبي عبيدة كتابا وأعلمه فيه أن نصر
الله خير له من غوثنا ونجدتنا فيوشك أنه في أمر عظيم فقام عمر ورقي المنبر وخطب خطبة
وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وذكر فضل الجهاد ثم نزل وصلى بالمسلمين فلما
فرغ من صلاته كتب الى أبي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر
أمير المؤمنين الى أمين الامة أبي عبيدة بن الجراح ومن معه من المهاجرين والانصار سلام
عليكم فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فان نصر
الله خير لكم من معونتنا واعلموا أنه ليس بالجمع الكثير يهزم الجمع القليل وانما يهزم بما
أنزل الله من النصر وان الله عز وجل يقول ولن تغني عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وان الله مع
المؤمنين وربما ينصر الله العصابة القليل عددها على العصابة الكثيرة وما النصر الا من
عند الله وقد قال تعالى فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر الآية فطوبى للشهداء وطوبى لمن
يتكل على الله فالق العدو بمن معك من المسلمين ولا تيأس بمن صرع من المسلمين فقد رأيت
من صرع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عجزوا عن عدوهم في مواطن كثيرة حتى
قتلوا في سبيل الله ولم يهابوا لقاء الموت في جنب الله تعالى بل جاهدوا في سبيل الله حق جهاده
وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فاذا
ورد عليك كتابي هذا فاقرأه على المسلمين وأمرهم أن يقاتلوا العدو في سبيل الله عز وجل واقرأ
عليهم يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون والسلام

عليك ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن قرط وقال له يا ابن قرط اذا
أشرفت على المسلمين وقد استوت الصفوف فسر بين صفوف الموحدين وقف على أصحاب
الرايات منهم وخبرهم أنك رسولي اليهم وقل لهم ان عمر بن الخطاب يسلم عليكم ويقول لكم
يا أهل الايمان اصدقوهم الحرب عند اللقاء وشدوا عليهم شدة الليوث واضربوا هاماتهم
بالسيوف وليكونوا عليكم أهون من الذباب فانكم المنصورون عليهم ان شاء الله تعالى ثم اقرأ
عليهم ألا ان حزب الله هم الغالبون قال عبد الله بن قرط فقلت له يا أمير المؤمنين ادع الله تعالى لي
بالسلامة والسرعة في السير فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللهم احمله وسلمه واطوله
البعيد انك على كل شئ قدير قال عبد الله بن قرط وخرجت من المسجد من باب الجنة فقلت
في نفسي لقد أخطأت في الرأي اذ لم أسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أدري أراه بعد
اليوم أم لا قال عبد الله فقصدت حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها
جالسة عند قبره وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه والعباس جالسان عند القبر والحسين في
حجر علي والحسن في حجر العباس رضي الله عنهم وهم يتلون سورة الانعام وعلي رضي الله عنه
يتلو سورة هود فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي رضي الله عنه يا ابن قرط
عولت على المسير الى الشام فقلت نعم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أظن أن
أصل اليهم الا والجيش قد التقى والحرب دائر واذا أشرفت عليهم لا يرون معي مددا ولا نجدة
خشيت عليهم أن يهنوا ويجزعوا وكنت أحب ان أصل اليهم قبل التقائهم بعدوهم حتى
أعظهم وأصبرهم فقال علي رضي الله عنه فما منعك أن تسأل عمر بن الخطاب أن يدعو لك
أما علمت يا ابن قرط أن دعاءه لا يرد ولا يحجب وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه
لو كان نبي ثان بعدي لكان عمر بن الخطاب أليس هو الذي يوافق حكمه حكم الكتاب حتى
قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لو نزل من السماء الى الارض عذاب ما نجا منه الا عمر بن
الخطاب أما علمت أن الله تعالى أنزل فيه آيات بينات أما هو الزاهد التقي أما هو العابد أما هو
المشبه بنوح النبي فان كان هو قد دعا لك فقد قرن دعاؤه بالاجابة فقال عبد الله بن قرط ما ذكرت
شيأ الا وأنا عارف به من فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكني أردت الزيادة من دعائك
ودعاء العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما عند قبر الرسول المعظم المكرم قال
فرفع العباس رضي الله عنه يديه وعلي رضي الله عنه كذلك وقالا اللهم انا نتوسل بهذا النبي
المصطفى والرسول المجتبى الذي توسل به آدم فأجبت دعوته وغفرت خطيئته الا سهلت على
عبد الله طريقه وطويت له البعيد وأيدت أصحاب نبيك بالنصر انك سميع الدعاء ثم قال سر
يا عبد الله بن قرط فالله تعالى أكرم من أن يرد دعاء عمر وعباس وعلي والحسن والحسين
وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد توسلوا اليه بأكرم الخلق عليه قال عبد الله بن قرط
فخرجت من الحجرة وأنا فرح مستبشر واستويت على كور المطية وركبت الفلاة وأنا فرح
بدعاء علي والعباس وعمر رضي الله عنهم أجمعين قال عبد الله خرجت من المدينة بعد العصر من
يومي ذلك الذي دخلت فيه المدينة وأنا أرقب الطريق فلما اختلط الظلام وأسبل الليل سجفه
أرخيت زمام المطية فحسبت أنها تطير بي ولم أزل سائرا ثلاثة أيام فلما كانت صلاة العصر من

اليوم الثالث أشرفت على اليرموك وسمعت ضجيج أذان المسلمين قال الراوي فقصدت خيمة الامير أبي عبيدة رضي الله عنه وأنخت ناقتي وسلمت عليه وكان لي منذ فارقته عشرة أيام فأخبرته بدعاء عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والعباس والحسن والحسين رضي الله عنهم فقال أبو عبيدة صدقت يا ابن قرط وانهم لكرام على الله عز وجل وان دعاءهم لا يرد ثم قرأ الكتاب على المسلمين فطابت قلوبهم بذلك وقالوا أيها الامير ما منا الا من يطلب الشهادة فالله تعالى يبلغنا اياها (قال الواقدي) حدثني عمرو بن العلاء قال حدثنا ماجد عن الثقات قال لما سار عبد الله بن قرط من المدينة يوم الجمعة فلما كان يوم السبت وقد صلينا الصبح خلف عمر بن الخطاب ونحن نقرأ من القرآن ما تيسر اذ سمعنا ضجة عظيمة وجلبة هائلة ففزعت قلوبنا فخرجنا مبادرين واذا نحن بقوم من اليمن من صدوان وأرض سبأ وحضرموت وقد اجتمعوا للجهاد وهم ستة آلاف يقدمهم جابر بن خول الربعي فترجلت ساداتهم وسلموا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمرهم بالنزول فلما أقبل الظلام جاء ألف فارس من مكة والطائف ووادي نخلة وثقيف يقدمهم سعيد بن عامر وسلموا على عمر ونزلوا ازاء أهل اليمن فلما كان يوم الاحد حمل عمر ضعيفهم وزودهم وعقد راية حمراء على قناة تامة وسلمها الى سعيد بن عامر قال سعيد بن عامر فهممت بالمسير فقال عمر على رسلك يا ابن عامر حتى أوصيك ثم أقبل عمر بن الخطاب يمشي راجلا ومعه عثمان بن عفان والعباس وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف فلما قربوا من الجيش وقف عمر والناس حوله وقال لسعيد بن عامر يا سعيد اني وليتك على هذا الجيش ولست بخير رجل منهم الا أن تتقي الله فاذا سرت فارفق بهم ما استطعت ولا تشتم أعراضهم ولا تحقر صغيرهم ولا تؤثر قويهم ولا تتبع هواك ولا تسلك بهم المفاوز واقطع بهم السهل ولا ترقد بهم على جادة الطريق والله تعالى خليفتي عليك وعلى من معك من المسلمين فقال له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اسمع وصية امامك امير المؤمنين الذي ختم الله تعالى به الاربعين وسميت به الامة مؤمنين وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تطيعوه تهتدوا وترشدوا فسر يا سعيد واذا وصلت الى أبي عبيدة والتقى بكم الجيش الذي لا تلقون مثله وصعب عليكم أمره فاكتبوا الى أمير المؤمنين عمر حتى يوجهني اليكم حتى أقلب أرض الشام على من فيها من المشركين ان شاء الله تعالى قال فسار سعيد بن عامر وهو يقول

نسير بجيش من رجال أعزة * على كل عجعاج من الخيل يصبر

الى شبل جراح وصحب نبينا * لننصره والله للدين ينصر

على كل كفار لعين معاند * تراه على الصلبان بالله يكفر

قال وسار مجد السير قال سعيد بن عامر وكنت عارفا ببلاد الشام وطرقه وكنت أسير اليه في السنة مرة أو مرتين عسفا من غير جادة طريق أسير على الكواكب فلما سرت من المدينة وأنا بين يدي المسلمين سلكت بهم على طريق بصرى فضللت عن الطريق وعدلت عن الجادة وأنا محترز من العدو وخائف على المسلمين فجعلت أحيد على العمارات واسلك الفلاة توفيقا من الله واكراما ولطفا بعباده المؤمنين فلما ضللت أشكل على الطريق كأني ما سلكته يوما

قط فوقفت حائرا حتى تلاحق بي المسلمون فلم أعلمهم بأمري ولا أني ضللت عن الطريق وأنا أقول لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فسرت يومين وليلتين وأنا أتيه بالناس والمسلمون يسألونني عن ذلك وأنا أقول لهم اني على طريق فلما كان في اليوم العاشر من مسيرنا من المدينة لاح لي جبل عظيم فنظرت اليه وحققته فلم أعرفه فقلت غررت والله بالمسلمين وأنا أقول في في نفسي أترى هذا جبل بعلبك وقد سهل علينا الطريق وكان الجبل قد لاح لنا من بعيد من أول النهار وما أدركناه الا والليل قد أقبل فلما سرنا بقربه اعترضنا واد عظيم فيه شجرة عظيمة كبيرة قال فلما تأملت الشجرة عرفتها وقلت لاصحابي أبشروا فقد وصلنا الى بلاد الشام وفتح المسلمين ودخلنا الوادي واذا به وعر ليس فيه جادة ولا طريق فلحق المسلمين من هوله تعب عظيم قال سعيد بن عامر وكان أكثر المسلمين رجالة وانما كان يحمل بعضهم بعضا ويتعقبون على ظهور الخيل والابل فلما نظرت المسلمون الى وحشة ذلك الوادي ووعورة مسلكه قالوا يا سعيد انا نظن انك قد أخطأت الطريق وسلكت بنا غير طريقنا فأرحنا في هذا الوادي قليلا فقد أضر بنا المسير قال فأجبتهم الى ذلك وكان في الوادي عين ماء غزيرة فنزل المسلمون عليها فشربوا وسقوا خيلهم وابلهم ورعت الخيل والجمال ورق الشجر ونام أكثر الناس وبعضهم يصلي على محمد قال سعيد بن عامر وكنت جلست في آخر الناس أحرسهم وأنا أتلو القرآن العظيم وأدعو الله لنا بالسلامة اذ غلبتني عيني فنمت فرأيت في منامي كأني في جنة خضراء كثيرة الاشجار والثمار وكأني آكل من ثمرها وأشرب من أنهارها وأجني من ثمرها وأناول أصحابي وهم يأكلون وأنا فرح مسرور فبينما أنا كذلك اذ خرج من بين تلك الشجرة أسد عظيم فزأر في وجهي وهم أن يفترسني وأنا من ذلك فزع مرعوب اذ خرج على الاسد أسدان عظيمان فصرعاه في موضعه فسمعت له خوارا عظيما فانتهبت من نومي وحلاوة ذلك الثمر في فمي والآسود تمثل بين يدي قال سعيد بن عامر ففسرتها أنها غنيمة يأخذها المسلمون ويمنعنا منها مانع ونظفر به فقلت في نفسي الجنة هي الشهادة قال سعيد بن عامر ولم أزل جالسا أتلو القرآن وأنا قلق اذ سمعت هاتفا يهتف بي عن يمين الوادي وهو يقول

يا عصبة الهادي الى الرشاد * لا تفزعوا من وعر هذا الوادي

ما فيه من جن ولا معادي * ستعلمون معشر العباد

لطف الذي يرفق بالاولاد * ويطرح الرحمة في الاكباد

سيصنع الله بكهل شاد * وتغنموا المال مع الاولاد

قال سعيد بن عامر فلما سمعت شعر الهاتف وما بشر به من الغنيمة سجدت لله تعالى شكرا واستيقظ المسلمون لصوت الهاتف قال سعيد بن عامر وكنت قد حفظت من الهاتف بيتا وحفظ سماح ثلاثة أبيات وأنشدني اياها وفرح المسلمون بما سمعوا من الهاتف وطابت قلوبهم بالغنيمة وأقام المسلمون في الوادي حتى أصبح الصباح وصلى بهم سعيد بن عامر صلاة الفجر فلما طلعت الشمس خرج المسلمون من الوادي وحققت تلك الارض والجبل واذا به جبل الرقيم فلما رأيته عرفته فرفعت صوتي بالتكبير وقلت الله أكبر وكبرت المسلمون لتكبيري وقالوا ما الذي رأيت يا ابن عامر فقلت وصلنا الى بلاد الشام وهذا جبل الرقيم قال

سعيد وأ كثر من في طماعي العرب قالوا يا سعيد وما الرقيم أما تعرفه فحدثتهم بحديث الرقيم
قال سعيد فعجبوا من ذلك ثم أقبلت بهم الى الغار فصلوا فيه ثم سرنا حتى أشرفنا على بلاد عمان
قال سعيد بن عامر فعدلت الى قرية هنالك يقال لها الجنان فنظرت الى دهاقين القرية وهم
خارجون منها ومعهم الاهل والاولاد فلما رآهم المسلمون حملوا عليهم من غير اذن لهم
وأخذوا بعضهم أسارى فرجع القوم الى القرية وكان فيها حصن منيع فتحصنوا فيها منا قال
سعيد بن عامر فقربت من الحصن وصحت بهم وقلت يا ويلكم ما بالكم كنتم خارجين من
قريتكم فرجعتم فأشرف علي واحد منهم وقال لي يا معاشر العرب اعلموا أننا كنا خارجين من
المدينة ففزعنا منكم وذلك أن صاحب عمان بعث الينا وأمرنا بالمسير الى عمان لنكون
من تحت كنفه في عمان والآن يا معاشر العرب هل لكم أن تكونوا في ذمامكم وأمانكم قال
سعيد نعم فوقع الصلح بيننا على عشرة آلاف دينار وكتبت لهم كتاب الصلح فلما هممت بالمسير
قالوا يا معاشر العرب قد صالحناكم ونحن خائفون من قومنا واعلموا أن نقيطاس صاحب
عمان لا بد أن نلقى منه شدة عظيمة فلو ظفرتم به لكان خيرا لنا ولكم فقلت فكيف نظفر به
فقالوا ان الملك ماهان مقدم العساكر قد بعث الينا حتى نسير الى الساحل الى قيسارية
لنكون مع قسطنطين بن الملك هرقل يدا واحدة وبعث بذلك اليه وان أنتم ظفرتم بصاحب
عمان ملكتم غنيمة جسيمة فقال سعيد بن عامر رضي الله عنه وفي كم يكون جيش عمان فقالوا
في خمسة آلاف فارس ولكن قد وقع خوفكم في قلوبهم فلن يفلحوا اذا أبدا فقال سعيد بن
عامر يا معاشر المسلمين ما تقولون في لقاء هذا البطريق صاحب عمان وأخذ غنيمته فقالوا
افعل ما تريد فان قتله الله على أيدينا كان ذلك صلاحا للمسلمين ووهنا على المشركين فقال سعيد
ابن عامر لاهل القرية على أي طريق يأتي القوم فقالوا على هذا الطريق قال فدلونا على
طريق عمورية فسرنا الى واد عظيم وكمنا فيه يوما وليلة فلم يأتنا أحد فلما أصبح الصباح
قال سعيد يا معاشر المسلمين ان الذي وجهنا اليه عمر بن الخطاب من نجدة أبي عبيدة
والمسلمين أفضل من مقامنا هاهنا فاخرجوا ارحمكم الله فاما اذا أشرفنا على المسلمين في سبعة
آلاف فارس كان ذلك وهنا على المشركين وذلة للكافرين فقال المسلمون يا ابن عامر ان قلوبنا
توقن بالغنيمة ولا تحرمنا ذلك قال فبينما هم في المحاورة اذ أشرف عليهم جماعة من القسوس
والرهبان وعليهم ثياب الشعر وفي أيديهم الصلبان وقد حلقوا أوساط رؤسهم فابتدر المسلمون
اليهم وأخذوهم وأوقفوهم بين يدي سعيد بن عامر فقال لهم من أنتم وكان فيهم قس كبير
فكلم سعيدا وقال نحن رهبان هذه الاديرة والصوامع ونريد أن نصل الى قسطنطين ولد الملك
هرقل حتى ندعو للعساكر بالنصر قال سعيد فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال فما وراءكم
من الاخبار قالوا وراءنا صاحب عمان في خمسة آلاف فارس من فرسان النصرانية وعباد
الصليب فقال سعيد اللهم اجعلهم غنيمة لنا ثم قال سعيد للقسيس الذي خاطبه اسمع أيها
الشيخ أن نبينا أمرنا أن لا نتعرض لراهب حبس نفسه في صومعته ولولا أنكم تدرون العدو
الينا سبيلكم ثم أمر المسلمين أن يوثقوهم كتافا وتعوهم بزنانيرهم التي في أوساطهم
فبينما نحن كذلك اذ أشرف علينا جيش عمان والرجالة أمامهم يعزلون لهم الحجر من الدروب

فلما أشرفوا على المسلمين حمل عليهم المسلمون من غير أهبة ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ووضعوا فيهم السيف فقتلوا الرجالة عن آخرهم فأخبر صاحب عمان بذلك فلما نظر الى صنع المسلمين أمر أصحابه بالحملة فحملوا عليهم حملة عظيمة واقتتلوا قتالا شديدا قال سعيد بن عامر ونظرت الى المسلمين وهم يقتلون الروم قتلا ذريعا ويضجون بالتهليل والتكبير فلما نظر البطريق صاحب عمان ما صنع المسلمون بأصحابه ولى منهزما طالب عمان وتبعه قومه وتبعهم المسلمون وبعضهم مال الى الغنيمة والبطريق نقيطاس صاحب عمان فى الهرب وكان قد سبق فوقف حتى تلاحق به المنهزمون من قومه قال فبينما هو كذلك اذ أشرف عليهم خيل من ورائهم تسرع بركابها وقد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وهم زهاء من ألف فارس يقدمهم فارسان كأنهما أسدان أحدهما الزبير بن العوام والآخر الفضل ابن العباس فحملوا على الروم فقتلوهم قتلا ذريعا وحمل الزبير بن العوام على نقيطاس بطريق عمان وهو واقف تحت الصليب فطعنه الزبير فقلبه عن جواده وعجل الله بروحه الى النار وأقبل الفضل بن العباس يجندل الفرسان وينكس الأبطال قال وأشرف سعيد ابن عامر على الموضع فرأى الحرب قائمة فظن أنه وقع بينهم الخلف فلما قربوا منهم سمعوا التهليل والتكبير فقالوا هذه دعوة الحق لمن قالها فاقتحم سعيد بن عامر المعركة فسمع الفضل ابن العباس وهو ينتمى باسمه ويقول أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن عامر فوالله ما انفلت من القوم أحد فقلت له لله درك يا ابن العباس ومن معك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معى الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد ابن عامر فوالله ما انفلت من القوم أحد الا بين أسير وقتيل وغنم المسلمون غنيمة عظيمة وسلم بعضهم على بعض وأقبل الزبير على سعيد بن عامر وقال يا ابن الطفيل ما الذى حبسك عن المسير جهتنا وقد جاءنا سالم بن نوفل العدوى وأخبرنا بمسيرك الينا وقد ساءت بك ظنوننا فأرسلنا أبو عبيدة لنغير على عمان والحمد لله على سلامة المسلمين ودمار المشركين ثم أمر الزبير برؤس القتلى فسلخت وحملتها العرب على أسنة الرماح فكانت الرؤس أربعة آلاف رأس والاسرى ألف أسير قال وأطلق سعيد بن عامر الرهبان وسار المسلمون حتى أشرفوا على أبى عبيدة رضى الله عنه ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير وأجابهم جيش المسلمين بمثل ذلك فارتجت قلوب الروم لذلك ونظروا الى ثمانية آلاف فارس والرؤس معهم على الاسنة فبهتوا لذلك وحدث سعيد بن عامر أبا عبيدة بالنصر وغنيمتهم من الروم فسجد شكرا لله عز وجل وأمر بالالف أسير فضربت أعناقهم والروم ينظرون اليهم قال قطبة بن سويد وأخبرت الروم أنه لم ينج أحد من جيش عمان (قال الواقدى) رحمه الله تعالى لما أسر الخمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتم لفقدهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أكثرهم غما أبو عبيدة بن الجراح وأقبل على البكاء والتضرع يدعو لمن أسر بالخلاص وأما الخمسة فانهم مثلوا بين يدى ماهان لعنه الله تعالى وغضب عليه فلما نظر اليهم استحقر شأنهم وقال لجبلة بن الايهم من هؤلاء قال أيها الملك هؤلاء قوم من جيش المسلمين وقد كانوا ستين رجلا فقتلت أكثرهم وأسرت هؤلاء وما بقى فى عسكرهم من تخاف مما تلته الارجل

واحد وهو الذي يثبتهم ويرمي بهم كل المرامي وهو الذي فتح اركة وتدمر وحوران وبصرى ودمشق وهو الذي كسر عساكر أجنادين وتبع توما وهربيس وقتلهم في مرج الديباج وأسر ابنة الملك هرقل وهو خالد بن الوليد قال فلما سمع ماهان ذلك قال لا بد لي أن أحتال على هذا الرجل حتى أحصله عندي وأقتله مع هؤلاء الخمسة الاسرى ثم دعا ماهان برجل من الروم اسمه جرجة وكان حكيما فاضلا عند الروم فصيحا بلسان العرب فقال يا جرجة أريد أن تمضي الى هؤلاء العرب وتقول لهم يبعثوا الينا رسولا وليكن هذا الرسول الرجل المسمى بخالد قال فركب جرجة وسار نحو عساكر المسلمين فالتقى بخالد بن الوليد فقال له ما الذي تريد فقال ان الملك ماهان قد بعثني اليكم حتى تبعثوا رجلا منكم فلعل الله أن يحقن دماءنا ودماءكم فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه أنا أكون الرسول اليه وأوقف رسول الروم بين يديه ويدي أبي عبيدة رضي الله تعالى عنهما وأخبره أنه يريد المسير الى ماهان فقال أبو عبيدة امض يا أبا سليمان سلمك الله تعالى فلعل الله تعالى أن يهديهم أو يدعونا للصلح وأداء الجزية فتحقن الدماء على يدك لحقن دم رجل واحد أحب الى الله تعالى من أهل الشرك جميعا فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه أنا أطلب من الله تعالى العون ثم وثب خالد بن الوليد رضي الله عنه الى خيمته ولبس خفين حجازيين وتعمم بعمامة سوداء وشد وسطه بمنطقة من الاديم وتقلد سيفه الذي استلبه من مسيلمة الكذاب يوم اليمامة وأمر عبده هماما أن يأخذ قبته الحمراء وكانت من الاديم الطائفي وفيها شعرات من الذهب الأحمر وحليتها من الفضة البيضاء وكان خالد قد اشتراها من امرأة ميسرة بن مسروق العبسي بثلثمائة دينار فحملها على بغل وركب خالد جواده فلما هم بالمسير قال له أبو عبيدة يا أبا سليمان خذ معك رجالا من المسلمين يكونون لك عونا فقال خالد أيها الامير أحب ذلك ولكن لا اكراه في الدين وليس لي عليهم طاعة فأمر أنت من شئت فلما سمع المسلمون كلام خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه قال معاذ بن جبل يا أبا سليمان انك من أهل الفضل ولو أمرتنا بأمر امتثلناه لانك سائر في طاعة الله تعالى ورسوله ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ فاستركب معه مائة فارس من المهاجرين والانصار منهم المرقال بن عتبة بن وقاص وشرحبيل بن حسنة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي وميسرة بن مسروق العبسي وقيس بن هبيرة المرادي وسهل بن عمرو العامري وجرير بن عبد الله البجلي والقعقاع بن عمرو التميمي وجابر بن عبد الله الانصاري وعبادة بن الصامت الخزرجي والاسود بن سويد المازني وذو الكلاع الحميري والمقداد بن الاسود الكندي وعمرو بن معديكرب الزبيدي رضي الله تعالى عنهم أجمعين ولم يزل خالد ينتخب مثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم حتى كمل منهم مائة فارس كل فارس منهم يرد جيشا وحده فأخذوا زينتهم واشتملوا بلباس الحرب وتوشحوا بالابراد وتعمموا بالعمائم وتمنطقوا بالخناجر وتقلدوا بالسيوف وركبوا الخيل العتاق وسار خالد بن الوليد رضي الله عنه وعن يمينه معاذ بن جبل وعن شماله المقداد بن الاسود الكندي والمائة فارس محدقون به قال معاذ بن جبل رضي الله عنه وسرنا ونحن نعلن بالتهليل والتكبير قال نصر بن سالم المازني فنظرت الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه حين سار خالد بمن معه يقرأ آية من القرآن ودموعه جارية على خده فقلت أيها الامير ما يبكيك فقال يا ابن سالم هؤلاء والله

أنصار الدين فان اصيب رجل منهم فى امارة أبى عبيدة فما يكون عذرى عند رب العالمين وعند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما أشرف خالد ابن الوليد رضى الله عنه ومن معه على عساكر الروم نظر المسلمون الى عسكر الروم وهم خمسة فراسخ فى العرض وعن نوفل بن دحية أن خالد بن الوليد لما ترجل عن جواده وترجل المائة جعلوا يتخترون فى مسيرهم ويجرّون حمائل سيوفهم ويخترقون صفوف الحجاب والبطارقة ولا يهابون أحدا الى أن وصلوا الى النمارق والفراش الديباج ولاح لهم ماهان وهو جالس على سريره فلما نظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما ظهر من زينته وملكه عظموا الله تعالى وكبروه وطرحت لهم الكراسى فلم يجلسوا عليها بل رفع كل واحد منهم ما تحته وجلسوا على الارض فلما نظر ماهان الى فعلهم تبسم وقال يامعاشر العرب لم تأبون كرامتنا ولم أزلتم ما تحتكم من الكراسى وجلستم على الارض ولم تستعملوا الأدب معنا ودستم على فراشنا قال فقال خالد بن الوليد ان الادب مع الله تعالى أفضل من الادب معكم وبساط الله أطهر من فرشكم لان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا ثم قرأ قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى قال حدثنى عاصم بن رواح الزبيدى قال حدثنا ورقة بن عبد الله الشيبانى قال حدثنا طرفة بن شيبة الخولانى عن عمه جرير وكان محالفا لخالد بن الوليد رضى الله عنه قال لم يكن بين خالد وماهان ترجمان يبلغ عنهما بل كانا يتحدثان كلاهما فقال خالد ياماهان انى أكره أن أبدأك بالكلام فتكلم أنت بما تريد فانى لست أبالى بما تتكلم به ولكل كلام جواب فان شئت فتكلم وان شئت بدأتك قال ماهان أنا أبدؤكم الحمد لله الذى جعل سيدنا الروح المسيح كلمته وملكنا أفضل الملوك وأمتنا خير الامم قال فعظم ذلك على خالد بن الوليد وقطع خالد كلامه فقال الترجمان لا تقطع كلام الملك يا أخا العرب واستعمل حسن الادب فأبى خالد أن يسكت بل قال خالد الحمد لله الذى جعلنا نؤمن بنبينا ونبيكم وجميع الانبياء وجعل أميرنا الذى وليناه أمورنا كبعضنا لو زعم أنه ملك علينا لعزلناه فلسنا نرى أن له فضلا علينا الا أن يكون أتقى لله عز وجل منا وقد جعل الله أمتنا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقرّ بالذنب وتستغفر منه وتعبد الله تعالى وحده لا شريك له قال فاصفرّ وجه ماهان وسكت قليلا ثم قال الحمد لله الذى أبلانا وأحسن البلاء الينا وأغنانا من الفقر ونصرنا على الامم وأعزنا ومنعنا من الضيم ولسنا فيما خولنا الله فيه من نعيم الدنيا بطرين ولا باغين على الناس وقدم يامعاشر العرب طائفة منكم يغشوننا ويلتمسون نائلنا ورفدنا وجوائزنا ونحن نحسن اليهم ونكرمهم ونكرم ضعيفهم ونعظم قدرهم ونتفضل عليهم ونفى لهم بالوعد وكنا نظن أن العرب كلها تعرف لنا ذلك من جميع القبائل وتشكرنا عليه لما أسدينا من عطايانا الجميلة لهم فما شعرنا حتى جئتمونا بالخيل والرجل وظننا أنكم تطلبون منا طلب اخوانكم فاذا أنتم على خلاف رأى أولئك جئتم تقتلون الرجال وتسبون النساء وتغنمون الاموال وتهدمون الاطلال وتطلبون أن تخرجونا من أرضنا وتغلبونا على بلادنا وقد طلب منا ذلك من كان قبلكم ممن هو أكثر منكم عددا وأكثر أموالا وسلاحا وظهرا فرددناهم خائفين وجلين خائبين بين قتيل وجريح وطريد وطريح فأول ما فعلنا ذلك بملك فارس فرده الله على

عقبيه بالخيبة والذل وكذلك فعلنا بملك الترك وملك الجرامقة وغيرهم وأنتم لم يكن في أمة من
الامم أحقر منكم مكانا ولا أحقر شانا لانكم أهل الشعر والوبر والبؤس والشقاء وأنكم مع
ذلك تظلمون في بلادكم وبلادنا لوحوا الينا أمة كثيرة العدد وشوكتنا شديدة وعصبتنا عظيمة
وانما أقبلتم علينا لانكم خرجتم من جدوبة الارض وقحط المطر فانجلبتم الى بلادنا
وأفسدتم كل الفساد وركبتم مراكب ليست كمراكبكم ولبستم ثيابا ليست كثيابكم وتمتعتم
ببنات الروم البيض الاوانس فجعلتموهن خدما لكم وأكلتم طعاما ليس كطعامكم وملئت
أيديكم من الذهب والفضة والمتاع الفاخر وقد لقيناكم الآن ومعكم أموالنا وما غنمتموه من
قومنا وأهل ديننا وقد تركناه لكم لا نطالبكم به ولا ننازعكم فيه ولا نعتب عليكم فيما تقدم
من فعالكم والآن فاخرجوا من بلادنا فان أبيتم الانصراف عنا عزمنا عليكم عزمة فنترككم
كأمس الدابر وان جنحتم للصلح أمرت لكل واحد من عسكركم بمائة دينار وثوب ولاميركم أبي
عبيدة بألف دينار ولخليفتكم عمر بن الخطاب بعشرة آلاف دينار على أنكم تحلفون لنا أن
لا تعودوا الى حربنا (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وماهان يرغب تارة ويرهب أخرى وخالد
مطرق لا يتكلم حتى فرغ ماهان من كلامه فقال خالد ان الملك قد تكلم فأحسن وسمعنا كلامه
ونتكلم ويسمع كلامنا ثم قال خالد بن الوليد رضي الله عنه الحمد لله الذي لا اله الا هو فلما سمع ماهان
ذلك مد يده الى السماء وقال نعم ما قلت يا عربي فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله المرتضى ونبيه المجتبى صلى الله عليه وسلم فقال ماهان ما أدري أمحمد رسول الله أم لا
ولعله كما تقول وتزعم وتذكر فقال خالد رضي الله عنه حسب الرجل دينه ثم قال أفضل الساعات
وخيرها الساعات التي يطلع فيها الله رب العالمين فالتفت ماهان الى قومه وقال بلسانه انه
رجل عاقل يتكلم بالحكمة فقال خالد ما الذي قلت لقومك فأخبره بمقالته فقال خالد
أن كنت أوتيت العقل فالله تعالى المحمود على ذلك وقد سمعنا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
يقول لما خلق الله تعالى العقل وصوره وقدره قال أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال
الله تعالى وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحب الي منك بك تنال طاعتي وتدخل جنتي فقال
ماهان اذا كنت بهذا العقل والفهم فلم جئت بهؤلاء معك قال خالد بن الوليد رضي الله عنه
جئت بهم لاشاورهم قال ماهان وأنت مع جودة عقلك وحسن رأيك وبصيرتك تحتاج الى
مشورة غيرك قال خالد نعم بهذا أمر الله عز وجل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى
في كتابه العزيز وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله وقال صلى الله عليه وسلم
ما ضاع امرؤ عرف قدره ولا ضاع مسلم استشار. وان كنت ذا رأي وعقل كما تزعم وكما بلغك
فاني لا أستغني عن رأي ذي رأي ومشورة أصحابي قال ماهان وهل في عسكركم من له رأي
مثل رأيك وحزم مثل حزمك قال نعم ان في عسكرنا أكثر من ألف فارس لا يستغني عن رأيهم
ولا عن مشورتهم فقال له ماهان ما كنا نظن ذلك فيكم وانما كان يبلغنا عنكم أنكم
طماعون جهال لا عقول لكم يغير بعضكم على بعض وينهب بعضكم أموال بعض فقال له خالد
رضي الله عنه ذلك كان شأن أكثرنا حتى بعث الله عز وجل فينا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
فهدانا الرشد وعرفنا سبيلنا وفهمنا الخير من الشر والهدى من الضلال فقال ماهان يا خالد انك

قد أعجبتني بما أراه من رأيك وبصيرتك وقد أحببت أن أواخيك فتكون أخي وخليلي فقال
خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وافرحاه ان تمم الله مقالتك فتكون اذا سعيدا ولا نفترق
فقال ماهان وكيف ذلك قال خالد تقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الذي
بشر به عيسى بن مريم فاذا فعلت ذلك كنت أخي وكنت أخاك وتكون خليلي وأكون خليلك
ولا نفترق الا الامر يحدث فقال ماهان أما ما دعوتني اليه من الترك لديني والدخول في
دينكم فما الى ذلك من سبيل فقال خالد بن الوليد وكذلك أيضا لا سبيل الى مؤاخاتي لك
وأنت مقيم على دينك دين الضلال قال ماهان أريد أن ألقي الحشمة بيني وبينك وأكلمك
كلام الاخ لأخيه فأجبني عن كلامي الذي دعوتك اليه حتى أسمع ما تقول قال خالد أما بعد
فانك تعلم أن الذي ذكرته مما فيه قومك من الغنى والعز ومنع الحريم والظهور على الاعداء
والتمكن في البلاد فنحن عارفون به وكل ما ذكرته من انعامكم على جيرانكم من العرب
فقد علمناه ولكن انما فعلتم ذلك ابقاء لنعمتكم ونظرا منكم لانفسكم وذراريكم وزيادة
لكم في مالكم وعزا لكم فتستكثرون جمعكم وتلقون الشوكة على من أرادكم وأما
ما ذكرته من فقرنا ورعينا الابل والشاء فما منا من لم يرع وأكثرنا رعاة ومن رعى منا كان له
الفضل على من لم يرع وأما قولك بأننا أهل فقر وفاقة وبؤس وشقاء فنحن لا ننكر ذلك وانما ذلك
من أجل أنا كنا معاشر العرب أنزلنا الله تعالى منزلا ليس فيه أنهار ولا أشجار ولا زرع الا
قليل وكنا أهل جاهلية جهلاء لا يملك الرجل منا الا فرسه وسيفه وأباعره وشياهه ويأكل
قوينا ضعيفنا ولا يأمن بعضنا بعضا الا في الاربع الأشهر الحرم نعبد من دون الله الاصنام
والأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ونحن عليها مكبون ولها حاملون فبينما نحن كذلك على
شفا حفرة من النار من مات منا مات مشركا وصار الى النار ومن بقي منا كان كافرا بربه قاطعا
لرحمه حتى بعث الله لنا من نعرف حسبه ونسبه هاديا مهديا رسولا نبيا واماما تقيا أظهر
الاسلام بدعوته ودحض المشركين بكلمته جاءنا بقرآن مبين وصراط مستقيم ختم الله تعالى به
النبيين وأمرنا بعبادة رب العالمين نعبده ولا نشرك به شيأ ولا نتخذ من دونه وليا ولا نجعل لربنا
صاحبة ولا ولدا لا شريك له ولا ضد ولا ند له ولا نسجد للشمس ولا للقمر ولا للنور ولا للنار ولا
للصليب ولا للقربان ولا نسجد الا لله وحده لا شريك له ونقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وصحبه أنزل الله عليه كلامه الذي هدانا به ولولا نا فاستجبنا له وأطعناه أمره فكان
مما أمرنا به أن نجاهد من لا يدين بديننا ولا يقول بقولنا ممن كفر بالله واتخذ معه شريكا جل ربنا
وتعالى عن ذلك لا تأخذه سنة ولا نوم فمن اتبعنا كان أخانا وصار له ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى
الاسلام كانت عليه الجزية يؤديها الينا عن يد وهو صاغر فاذا أداها حقن بها ماله ودمه وولده
ومن أبى الاسلام وأن يؤدي الجزية فالسيف حكم بيننا وبينه حتى يقضي الله جل جلاله بحكمه
وهو خير الحاكمين ونحن ندعوكم الى هذه الخصال الثلاث ليس غيرها اما أن تقولوا أشهد أن
لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أو الجزية في كل عام على كل محتلم من الرجال
وليس على من لم يبلغ الحلم جزية ولا على امرأة ولا على راهب منقطع في صومعته قال ماهان فهل
بعد قول لا اله الا الله غير هذا فقال خالد نعم أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتحجوا البيت

الحرام وتجاهدوا من كفر بالله تعالى وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتوالوا في الله تعالى وتعادوا في الله فان أبيتم ذلك فالحرب بيننا وبينكم حتى يورث الله أرضه من يشاء والعاقبة للمتقين قال ماهان فافعل ما تشاء فاننا لا نرجع عن ديننا ولا نؤدي الجزية وأما ما ذكرت من أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده فلقد صدقت فانها لم تكن لنا ولا لكم بل كانت لقوم غيرنا وغيركم فقاتلناهم عليها حتى ملكناها منهم والحرب بيننا وبينكم فابرزوا على اسم الله تعالى فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه ما أنتم بأشهى منا الى الحرب وكأني بجيوشكم وقد انهزمت والنصر يقدمنا وتساق أنت والحبل في عنقك ذليلا حقيرا وتقدم بين يدي عمر بن الخطاب فيضرب عنقك قال فلما سمع ماهان كلام خالد بن الوليد غضب غضبا شديدا قال فلما نظرت البطارقة والحجاب والهرقلية والقياصرة الى غضب ماهان هموا بقتل خالد الا أنهم صبروا ينظرون أمره فقال ماهان لخالد وقد استشاط غضبا وحق المسيح لأحضرن أصحابك الخمسة الاسارى وأضرب أعناقهم وأنت تنظر اليهم فقال له خالد اسمع ما أقول لك يا ماهان أنت أقل وأذل وأحقر من ذلك واعلم أن هؤلاء الذين في يدك هم منا ونحن منهم فوحق صاحب الدعوة المستجابة وحق سعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وخلافة عمر بن الخطاب لئن قتلتهم لأقتلنك بسيفي هذا ويقتل كل رجل منا من قومك بعددهم وزيادة ثم وثب خالد رضي الله عنه من موضعه وانتضى سيفه من غمده وفعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفعله وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله وجردوا سيوفهم وهاجوا كالجمال أو كالسباع الضواري واستقتلوا وأيقنوا بالشهادة في ذلك المكان (قال الشيخ أبو عبد الله محمد الواقدي) مؤلف هذا الكتاب والله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمدت في أخبار هذه الفتوح الا الصدق وما نقلت أحاديثها الا عن ثقات وعن قاعدة الحق لأثبت فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادهم حتى أرغم بذلك أهل الرفض الخارجين عن السنة والفرض اذ لولاهم بمشيئة الله لم تسكن البلاد للمسلمين وما انتشر علم هذا الدين فلله درهم لقد جاهدوا في الله حق جهاده ونصروا دينه وثبتوا اللقاء الاعداء وبذلوا جهدهم ونصروا الدين حتى زحزحوا الكفر عن سريره وتقهقر لا جرم وقد قال فيهم الملك المقتدر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني مسلم بن عبد الحميد عن جده رافع بن مازن قال كنت مع خالد يوم سرنا الى ماهان وكنا في سرادقه فلما جذبنا السيوف وهممنا بالقوم وما في أعيننا من جيوش الروم شئ وقد أيقنا بالحشر من ذلك الموضع (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما رأى ماهان الحقيقة منا ومن خالد وتبين الموت في شفار سيوفنا نادى ماهان مهلا يا خالد لا تكن بهذه العجلة تهلك وأنا أعلم أنك ما قلت ذلك القول الا أنك رسول والرسول يحمل ولا يقتل وأنا انما تكلمت بما تكلمت لأختبركم وأنظر ما عندكم والآن اما أو أخذك فارجع الى عسكرك واعزم على القتال حتى يعطي الله تعالى النصر لمن يشاء فلما سمع ذلك أغمد سيفه وقال يا ماهان ما تصنع في هؤلاء الاسرى فقال ماهان أطلقهم كرامة لك وأخلي سبيلهم فيكونون عونا لك ولن تعجزونا في الحرب غدا ففرح خالد بذلك وأمر ماهان بتخلية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأطلقوا من وثاقهم وهم خالد بالمسير فقال ماهان يا خالد اني

كنت

كنت أحب أن يصلح الامر بيني وبينكم وانى أسألك حاجة فقال خالد سل ماتريده فقال ان قبتك هذه الحمراء قد أعجبتني وانى أريد أن تهبها لى وانظر فى عسكرى ما أعجبك من شئ فأهبه لك فقال خالد والله لقد فرحتني اذ طلبت ما أملكه وهى موهوبة لك وأما ما عرضت على من عسكرك فلا حاجة لى فيه فقال ماهان لله درك أنت تكرمت وأجملت فقال خالد رضى الله عنه وأنت أيضا قد تكرمت علينا بما صنعت من اطلاق أصحابى من الاسر ثم انثنى خارجا من عند ماهان وأصحابه من حوله وقدم له جواده فركبه وركب أصحابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر ماهان أصحابه وحجابه أن يسيروا معهم حتى يبلغوهم قال ففعل القوم ذلك ووصل خالد وأصحابه الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنهم أجمعين وسلموا عليه وفرح المسلمون بخلاص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث خالد أبا عبيدة بكل ما جرى لهم ثم قال خالد وحق المنبر والروضة ما كان ماهان ليطلق لنا أصحابنا الا فزعا من سيوفنا فقال أبو عبيدة حين سمع ما ذكر خالد ولما هان من الخطاب والجدال هذا رجل حكيم الا أن الشيطان غلب على عقله فعلام افترقتم قال على أننا نلتقى معهم ويعطى الله النصر لمن يشاء فلما سمع أبو عبيدة رضى الله عنه ذلك جمع عظماء المسلمين وقام فيهم خطيبا فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر النبى صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أن العدو يصبحهم بالقتال فى غداة غد وأمرهم بالاهبة وأقبل فرسان المسلمين يحرض بعضهم بعضا وأقبل خالد على أصحابه وهم عسكر الزحف وقال لهم اعلموا أن هؤلاء الكفرة الذين نصركم الله عليهم فى المواطن الكثيرة قد حشدوا لكم جموع بلادهم وانى دخلت الى عسكرهم ونظرت اليهم فكأنهم النمل ولكنهم أصحاب عدة بلا قلوب ولا لهم من ينصرهم عليكم وهذه الوقعة بيننا وبينهم وقد أيقنا أن القتال فى غداة غد وأنتم أهل البأس والشدة فما عندكم رحمكم الله تعالى قال فتكلم أصحاب خالد وقالوا أيها الامير القتال بغيتنا القتل فى سبيل الله تعالى مسرتنا ولا نزال نصبر لهم على الحرب والطعن والضرب حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ففرح خالد بقولهم وقال لهم وفقكم الله تعالى وأرشدكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم يبق أحد منهم تلك الليلة الا وقد أخذ عدته وأهبته واستعد بآلة الحرب والقتال وباتوا فرحين بالجهاد والثواب وخائفين من العقاب فلما أصبح القوم ولاح الفجر اذن المؤذنون فى عسكر المسلمين حتى ارتفعت لهم جلبة عظيمة بالتوحيد وأسبغوا الوضوء لصلاتهم خلف أبى عبيدة فلما صلوا ركبوا خيولهم الى قتال عدوهم وعبوا صفوفهم للقتال وكانوا ثلاثة صفوف متلاصقة الصف لا يرى آخره وأقبل خالد بن الوليد على أبى عبيدة رضى الله عنه وقال أيها الامير من تجعل فى الميسرة قال كانة بن مبارك الكنانى أو قال عمرو بن معديكرب الزبيدى والله أعلم أيهما كان فولاه الميسرة وأمره أن يكون مكانه فى الميسرة ففعل وضم الى كنانة قيسا قال فسار لما أمره أبو عبيدة رضى الله عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى فضالة بن عامر قال حدثنى موسى بن عوف عن جده يوسف بن معن قال كان هذا الغلام كانة عارفا بالحرب صاحب شجاعة وغارة وقد ذكر أنه كان من شجاعته وشدة فراسته أنه كان يخرج من حى قومه بنى كنانة وحده ويسير حتى يأتى أحياء العرب المعادين له فاذا أشرف عليهم صرخ بهم وانتمى باسمه فتثور

الرجال على أعناق الخيل فلا يزال يقاتلهم ويقاتلونه فان ظفر بهم كان مراده وان رأى منهم غلبة وعظم عليه أمرهم نزل عن جواده وسعى بين أيديهم فلا يلحقون منه الا الغبار (قال الواقدي رحمه الله تعالى) لما ولاه أبو عبيدة وقف حيث أمره والتفت أبو عبيدة الى خالد وقال يا أبا سليمان قد وليتك على الخيل والرجل فول أمر الرجالة من شئت فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه سأولي أمرهم رجلا لا يؤتى المسلمون من قبله ثم نادى بهاشم بن عتبة بن أبي وقاص وقال له قد ولاك الامير على الرجالة فقال أبو عبيدة رضي الله عنه انزل يا هاشم وكن معهم رحمك الله وأنا أوافقك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ورتب أبو عبيدة صفوف المسلمين وعباهم قال خالد بن الوليد رضي الله عنه ابعث الآن الى أصحاب الرايات وقل لهم يسمعوا مني فدعا أبو عبيدة رضي الله عنه بالضحاك بن قيس وقال له يا ابن قيس أسرع الى أصحاب الرايات وقل لهم ان الامير أبا عبيدة يأمركم أن تسمعوا لخالد وتطيعوا أمره ففعل الضحاك ذلك وجعل يدور على أصحاب الرايات حتى انتهى الى معاذ بن جبل وقال له مثل ذلك قال معاذ بن جبل سمعا وطاعة ثم أقبل معاذ على الناس وقال أما انكم قد أمرتم بطاعة رجل ميمون الغرة مبارك الطلعة فان أمركم بأمر فلا تخالفوه فيما يأمركم به فما يريد غير صلاح المسلمين والاجر من رب العالمين قال فقلت لمعاذ بن جبل انك لتقول في خالد قولا عظيما فقال ما أقول الا ما قد عرفته فلله دره قال الضحاك فرجعت الى خالد وأخبرته بما تكلم به معاذ بن جبل وبما أثنى به عليه فأثنى عليه وقال هو أخي في الله تعالى ولقد سبقت له ولاصحابه سوابق لا يفعلها خالد بن الوليد فمن يناله قال الضحاك فرجعت الى معاذ بن جبل وأخبرته بما قال خالد وبما أثنى به عليه وما ذكره من أمره وبما أورده من علي شأنه فقال معاذ والله انى أحبه في الله تعالى وأرجو من الله أن يكون قد أثابه بحسن نيته ونصيحته للمسلمين (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما وصى الضحاك بن قيس أصحاب الرايات بقول أبي عبيدة بالطاعة لخالد بن الوليد رضي الله عنه جعل خالد يسير بين الصفوف ويقف على كل راية ويقول يا أهل الاسلام ان الصبر قد عزم ان شاء الله تعالى على صحبتكم والفشل والجبن سببان من أسباب الخذلان فمن صبر كان حقا على الله نصره على عدوه لان الله معه ومن صبر على حد السيوف فانه اذا قدم على الله تعالى أكرم منزلته وشكر له فعله وسعيه والله يحب الشاكرين قال وما زال خالد رضي الله عنه يقول هذا الكلام لاهل كل راية حتى مر بجماعة الناس ثم ان خالدا جمع اليه خيل المسلمين من أهل الشدة والصبر ومن شهد معه الزحف فقسمهم أربعة أرباع فجعل على أحدهم قيس بن هبيرة المرادي وقال له أنت فارس العرب فكن على هذه الخيل واصنع كما أصنع وجعل على الربع الآخر ميسرة بن مسروق العبسي وأوصاه بمثل ذلك ودعا عامر بن الطفيل على الربع الثالث وأوصاه بمثل ذلك ووقف خالد مع عسكر الزحف (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلم تطلع الشمس الا وقد فرغوا من تعبية صفوفهم للحرب وأما ماهان الارمني فانه أمر الروم بالزينة والاهبة للحرب ففعلوا ذلك الا أن المسلمين كانوا أسرع في التعبية قال وزحف عسكر الروم الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الروم الى تعبيتهم فكان عسكر المسلمين صفوفهم كالبنيان المرصوص وكأن الطير تظلهم والصفوف متلاصقة والرماح مشرعة مشتبكة

قال

قال فلما رأى الروم ذلك داخلهم الفزع والجزع وألقى الله الرعب فى قلوبهم ثم ان ماهان عبى عسكره فجعل العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام فى مقدمة الصفوف وجعل عليهم جبلة وقدم أمامهم صليبا من الفضة زنته خمسة أرطال وهو مطلى بالذهب وفى أربعة أركانه أربع جواهر تضىء كأنها الكواكب (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى سنان بن أوس الربعى قال حدثنى عدى بن الحرث الهمدانى وكان ممن حضر الفتوح من أولها الى آخرها قال وكانت الصفوف التى صفها ماهان ثلاثين صفا كل صف منها مثل عسكر المسلمين كله وقد أظهر ماهان بين الصفوف القسوس والرهبان وهم يتلون الانجيل ويترنمون وأكثر من الرايات والاعلام والصلبان فلما تكاملت صفوفهم واذا ببطريق عظيم الخلقة قد برز وعليه درع مذهب ولامة حرب مليحة وفى عنقه صليب من الذهب مرصع بالجوهر وتحته فرس أشهب وكان البطريق من عظماء الروم ممن يقف عند سرير الملك فلما برز جعل يرطن بكلام الروم بصوت كالرعد فعلم المسلمون أنه يطلب البراز فتوقف المسلمون عن الخروج اليه فصاح خالد وقال يا أصحاب رسول الله هذا العلج الاعاف يدعوكم لقتاله وأنتم تتأخرون فان لم تخرجوا اليه والا خرج خالد وهم بالخروج واذا بفارس قد خرج من المسلمين على برذون أشهب عظيم الخلقة يشبه برذون المشرك وعلى المسلم لامة حسنة وعدة سابغة وقصد نحو البطريق فلم يكن فى رجال خالد من يعرف الفارس الذى خرج فقال خالد لهمام مولاى اخرج الى هذا الفارس وانظر من هو من المسلمين ومن أى العرب هو ومن قومه فمضى همام يهتف به وقد هم أن يقرب من البطريق فصاح به من أنت ياذا الرجل من المسلمين رحمك الله فقال أنا روماس صاحب بصرى فلما أخبر خالد به قال اللهم بارك فيه وزد فى نيته فلما صار بازاء العلج كلمه بلسانه فقال الرومى وقد عرفه ياروماس كيف تركت دينك وصبأت الى هؤلاء القوم فقال روماس هذا الدين الذى دخلت فيه دين جليل شريف فمن تبعه كان سعيدا ومن خالفه فقد نسل ثم حمل روماس على العلج وحمل العلج على روماس وتقاتلا ساعة حتى عجب الجمعان منهما فوجد العلج من روماس غفلة فضربه ضربة صعبة أسال دمه قال فأحس روماس بالضربة وقد وصلت اليه فانثنى راجعا نحو المسلمين فاتبعه العلج طالبا له لا يقصر عن طلبه وكاد أن يدركه فصاح به فرسان المسلمين من الميسرة والميمنة فقوى قلب روماس وداخل العلج الجزع والخوف من صياحهم والهلع وقصر عن طلبه ودخل روماس عسكر المسلمين والدم على وجهه فائر فأخذه جماعة من المسلمين فشدوا جراحه وشكروه على فعله ووعدوه بالغفران من الله تعالى وهنوه بالسلامة قال ولما رجع روماس منهزما أعجب العلج بنفسه وأظهر عناده وأغلظ فى كلامه وطلب البراز فهم أن يخرج اليه ميسرة بن مسروق العبسى فقال له خالد ياميسرة ان وقوفك فى مكانك أحب الى من خروجك الى هذا العلج وأنت شيخ كبير وهذا علج عظيم الخلق والشأن شجاع ولا أحب أن تخرج اليه فانه لا يكاد الشيخ الكبير يقاوم الشاب الحدث ولا سيما أن شعرة من مسلم أحب الى الله تعالى من جميع أهل الشرك فرجع ميسرة الى مكانه وهم أن يخرج اليه عامر بن الطفيل وقال أيها الامير انك قد عظمت قدر هذا الرومى الذميم وأدخلت فى قلوب المسلمين منه الرعب فقال خالد ان الفرسان تعرف أكفاءها فى الحرب

وما يخفى على ما هو فيه من الشجاعة والشدة وأنت لا تقاومه لانه ما بارز بين أصحابه وبين شجاعته الا وهو فارس فى قومه فقف فى مكانك فوقف عامر بن الطفيل فى مكانه ولم يخالف قال والعلج يدعو الى البراز والحرب فاقبل الى خالد الحرث بن عبد الله الازدى فلما وقف بين يديه قال أيها الامير أأخرج اليه قال خالد لعمرى ان لك جسارة وقوة وشدة وما علمتك الا شهما فان شئت أن تخرج فاخرج على اسم الله واعزم فأخذ الازدى أهبته وهم أن يخرج فقال خالد رضى الله عنه على رسلك يا عبد الله حتى أسألك فقال اسأل قال خالد هل بارزت أحدا قبله قال لا قال فارجع يا ابن أخى ولا تخرج فانك غير مجرب الحروب وهذا فارس قد جرب الحرب وجرشه وعرف مصادرها وما أحب أن يخرج اليه الا رجل مثله بصير بالحروب وجعل خالد يقول ذلك وينظر الى قيس بن هبيرة فقال يا أبا سليمان انى أظنك تعرض بى واياى تعنى أنا ابرز اليه قال خالد ابرز على اسم الله تعالى فانك كفء والله تعالى يعينك عليه وخرج قيس بن هبيرة وأجرى جواده حتى ابن عريكته وكسر حدته ثم سار نحو البطريق وهو يقول بسم الله وعلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب من البطريق فلما نظر العلج الى فعاله علم أنه فارس شديد من فرسان المسلمين فعدل نحوه وقصد اليه وتحاملا قال فبادره قيس بن هبيرة وضربه على هامته فتلقاها العلج فى جحفته فقد سيف ابن هبيرة الحجفة ووصل الى البيضة فاشتبك فيها وهم أن يخرج سيفه فامتنع عليه وضرب العلج قيس بن هبيرة على حبل عاتقه فثبت للضربة والتقيا بعد الضربتين فطرح العلج نفسه عليه يريد اسره وهو جبار من الجبابرة وكان قيس بعد رجوعه من قتال أهل الردة قد عود نفسه الصيام والقيام وهو نحيف الجسم فلما نظر قيس الى العلج وقد ظهر عليه انجذب من يده وبعد عنه وجعل ينظر اليه شزرا ويضمر له مكرا الا أن سيفه قد خرج من يده فثنى عنان فرسه يريد عسكر المسلمين ليأخذ سيفا ويعود الى القتال وقد أيس من نفسه فلما عطف راجعا صاح العلج فى أثره وسعى فى طلبه فتصر قيس ابن هبيرة فى سيره وقال فى نفسه أنت مرادك الشهادة وتهرب من هذا العلج فرجع الى العلج فصاح به خالد يا قيس سألتك بالله ورسوله الا رجعت وتركت حدتها على فقال قيس يا خالد لقد أقسمت على بعظيمين ولكن أترجعت اليك أتريد فى أجلى قال لا قال فلم أختار الفرار وأكون من أصحاب النار بل أصبر وأفوز بالغفران من الله تعالى ثم انه عطف على قرنه وليس فى يده سيف بل استل خنجرا كان معه على وسطه قال ونظر خالد الى قيس بن هبيرة وليس فى يده سيف فقال من يأخذ هذا السيف ويدفعه الى قيس ابتغاء ثواب الله تعالى قال عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنا يا أبا سليمان فقال خالد أنت والله لها يا ابن الصديق ثم أخذ عبد الرحمن سيفه ولحق قيس بن هبيرة يريد أن يناوله السيف فلما نظرت الروم الى عبد الرحمن وقد لحق بقيس ظنوا أنه يريد أن يعاونه عليه وثبا على صاحبهم فخرج عليه بطريق آخر وأقبل الى صاحبه ووقف بازائه قال فدفع عبد الرحمن السيف الى ابن هبيرة ووقف معه وجعل البطريق الآخر يتكلم بكلام لا يفهمه عبد الرحمن فقال عبد الرحمن يا ويلك ما الذى تقول فما نعرف كلامك فخرج اليه ترجمان وقال له يا معاشر العرب ألستم ذكرتم أنكم أصحاب نصفة وحق قال عبد الرحمن بلى قال الترجمان فما رأينا من نصفتكم شيأ يخرج فارسان الى فارس قال

عبد

عبد الرحمن انما خرجت لاعطى صاحبي هذا السيف وأرجع ولو خرج الينا منكم مائة
لواحد ما كبر علينا ولا عظم لدينا وها أنتم ثلاثة وأنا واحد وأنا لكم كفء قال فأخبر الترجمان
صاحبه بذلك فجعل ينظر اليه شزرا فقال عبد الرحمن يا قيس قد تعبت فقف وتفرج على
وانظر ما يكون مني ومنهم ثم حمل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما على الذي كان
يخاطبه فطعنه في نحره فأخرج السنان يلمع من ظهره فوقع مجندلا ونظر العلجان الى صاحبهما
مجندلا فحملا على عبد الرحمن وقصداه فاراد قيس بن هبيرة أن يعاونه عليهما فقال له عبد
الرحمن سألتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وبحق أبي بكر الا تركت عبد الرحمن يصطلي
بهما فان قتلت فأنت شريكي في الثواب وأقرئ عائشة مني السلام وقل لها أخوك قد
لحق ببعلك وابيك فتأخر قيس عنه وقد تعجب من فعاله فحمل عبد الرحمن على أحد العلجين وهو
الاول فطعنه برمحه فاشتبك السنان في درعه فرمى عبد الرحمن الرمح من يده وانتضى سيفه
وقام في الركاب وضرب العلج بسيفه ضربة طرحه بها نصفين ونظر العلج الثالث الى عبد الرحمن
وجراءته فبقي حائرا متعجبا من حاله ونظر قيس الى البطريق وهو منحسر باهت فبانت له فيه
غفلة فقال ما وقوفك يا قيس وحمل على البطريق وضربه ضربة هشم بها هامته فسقط الى الارض
صريعا فلما نظرت الروم الى أصحابهم قال بعضهم لبعض ما هؤلاء العرب الا شياطين (قال
الواقدي رحمه الله تعالى) وأخبر ماهان بفعالهم فقال لقومه ان الملك كان أخبر بهؤلاء القوم
وحق المسيح لقد أعلم ان لكم أمرا ان لم تحملوا عليهم بكثرتكم والا فما تقوم لكم قائمة قال
فأتاه بطريق من البطارقة وسارر ماهان في اذنه طويلا ثم انزاح عنه وقد اصفر وجه ماهان
وسكت كأنه أخرس فاستخبروا ماهان عما حدثه البطريق فلم يخبرهم قال فحدثني من رأى ذلك
أنه سأل جبلة بن الايهم فقال لما أخبر ماهان بخبر الثلاثة وفيهم البطريق الاول قال ماهان
انهم منصورون عليكم فقال له البطريق في اذنه أيها الملك الحق ما قلت اعلم أني رأيت البارحة
في منامي كأن رجالا نزلوا من السماء الى الارض وهم على دواب بلق وشهب وعليهم كامل
السلاح وأحدقوا بهؤلاء العرب ونحن قيام بازائهم لا يخرج أحد من عسكرنا الا قتلوه حتى
أتوا على أكثرنا وأظن أنهم هؤلاء الذين نراهم في اليقظة لان واحدا منهم قتل ثلاثة منا وما هم
الا منصورون علينا من السماء قال فكسر هذا قلب ماهان فلم يرجع جوابا فاجتمع القوم يسألونه
عما قاله البطريق فلم يخبرهم فلما أكثروا عليه السؤال تكلم فيهم كالخطيب وقال يا أهل هذا
الدين انكم ان لم تقاتلوا كنتم من الخاسرين وغضب عليكم المسيح وان الله عز وجل لم يزل
لدينكم ناصرا ومظهرا وان لله الحجة عليكم اذ بعث فيكم رسولا وأنزل عليه كتابا ولم يتبع رسولكم
الدنيا وأمركم أن لا تتبعوها وفي كتابه لا تظلموا فانه لا يحب الظلم ولا الظالمين فلما اتبعتم الدنيا
وظلمتم وخالفتم نصر أعداءكم عليكم فما عذركم عند خالقكم وقد تركتم أمر نبيكم وما أنزل
عليكم في كتاب ربكم وهؤلاء العرب بازائكم يريدون قتل فرسانكم وسبي ذراريكم
ونسائكم وأنتم على المعاصي والذنوب ولا تخافون من علام الغيوب فان نزع الله سلطانكم
من أيديكم وأظهر عدوكم عليكم فذلك بحق منه وعدل لانكم لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون
عن المنكر (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان ماهان لما سمع كلام البطريق الذي رأى في

المنام أمره أن يكتمه وأما قيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فأخذا أسلاحهم
وأسلابهم ورجعا الى المسلمين فدفعا السلب الى أبي عبيدة فقال هو لكم ومن قتل فارسا
فله سلبه فكذا عهد الينا عمر بن الخطاب فأخذا السلب ووقف قيس في موضعه الذي أقامه
خالد فيه ورجع عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق الى ميدان الحرب فجال بين الصفين وكان قد
ركب أشهب البطريق الذي قتله فرآه لا ينبعث تحته كما عهد من خيل العرب فرجع وغيره
من تحته بفرس غيره وحمل على ميمنة الروم فشوش صفوفهم وقتل منهم فارسين ورجع فحمل
على القلب ثم انثنى على الميسرة فرشق بالسهام فرجع حتى وقف في صدر الجيش وجعل يقرع
الروم باسمه ويدعو الى البراز فخرج اليه علج من علوج الروم فما جال غير ساعة حتى قتله فخرج
اليه آخر فقتله فقال خالد اللهم ارعه بعينك واحفظه فان عبد الرحمن قد اصطلى اليوم الحرب
بنفسه ثم ان خالدا صاح به يا عبد الرحمن بحق شيبة أبيك وبعته الا رجعت الى مكانك فرجع
حتى أقسم عليه قال حزام بن غنم قلت لرجل ممن شهد اليرموك أكانت النساء معكم مشاهدات
القتال قال نعم احداهن اسماء بنت أبي بكر زوجة الزبير بن العوام وخولة بنت الازور
ونسيبة بنت كعب وأم أبان زوجة عكرمة بن أبي جهل وعزة بنت عامر بن عاصم الضمري مع
زوجها سلمة بن عوف الضمري ورملة بنت طليحة الزبيري ورعلة وأمامة وزينب وهند ويعمر
ولبنى وأمثالهن رضي الله تعالى عنهن فلقد كن يقاتلن قتالا يرضين به الله ورسوله (قال
الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني عبد الملك بن عبد الحميد وكان قد شهد وقعة اليرموك قال
أولها شرر نار وآخرها اضطرام الحرب وان كل يوم يأتي من القتال أصعب من اليوم الآخر قال
عمر بن جرير فشهدنا في اليوم الاول حربا يسيرا وذلك أن ماهان أمر عشرة من الصفوف أن
تحمل على المسلمين بعد أن قتل عبد الرحمن من قتل وحمل المسلمون عليهم فالتقت الرجال
بالرجال فنظر أبو عبيدة وكان واقفا الى ماهان ولم يحمل على المسلمين فعلم أن الامر يصعب فقال
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وجعلوا يتلون قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال ولم تزل الحرب بين
الفريقين من قيام الشمس في قبة السماء الى أن همت بالغروب ولم ينفصل الجمعان حتى
فرق الليل بينهم فحينئذ افترق الجمعان وهم ما يعرفون الا بالشعار وخرج كل قوم من العرب
يهتفون بشعارهم وينادون بأنسابهم ورجعت كل فئة الى مكانها واستقبل المسلمين
نساؤهم فصارت تجعل المرأة مرطها تمسح به عن وجه زوجها وتقول له أبشر بالجنة يا ولي الله
وبات المسلمون في خير وسرور وأوقدوا النيران وذلك أن القتل في أول يوم لم يتبين في الفريقين
بل قتل من الروم يسير ومن المسلمين عشرة رجال من حضرموت أحدهما يقال له مازن
والثاني يقال له صارم وثلاثة من عسفان رافع ومجلي وعلي وواحد من الانصار وهو عبد الله
ابن الاخرم وثلاثة من بجيلة وواحد من مراد وهو سويد بن أخي قيس بن هبيرة فحزن عليه قيس
لما فقده فعلم أنه في القتلى فخرج قيس وخرج معه رجال من قومه حتى أتوا موضع المعركة وفتشوا
عليه فلم يروه فلما هم بالرجوع نظر الى نار قد أقبلت من جهة الروم يطلبون مكان الوقعة وهم
يطلبون بطريقا كان معظما عندهم فقال قيس لجماعته أخمدوا ناركم فوالله لا أخذت بثأر

ابن

ابن أخي من هؤلاء القوم قال فأخمدوا ناراهم ورقدوا بين القتلى وتأهبوا للقتال واذا بالروم قد أتواوهم نحو مائة وهم في زينة عظيمة وآلة وعدة وكان مع قيس سبعة من قومه فقالوا له ان القوم مائة ونحن سبعة وقد منامن التعب فقال قيس ارجعوا أنتم واني والله أطلب الموت لا أريد غيره وأجاهد في الله حق جهاده فعجبوا من قوله ووقفوا معه وقفة الكرام وأقبلت الاعلاج يريدون المعركة ويدورون بين القتلى وقد وقفوا بالعلج وهو الذي برز أولا وقتله ابن أبي بكر الصديق فلما احتملوه وولوا يريدون عسكرهم صاح فيهم قيس من ورائهم وتابعه أصحابه بالصياح فذهلوا ورموا البطريق ووضع المسلمون السيف فيهم وجعلوا يقتلونهم قتلا ذريعا وكان قيس اذا ضرب فيهم يقول هذا عن ابن أخي قال فقتل منهم ستة عشر رجلا وقتل أصحابه أكثر القوم وانفلت الباقون فلما فرغ قيس من القوم عاد يطلب ابن أخيه نحو عسكر الروم فسمع أنينا فأقبل نحوه فاذا هو ابن أخيه سويد بن بهرام المرادي فلما عرفه بكى فقال ما أبكاك يا ابن أخي فقال يا عماه اني تبعت القوم فرجع الي واحد منهم وطعنني في صدري واني لا عاج منها أمرا عظيما وهؤلاء الحور العين في حذائي ينتظرون خروج روحي قال فبكى قيس وقال يا ابن أخي لكل أجل كتاب ولعل أن يكون في أجلك طول فقال هيهات والله ياعم أفتقدر أن تحملني الى عسكر المسلمين فأموت هناك قال أجل قال ثم احتملته على ظهري وأقبلت به الى عسكر المسلمين وقصدت به الى رحله وسجيته وسمع أبو عبيدة بمجيء قيس فاتى اليه ورأى الغلام يجود بنفسه فجلس عند رأسه وبكى وبكت المسلمون فقال له أبو عبيدة كيف تجدك يا ابن أخي فقال بخير والله وغفران وجزى الله محمدا عنا خيرا ولقد صدقنا في قوله وهذه الحور تنادي وتشخص فمات قال فأرحنا حتى وارينا ه التراب قال وأخبره قيس بمن قتل في تلك الليلة من المشركين ففرح فرحا شديدا وعلم أن ذلك علامة النصر قال وبات الناس في ليلتهم يقرؤن القرآن ويصلون ويسألون المعونة والنصر قال وأما ماهان فانه لما رجع الى عسكره اجتمع اليه البطارقة والرهبان والقسوس فقدموا له طعاما ومدوا له سماطا فلم يأكل منه شيئا مما وقع في نفسه من الرؤيا التي رآها البطريق وكان ماهان يود لو ترك الامر وصالح على أداء الجزية ولكنه كان مغلوبا على أمره وأقبلت الملوك والقسوس والبطارقة والرهبان على ماهان وقالوا ما بال الملك امتنع من الطعام فان كان ذلك من غمه على من مات وعلى ما جرى عليه من الحرب فان الحرب سجال فيوم لك ويوم عليك واعلم أيها الملك أن القوم بنا ظافرون وما نملكهم الا أن نحمل عليهم فلا يبقى منهم أحد فقال ماهان ما أظنكم غير منصورين الا من تغير أديانكم والجور في سلطانكم فبهذا نصرت العرب عليكم فقام اليه رجل وقال أيها الملك عشت الدهر وأنا رجل من أهل دينكم وكان لي مائة رأس من الغنم وكان فيها ولدي يرعاها فضرب عظيم من عظماء أصحابك الفسطاط الى جانبها ثم انه عدا عليها فأخذ منها حاجته وأخذ بقيتها أصحابه فجاءت زوجتي تشكو اليه انتهاب غنمي فلما رآها أمر بها فادخلت اليه فطال مكثها عنده فلما رأى ولدها ذلك دنا من الفسطاط فاذا هو يجامع أمه فصاح الغلام فأمر البطريق بقتل الغلام فقتل فأتيت أريد خلاص ولدي وزوجتي فأمر بي فضربت بالسيف فتلقيت الضربة بيدي فقطعها ثم انه أخرج يده فاذا هي مقطوعة قال فغضب ماهان عند ذلك غضبا

شديدا وقال للماهد أتعرف هذا البطريق الذي فعل بك ذلك قال نعم هو هذا وأومأ بيده
الى بطريق من البطارقة فنظر اليه ماهان مغضبا قال فغضب البطريق وغضب البطارقة
لغضبه ومالوا على المعاهد فضربوه بأسيافهم حتى قطعوه وماهان ينظر اليهم فزاد غضبه
وقال خذلتم وهلكتم وحق المسيح يا ويلكم ترجون النصر وأنتم تفعلون هذه الفعال أما
تخافون القصاص غدا وأن الله ينتقم منكم وينزع منكم صالح ما أعطاكم ويعطيه غيركم
ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فوالله أنتم الآن عندي كالكلاب وسوف ترون
عاقبة هذا كله والى أي مصير مصيركم يكون قال ثم انه قام وتركهم فلما انصرف القوم ولم يبق
عنده الا بطريق واحد قال له أيها الملك والله ان القوم لكما تقول وما أظن الا أننا مغلوبون
واعلم أني رأيت في منامي كأن رجالا نزلوا من السماء على خيل شهب فأحدقوا بهؤلاء العرب
وعليهم كامل السلاح ونحن وقوف بازائهم فنظرت اليهم ولا يخرج منا أحد الا قتلوه حتى أتوا
على أكثرنا وذكر له كما قال ذلك الاول فأقبل ماهان يفكر طول ليلته فيما يصنع في أمر المسلمين
فلما أصبح الصباح عبى المسلمون صفوفهم ونظروا الى عسكر الروم واذا فيه ارتعاد وانزعاج
فعلموا أن لهم أمرا (قال أبو عبيدة) دعوهم ولا تبغوا عليهم فان الباغي مخذول قال واجتمعت
البطارقة والملوك الاربعة الى ماهان وهم قناطر وجرجير والديرجان وقورين وهم أصحاب
الجيش يستأذنونه في الحرب فقال ماهان وكيف لي أن أقاتل بقوم يظلمون ان كنتم أحرارا
فقاتلوا عن سلطانكم وامنعوا عن حريمكم فقالوا الآن أحببنا الحرب فوحق المسيح لا نفارقهم
حتى ننفيهم من الشام الى بلادهم أو يقتلونا أو نقتلهم فتقدم لنا وانهض بنا اليهم فاذا عزمت
على القتال فدع كل واحد منا يقاتل يوما حتى تعرف منا من هو أفرس وأشد ويضجر المسلمون من
المطاولة ونجمع عيالنا وأطفالنا وأموالنا فان كانت على العرب رددنا كل شيء الى مكانه وان
كانت للعرب علينا ألحقوه ببلادهم وقومهم ويكون الامر بيننا وبينهم في يوم واحد أو يومين
فقال له ماهان لعنه الله هذا هو الرأي أمهلوا الى أن أكتب الى الملك بمثل ذلك ثم انه كتب
الى هرقل أما بعد فأسأل الله لك أيها الملك ولجيشك النصر ولاهل سلطانك العز والنصر
وانك بعثتني فيما لا يحصى من العدد واني قدمت على هؤلاء العرب فنزلت بساحتهم وأطمعتهم
فلم يطمعوا وسألتهم الصلح فلم يفعلوا وجعلت لهم جعلا على أن ينصرفوا فلم يفعلوا وقد فزع
جند الملك منهم فزعا شديدا واني خشيت أن يكون الفشل قد عمهم والرعب قد دخل في قلوبهم
وذلك لكثرة الظلم فيهم وقد جمعت ذوي الرأي من أصحابي وذوي النصيحة للملك وقد أجمع
رأينا على النهوض اليهم جميعا في يوم واحد ولا نزايلهم حتى يحكم الله بيننا فان أظهر الله
عدونا علينا فارض بقضاء الله واعلم أن الدنيا زائلة عنك فلا تأسف على ما فات منها ولا تغتبط
منها بشيء في يدك والحق بمعاقلك وبدار ملكك بالقسطنطينية وأحسن الى رعيتك يحسن الله
اليك وارحم ترحم وتواضع لله يرفعك الله فانه لا يحب المتكبرين ولقد عملت حيلة في احضار
أميرهم خالد ومنيته ورغبته فما أجاب ورأيته على الحق مقيما فأردت أن أقتله وأمكر فخفت
عاقبة المكر والغدر وما ينصر هؤلاء الا بالعدل واتباع الحق بينهم والسلام ثم طوى الكتاب
وبعث به مع أصحابه من العلوج (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وبقي ماهان سبعة أيام أخر بعد

الوقعة الاولى لم يقاتل المسلمين ولم يقاتلوه وبعث أبو عبيدة برجل من عيونه ينظر ما الذى أخر
الروم عن القتال فغاب الرجل يوما وليلة ثم عاد وأخبر أبا عبيدة أن ماهان قد كاتب الملك وهو
منتظر الجواب فقال خالد بن الوليد ما تأخر ماهان عن قتالنا الا وقد وقع الفزع فى قلبه فازحف
بنا اليهم فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه لا تعجل فان العجلة من الشيطان (قال الواقدى
رحمه الله تعالى) وكان أبو عبيدة رجلا لين العريكة يستصحب الرفق فلما كان فى اليوم الثامن
نظر ماهان الى تلهف أصحابه على الحرب والقتال فعزم أن يلقى بهم المسلمين وقد فرح بنشاطهم
فدعا برجل من المتنصرة من لخم وقال له اذهب فادخل فى هؤلاء العرب وتجسس لى أخبارهم
وانظر ما عندهم قال فمضى اللخمى حتى دخل عسكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأقام فيهم يوما وليلة يطوف فى عسكرهم وليس أحد من المسلمين ينكره وهم آمنون وليس
لهم همة الا اصلاح شأنهم والصلاة والقرآن والتسبيح وليس فيهم عدوان ولا ظلم ولا أحد
يتعدى على أحد وقصد الموضع الذى فيه أبو عبيدة رضى الله عنه فنظر اليه كأنه أضعف
ضعيف فى العرب ساعة يجلس على الارض وساعة ينام عليها فاذا كان وقت الصلاة قام
وأسبغ الوضوء وأذن المؤذنون وصلى بالناس ونظر المتنصر الى المسلمين وهم يصنعون كصنعه
فقال المتنصر ان هذه طاعة حسنة ويوشك أنهم ينصرون قال فرجع الى ماهان وحدثه بما
رأى من القوم وما عاينه وقال أيها الملك انى جئتك من قوم يصومون النهار ويقومون الليل
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر رهبان فى الليل ليوث بالنهار ولو سرق واحد منهم ولو
كان كبيرهم قطعوه ولو زنى رجموه لا يغلب هواهم على الحق بل الحق عندهم غالب
وأميرهم كأضعف من فيهم الا أنه مطاع عندهم ان قام قاموا وان قعد قعدوا مناهم القتال
وشهوتهم النزال ومرادهم أن يموتوا شهداء فى قتالكم وما تأخروا عن قتالكم الا ليكون
البغى منكم اذا بدأتموهم فقال ماهان هؤلاء القوم منصورون غير أنى قد وجدت حيلة أعملها
عليهم فقال المتنصر ما الحيلة أيها الملك فقال ماهان ألست زعمت أنهم لا يبدؤن بالقتال
حتى نقاتلهم فنكون نحن الباغين قال نعم قال فأنا لا نطلب الحرب بل نطول بيننا وبينهم
وندهمهم على حين غفلة دون عدة منهم ولا أخذ حذرهم فعسى أن نظفر بهم قال ثم ان ماهان
جمع الملوك وجعل يعقد لهم الرايات والصلبان حتى عقد ستين ومائة صليب تحت كل صليب
عشرة آلاف وكان أول صليب عقد لناظر وكان نظيره فى الرتبة وأمره أن يكون فى الميمنة ثم
عقد صليبا للديرجان وضم اليه الارمن والنجد والنوبة والروسية والصقالبة ثم عقد لابن
أخت الملك صليبا على الافرنج والهرقلية والقياصرة والبرفل والدوقس وعقد لجبلة بن الايهم
عقدا وضم اليه المتنصرة من لخم وجذام وغسان وضبة وأمره أن يكون على المقدمة وقال أنتم
عرب وأعداؤنا عرب والحديد لا يقطعه الا الحديد ثم فرق الاعلام فى أجناد عسكره فما انفجر
الفجر وبان الصباح وأضاء بنوره ولاح حتى فرغ من تعبية جيوشه وترتيب طلائعه وأمر
بضرب له فضربت على كثيب عال على جانب اليرموك يشرف منه على العسكرين وأوقف عن
يمينه ألف فارس عتاة حماة الروم شاكين السلاح وعن يساره كذلك وهم الملكية وأصحاب
السرير وأمرهم باليقظة وقال أى كرب يكون على العرب أعظم من هذه فانكم على تعبية وهم

على غير أهبة فاذا طلعت الشمس ورأيتم المسلمين على غير تعبية فاحملوا عليهم من كل جانب ومكان فما هم فى عسكرنا الا كالشامة البيضاء فى جلد الثور الاسود هكذا سمعت اباد بن غالب الحميرى يذكر وكان من المعمرين قال حدثنى جواد بن أسيد السكاسكى عن أبيه أسد بن علقمة فلما انشق الفجر أذن المؤذن وتقدم أبو عبيدة وصلى بالناس وهو لا يعلم بمكيدة ماهان فقرأ فى أول ركعة والفجر وليال عشر حتى قرأ ان ربك لبالمرصاد اذ هتف بهم هاتف وهم فى الصلاة وهو يقول ظفرتم بالقوم ورب العزة وما يغنى عنهم كيدهم شيأ وما أجرى الله هذه الآية على لسان أميركم الا بشارة لكم فلما سمع المسلمون كلام الهاتف عجبوا مما سمعوا ثم قرأ فى الركعة الثانية والشمس وضحاها الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها واذا بالهاتف يقول تم الفأل وصح الزجر وهذه علامة النصر فلما فرغ أبو عبيدة من صلاته قال يا معاشر المسلمين هل سمعتم الهاتف قالوا نعم سمعنا قائلا يقول كذا وكذا فقال أبو عبيدة والله هذا هاتف النصر وبلوغ الامل فأبشروا بنصر الله ومعونته فوالله لينصرنكم الله وليرسلن عليهم سوط عذاب كما أنزل على القرون الاول ثم قال أبو عبيدة معاشر القوم انى رأيت الليلة فى منامى رؤيا تدل على النصر على الاعداء والمعونة من الملأ الأعلى فقالوا أصلح الله شأن الامير فما الذى رأيت قال رأيت كأنى واقف بازاء أعدائنا من الروم اذ حف بنا رجال وعليهم ثياب بيض لم أر كهيئتها حسنا لبياضها اشراق ونور يغشى الابصار وعلى رؤسهم عمائم خضر وبأيديهم رايات صفر وهم على خيول شهب فلما اجتمعوا حولى قالوا تقدموا على عدوكم ولا تهابوهم فانكم غالبون فان الله ناصركم ثم دعوا برجال منكم وسقوهم بكأس كان معهم فيه شراب وكأنى أنظر عسكرنا وقد دخل فى عسكر الروم فلما رأونا ولوا بين أيدينا منهزمين فقال رجل من المسلمين أصلحك الله أيها الامير وأنا رأيت الليلة رؤيا فقال أبو عبيدة خيرا تكون ان شاء الله تعالى ما الذى رأيت رحمك الله فقال رأيت كأنا خرجنا نحو عدونا فصاففناهم للحرب وقد انقضت عليهم من السماء طيور بيض لها أجنحة خضر ومخاليب كمخاليب النسور فجعلت تنقض عليهم كانقضاض العقبان فاذا جاءت للرجل منهم ضربته ضربة فيقع قطعا قال ففرح المسلمون بتلك الرؤيا وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد أمنكم الله وأيدكم بالنصر وأمدكم بملائكته تقاتل معكم كما فعل بكم يوم بدر قال فسر أبو عبيدة بذلك وقال هذه رؤيا حسنة وهى حق وتأويلها النصر وانى أرجو من الله تعالى النصر وعاقبة المتقين فقال رجل من المسلمين أيها الامير ما وقوفنا عن هؤلاء الكلاب الاعلاج وما انتظارك للحرب وعدو الله يريد كيدنا بمطاولته وما تأخرنا الا لبلية يريد أن يوقعنا بها قال أبو عبيدة ان الامر أقرب مما تظنون قال سعيد بن رفاعة الحميرى فبينما نحن كذلك اذ سمعنا الاصوات قد علت والزعقات قد ارتفعت من كل جانب يهتفون بالقتال وان الروم قد زحفت الينا فظن أبو عبيدة أن المسلمين قد كبسوا فى وجه السحر فقام ليرى وكان على حرس المسلمين تلك الليلة سعيد بن زيد وعمرو بن نفيل العدوى رضى الله تعالى عنهما اذ أقبل سعيد وهو ينادى النفير النفير حتى وقف أمام أبى عبيدة ومعه رجل من المتنصرة فقال أيها الامير ماهان كاد المسلمين بتخلفه عن الحرب وها هو قد عبى عساكره وصف جيوشه وزحف علينا زحف من يريد الكبسة بنا ونحن على غير أهبة

ولا عدة وهذا الرجل قد أقبل البنار افبا فى الاسلام محذر الناس من بأسه ويزعم أن ماهان قد قدم البناحاة البطارقة وقد اتفق رأيهم على أن يقاتلنا كل ملك من ملوكهم بمن معه وهذا أصعب القتال ونظر المسلمون الى رايات الروم تقرب منهم والصلبان تدنو فقال أبو عبيدة لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال أين أبو سليمان خالد بن الوليد فأجابه بالتلبية فقال له أنت لها يا أبا سليمان فابرز فى أبطال المسلمين وصد عن الحريم الى أن تأخذ الرجال صفوفها وتستعد تأتلات حربها فقال حبا وكرامة فنادى خالد أين الزبير بن العوام أين عبد الرحمن بن أبى بكر أين الفضل بن العباس أين يزيد بن أبى سفيان أين ربيعة بن عامر أين ميسرة بن مسروق العبسى أين ميسرة بن قيس أين عبد الله بن أنيس الجهنى أين صخر بن حرب الاموى أين عمارة الدوسى أين عبد الله بن سلام أين غانم الغنوى أين المقداد بن الاسود الكندى أين أبو ذر الغفارى أين عمرو بن معد يكرب الزبيدى أين عمار بن ياسر العبسى أين ضرار بن الازور أين عامر بن الطفيل أين أبان بن عثمان بن عفان وجعل خالد يدعوهم رجلا بعد رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل رجل منهم يلقى جيشا فاجتمعوا الى خالد بأجمعهم واشتغلوا بالحرب واشتغل أبو عبيدة بترتيب الصفوف وتعبية العساكر فأقبل أبو سفيان الى أبى عبيدة وقال له أيها الامير مر نساءنا أن يعلون على هذا التل قال نعم الرأى ما رأيت فأمرهن بذلك ففعلن وعلون على التل وحصن أنفسهن وأولادهن ومعهن الاطفال والاولاد فقال لهن أبو عبيدة خذوا بأيديكن أعمدة البيوت والخيام واجعلن الحجارة بين أيديكن وحرضن المؤمنين على القتال فان كان الامر لنا والظفر فكن على ما أنتن عليه وان رأيتن أحدا من المسلمين منهزما فاضربن وجهه بأعمدتكن وارجمنه بحجارتكن وارفعن اليه أولادكن وقلن له قاتل عن أهلك وولدك وعن دين الاسلام فقال النساء أيها الامير أبشر بما يسرك

﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه﴾ فلما حصن أبو عبيدة النساء على التل أقبل يعبى جيشه وقد استدر الناس القتال بعد ما عباهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وقدم أصحاب الرايات وكانت راية المهاجرين صفراء وفيها أبيض وأخضر وأسود وسائر القبائل أيضا راياتهم مختلفة وجعل المهاجرين والانصار فى القلب وأظهر المسلمون العدة والسلاح وجعل عسكره ثلاثة صفوف فصف فيه النبالة من أهل اليمن وصف فيه أصحاب الخيل والعدة وقسم الخيالة ثلاث فرق فجعلها فى الثلاثة صفوف واستعمل عليهم ثلاثة من المسلمين أحدهم غياث ابن حرملة العامرى والثانى مسلمة بن سيف اليربوعى والثالث القعقاع بن عمرو التميمى ووقف المسلمون تحت راياتهم ووقف أبو عبيدة تحت رايته التى عقدها له أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يوم مسيره الى الشام وهى راية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء التى سار بها يوم خيبر قال ومع خالد راية العقاب وكانت سوداء وجعل على الرجالة شرحبيل بن حسنة وعلى الجناح الايمن يزيد بن أبى سفيان وعلى الايسر قيس بن هبيرة فلما ترتبت الصفوف سار أبو عبيدة بين الصفوف وجعل يحرض المؤمنين على القتال ويقول ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والزموا الصبر فان الصبر منجاة من الكرب ومرضاة للرب ومقمعة للعدو فلا تزايلوا صفوفكم ولا تخطوا خطوة الا وأنتم تذكرون الله ولا تبدؤهم

بالقتال حتى يبدؤكم وشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت الا من ذكر الله ولا تحدثوا حدثا حتى آمركم ثم رجع الى مقامه من القلب فوقف فيه ثم خرج من بعده معاذ ابن جبل فطاف على الناس محرضا لهم يقول يا أهل الدين ويا أنصار الهدى والحق اعلموا رحمكم الله تعالى أن رحمة الله لا تنال الا بالعمل والنية ولا تدرك بالمعصية والتمني بغير عمل مرض ولا تدخل الجنة الا بالاعمال الصالحة مع رحمة الله ولا يؤتي الله الرحمة والمغفرة الواسعة الا الصابرين والصادقين ألم تسمعوا قوله جل من قائل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون واستحيوا من الله أن يراكم في فرار من عدوكم وأنتم في قبضته ليس لكم ملجأ من دونه ولم يزل معاذ يقول ذلك الى أن رجع الى مقامه ثم خرج سهل بن عمرو فمشى بين الصفوف وهو شاكي السلاح راكب فرسه متقلد سيفه وهو يقول مثله ثم رجع وخرج من بعده أبو سفيان فطاف بين الصفوف وهو شاكي السلاح راكب فرسه متقلد سيفه معتقل رمحه وهو يقول معاشر العرب الكرام السادة العظام قد أصبحتم في ديار الاعلاج منقطعين عن الاهل والاوطان ووالله لا ينجيكم منهم الا الطعن الصائب في أعينهم والضرب المتدارك في هاماتهم وبذلك تبلغون أربكم وتنالون الفوز من ربكم واعلموا أن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم فاصدقوا القتال فان النصر ينزل مع الصبر فان صبرتم ملكتم بلادهم وأمصارهم واستعبدتم أبناءهم ونساءهم وان وليتم فليس بين أيديكم الا المفاوز لا تنقطع الا بالزاد الكثير والماء الغزير ولا ترجعوا الى دور ولا الى قصور فامنعوا بسيوفكم وجاهدوا في الله حق جهاده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال ثم خرج من بين الصفوف وأقبل على النساء وهن على التل وفيهن المهاجرات وبنات الانصار وغيرهن من نساء المسلمين ومعهن أولادهن فقال لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان النساء ناقصات عقل ودين فكن ممن احتفظن على أديانهن وقدمن في ذلك النية وحرضن أزواجكن على القتال ومن رجع منهم منهزما فاحصبن وجهه بالحجارة واضربن جواده بالعمد وأظهرن أولادكن لازواجكن حتى يرجعوا قال فوقف النساء وهن مستعدات متنمرات متحسرات بأشعارهن ورجع أبو سفيان الى موضعه وهو يقول معاشر المسلمين قد حضر ما ترون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجنة أمامكم والشيطان والنار وراءكم وأقبل حتى وقف مكانه ولم تغن مكيدة ماهان شيأ ورجعت الروم الى ورائها حين فطن خالد أزحف اليهم في خمسمائة فارس فخافوا ذلك ورجعوا حتى اصطفت الصفوف وعبى المسلمون كتائبهم فقال ماهان ما أوقفكم عن قتالهم فازحفوا اليهم فزحف الروم الى المسلمين فنظر خالد الى جيش عظيم عرمرم قال وكان ماهان قد أنفذ ثلاثين ألفا من عظمائهم فحفروا لهم في الجنة حفائر ونزلوا فيها وشدوا أرجلهم بالسلاسل واقترن كل عشرة في سلسلة لئلا ينحل عسكرهم وحلفوا بعيسى بن مريم والصليب والقسيسين والرهبان والكنائس الاربع أنهم لا يفروا حتى يقتلوا عن آخرهم فلما نظر خالد الى ما صنعوا قال لمن حوله من جيش الزحف هذا يوشك أن يكون

يوماعظيما ثم قال اللهم أيد المسلمين بالنصر ثم أقبل على أبي عبيدة وقال أيها الامير ان القوم قد اقترنوا في السلاسل وزحفوا الينا بالقواضب ويوشك أن يكون على الناس يوما عظيما فقال لهم ان العدو عدده كثير وما يجيبكم الا الصبر ثم قال لخالد ما الذي ترى من الرأي يا أبا سليمان (قال الواقدي) وكان ماهان قد قدم من الروم من عرفت شجاعته وعلمت براعته واشتهر بالثبات في بلادهم وهم مائة ألف فلما نظر خالد اليهم شهد لهم بالفروسية وأنهم من أهل الشدة وقال لأبي عبيدة ان الرأي عندي أن توقف في مكاننا الذي أنت فيه سعيد بن زيد وتقف أنت من وراء الناس في مائتين أو ثلثمائة من أصحاب رسول الله فاذا علم الناس أنك من ورائهم استحيوا من الله ثم منك أن لا يفروا قال فقبل أبو عبيدة مشورته ودعا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة فأوقفه أبو عبيدة مكانه ثم انتخب أبو عبيدة مائتي فارس من اليمن وفيهم رجال من المهاجرين والانصار ووقف بهم من وراء الجيش بحذاء سعيد بن زيد (قال حدثني) ورقة بن مهلهل التنوخي وكان صاحب راية أبي عبيدة يوم اليرموك قال وكان أول من فتح باب الحرب يوم اليرموك في جيش السلاسل غلاما من الازد حدثا كيسا فقال لأبي عبيدة أيها الامير اني أردت أن أشفي قلبي وأجاهد عدوي وعدو الاسلام وأبذل نفسي في سبيل الله تعالى لعلي أرزق الشهادة فهل تأذن لي في ذلك وان كان لك حاجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرني بها قال فبكى أبو عبيدة وقال أقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وأخبره أنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا قال ثم دفع الغلام الازدي جواده وحمل يريد الحرب فخرج اليه علج من الروم قام من الرجال على فرس أشهب فلما رآه الغلام قصد نحوه وقد احتبس نفسه في سبيل الله تعالى فلما قرب منه قال

لا بد من طعن وضرب صائب * بكل لدن وحسام قاضب
عسى أنال الفوز بالمواهب * في جنة الفردوس والمراتب

قال وبعد شعره حمل كل منهما على صاحبه وابتدأ الغلام الازدي الرومي بطعنة فجندله صريعا وأخذ عدته وجواده وسلم ذلك لرجل من قومه وعاد الى البراز فخرج اليه آخر فقتله وثالث ورابع فقتلهم فخرج اليه خامس فقتل الازدي فغضبت الازد عند ذلك ودنت من صفوف المشركين فعندها أقبلت الروم وزحفت كالجراد المنتشر حتى دنا طرفهم من ميمنة المسلمين فقال أبو عبيدة ان أعداء الله قد زحفوا عليكم فتكلفوهم واعلموا أن الله معكم وثبتوا نفوسكم بالصبر والصدق واللقاء والنصر من الله ثم رمق الى السماء بطرفه وقال اللهم اياك نعبد واياك نستعين ولك نوحد ولا نشرك بك شيأ وان هؤلاء أعداؤك يكفرون بك وبآياتك ويتخذون لك ولدا اللهم زلزل أقدامهم وأرجف قلوبهم وأنزل علينا السكينة وألزمنا كلمة التقوى وآمنا عذابك يا من لا يخلف الميعاد اللهم انصرنا عليهم يا من قال في كتابه العزيز واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير قال فبينما هو يدعو بهذه الدعوات اذ حملت الروم على ميمنة المسلمين وكان فيها الازدي ومذحج وحضرموت وخولان فحملت عليهم الروم حملة منكرة فصبروا لهم صبر الكرام وقاتلوا قتالا شديدا وثبتوا ثباتا حسنا وحملت عليهم كتيبة ثانية فصبروا واصبرا جميلا وحملت عليهم كتيبة ثالثة فأزالوا المسلمين عن

الميمنة فابتدر منهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي وهو المقدم على زبيد والامير عليهم وهم يعظمونه لما سبق من شجاعته فى الجاهلية وكان يوم اليرموك قد مرّ له من العمر مائة وعشرون سنة الا أن همته الشجاعة فلما نظر الى قومه وقد انكشفوا صاح فى قومه يا آل زبيد يا آل زبيد تفرون من الاعدا وتفزعون من شرب كاس الردى أترضون لانفسكم بالعار والمذلة فاهذا الانزعاج من كلاب الاعلاج أما علمتم أن الله مطلع عليكم وعلى المجاهدين والصابرين فاذا نظر اليهم وقد لزموا الصبر فى مرضاته وثبتوا لقضائه أمدهم بنصره وأيدهم بصبره فأين تهربون من الجنة أرضيتم بالعار ودخول النار وغضب الجبار قال فلما سمعت زبيد كلام سيدهم عمرو بن معد يكرب راجعوا اليه وعطفوا عليه عطفة الابل على أولادها فاجتمعوا حوله وهم زهاء من خمسمائة فارس وراجل وشدوا على القوم شدة واحدة وحملت معهم حمير وحضرموت وخولان وحملوا حملة صعبة فأزالوا الروم عن أماكنهم وحملت دوس مع أبى هريرة وهو رايته وهو يحرض قومه على القتال ويقول أيها الناس سارعوا الى معانقة الحور العين فى جوار رب العالمين وما من موطن أحب الى الله من هذا الموطن ألا وان الصابرين قد فضلهم الله على غيرهم الذين لم يشهدوا ما شهدهم فلما سمعت دوس كلامه طافوا به وحملوا على الروم حملة منكرة ودارت بينهم الحرب كما تدور الرحى وتكاثرت جموع الروم على ميمنة المسلمين فعادت الخيل تنكص بأذنابها راجعة على أعقابها لمنكشفة كانكشاف الغنم بين أيدى الاسد ونظرت النساء خيل المسلمين راجعة على أعقابها فنادت النساء يا بنات العرب دونكم والرجال ردوهم من الهزيمة حتى يعودوا الى الحرب قالت سعيدة بنت عاصم الخولانى كنت فى جملة النساء يومئذ على التل فلما انكشفت ميمنة المسلمين صاحت بنا عفيرة بنت غفار وكانت من المتبرجات البازلات ونادت يا نساء العرب دونكن والرجال واحملن أولادكن على أيديكن واستقبلنهم بالتحريض فأقبلت النسوة يرجمن وجوه الخيل بالحجارة وجعلت ابنة العاص بن منبه تنادى قبح الله وجه رجل يفر عن حليلته وجعل النساء يقلن لازواجهن لستم لنا بعولة ان لم تمنعوا عنا هذه الاعلاج قال العباس بن سهل الساعدى كانت خولة بنت الازور وخولة بنت ثعلبة الانصارية وكعوب ابنة مالك بن عاصم وسلمى ابنة هاشم ونعم ابنة فياض وهند ابنة عتبة بن ربيعة ولبنى ابنة جرير الحميرية متحزمات وهن أمام النساء والمزاهر معهن وخولة تقول هذه الابيات

يا هاربا عن نسوة ثقات * لها جمال ولها ثبات
تسلمون الى الهنات * تملك نواصيهن مع البنات
أعلاج سوء فسق عتات * ينلن منا أعظم الشتات

قال ورجعت الفرسان تحرض الفرسان على القتال فرجع المنهزمون رجعة عظيمة عند ما سمعوا تحريض النساء وخرجت هند ابنة عتبة وبيدها مزهر ومن خلفها نساء من المهاجرين وهى تقول الشعر الذى قالته يوم أحد وهو هذا

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق
مشى القطا الموافق * قيدى مع المرافق

ومن أبى نفارق * ان تغلبوا نعانق
أو تدبر وانفارق * فراق غير وامق
هل من كريم عاشق * يحمى عن العواتق

قال ثم استقبلت خيل ميمنة المسلمين فرأتهم منهزمين فصاحت بهم الى أين تنهزمون والى أين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم ونظرت الى زوجها أبى سفيان منهزما فضربت وجه حصانه بعمودها وقالت له الى أين يا ابن صخر ارجع الى القتال وابذل مهجتك حتى تمحص ماسلف من تحريضك على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزبير بن العوام فلما سمعت كلام هند لابى سفيان ذكرت يوم أحد ونحن بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعطف أبو سفيان عندما سمع كلام هند وعطف المسلمون معه ونظرت الى النساء وقد حملن معهم وقد رأيتهن يسابقن الرجال وبأيديهن العمد بين أرجل الخيل ولقد رأيت منهن امرأة وقد أقبلت الى علج عظيم وهو على فرسه فتعلقت به ومازالت به حتى نكسته عن جواده وقتلته وهى تقول هذا بيان نصر الله المسلمين قال الزبير بن العوام وحمل المسلمون حملة منكرة لا يريدون غير رضا الله ورسوله وقاتلت الازد مع أبى هريرة وفشا فيهم القتل وأصيب منهم خلق كثير لانهم تلقوا الصدمة الاولى بأنفسهم واستشهد منهم مالم يستشهد من غيرهم قال سعيد بن زيد كان القتال فى الميمنة شديدا وكان المسلمون ينهزمون تارة ويعودون مرة وساعة نصبر وساعة نتأخر قال ونظر خالد بن الوليد الى الميمنة وقد وصلت الى القلب فصاح بمن معه من الخيل ومال عليهم فجالوا وكانوا زهاء من ستة آلاف فكبر وحمل على الروم فنكى بهم نكاية عظيمة حتى كشف أعداء الله عن الميمنة والقلب الى أن ردت الى مواضعها ووقف خالد أمامهم يطارد من كان قريبا للمسلمين قال فانكسر الروم أمام خالد ونظر خالد الى فرسانه فرآهم متبددين فنادى يا أهل الاسلام والايمان ويا حملة القرآن ويا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قد تبينت فى الروم الكسرة العظيمة ولم يبق عند القوم من الجلد والقتال الا ما رأيتم وقد كسر الله حدتهم فردوا عليهم الكسرة وشدوا عليهم الكرة رحمكم الله فوالذى نفس خالد بيده انى لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم فنادى المسلمون من كل جانب احمل حتى نحمل معك قال فانتضى خالد سيفه وحمل وحملت أصحابه معه قال عبد الرحمن بن الحميدى الجمحى كنت ممن حمل مع خالد فوالله لقد انكشفت الروم بين أيدينا وولت كما تولى الغنم بين يدى الأسد وتبعهم المسلمون وكانت الحملة على ميمنة الروم فانكشفوا انكشافا قبيحا وأما المسلسلة فما برحوا من مواضعهم وكانوا يرمون بالسهام وهم حماة القوم قال عبد الرحمن وكان خالد امامنا فى حملته ونحن من ورائه وكان شعارنا يا محمد يا منصور أمتك أمتك فلم يزل خالد فى حملته ونحن من ورائه حتى وصل الى الديرجان وكان قائما فى موضعه الذى أقامه فيه ماهان معه صليب من الجوهر ومعه أصحابه ينتظرون حملته فيحملون معه فلما وصلت خيل خالد الى موضعه قال له البطارقة أيها الملك أما آن لك أن تحمل فنحمل معك أو تولى فقد خالطتنا خيل العرب فقال لاصحابه اعلموا أن يوم السوء لا أحبه ولا أحب أن أراه ولا أحضره وقد أحضرنى الملك الى هذا الموقف وأنا كاره ولكن لفوا وجهى ورأسى فى هذا الثوب حتى لا أرى الحرب قال فلفوا

وجهه ورأسه فى ثوب ديباج والناس يقتتلون حتى انهزمت الروم بين أيدى المسلمين ووصلوا الى الديرجان وهو ملفوف الرأس فحمل عليه ضرار بن الازور فقتله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان من أحسن صنع الله تعالى بالمسلمين أن جرجير وقناطر اختلفوا وتنازعوا وكان جرجير فى الميمنة مع الارمن وقناطر فى الميسرة تحته فقال جرجير لقناطر احمل على العرب فما هذا وقت الوقوف فقال قناطر تأمرنى أن أحمل وكيف لا تحمل أنت فقال جرجير لقناطر وكيف لا آمرك وأنا أمير عليك فقال قناطر كذبت أنت أمير وأنا أمير عليك وفوقك وأنت مأمور لى بالطاعة فاختلفا وغضب جرجير من قول قناطر فحمل على المسلمين حملة شديدة وكانت حملته على كنانة وقيس وخثعم وجذام وقضاعة وعاملة وغسان وهم يومئذ فيما بين الميسرة والقلب فكشف الروم المسلمين حتى زالت عن مصافهم ولم يبق منهم الا أصحاب الرايات فقاتلوا من يليهم قتالا شديدا وركب الروم أكتاف المسلمين المنهزمين الى أن دخلوا معهم الى معسكرهم فاستقبلهم النساء بالعمد يضربن وجوه الخيل ويرمين وجوهها بالحجارة وينادين بهم الى أين تنهزمون يا أهل الاسلام عن الامهات والاخوات والبنين والبنات أتريدون أن تسلمونا للاعلاج قال منهال الدوسى فلقد كانت النساء أشد علينا غلظة من الروم فرجع المسلمون عن الهزيمة ونادى بعضهم بعضا وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وعطفوا على الروم عطفة عظيمة قال وكان قتامة بن أيشم الكنانى أمام المسلمين يضرب فى عراض المشركين تارة بالسيف وتارة بالرمح حتى كسر ثلاثة رماح وهو يقول

سأحمل فى الروم الكلاب النوابح * وأضربهم ضربا بحد الصفائح

وأرضى رسول الله خير مؤمل * نبى الهدى للدين أشرف ناصح

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم حمل حتى كسر سيفين وجعل كلما كسر رمحا أو سيفا يقول من يعيرنى سيفا أو رمحا فى سبيل الله وأجره على الله ثم نادى يا معاشر قيس خذوا نصيبكم من الاجر والصبر فان الصبر فى الدنيا عز ومكرمة وفى الآخرة رحمة وفضيلة فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون قال فأجابه قوم ونشطوا للقتال قال قتامة بن أيشم الكنانى فما رأيت مثل حملة قناطر وقومه ولقد اختلطوا بنا واختلطنا بهم قال ورجع خالد من دهمته ومعه ألفان من أصحابه وقد وضعوا السيوف فى الروم وقتلوهم قتلا ذريعا والقتل لا يبين فيهم لكثرتهم وأقبل خالد على الناس من كرته فرأى الناس يقولون جزى الله قتامة بن الايشم خيرا عن الاسلام فشكره وجزاه خيرا قال وأقبلت ذرعة ابنة الحرث منحدرة من على التل وهى تقول ما فعل خالد حتى وقفت بين يديه وقالت يا ابن الوليد أنت من العرب الكرام وانما الرجال بامرائها فان ثبتوا ثبتت الرجال معهم وان انهزموا انهزمت الرجال معهم فقال لها خالد ما كنت من المنهزمين وما كنا الا نقاتل فى الاعلاج فقالت قبح الله وجه عبد نظر الى أميره ثابتا وهو منهزم عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ونظر ماهان لعنه الله الى الميمنة من عسكره وقد عركت عراك الاديم فبعث اليهم يحرضهم على القتال فعندها خرج علج من الروم وعليه درع سابغ والسلاح كأنه قطعة جبل وهو على شهباء عظيمة الخلقة فبرز بين الصفين وجال على شهبائه وسأل القتال فخرج اليه غلام من الازد فجال معه جولة حتى قتله العلج ثم دعا بالبراز

فهم أن يخرج اليه معاذ بن جبل فقال أبو عبيدة يا معاذ سألتك بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما ثبت مكانك ولزمت رايتك ولزومك الراية أحب الى من برازك الى هذا العلج فوقف معاذ بالراية ونادى يا معاشر المسلمين من أراد فرسا يقاتل عليه فى سبيل الله فهذا فرسى وسلاحى فجاءه ولده عبد الرحمن فقال أنا يا أبت وكان غلاما لم يحتلم قال فلبس السلاح وركب الجواد وقال يا أبت أنا خارج الى هذا العلج فان صبرت فالمنة لله على وان قتلت فالسلام عليك وان كان لك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فأوصنى بها فقال له معاذ يا بنى أقرئه منى السلام وقل له جزاك الله عن أمتك خيرا ثم قال يا بنى اخرج وفقك الله لما يحب ويرضى فخرج عبد الرحمن بن معاذ الى العلج كأنه شعلة نار وحمل على العلج وضربه بالسيف فمال عنه العلج ومال اليه وضربه على رأسه فقطع العمامة وشجه شجة فاضحة أسال دمه فلما رأى العلج ذلك الدم ظن أنه قتل فتأخر الى ورائه لينظر كيف يسقط عن جواده فلما نظر عبد الرحمن الى العلج وقد تأخر عنه انثنى راجعا الى المسلمين فقال له معاذ ما بك يا بنى قال قتلنى العلج قال له ما الذى تريد من الدنيا يا بنى ثم انه شد جرحه قال فعندها صال العلج وحمل فردته الازد فقال أبو عبيدة من له منكم فخرج اليه عامر بن الطفيل الدوسى وكان من أصحاب الرايات ممن شهد اليمامة مع خالد بن الوليد وكان قد رأى يوم اليمامة فى منامه فى قتال مسيلمة الكذاب كان امرأة لقيته ففتحت له فرجها فدخل فيه ونظر اليه ابنه فأسرع ليدخل مكانه ثم استيقظ وقص ذلك على المسلمين فلم يدر أحد ما تأويلها فقال ابن الطفيل أما أنا فأعرف تأويلها قالوا وما تأويلها يا ابن الطفيل قال تأويلها أنى أقتل لان المرأة التى أدخلتنى فرجها هى الارض وابنى سيصيبه جراح ويوشك أن يلتحق بى قال فقاتل يوم اليمامة وأبلى بلاء حسنا وسلم ولم يلحقه أذى فلما كان يوم اليرموك شهد فيه الحرب وخرج الى قتال العلج وهو كأنه شعلة حريق أو صاعقة وطعن البطريق وكانت قناته قد شهدت معه المشاهد فاندقت بين يديه وانتضى سيفه وهزه وضرب به العلج على عاتقه فخالط أمعاءه فتنكس العلج صريعا عن جواده وأسرع عامر بن الطفيل فرمى به الى المسلمين وسلمه الى ولده وانثنى راجعا نحو الروم وحمل على الميمنة وعلى الميسرة وعلى القلب ثم قصد المتنصرة فقتل منهم فارسا ودعا للبراز فخرج اليه جبلة بن الايهم وعليه درع من الديباج المثقل بالذهب وتحتها درع من دروع التبابعة وعليه بيضة تلمع كشعاع الشمس وتحته فرس من نسل خيول عاد فلما خرج جبلة الى عامر بن الطفيل قال له من أى الناس أنت قال أنا من دوس قال جبلة أنك من القرابة فأبق على نفسك وارجع الى قومك ودع عنك الطمع فقال له عامر قد أخبرتك من أنا ومن قبيلتى فأنت من أى العرب قال أنا من غسان وأنا سيدها جميعها أنا جبلة ابن الايهم الغسانى وانما خرجت اليك حين نظرت اليك وقد قتلت هذا البطريق الشديد وهو نظير ماهان وجرجير فى الشجاعة فعلمت أنك كفؤ فخرجت لاقتلك وأحظى عند ماهان وهرقل بقتلك فقال عامر بن الطفيل أما ما ذكرت من شدة القوم وعظم خلقهم فالله أشد منعة وهو مهلك الجبابرة وأما قولك انك تحظى بقتلى عند مخلوق مثلك فانى أريد ان أحظى بجهادى عند رب العالمين بقتلك وحمل عامر على جبلة بن الايهم والتقيا بضربتين فخرجت ضربة عامر ابن الطفيل غير ممكنة وخرجت ضربة جبلة ممكنة فقطعت من قرنه الى كتفه فسقط عامر قتيلا

فقال جبلة على مصرعه ووقف يعجب بنفسه وبما صنع وطلب البراز فخرج اليه ولد المقتول وهو جندب بن عامر بن الطفيل وكانت معه راية أبيه فأقبل الى أبي عبيدة وقال أيها الامير ان أبي قد قتل وأريد أن آخذ بثاره أو أقتل فادفع رايتك لمن شئت من دوس فأخذ أبو عبيدة الراية ودفعها لرجل من دوس فحملها وخرج جندب الى قتال جبلة بن الايهم وهو ينشد ويقول

سأبذل مهجتي أبدا لاني * أريد العفو من رب كريم

وأضرب في العدا جهدي بسيفي * وأقتل كل جبار اثيم

فان الخلد في الجنات حق * تباح لكل مقدام سليم

قال ودنا من جبلة وقال له اثبت يا قاتل أبي لاقتلك به فقال جبلة ومن أنت من المقتول قال ولده قال جبلة ما الذي حملكم على قتل نفوسكم وأولادكم وقتل النفوس محرم قال جندب ان قتل النفس في سبيل الله محمود عند الله وننال به الدرجة العالية فقال له جبلة اني لا أريد قتالك فقال جندب وكيف أرجع وأنا المفجوع بأبي والله لا رجعت أو آخذ بثار أبي أو ألحق به ثم حمل على جبلة وجعلا يقتتلان وقد شخصت نحوهما الابصار ونظر جبلة الى الغلام وما أبدى من شجاعته فعلم أنه شديد الباس صعب المراس فأخذ منه حذره وغسان ترمق صاحبها فرأت الغلام جندبا وقد ظهر على صاحبهم وقارنه في الحرب فصاح بعضهم على بعض وقالوا ان هذا الغلام الذي برز الى سيدكم غلام نجيب وان تركتموه ظهر عليه فانجدوه ولا تدعوه فتأهب غسان للحملة ليستنقذوه ونظر المسلمون الى جندب وما قد ظهر منه من شجاعته وشدته ففرحوا بذلك ونظر الامير أبو عبيدة الى ذلك وما فعل فبكى وقال هكذا يكون من يبذل مهجته في سبيل الله اللهم تقبل له فعله (قال جابر بن عبد الله) شهدت قتال اليرموك فما رأيت غلاما كان أنجب من جندب بن عامر بن الطفيل حين قاتله جبلة وبعد ذلك حمل على جبلة وضربه ضربة أوهنه بها وضربه جبلة فقتله وعجل الله بروحه الى الجنة وتحقق منام أبيه عامر بن الطفيل وجال جبلة على مصرعه وطلب البراز فصاح به قومه ارجع الينا فقد قضيت ما يجب عليك فرجع وهو معجب بنفسه حتى وقف تحت صليبه قال وبعث اليه ماهان يشكره وأصيب المسلمون بعامر بن الطفيل وولده جندب قال فعندها صاحت دوس الجنة الجنة خذوا بثار سيدكم عامر وساعدتها الازد وكانوا أحلافهم وحملوا على غسان ولخم وجذام وتناشدوا الاشعار فصاح أبو عبيدة بالمسلمين وقال أيها الناس سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية ومعانقة الحور العين في جنات النعيم فما من موطن أحب الى الله من هذا الموطن ألا وان الصابرين فضلهم الله على غيرهم ممن لم يشهده شهدهم هذا ولما سمعت الازد ذلك حملت مع دوس وكان شعارهم يومئذ الجنة الجنة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني موسى ابن محمد عن عطاء بن مراد قال سألت رجالا عدة ما كان شعار المسلمين يوم اليرموك فاخبرت أن شعار أبي عبيدة أمت أمت وشعار عبس يا لعبس وشعار اليمن من أخلاط الناس يا أنصار الله وشعار خالد ومن معه يا حزب الله وشعار حمير الفتح الفتح وشعار دارم والسكاسك الصبر الصبر وشعار بني مراد يا نصر الله انزل فهذه كانت شعار المسلمين يوم

اليرموك

اليرموك قال فلما حملت دوس تبعها الازد وقصدت العرب المتنصرة وطلبت صليبهم وفرقتهم تفريقا صعبا حتى وصلوا الى الصليب فطلب رجل منهم حامل العلم الذى لغسان فارداه عن فرسه ووقع الصليب من يده منكوسا وقتل من الازد ودوس رجال الا أنهم كانوا مثل الشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود ثم كرت غسان تريد أخذه منهم فاقتتلوا عنده قتالا شديدا حتى قتلوا خلقا كثيرا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى هشام بن عمارة عن أبى الجريرى عن نافع عن جبير بن الحويرث عن عبد الله بن عدى قال شهدت اليرموك فكان المسلمون خمسة وعشرين ألفا فغضب الحويرث وقال كذب من حدثك بهذا الحديث فان المسلمين كانوا يوم اليرموك أحدا وأربعين ألفا وقد أديت اليك ما سمعته ممن أثق به من الرواة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وهذا أثبت الاقاويل لان المسلمين كانوا يوم أجنادين اثنين وثلاثين ألفا وجاءت الامداد بعد ذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى ابن أبى نمرة عن عبد الحميد بن سهل عن جده قال لما حملت الازد يوم اليرموك ودوس ودوخت المشركين دوخة عظيمة وحمل المشركون حملة هائلة انكشف المسلمون وكان صاحب لوائهم عياض بن غنم الاشعرى فولى منهزما واللواء بيده فصاح به الناس انما ثبات القوم وأهل الحرب بألويتهم فابتدر لاخذه عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كلاهما يتسابق اليه فأخذه عمرو ولم يزل يقاتل به حتى انهزمت الروم وفتح الله على أيدى المسلمين وكان اليوم الثالث من اليرموك يوما شديدا انهزمت فيه فرسان المسلمين ثلاث مرات كل مرة تردهم النساء بالحجارة والعمد ويلوحون بالاطفال اليهم فيرجعون الى القتال ولم يزل القتال قائما الى أن أقبل الليل بسواده ورجعت الروم الى مواضعها والقتل فيهم كثير وفى المسلمين قليل الا أن الجراح فيهم فاشية من النشاب فلما دخل الليل بسواده رجعت كل فرقة الى أماكنها وباتوا تحت السلاح قال وأما المسلمون فما كانت همتهم الا الصلاة وبعد ذلك شدوا الجراح وصلى أبو عبيدة رضى الله عنه قال أيها الناس اذا عظم البلاء فانتظروا الفرج فانه يأتى من عند الله فاضرموا نيرانكم وتحارسوا وأظهروا التهليل والتكبير وقام أبو عبيدة يمشى فى الناس هو وخالد بن الوليد يتفقدون الجرحى وهم يقولون أيها الناس ان عدوكم يألم كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وباتوا الطول ليلهم كله وهم طائفون على المسلمين الى أن أصبح الصباح قال وانحازت الروم الى جانب اليرموك مع ماهان الارمنى فجمع بطارقته ووبخهم وزجرهم وقال لهم قد علمت أن هذا يكون منكم وقد رأيت فشلكم وخوفكم وجزعكم من هؤلاء العرب الضعاف قال فاعتذروا اليه وقالوا غدا تنظر زهم فان فينا فرسانا وشجعانا لم تقاتلوا الا وغدا نصدقهم الحرب فتكون لنا العاقبة قال فسكت عن توبيخهم وأمرهم أن يتأهبوا لذلك وبات الفريقان يتحارسون وقد رعبت الروم من كثرة القتلى فيهم وأما المسلمون فانهم أقوى قلوبا بالشدة دينهم ويقينهم قال فلما أصبح الصباح صلى بهم أبو عبيدة صلاة الخوف واذا بالصلبان قد بدت وبرايات القوم قد طلعت فى عدد الشوك والشجر كأنهم لم يلاقوا قتالا قط فوقفوا فى مصافهم ونصب ماهان سريره على الكثيب الذى كان عليه بالامس وهو يشرف منه على العساكر فأمرهم أن يعبوا مصافهم فلما نظر أمير المؤمنين الى سرعة الروم صاح كل أمير برجاله وحرضهم

على القتال فانقلبوا من الصلاة الى خيولهم ولبسوا السلاح وركبوا خيولهم ورجع كل أمير
الى مكانه وهو يعظ أصحابه ويوصيهم ويعدهم من الله بالنصر وسار أبو عبيدة بين الصفوف
وهو يصف لهم فضل الجهاد وما أعد الله للمجاهدين الصابرين وخلف على الذرارى والنساء
والاموال والاولاد عمرو بن سعيد بن عبد الله الانصارى وجعل من الرماة خمسمائة فى الميمنة
وخمسمائة فى الميسرة وخمسمائة فى القلب وطاف أبو عبيدة عليهم وقال لهم معاشر الرماة
الزموا مراكزكم فان رأيتم القوم زحفوا الينا فارشقوهم بالنبال واذكروهم عند رميكم ولا
تتركوها مفرقة ولتخرج سهامكم كأنها من كبد قوس واحد فان هم زحفوا اليكم فاثبتوا
مكانكم حتى يأتيكم أمرى ففعلوا ما أمرهم به الامير وتقدم أبو سفيان الى ولده يزيد والراية
فى يده وحوله أصحابه وقد عزم على الحملة والجهاد فقال يا بنى ان أحسنت أحسن الله اليك
عليك بتقوى الله والصبر فاتق الله حق تقاته وانصر دين الله وشرع نبيه صلى الله عليه وسلم
اياك والجزع فما قضاه ربك قد أمضاه فاصبر مع أصحابك صبر أولى العزم واياك ثم اياك أن يراك
الله منهزما فتبوء بغضب من الله قال يزيد سأصبر جهدى وطاقتى والله أسأله أن يكون معينا
لى وناصرا ثم صاح يزيد برجاله وهز الراية وندبهم الى القتال وحمل على من يليه من الروم فقاتلوا
قتالا عظيما ولم يزالوا حتى نكلوا العدو نكاية عظيمة وأبلوا بلاء حسنا وكان قتالهم من جانب
القلب ولم يزالوا كذلك حتى برز اليهم بطريق من البطارقة وبيده رمح وعليه صليب من
الذهب وحوله زهاء من عشرة آلاف فارس من الروم فحملوا على الميمنة وكان فيها عمرو بن
العاص ومن معه فرجعوا على أعقابهم منهزمين حتى دخلت الروم فى أوائل عسكر المسلمين
مما يلى عمرا ومن معه وهم يتراجعون على الرحال فيكرون تارة ويرجعون تارة حتى تكاثرت
عليهم الروم فكشفوهم حتى ألصقوهم بالتل الذى عليه النساء وأحاطوا بالتل فصاحت
امرأة أين أنصار الدين أين حماة المسلمين وكان الزبير بن العوام جالسا عند زوجته أسماء بنت
أبى بكر الصديق يداوى عينه وكان أرمد فلما سمع صوت المرأة وهى تنادى أين أنصار الدين قال
يا أسماء ما لهذه المرأة تصيح أين أنصار الدين فقالت له عفرة ابنة عثمان يا ابن عمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم انهزمت ميمنة المسلمين حتى ألجأهم الروم الينا وأحاط بنا الاعلاج وهذه
نساء الانصار مستصرخة بأنصار الدين فقال الزبير والله انى أنا من أنصار الدين ولا يرانى الله
جالسا فى مثل هذا الوقت قال ثم طرح الخرقة عن عينه واستوى جالسا على متن جواده فأخذ
قناته وتسمى باسمه وقال فى حملته أنا الزبير بن العوام أنا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجعل يطعن فيهم طعنا متداركا حتى ردهم على أعقابهم وخيلهم تنكص بأذنابها قال ليث
ابن جابر فلله در الزبير بن العوام لقد رد الروم بنفسه وحده اذ حمل عليهم وما كان معه من العرب
أحد حتى ردهم الى عسكرهم وتراجعت خيل عمرو ورجاله وهو ينادى الرجعة الرجعة الحزم
الحزم يا أهل الاسلام الصبر الصبر فتراجعوا بعد ادبارهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى)
وحمل جرجير الارمنى فى ثلاثين ألفا من الارمن على شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانكشف أصحاب شرحبيل بن حسنة ولم يثبت غيره لقتال الروم فى عصبة
من قومه دون الخمسمائة فجعل شرحبيل يحمل على الارمن وهو يقول يا أهل الاسلام

لا فرار من الموت الصبر الصبر قال فتراجع أصحابه اليه وحملوا على الارمن فردوهم على أعقابهم وجعلوا يضربون فيهم حتى أسابوا من الارمن مالم يصبه الارمن منهم فرجع شرحبيل الى مكانه ودار به أصحابه فجعل يعنفهم بالقتال ويقول لهم ما الذى أصابكم حتى انهزمتم أمام هؤلاء الكفرة وأنتم الحماة البررة وأهل القرآن وعباد الرحمن أما سمعتم قوله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير وقال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وأنتم تهربون فقالوا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم زلة من الشيطان مثل يوم أحد وحنين وها نحن معك فاحمل حتى نحمل معك فجزاهم خيرا ووقف مكانه وكان موقفه مما يلى سعيد بن زيد وقد لزموا مواقفهم لم يتحركوا التماسا للحفيظة ونظر قيس بن هبيرة الى خيل شرحبيل وقد تراجعت فحمل بمن معه ونادى هو وأصحابه بشعارهم وكان شعارهم يا نصر الله انزل يا منصور أمت أمت وكان هذا شعارهم يوم بدر وأحد وحمل خالد بن الوليد بمن معه من ذات اليمين وحمل قيس من ذات الشمال فقاتلوهم قتالا شديدا ولله در الزبير بن العوام وهاشم بن المرقال وخالد بن الوليد لقد حملوا حملة عظيمة حتى قربوا من سرادقات ماهان وتواقعت الروم على سرادقات ماهان وخيامه فلما نظر ماهان الى ذلك نزل من على سريره هاربا وصاح بالروم وعنفهم فتراجعوا يطلبون القتال وصاح أبو عبيدة بسعيد بن زيد فحمل بمن معه وهو ينادى لا اله الا الله يا منصور أمت أمت فأقبلوا يقتلون فى الروم قتلا ذريعا فبينما المسلمون فى حملتهم اذ سمعوا قائلا يقول يا نصر الله انزل يا نصر الله اقرب أيها الناس الثبات الثبات قال عامر بن أسلم فتأملنا الصارخ فاذا هو أبو سفيان وتحت رايته ابنه يزيد قال وشد الامراء جميعهم على من يليهم وقاتلوا قتالا شديدا ولم يكن فى الروم أثبت من أصحاب السلاسل فانهم ثبتوا فى أماكنهم يمنعون من أتاهم وأما الرماة وهم مائة ألف رام فكانوا اذا رشقوا سهامهم نحو العرب يسترون الشمس فلولا النصر والمعونة من الله لكان المسلمون هلكوا وانفصل المسلمون فرحين مستبشرين والمشركون قد هلك أكثرهم وبرز علج من أعلاج الروم كأنه نخلة باسقة وعليه درع مذهب وعلى رأسه بيضة مذهبة وعليها صليب من ذهب مرصع بالجوهر وهو راكب على شهباء وعليه زرد من حديد وبيده رمح فجال وأشهر نفسه وسأل البراز فنظر المسلمون الى عظم خلقته وهول جثته فجعلوا ينظرون اليه فقال أبو عبيدة لا يهولنكم ما ترون من عظم خلقته فكم رأيتم من هو عظيم خلقة ولا قلب له فمن له منكم يخرج اليه واستعينوا بالله عليه قال فخرج اليه عبد من عبيد العرب وبيده سيفه وحجفته وهو راجل فلما أراد أن يدنو من العلج صاح به مولاه ذو الكلاع الحميرى فلما رجع خرج اليه ذو الكلاع وجال عليه وكان ذو الكلاع من أهل الشدة والبأس فتواقعا وكل منهما رامح فتطاعنا طعانا شديدا أشد من الجمر ثم انهما تجاذبا سيوفهما والتقيا فضرب ذو الكلاع العلج ضربة وضرب العلج ضربة وكان سيف العلج قاطعا وساعده قويا فقطع سيفه درقة ذى الكلاع وسيفه ودرعه وما تحته من الثياب ووصلت الضربة الى عضده الايسر فجرحته جرحا بليغا وثقلت يده فلما نظر ذو الكلاع الى ما لحقه من العلج عطف بجواده يريد المسلمين ونظر العلج الى ذى الكلاع وقد انعطف راجعا فصاح بجواده ليلحقه وكان فرس

ذى الكلاع سابقا فلم يلحقه حتى لحق بالمسلمين فأتى قومه والدم يفور من جرحه فاجتمع فرسان قومه فقال لهم يا فرسان حمير اياكم أن تتكلوا فى قتالكم على السلاح ومنعته ولكن اتكلوا فى قتالكم على الله عز وجل قالوا وكيف ذلك أيها السيد قال لانى رددت عبدى عن القتال شفقة عليه اذ ليس معه لامة حرب وقلت انى أفرس منه وأجود عدة ولامة فصنع بى هذا الاغلف ماترون والله مالحقنى قبلها فى حرب مثلها قط فشدوا جرحه ووقف مكانه ثم انه صاح بقومه يارجال حمير ان كان سيدكم قد رجع كالا فامنكم من يأخذ بثاره فانتدب فارس من فرسان حمير وعليه سابغ اليمن من الابراد والحبر كأنه جمرة نار وحمل نحو العلج مصمما وجال جولة عظيمة وطعنه طعنة أثبتها فى صدره فأرداه قتيلا وعجل الله بروحه الى النار فهم الحميرى أن ينزل عن جواده ويأخذ سلبه فحمل عليه كردوس من الروم ليكشفوه عنه فردهم الحميرى صاغرين ثم رجع اليه وأخذ سلبه وأقبل به على أبى عبيدة فأعطاه اياه فدفع السلب الى قومه ورجع الى مقامه فى القتال فخرج اليه آخر فقتله وآخر فقتله فخرج اليه علج رابع فقتل الحميرى ونزل ليأخذ سلب الحميرى فرماه رجل من رماة الانصار بنبلة فوضعها فى لبته فخر له صريعا وعجل الله بروحه الى النار قال فانقلبت الروم على وجوهها وهابوا جميع المسلمين وكان ذلك البطريق الذى قتل بالنبلة من عظمائهم ويقال انه كان صاحب نابلس فصاح بهم ماهان وسكنهم عن اضطرابهم وخرج الى القتال ملك اللان واسمه هربوس وعليه لامة الملوك وعليه ديباجة وفى وسطه منطقة مرصعة بالجوهر فجال بين الصفين وشهر نفسه وقال أنا ملك اللان فلا يبرز لى الا أميركم فخرج اليه شرحبيل بن حسنه كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده لواؤه وعليه درع من حديد وهو متمنطق بمنطقة من الاديم وهو على جواده فقال أبو عبيدة من هذا الذى خرج قالوا له شرحبيل بن حسنة فبعث اليه أبو عبيدة يقول له ادفع الراية لمن شئت واخرج من غير راية فلما سمع ذلك سلم الراية لرجل من قومه وقال له قف بها موضعى فان قدر على فسلم الراية الى الامير أبى عبيدة يدفعها لمن يريد وان رجعت أخذتها فأخذها الرجل وخرج شرحبيل كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ملك اللان وهو يقول

سأحمل فى اللئام بنى الاعادى * بكل مشقف لدن حداد

فيا بؤسا لقيصر يوم نأتى * وجمع الروم شرد فى البلاد

قال فسمع البطريق شعر شرحبيل فلم يفهمه وكان يفهم قليلا بالعربية فقال له يا عربى ما الذى تقول قال أقول كلاما تقوله العرب عند الحرب تشجع به نفوسها وتثق بوعد الله الذى وعد به نبينا فقال ملك اللان وما الذى وعدكم به نبيكم فقال شرحبيل وعدنا الله أن يفتح لنا الارض فى الطول والعرض ونملك الشام ونكون من الظافرين بنصر الله لنا قال ملك اللان ان الله لا ينصر من يبغى وأنتم تبغون علينا وتطلبون ماليس لكم بحق فقال شرحبيل نحن قوم أمرنا الله أن نفعل ذلك والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وانى أراك تعرف كلام العرب فلو تركت ما أنت عليه من عبادة الصليب ودخلت فى دين الاسلام كنت من أهل الجنة وسعدت فقال ملك اللان ما أترك دين المسيح أبدا فان دينه حق فقال شرحبيل لا تقل انه اله معبود ولا تقل صلب وقتل فان الله سبحانه وتعالى أحياه فى الارض ماشاء ثم رفعه الى السماء ثم

قال

قال ملك اللان انى أرجع عن قولى ثم استخرج صليبا من عنقه فرفعه ووضعه على عينه وأقبل يستنصر به فغضب شرحبيل من فعاله فقال له ياويلك تبالك ولمن معك أتدعو بغيره ثم حمل عليه وأخذا فى القتال وبالا جولا تاعظيما فرمقتهما الابصار وجعل المسلمون يدعون لشرحبيل بالنصر والمعونة ونظر شرحبيل الى شدة الكافر ففر بين يديه كأنه منهزم فتبعه عدو الله فلما علم شرحبيل أنه قد قاربه ثنى عنان جواده فطعنه بقناته يريد أن يجعلها فى نحره فزاغ المشرك عن الطعنة ونجا منها سالما ثم قال معاشر العرب أنتم لا تدعون الخديعة والمكر فقال شرحبيل ويلك أما علمت أن الحرب خدعة والمكر رأسها فقال العلج فما الذى نفعك من حيلتك قال فتضاربا حتى انقطع السيفان فى أيديهما فاعتنقا معا نقة شديدة وكان المشرك أعظم جثة وأشد منعة وكان شرحبيل نحيف الجسم من كثرة الصيام والقيام قال فضغط عليه المشرك ضغطة أوجعه بها وهم أن يقتله فى سرجه والفريقان ينظران اليهما قال ضرار بن الازور قد اخلنى والله الغيظ فقلت فى نفسى ويحك ياضرار يقتل هذا العلج كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تنظر اليه فما يمنعك من نصرته ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ فخرج ضرار نحوهما يسعى على قدميه كالظبية الخمصاء حتى قرب منهما ولا يعلمان به جميعا وكان فى يده خنجر فضرب به العلج من ورائه فاطلع الخنجر من قلبه فسقط العلج قتيلا وخلص شرحبيل من الضغطة قال فلما سقط العلج عن ظهر جواده نزل اليه شرحبيل وسلب ما كان عليه من لامة حربه وركب ضرار جواده وانثنى راجعا هو وشرحبيل نحو المسلمين فهنأ المسلمون شرحبيل وشكروا ضرارا على فعله قال ثم ان شرحبيل أخذ سلب العلج فنازعه ضرار فيه فقال السلب لى وأنا قتلته وقال شرحبيل أنا آخذ السلب فاتيا أبا عبيدة فخاف أبو عبيدة أن يحكم بينهما فلا يرضون بحكمه فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ياأمير المؤمنين ان رجلا خرج الى البراز وقاتل علجا من الاعلاج وبلغ معه الجهد الى جهد جهيد فخرج آخر من المسلمين فاعان الرجل وقتل العلج قال ولم يسم أبو عبيدة الرجلين فلمن السلب منهما فجاء الجواب من عمر بن الخطاب ان السلب للقاتل فأخذ السلب أبو عبيدة من شرحبيل وأعطاه ضرارا فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه﴾ ولما قتل ضرار ملك اللان غضبت الروم فخرج فارس شجاع وطلب البراز فخرج اليه الزبير بن العوام رضى الله عنه فقتله وأخذ سلبه وخرج اليه ثان وثالث ورابع فقتلهم وأخذ أسلابهم فقال خالد لابى عبيدة ان الزبير قد تجرد للروم وبذل نفسه لله ولرسوله وأخاف عليه من التعب فصاح عليه أبو عبيدة وأقسم عليه فرجع الزبير الى مقامه قال وخرج من الروم بطريق فخرج اليه خالد بن الوليد وكان ملك الروسية فقتله خالد وكان زوج بنت ملك اللان فقوم سلبه وتاجه ومنطقته وصليبه ودرعه بخمسة عشر ألفا قال فاخبر ماهان بذلك فغضب وقال سيداان ما قد قتلا فى يوم واحد وانى أظن أن المسيح لا ينصرنا ثم أمر الرماة أن يرموا عن يد واحدة فرموا سهامهم وأطلقوا نحو المسلمين دفعة واحدة مائة ألف سهم فكان النشاب يقع فى عساكر المسلمين كسقوط البرد من السماء فكثرت الجراح فى الناس واعور من المسلمين سبعمائة عين فهى يوم التعوير ذلك اليوم وكان ممن

أصيب بعينه المغيرة بن شعبة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل التميمي وأبو سفيان صخر بن حرب وراشد بن سعيد وكان الرجل بعد ذلك يلقى الرجل فيقول له ما الذي أصاب عينك فيقول الآخر لا تقل مصيبة بل هي محنة من الله قال وعظم وقع السهام في عسكر المسلمين حتى ما كنت تسمع الا من يصيح واعيناه وابصره واحدقتاه وعظم اضطراب المسلمين من ذلك قال فجذبت العرب أعنة خيولها راجعة قال ونظر ماهان اللعين الى اضطراب جيش المسلمين فحرض الرماة والروم وصاح برجاله وزحفت السلسلة نحو المسلمين فهالهم ذلك وحمل جرجير وقناطر وقورين وقال ماهان اثبتوا على الحملة وارموا العرب بالنشاب فزادت الرماة في رميها وزحف السلسلة بحديدها والبوارق تلمع من أكف الرجال كمقابيس النيران والحرب قائمة على ساق وأخذ المسلمون على أنفسهم اشفاقا مما نزل بهم ووصل اليهم من قلع الاحداق قال عبادة بن عامر فنظرت الى جيش الشرك وهو نحونا سائر وفرسان المسلمين متأخرة وخيولهم ناكصة فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم أنزل علينا نصرك الذي نصرتنا به في المواطن كلها ثم صحت في رجال حمير تهربون من الجنة الى النار ماهذا الفرار أما تخافون العار أما أنتم بين يدي الجبار أما هو عالم الاسرار أفررتم من الكفار قال فما أجابني والله أحد كأنهم صم لا يسمعون قال فقلت كأن قبيلتك خرست عن الجواب فجعلت أهتف بقبائل العرب فكل قد شغل بنفسه عن اجابتي فجعلت أكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فما كان غير بعيد حتى نزل النصر من الله وذلك أن المسلمين قد انقلبوا راجعين نحو النساء ولم يثبت غير أصحاب الرايات قال عبد الله بن قرط الاسدي شهدت القتال كله فلم أر قتالا أشد من يوم التعوير ورجعت الخيل على أذنابها وقاتلت الامراء بأنفسها والرايات بأيديهم حتى كان أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمسيب بن نجية الفزاري وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والفضل بن العباس يقاتلون قتالا شديدا قال عبد الله بن قرط فقلت في نفسي وكم مقدار ما يقاتلون هؤلاء وهم نفر يسير حتى ساعدتنا النساء اللاتي شهدن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد يداوين الجرحى ويسقين الماء ويبرزن الى القتال ولم أر امرأة من نساء قريش قاتلت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في اليمامة مع خالد مثل ماقاتلت نساء قريش يوم اليرموك حين دهمهن القتال وخالط الروم المسلمين فضربن بالسيوف ضربا وجيعا وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان قد انضم النساء المهاجرات لغيرهن وقامت الحرب على ساق وتنادى النساء بانسابهن وأمهاتهن وألقابهن وجعلن يقاتلن قتال الموت ويضربن وجوه الخيل بالعمد ويلوحن بالاطفال وجعل النساء بعضهن يقاتل المشركين وبعضهن يقاتل المسلمين حتى رجعوا الى قتال المشركين وبعضهن يسقي الماء وبعضهن يشد الجراح قال فبينما هن يقاتلن وقد هجمت الرجال اذ انهزمت نساء لخم وجذام وخولان فخرجت خولة بنت الازور وأم حكيم ابنة حكيم بنت الحرث وسلمى بنت لؤي وجعلن يضربن في وجوههن ورؤسهن بالعمد ويقلن أخرجن من بيننا فأنتن توهن جمعنا قال فرجعت نساء لخم وجذام يقاتلن قتال الموت وقاتلت أم حكيم بنت الحرث أمام الخيل بالسيف وما تسمع يومئذ صوت واحدة من النساء غير صوت واعظة قط وأما أم حكيم فانها جعلت تنادي يامعاشر العرب احصدوا

الغلف بالسيوف وأما أسماء بنت أبي بكر فانها قرنت عنانها بعنان زوجها الزبير بن العوام
فما كان يضرب ضربة الا ضربت مثلها قال فتراجع المسلمون الى القتال حين رأوا النساء
يقاتلن قتال الموت ويقول الرجل لمن يليه ان لم نقاتل نحن هؤلاء والا فنحن أحق بالخدور من
النساء فلله در نساء قريش يوم اليرموك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني عبد الرحمن
ابن الفضل عن يزيد بن أبي سفيان عن مكحول قال كانت وقعة اليرموك في رجب سنة خمس
عشرة من الهجرة قال أبو عامر وحملت خولة بنت الازور على علج من الاعلاج كان قد حمل علينا
فاستقبلته وجعلت تنازله بالسيف فضربها العلج بسيفه على قحف رأسها فسال دمها وسقطت
الى الارض فصاحت عفيرة بنت عفان حين نظرتها صريعة ونادت فجع والله ضرار في أخته
فأخذت رأسها على ركبتها والدم قد صبغ شعرها كالشقائق فقالت لها كيف تجدك قالت
أنا بخير ان شاء الله تعالى ولكني هالكة لا محالة فهل لك علم باخي ضرار فقالت عفيرة يا ابنة
الازور ما رأيته فقالت خولة اللهم اجعلني فداء أخي ولا تفجع به الاسلام قالت عفيرة فجهدت
أن تقوم معي فلم تقم فحملناها الى أن أتينا بها موضعها فلما كان الليل رأيتها وهي تدور تسقي
الرجال وكأن ليس بها ألم قط ونظر اليها أخوها والضربة في رأسها فقال لها ما بك فقالت ضربني
علج قتلته عفيرة فقال لها يا أختاه أبشري بالجنة فقد أخذت لك بثار الضربة مرارا وقتلت
منهم أعدادا قال ولم يزل الحرب من أول النهار وكلما قرب الليل يزيد ويشتعل ضرامها وأبو عبيدة
يقاتل برايته والامراء يفعلون كفعله الى أن فصل بينهما الظلام وقد قتل من الروم يوم التعوير
أربعون ألفا أو يزيدون ونقل عن خالد أنه انقطع في يده ذلك اليوم تسعة أسياف ولقد أخبرنا
عن خالد بن الوليد عمن حضر قتال اليرموك وشاهده قال كان بعد قتال خالد بمائة رجل من
شجعان الرجال قال حازم بن معن وبرز من المشركين في قلب الوقعة أصحاب الديباج والحرير
والتجافيف على الخيول الشهب والبلق كأنها من الجبال الراسيات فلما برزوا غاصوا في القلب
وكروا كرة واحدة ورفعوا في وسطهم صليبا من الجوهر وحملت ميمنتهم على ميسرتنا وميسرتهم
على ميمنتنا وقد شردوا الى النساء والنساء يضربن وجوههم فجعلن يصحن بهم الله الله لا تغموا
الاسلام بهزيمتكم واتقوا ربكم قال كان بين يدي أبي عبيدة رجل من محرز اسمه نجم بن
مفرح وكان من خطباء العصر وأفصح العرب لسانا وأجرئها جنانا وكان رفيع الصوت حسنه
جدا فخطب فقصده العرب والفصحاء يسمعون ما ينطق به من نظمه ونثره (قال الواقدي رحمه
الله تعالى) حدثني عبد الملك بن محمد عن أبيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد عن عوف
عن موسى بن عمران اليشكري قال رأيت نصر بن مازن وهو بجامع النيل يحدث عن وقعة
اليرموك قال ما رد الناس عن الهزيمة بعد قضاء الله الى نصرة الاسلام الا غلام رجل من بني
محلرب يقال له نجم بن مفرح وكان لا يتكلم الا بالسجع تؤلفه بحسن نظمه ولقد حفظنا منه
يوم اليرموك ما نحن نذكره عنه ولقد بلغني أن البلغاء الفصحاء المتأخرين مثل الاخمعي وأبي
عبيدة اللغوي ينسجان على منواله في حسن كلامه فكان من جملة ما وعظ به المسلمين يوم اليرموك
وقت هزيمتهم أيها الناس هذا يوم له ما بعده وقد عاينتم قربه من بعده ولن تنالوا الجنة الا بالصبر
على المكاره وتالله لا ينالها من هو للجهاد كاره وينشد

وقد في عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره

وأعلى الدرجات درجة الشهاده فارضوا عالم الغيب والشهادة وهذا الجهاد قد قام على ساقه وكسد النفاق في أسواقه وأخفى نفاقه في انفاقه وأنتم أصحاب نبي العصر فأبشروا من الثبات والنصر بشروا روح المصطفى بثباتكم وقوموا العزم بصفاء نياتكم واياكم أن تولوا الادبار فتستوجبوا عذاب النار وغضب الجبار فوالذي قدر الاقدار وأدار الفلك الدوار وكل شئ عنده بمقدار لقد تزينت لكم الحور العين بأيديهم أباريق وكاس من معين لمن طلب دار البقا هان عليه ما يلقى فحققوا حملتكم تنالوا بغيتكم واطعنوا الصدور تنالوا الحور وشرعوا الأسنه تنالوا الجنه واغتنموا الصبر يكتب لكم الاجر بشروا المؤمنين بحسن عملكم واياكم أن تضلوا عن سبيلكم لا توافقوا الكفار في جهنم واعدلوا عن طريق قولهم ووافقوا من سلف من أسلافكم في فعلهم واسمعوا ما نزل في القرآن من أجلكم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون سيروا فقد سبق المفردون واجتهدوا فقد فاز المجتهدون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال وحمل خالد بن الوليد بعصابة حمراء وهو يفزع الروم باسمه ويقول أنا خالد بن الوليد فبرز اليه بطريق يقال له النسطور وعليه الديباج فأقبل يدعو خالدا ويهمهم وخالد في القتال لا يشعر به ولا يدري ما يقول فعند ما سمعه بوطن عطف عليه فاقتتلا قتالا شديدا فبينما هما في أشد القتال اذ كبا بخالد الجواد فوقع الفرس على يديه وهوى خالد على أم رأسه فقال الناس لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وخالد يقول حي حي فعلا البطريق على ظهر خالد في عثرته وقد سقطت قلنسوته من رأسه فصاح قلنسوتي رحمكم الله فأخذها رجل من قومه من بني مخزوم وناوله اياها فأخذها خالد ولبسها فقيل له فيما بعد يا أبا سليمان أنت في مثل هذا الحال من القتال وأنت تقول قلنسوتي فقال خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه في حجة الوداع أخذت من شعره شعرات فقال لي ما تصنع بهؤلاء يا خالد فقلت أتبرك بها يا رسول الله وأستعين بها على القتال على أعدائي فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال منصورا ما دامت معك فجعلتها في مقدمة قلنسوتي فلم ألق جمعا قط الا انهزموا ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم شدها بعصابة حمراء وحمل على النسطور وضربه على عاتقه فأخرج السيف من علائقه وانكسر من بقي من ملوكهم وكرهوا البراز بعد ذلك فكان يدعوهم الى البراز فلا يخرج اليه أحد ولم يزل يضرب فيهم بسيفه حتى كل فاشفق عليه الحرث بن هشام المخزومي فقال لابي عبيدة أيها الامير لقد قضى خالد ما يجب عليه وأدى السيف حقه فلو أمرته أن يريح نفسه فقال فمشى أبو عبيدة اليه وجعل يعزم عليه أن لا يتقدم ويسأله أن يريح نفسه فقال خالد أيها الامير أما والله لاطلبن الشهادة بكل وجه فان أخطأتني فالله يعلم نيتي وحمل فلم يرجع عن حملته حتى جلاها وذلك أن كل المسلمين استعفوه في حملته وأقبلوا على القتال من بعد هزيمتهم والنساء أمام الرجال ولم يزل الحرب بين الفريقين حتى انقلبت الروم على أعقابها

وقد

وقد قتل منهم ألوف عديدة وأما أصحاب السلاسل فانحطم أكثرهم ووطئتهم الخيل بحوافرها
ولم يزل القتال بينهم حتى مالت الشمس بغروبها وانفصل الجمعان وقد جرت الدماء بينهم
وفرشت الارض بالقتلى والجراح فاشية في الجمعين لكن في الروم أكثر ورجع كل قوم الى
صلاح شأنهم ومداواة جراحهم وأما النساء فأصلحن الطعام وشددن الجروح وداوين السقام
ولم يقل أبو عبيدة لاحد من المسلمين من يكون الليلة على حرس المسلمين لما عندهم من التعب بل
انه تولى الحرس بنفسه ومعه جماعة من المسلمين قال فبينما هو يدور اذ رأى فارسين قد لقياه
وهما يدوران بدورانه فكلما قال لا اله الا الله قالا محمد رسول الله ﷺ فقرب أبو عبيدة منهما فاذا
هما الزبير بن العوام وزوجته أسماء بنت أبي بكر الصديق فسلم عليهما وقال يا ابن عمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما الذي أخرجكما قال الزبير نحرس المسلمين وذلك أن أسماء قالت لي يا ابن
عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلمين مشتغلون بأنفسهم في هذه الليلة عن الحرس بما
لحقهم من التعب في الجهاد طول يومهم فهل لك أن تساعدني على حرس المسلمين فأجبتها الى
ذلك فشكرهما أبو عبيدة وعزم عليهما أن يرجعا فلم يفعلا ولم يزالا كذلك الى الصباح (قال
الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني أبو عبيدة عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير ان أبا
الجعد كان رئيسا من رؤساء أهل حمص فلما اجتمعت الروم على المسلمين في اليرموك دخلوا
على حمص ونزلوا في بلد تسمى الزراعة وكان أبو الجعد هذا قد جعلها مسكنه لطيب هوائها ومائها
وانتقل من حمص اليها فنزل عسكر الروم على الزراعة عنده وكان فيها عرس لابي الجعيد
وزوجته تزف عليه في تلك الليلة قال فتكلف أبو الجعيد بضيافة الروم وأكرمهم وأطعمهم
وسقاهم الخمر فلما فرغ من أمورهم قالوا هات امرأتك الينا فأبى ذلك وسبهم فأبوا الا
أخذ العروس فلما شنع عليهم بذلك عمدوا الى العروس وأخذوها كرها منه وعبثوا بها
بقية ليلتهم فبكى أبو الجعيد من حزنه ودعا عليهم فقتلوا أولاده وكان له ولد من زوجة غيرها
قال فأقبلت أم الفتى فأخذت رأس ولدها في خمارها وأقبلت به الى مقدم ذلك الجيش ورمت
الرأس اليه وشكت حالها وقالت له انظر ما صنع أصحابك بولدي فغد بحق فلم يعبأ بكلامها فقالت
له أم الفتى والله لتنصرن العرب عليكم ورجعت وهي تدعو عليه فما كان الا يسير حتى هلكوا
في أيدي المسلمين قال فلما كان يوم اليرموك بعد ما قتل القسطور أتى أبو الجعيد الى عساكر
المسلمين وقال لخالد اعلم أن هذا الجيش النازل بازائكم جيش عظيم ولو سلموا أنفسهم اليكم
للقتل لما فرغتم من قتلهم الا في المدة الطويلة فان كدتهم لكم في هذه الليلة بمكيدة تظفرون
بها عليهم ماذا تعطوني قالوا نعطيك كذا وكذا ولا تؤدي جزية أنت وولدك وأهل بيتك ونكتب
لك بذلك عهدا الى آخر عقبك ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ فلما استوثق منهم لنفسه
مضى الى الروم وهم لا يعلمون وأتى الى واد عظيم مملوء ماء فأنزل الروم الى جانبه وقال لهم ان هذا
المنزل به العرب وأنا أكيد لكم العرب بمكيدة يهلكون بها قال وجعل الناقوصة فيما بين
الروم والعرب ولم يعلم أحد من الروم ما عمقها قال فلما كان يوم التعوير وعلم أبو الجعيد أن
النصر للعرب وأن العرب هم المنصورون جاء أبو الجعيد الى أبي عبيدة فوجده يطوف تلك
الليلة هو وجماعة من المسلمين المهاجرين فقال لهم ما تعدوكم قالوا وما نصنع قال اذا كانت ليلة

غدفا كثروا من النيران ثم رجع الى الروم لينصب عليهم حيلة فلما كانت الليلة الثانية أوقد
المسلمون أكثر من عشرة آلاف نار فلما اشتعلت النيران أقبل اليهم أبو الجعيد فقالوا قد أشعلنا
النيران كما أردت فما بعد ذلك قال أريد منكم خمسمائة رجل من أبطالكم حتى أشير عليهم
بما يصنعون ﴿قال الواقدي﴾ فاختار من المسلمين خمسمائة رجل من جملتهم ضرار بن الازور
وعياض ورافع وعبد الله بن ياسر وعبد الله بن أوس وعبد الله بن عمرو عبد الرحمن بن أبي بكر
وغانم بن عبد الله ومثل هؤلاء السادات فلما اجتمعوا سار بهم أبو الجعيد على غير المخاضة وقصد
بهم عسكر الروم فلما كادوا أن يطؤهم أخذ أبو الجعيد منهم رجالا ودلهم على المخاضة ولم يكن
يعلم بها أحد سواه ممن سكن اليرموك وقال لهم ناوشوهم الحرب ثم انهزموا ودعوني واياهم
ففعلوا ذلك وصاحوا فيهم وحملوا ثم انهزموا قدامهم نحو المخاضة فعند ذلك صاح أبو الجعيد
برفيع صوته يا معاشر الروم دونكم ومن انهزم فهؤلاء المسلمون قد أوقدوا نيرانهم وعولوا على
الهرب قال فأقبلت الروم على حال عجلة يظنون أن ذلك حق فبعضهم ركب جواده عريانا
وبعضهم راجل وساروا في طلب المنهزمين وأبو الجعيد يعدو بين أيديهم الى أن أوقفهم على
الناقوصة وقال لهم هذه المخاضة دونكم واياهم فأقبلوا يتساقطون في الماء كتساقط الجراد حتى
هلك في الماء مالا يعد ولا يحصى عددا ولا يدركه جنان فسمتها العرب الناقوصة لنقص الروم
﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ هذا ما جرى للروم ولا يعلم الاول بما جرى للآخر حتى أصبحوا
فنظروا المسلمين في أماكنهم فعلموا أنهم قد دهموا في الليل وقل عددهم وتبدد شملهم فقال
بعضهم لبعض من كان الصائح في ليلتنا قال الرجل الذي عشتم بزوجته وقتلتم ولده وقد أخذ
بثاره منكم قال فلما أصبح ماهان وعلم الحقيقة وعلم ما نزل بأصحابه علم أنه هالك لا محالة وأن
العرب ظافرون عليه فبعث الى قورين فقال ما ترى أن أصنع وقد ظهرت العرب علينا وان حملوا
علينا حملة لم ينفلت منا أحد فهل لك أن تسأ لهم أن يؤخروا القتال حتى نفعل الحيلة في خلاص
أنفسنا فقال قورين افعل ذلك قال فدعا ماهان برجل من لخم و بعثه الى المسلمين يقول لهم
اعلموا ان الحرب سجال والدنيا زوال وقد مكرتم بنا فلا تبغوا فالبغي له مصرع وأخروا الحرب
عنا يومنا هذا فاذا كان غد يكون الانفصال بيننا وبينكم قال فأقبل اللخمي الى أبي عبيدة
وبلغه الرسالة فهم أبو عبيدة أن يجيبهم الى ذلك فمنعه خالد من ذلك وقال له لا تفعل أيها الامير
فما عند القوم خير بعد ذلك فقال أبو عبيدة ارجع الى صاحبك وقل له لا نؤخر عنك القتال
وانا على عجل من أمرنا فرجع الرسول الى ماهان فأعلمه بجواب أبي عبيدة فعظم عليه وكبر لديه
وكفر وتجبر وقال لقد كنت أتربص بنفسي عن العرب أرجو بذلك الصلح فوحق الصليب
لا يبرز لهم غيري ثم صرخ بالروم وأصحاب سرير الملك ومن كان يتكل عليه في الشدائد وأمرهم
أن يأخذوا الاهبة فاستعدوا وخرج ماهان في مقدم الجيش والصليب أمامه واذا بالمسلمين
أخذوا مصافهم للقتال وذلك ان أبا عبيدة صلى بالمسلمين صلاة الفجر وأمرهم بالسرعة للقتال
وأخذ مواضعهم للعرب ففعلوا وقد أيقنوا أنهم منصورون على عدوهم وصف أبو عبيدة
أصحاب الرايات ووقف هو وخالد في الخيل المعر وفة بخيل الزحف وطلعت الشمس وخرج
جرجير هو وبعض ملوك الروم ودعا بالبراز وقال لا يبرز لي الا أمير العرب فسمعه أبو عبيدة فسا

الراية الى خالد وقال أنت للراية يا أبا سليمان فان عدت من قتاله فالراية لي وان هو قتلني فأمسك رايتك حتى يرى عمر رأيه فقال خالد أنا اقتاله دونك فقال أبو عبيدة لا هو طلبني ولا بدّ لي من الخروج اليه وأنت شريكي في الاجر فخرج أبو عبيدة وما أحد من المسلمين الا وهو كاره لذلك فاقبلوا يسألونه فلج في الخروج فتركوه ورأيه فلما قرب أبو عبيدة من جرجير وعاينه قال له أنت أمير هذا الجيش فقال أبو عبيدة انا ذلك وقد أجبتك الى ما طلبت من أمر البراز فدونك وعرض الميدان فاما هزمتكم أو قتلتك وأقتل ماهان بعدك فقال جرجير أمة الصليب تغلبكم وحمل جرجير على أبي عبيدة وحمل أبو عبيدة على جرجير وطال بينهما القتال وبقي خالد ينظر الى أبي عبيدة ويدعوله بالسلامة والنصر وجميع المسلمين يدعون له قال وفر جرجير أمام أبي عبيدة وأخذ في عرض الجيش وطلب في فرار جيش المشركين في الميمنة وتبعه أبو عبيدة على أثره فعندها عطف عليه جرجير وخرج كأنه الابرق والتقيا بضربتين فكان أبو عبيدة أسبق فوقعت الضربة على عاتق جرجير فخرجت من علاقته فكبر عند ذلك أبو عبيدة وكبر المسلمون ووقف أبو عبيدة على مصرع جرجير وجعل يتعجب من عظم جثته ولم يأخذ من سلبه شيأ فنادى به خالد لله درك أيها الامير ارجع الى رايتك فقد قضيت ما يجب عليك فلم يرجع أبو عبيدة فاقسم عليه المسلمون أن يرجع فرجع وأخذ الراية من يد خالد ونظر ماهان الى جرجير فعظم ذلك عليه وكبر لديه لانه كان ركنا من أركانهم فهم بالهزيمة ثم قال في نفسه ماذا يكون عذري عند هرقل ولا بدّ أن أبرز الى الحرب فان قتلت فقد استرحت من العار وان سلمت كان لي عند الملك عذر أحسن من أن أولي الدبار ثم انه أعلم رجاله أنه يريد المبارزة بنفسه وأخذ عدته ولبس زينته وخرج كأنه جبل ذهب يلمع ثم جمع اليه البطارقة والقسوس والرهبان وقال لهم ان الملك هرقل كان أعلم منكم بهذا الامر وانه أراد الصلح فخالفتموه فها أنا أبرز اليهم بنفسي فتقدم اليه بطريق من بطارقة السرير وكان فيه نسك ودين وكان يعظم الكنائس والرهبان ويتبع ما فرض عليه في الانجيل وكان يقرب من جرجير في النسب فلما علم بقتله عظم عليه وقال وحق الصليب لابرزن الى المسلمين وآخذ بالثار فاما أن ألحق به واما أن أقتل قاتله ثم قال لماهان قد تعين على الجهاد وأنا أؤدي فرض المسيح ولا بدّ لي من المبارزة قال فتركه ماهان فخرج وكان اسمه جرجيس وكان عليه درع وعلى الدرع ثوب حديد متقلد بسيفه ومعه قمطاريه وعوذته القسوس وبخروه ببخور الكنائس وأقبل اليه راهب عمورية وأعطاه صليبا كان في عنقه وقال هذا الصليب من أيام المسيح يتوارثه الرهبان ويتمسحون به فهو ينصرك فأخذه جرجيس ونادى البراز بكلام عربي فصيح حتى ظن الناس أنه عربي من المتنصرة فخرج اليه ضرار بن الازور كأنه شعلة نار فلما قاربه ونظر اليه والى عظم جثته ندم على خروجه بالعدة التي أثقلته فقال في نفسه وما عسى يغني هذا اللباس اذا حضر الاجل ثم رجع موليا فظن الناس أنه ولى فزعا فقال قائل منهم ان ضرارا قد انهزم من العلج وما ضبط عنه قط أنه انهزم وهو لا يكلم أحدا حتى سار الى خيمته ونزع ثيابه وبقي بالسراويل وأخذ قوسه وتقلد بسيفه وجحفته وعاد الى الميدان كأنه الظبية الخمصاء فوجد مالكا النخعي قد سبقه الى البطريق وكان مالك من الخطاط اذا ركب الجواد تسحب رجلاه على الارض فنظر ضرار فاذا بمالك ينادي العلج تقدم يا عدو

الله يا عابد الصليب الى الرجل الخبيث أبصر محمد الحبيب فلم يجبه العلج لما داخله من الخوف منه قال فجال عليه وهم أن يطعنه فلم يجد للطعنة مكاناً لما عليه من الحديد فقصد جواده وطعنه في خاصرته فخرج السنان يلمع من الجانب الآخر فنفر الجواد من حرارة الطعنة وهم مالك أن يخرج الرمح فلم يقدر لانه قد اشتبك في ضلوع الجواد وهو على ظهره لم يقدر أن يتحرك لانه خرير في ظهر الجواد يزئر الى سرجه فنظر المسلمون الى ضرار وقد أسرع اليه مثل الظبية حتى وصل اليه وضربه بسيفه على هامته فشطرها نصفين وأخذ سلبه فأتاه مالك وقال ما هذا يا ضرار تشاركني في صيدي فقال ما أنا بشريكك وانما أنا صاحب السلب وهو لي فقال مالك أنا قتلت جواده فقال ضرار رب ساع لقاعد آكل غير حامل فتبسم مالك وقال خذ صيدك هنأك الله به قال ضرار انما أنا مازح في كلامي خذه اليك فوالله ما آخذ منه شيأ وهو لك وأنت أحق به مني ثم انتزع سلب العلج وحمله على عاتقه وما كاد أن يمشي به وهو يتصبب عرقاً قال زهير ابن عابد ولقد رأيته وهو يسير به وهو راجل ومالك فارس حتى طرحه في رحل مالك فقال أبو عبيدة بأبي وأمي والله قوم وهبوا أنفسهم لله وما يريدون الدنيا قال فلما قتل البطريق قص جناح ماهان فصاح بقومه وجمعهم اليه وقال لهم اسمعوا يا أصحاب الملك وبلغوه عني أني ما تركت جهدي في نصرة هذا الدين وحاميت عن الملك وقاتلت عن نعمته وما أقدر أن أغالب رب السماء لانه قد نصر العرب علينا وملكهم بلادنا والآن مالي وجه أرجع به الى الملك حتى أخرج الى الحرب وأبرز الى مقام الطعن والضرب وعزمت أن أسلم الصليب الى أحد كم وأبرز الى قتال المسلمين فان قتلت فقد استرحت من العار ومن توبيخ الملك لي وان رزقت النصر وأثرت في المسلمين أثراً ورجعت سالماً علم الملك أني لم أقصر عن نصرته فقالوا أيها الملك لا تخرج الى الحرب حتى نخرج نحن الى القتال قبلك فاذا قتلنا فافعل بعد ما شئت قال فحلف ماهان بالكنائس الاربع لا يبرز أحد قبله قال فلما حلف أمسكوا عنه وعن مراجعته ثم انه دعا بابن له فدفع اليه الصليب وقال قف مكاني وقدم لماهان عدة فأفرغت عليه ﴿وقال الواقدي﴾ وبلغنا أن عدته التي خرج بها الى الحرب تقومت بستين ألف دينار لان جميعها كان مرصعاً بالجوهر فلما عزم على الخروج تقدم له راهب من الرهبان فقال أيها الملك ما أرى لك الى البراز سبيلاً ولا أحبه لك قال ولم ذلك قال لاني رأيت لك رؤيا فارجع ودع غيرك يبرز فقال ماهان لست أفعل والقتل أحب الي من العار قال فنخروه وودعوه وخرج ماهان الى القتال وهو كأنه جبل ذهب يبرق وأقبل حتى وقف بين الصفين ودعا الى البراز وخوف باسمه فكان أول من عرفه خالد بن الوليد فقال هذا ماهان هذا صاحب القوم قد خرج ووالله ما عندهم شئ من الخير قال وماهان يرعب باسمه فخرج اليه غلام من الاوس وقال والله أنا مشتاق الى الجنة وحمل ماهان وبيده عمود من ذهب كان تحت فخذه فضرب به الغلام فقتله وعجل الله بروحه الى الجنة قال أبو هريرة رضي الله عنه فنظرت الى الغلام عند ما سقط وهو يشير بأصبعه نحو السماء ولم يمهله ما لحقه فعلمت أن ذلك لفرحه بما عاين من الحور العين قال فجال ماهان على مصرعه وقوي قلبه ودعا الى البراز فسارع المسلمون اليه فكل يقول اللهم اجعل قتله على يدي وكان أول من برز مالك النخعي الاشتر رضي الله عنه وساواه في الميدان فابتدره ماهان بالكلام

وقال له أيها العلج الاغلف لا تغتر بمن قتلته وانما اشتاق صاحبنا الى لقاء ربه ومامنا الا من هو مشتاق الى الجنة فان أردت مجاورتنا فى جنات النعيم فانطق بكلمة الشهادة أو أداء الجزية والا فأنت هالك لا محالة فقال له ماهان أنت صاحبي خالد بن الوليد قال لا أنا مالك النخعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهان لا بد لى من الحرب ثم حمل على مالك وكان من أهل الشجاعة فاجتهدا فى القتال فأخرج ماهان عموده وضرب به مالكا على البيضة التى على رأسه فغاصت فى جبهة مالك فشترت عينيه فمن ذلك اليوم سمى بالاشتر قال فلما رأى مالك مانزل به من ضربة ماهان عزم على الرجوع ثم فكر فيما عزم عليه فدبر نفسه وعلم أن الله ناصره قال والدم فائر من جبهته وعدو الله يظن أنه قتل مالكا وهو ينظره متى يقع عن ظهر فرسه واذا بمالك قد حمل وأخذته أصوات المسلمين يامالك استعن بالله يعنك على قرينك قال مالك فاستعنت بالله عليه وصليت على رسول الله وضربته ضربة عظيمة فقطع سيفى فيه قطعا غير موهن فعلمت ان الاجل حصين فلما أحس ماهان بالضربة ولى ودخل فى عسكره ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ ولما ولى ماهان بين يدى مالك الاشتر منهزما صاح خالد بالمسلمين يا أهل النصر والبأس احملوا على القوم ماداموا فى دهشتهم ثم حمل خالد ومن معه من جيشه وحمل كل الامراء بمن معهم وتبعهم المسلمون بالتهليل والتكبير فصبرت لهم الروم بعض الصبر حتى اذا غابت الشمس وأظلم الافق انكشفت الروم منهزمين بين أيديهم وتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون كيف شاؤا فقتلوا منهم زهاء من مائة ألف وأسروا مثلها وغرق فى الناقوصة منهم مثلها وأمم لا تحصى وتفرق منهم فى الجبال والاودية وخيول المسلمين من ورائهم يقتلون ويأسرون ويأتون من الجبال بالاسارى ولم يزل المسلمون يقتلون ويأسرون الى أن راق الليل فقال أبو عبيدة اتركوهم الى الصباح فتراجعت المسلمون وقد امتلأت أيديهم من الغنائم والسرادقات وآنية الذهب والفضة والزلازل والنمارق والطنافس ﴿قال الواقدى﴾ ووكل أبو عبيدة رجالا من المسلمين بجمع الغنائم وبات المسلمون فرحين بنصر الله حتى أصبحوا فاذا ليس للروم خبر ووقع أكثرهم فى الناقوصة فى الليل (قال عامر) بن ياسر حدثنى نوفل بن عدى عن جابر بن نصر عن حامد بن مجيد قال أراد أبو عبيدة أن يحصى عدد المشركين فلم يقدر أن يحصى ذلك فأمر بقطع القصب من الوادى وجعل على كل قتيل قصبة ثم عدوا القصب فاذا القتلى مائة ألف وخمسة آلاف والاسارى أربعون ألفا غير ماغرق فى الناقوصة وقتل من المسلمين أربعة آلاف ووجد أبو عبيدة رؤسا فى اليرموك فلم يعلم أهم من العرب أم من الروم قال ثم انه صلى على قتلى المسلمين وسار فى طلبهم الى الجبال والاودية واذا هم براع قد استقبلهم فسألوه هل مر بك أحد من الروم قال نعم مر بى بطريق ومعه زهاء من أربعين ألفا ﴿قال الواقدى﴾ وكان ذلك ماهان لعنه الله تعالى فاتبعهم خالد بن الوليد وجعل يقفو أثرهم ومعه عسكر الزحف فأدركهم على دمشق ولما أشرف عليهم كبر وكبر المسلمون وحملوا ووضعوا فيهم السيف فقتل منهم مقتلة عظيمة وكان ماهان قد ترجل عن جواده وقيل انه ترجل ينكر نفسه ويسلم من القتل فأتاه رجل من المسلمين فحامى عن نفسه فقتله الرجل وكان قاتله النعمان بن جهلة الازدى وعاصم بن خوال اليربوعى وقد اختلفوا فى أيهما قتل

ماهان ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ وخرج أهل دمشق الى لقاء خالد وقالوا له نحن على عهدنا الذي كان بيننا وبينكم قال خالد أنتم على عهدكم ومضى في طلب الروم يقتلهم حيث وجدهم حتى انتهى الى ثنية العقاب وأقام تحتها يوما ثم مضى الى حمص ونزل بها وبلغ ذلك أباعبيدة فسار حتى لحق به فيمن معه قال والامراء في طلب الروم من كل جهة من الشام ثم اجتمعوا وعادوا الى دمشق وجمع أبوعبيدة الغنائم وأخرج منها الخمس وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتاب البشارة بالفتح بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم من أبي عبيدة عامر بن الجراح أما بعد فأنا أحمد الله الذي لا اله الا هو وأشكره على ما أولانا من النعم وخصنا به من كرمه ببركات نبي الرحمة وشفيع الامة صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين أني نزلت اليرموك ونزل ماهان مقدم جيوش الروم بالقرب منا ولم ير المسلمون أكثر جمعا منه فأقصى الله تلك الجموع ونصرنا عليهم بمنه وكرمه وفضله فقتلنا منهم زهاء من مائة ألف وخمسة آلاف وأسرنا منهم أربعين ألفا واستشهد من المسلمين أربعة آلاف ختم الله لهم بالشهادة ووجدت في المعركة رؤسا مقطوعة لم أعرفها فصليت عليها ودفنتها وقتل ماهان على دمشق قتله عاصم بن خوال وقد كان قبل وقعة الانفصال نصب عليهم رجل منهم يقال له أبو الجعيد من أهل حمص حيلة فألقاهم في موضع يقال له الناقوصة فغرق منهم ما لا يحصى عددهم الا الله تعالى وأما من قتل من المشركين في الاودية والجبال من المنهزمين وغيرهم وأخذت عدتهم فتسعون ألفا وقد ملكنا أموالهم وخيولهم وحصونهم وبلادهم وكتبنا اليك هذا الكتاب بعد الفتح ونزلنا في دمشق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى جميع المسلمين وطوى الكتاب وختمه ودعا بحذيفة بن اليمان ودفع الكتاب اليه وضم اليه عشرة من المهاجرين والانصار وقال لهم سيروا بكتاب الفتح والبشرى الى أمير المؤمنين وبشروه بذلك وأجركم على الله فأخذ حذيفة الكتاب وسار هو والعشرة من وقتهم وساعتهم يجدون السير ليلا ونهارا حتى قربوا من المدينة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) قال عبد الله بن عوف المالكي عن أبيه قال لما هزم الله الروم في اليرموك وكان من أمرهم ما كان رأى عمر بن الخطاب ليلة هزيمة الروم رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في الروضة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان عمر يسلم عليهما ويقول يا رسول الله ان قلبي مشغول على المسلمين وما صنع الله بهم وقد بلغني أن الروم في ألف ألف وستين ألفا فقال يا عمر أبشر فقد فتح الله على المسلمين وقد انهزم عدوهم وقتل كذا وكذا ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا الآية قال فلما كان من الغد صلى عمر بالناس صلاة الفجر وأعلم الناس بما رأى في منامه قال فاستبشر المسلمون وفرحوا وعلموا أن الشيطان لا يتمثل بالنبي صلى الله عليه وسلم وأرخوا تلك الليلة فكانت كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فسجد عمر لله شكرا ووصله الكتاب فقرأه عمر على الناس فارتفعت أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم قال يا حذيفة فهل قسم أبو عبيدة الغنائم فقال يا أمير المؤمنين هو منتظر كتابك وأمرك فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب الى أبي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد

الله عمر بن الخطاب الى عامله بالشام سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم وقد فرحت بما فتح الله على المسلمين من نصرتهم وانهزام عدوهم فاذا
وصل اليك كتابى هذا فاقسم الغنيمة بين المسلمين وفضل أهل السبق وأعط كل ذى حق حقه
واحفظ المسلمين واكلأهم واشكرهم على صبرهم وفعالهم وأقم موضعك حتى يأتيك أمرى
والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه لحذيفة بن اليمان
فأخذه حذيفة وسار حتى ورد على أبى عبيدة فوجده على دمشق فسلم عليه وعلى المسلمين
وناوله الكتاب فلما قرأه على المسلمين قسم الغنائم فأصاب الفارس أربعة وعشرين ألف مثقال
من الذهب الاحمر والراجل ثمانية آلاف وكذلك من الفضة وأعطى الفرس الهجين سهما
والفرس العتيق سهمين وألحق القادمين بالعراب فلما فعل أبو عبيدة ذلك قال أصحاب الحمر
ألحقنا بالعراب فقال أبو عبيدة انى قسمت عليكم بما قسم النبى صلى الله عليه وسلم الغنيمة
بين أصحابه فلم يقبلوا قوله فكتب الى عمر بذلك يعلمه باختلاف الناس فى الخيل والهجين
والعراب فكتب اليه عمر يقول أما بعد فقد عملت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تتعد
حكمه فأعط الفرس العربى سهمين والهجين سهما واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
عرب العربى وهجن الهجين يوم خيبر فجعل للهجين سهما وللعربى سهمين فلما ورد الكتاب
على أبى عبيدة وقرأه على المسلمين قال ما أراد أبو عبيدة أن يحقر رجلا منكم ولكن
تبعت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما قسم أبو عبيدة
الغنائم على المسلمين قال له خالد بن الوليد ان رجلا من المسلمين تشفع بى اليك أن تلحق فرسه
الهجين بفرسه العتيق العربى وتعطيه سهمين فأبى أبو عبيدة وقال والله ان سف التراب
أحب الى من ذلك وروى عثمان أن ابن الزبير قال شهدت جدى الزبير بن العوام يوم اليرموك
ومعه فرسان يتعقب عليهما للقتال يركب هذا يوما وهذا يوما فلما كان وقت قسم الغنائم
أعطاه أبو عبيدة ثلاثة أسهم له سهم ولفرسه سهمان فقال الزبير أما تصنع بى كما صنع بى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر كان معى فرسان فاسهمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
خيبر خمسة أسهم لفرسى أربعة وأعطانى سهما وقال المقداد بن عمر وكنت أنا وأنت يوم بدر
ومعنا فرسان لا غيرهما فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهما سهما للفرسين قال أبو
عبيدة انك لصادق يا مقداد أنا أتبع فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطى الزبير وأقبل
جابر بن عبد الله الانصارى فشهد عند أبى عبيدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى الزبير
يوم خيبر خمسة أسهم فلما فعل ذلك أتى رجال من رجال العرب لكل واحد منهم أربعة أفراس
وخمسة أفراس فقالوا ألحقنا بالزبير قال فاستأذن عمر فى ذلك فقال صدق الزبير ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أعطاه يوم خيبر خمسة أسهم فلا تعط غيره مثله وروى عروة عن أبى الزبير قال
لقى الزبير غلاما كان قد وقع بيده يوم غنيمة عمان فهرب منه فلما كان يوم اليرموك قبل قسم الغنائم
عرفه فقبض عليه وأخذ بيده فقال له الموكل على حفظ الغنيمة لست أدعك فبينما هما فى
المحاورة اذ أقبل أبو عبيدة فقال ما بالكما فقال الزبير أيها الامير هذا غلامى وصل الى من غنيمة
عمان وهرب منى وقد رأيته الآن فلا بد لى منه فقال أبو عبيدة صدق ابن عمة رسول الله صلى الله

عليه وسلم هوله وأنا سلمته له من غنيمة عمان فسلمه اليه فأخذه الزبير قال زيد المرادى هربت منا
جارية الى العدو فظفرنا بها يوم اليرموك فى قسم الغنائم فكلمنا أبا عبيدة فيها فكتب الى عمر
فرد اليه الجواب ان كانت جارية حربية ففيها السهام والا فلا سبيل اليها وان كانت لم تجر فيها
السهام فردوها فكان القوم لا يرضون بهذا من أبى عبيدة فقال أبو عبيدة والله الذى لا اله الا
هو هذا كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يحكم بما أمرتكم فقبل قوله ودفع الجارية الى
القسم (قال الواقدى) حدثنى لؤى بن عبد ربه عن سالم مولى حذيفة بن اليمان عن القاسط
ابن سلمة عن عدى بن عاصم عمن حدثه عن فتوح الشام قال لما هزم الله الروم باليرموك على يد
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و بلغ الخبر الى هرقل بهزيمة جيشه وقد قتل ماهان وجرير
وغيرهم قال علمت أن الامر يصل الى هنا ثم أقام ينتظر ما يجرى من المسلمين

﴿ذكر فتح مدينة بيت المقدس﴾

﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ وأما ما كان من المسلمين فانهم أقاموا على دمشق شهرا فجمع
أبو عبيدة أمراء المسلمين وقال لهم أشيروا على بما أصنع وأين أتوجه فاتفق رأى المسلمين اما الى
قيسارية واما الى بيت المقدس فقال فما الذى ترون منهما فقالوا أنت الرجل الامين وما تسير الى
موضع الا ونحن معك فقال معاذ بن جبل اكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فحيث
أمرك فسر واستعن بالله فقال أصبت الرأى يا معاذ فكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
يعلمه أنه قد عزم على قيسارية أو الى بيت المقدس وأنه منتظر ما يأمره به والسلام وأرسل
الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعى وأمره بالمسير فسار حتى وصل المدينة فأوصل الكتاب لعمر
رضى الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فى الامر فقال على رضى الله تعالى عنه يا أمير
المؤمنين مر صاحبك أن يسير الى بيت المقدس فيحدق بها ويقاتل أهلها فهو خير الرأى
وأكبر واذا فتحت بيت المقدس فاصرف جيشه الى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى
كذا أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت يا أبا الحسن فكتب اليه بسم الله
الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله بالشام أبى عبيدة أما بعد فانى أحمد الله
الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه وقد ورد على كتابك وفيه تستشيرنى فى أى ناحية تتوجه اليها
وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير الى بيت المقدس فان الله سبحانه وتعالى
يفتحها على يديك والسلام عليك ثم طوى الكتاب ودفعه الى عرفجة وأمره أن يعجل المسير
فسار على قدم أبى عبيدة فوجده على الجابية فدفع الكتاب اليه فقرأه على المسلمين ففرحوا
بمسيرهم الى بيت المقدس فعندها دعا أبو عبيدة بخالد بن الوليد وعقد له راية وضم اليه خمسة
آلاف فارس من خيل الزحف وسرحه الى بيت المقدس ثم دعا بزيد بن أبى سفيان وعقد له
راية على خمسة آلاف وأمره أن يلحق بخالد الى بيت المقدس وقال له يا ابن أبى سفيان ما علمتك
الا ناصحا فاذا أشرفت على بلد ايلياء فارفعوا أصواتكم بالتهليل والتكبير واسألوا الله بجاه
نبيه ومن سكنها من الانبياء والصالحين أن يسهل فتحها على أيدى المسلمين فأخذ يزيد الراية
وسار يريد بيت المقدس فسار ثم دعا شرحبيل بن حسنة كاتب وحى النبى صلى الله عليه وسلم
وعقد له راية وضم اليه خمسة آلاف فارس من أهل اليمن وقال له سر بمن معك حتى تقدم

بيت المقدس وانزل بعسكرك عليها ولا تختلط بعسكر من تقدم قبلك ثم دعا بالمرقال بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وضم اليه خمسة آلاف فارس مع جمع من المسلمين وسرحه على أثر شرحبيل ابن حسنة وقال له انزل على حصنها وأنت منعزل عن أصحابك ثم عقد راية خامسة فسلمها للمسيب بن نجية الفزارى وأمره أن يلحق بأصحابه وضم اليه خمسة آلاف فارس من النخع وغيرهم من القبائل وعقد راية سادسة وسلمها الى قيس بن هبيرة المرادى وضم اليه خمسة آلاف فارس وسيره وراءهم ثم عقد راية سابعة وسلمها الى عروة بن مهلهل بن زيد الخيل وضم اليه خمسة آلاف فارس وسيره وراءهم فكان جملة من سرحه أبو عبيدة الى بيت المقدس خمسة وثلاثين ألفا وسارت السبعة امراء فى سبعة أيام فى كل يوم أمير وذلك كله يرهب به أعداء الله فبقى كل يوم ينزل عليه أمير بجيشه فكان أول من طلع عليهم بالراية خالد بن الوليد فلما أشرف عليهم كبر وكبر أصحابه فلما سمع أهل بيت المقدس ضجيج أصواتهم انزعجوا وتزعزعت قلوبهم وصعدوا على أسوار بلادهم فلما نظروا الى قلة المسلمين استحقروهم وظنوا أن ذلك جميع المسلمين فنزل خالد ومن معه مما يلى باب أريحاء وأقبل فى اليوم الثانى يزيد بن أبى سفيان وفى اليوم الثالث شرحبيل بن حسنة وأقبل فى اليوم الرابع المرقال وأقبل فى اليوم الخامس المسيب بن نجية وأقبل فى اليوم السادس قيس بن هبيرة فنزل وأقبل فى اليوم السابع عروة ابن مهلهل بن زيد الخيل فنزل مما يلى طريق الرملة قال عبد الله بن عامر بن ربيعة الغطفانى ما نزل أحد من المسلمين على بيت المقدس الا وكبر وصلى ما قدره الله عليه ودعا بالنصر والظفر على الاعداء ويقال ان خالدا كان هو وأبو عبيدة قال فلما مضى العسكر أقام أبو عبيدة وخالد و بقية المسلمين والذرارى والسواد والغنم وما أفاء الله على المسلمين من المواشى والاموال فلم يبرحوا من مكانهم قال وأقام العسكر على بيت المقدس ثلاثة أيام لا يبارزهم حرب ولا ينظرون رسولا يأتى اليهم ولا يكلمهم أحد من أهلها الا انهم قد حصنوا أسوارهم بالمجانيق والطوارق والسيوف والدرق والجواشن والزرد الفاخر قال المسيب بن نجية الفزارى ما نزلنا ببلد من بلاد الشام فرأينا أكثر زينة ولا أحسن عدة من بيت المقدس وما نزلنا بقوم الا وتضعضعوا الا وداخلهم الهلع وأخذتهم الهيبة الا أهل بيت المقدس نزلنا بازائهم ثلاثة أيام فلم يكلمنا منهم أحد ولا ينطقون غير أن حارسهم شديد وعدتهم كاملة فلما كان فى اليوم الرابع قال رجل من البادية لشرحبيل بن حسنة أيها الامير كأن هؤلاء القوم صم فلا يسمعون أو بكم فلا ينطقون أو عمى فلا يبصرون ازحفوا بنا اليهم فلما كان فى اليوم الخامس وقد صلى المسلمون صلاة الفجر كان أول من ركب من المسلمين من الامراء لسؤال أهل بيت المقدس يزيد بن أبى سفيان فشهر سلاحه وجعل يدنو من سورهم وقد أخذ معه ترجمانا يبلغه عنهم ما يقولون فوقف بازاء سورهم بحيث يسمعون خطابه وهم صامتون فقال لترجمانه قل لهم أمير العرب يقول لكم ماذا تقولون فى اجابة الدعوة الى الاسلام والحق وكلمة الاخلاص وهى كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله حتى يغفر لكم ربنا ما سلف من ذنوبكم وتحقنون بها دماءكم وان أبيتم ولم تجيبونا فصالحوا عن بلدكم كما صالح غيركم ممن هو أعظم منكم عدة وأشد منكم وان أبيتم هاتين الخالتين حل بكم البوار وكان مصيركم الى النار قال فتقدم الترجمان اليهم

وقال لهم من المخاطب منكم فكلمه قس من القساوسة عليه مدارع الشعر وقال أنا المخاطب
منهم ماذا تريد فقال الترجمان ان هذا الامير يقول كذا وكذا ويدعوكم الى احدى هذه
الخصال الثلاث اما الدخول في الاسلام أو اداء الجزية واما السيف قال فبلغ القس من ورائه
ماقال الترجمان قال فضجوا بكلمة كفرهم وقالوا لا نرجع عن دين العز والقبول وان قتلنا
أهون علينا من ذلك فبلغ الترجمان ذلك ليزيد قال فمشى الى الامراء وأخبرهم بجواب القوم قال
لهم ما انتظاركم بهم فقالوا ان الامير أبا عبيدة ما أمرنا القتال ولا بحرب القوم بل بالنزول
عليهم ولكن نكتب الى أمين الامة فان أمرنا بالزحف زحفنا فكتب يزيد بن أبي سفيان الى
أبي عبيدة يعلمه بما كان من جواب القوم فما الذي تأمر فكتب اليهم أبو عبيدة يأمرهم
بالزحف وأنه واصل في اثر الكتاب فلما وقف المسلمون على كتاب أبي عبيدة فرحوا واستبشروا
وباتوا ينتظرون الصباح (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ولقد بلغني أن المسلمين باتوا تلك
الليلة كأنهم ينتظرون قادما يقدم عليهم من شدة فرحهم بقتال أهل بيت المقدس وكل أمير يريد
أن يفتح على يديه فيتمتع بالصلاة فيه والنظر الى آثار الانبياء قال فلما أضاء الفجر أذن وصلت
الناس صلاة الفجر قال فقرأ يزيد لاصحابه يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم
ولا ترتدوا الآية فيقال ان الامراء أجرى الله على ألسنتهم في تلك الصلاة أن قرؤا هذه الآية
كأنهم على ميعاد واحد فلما فرغوا من الصلاة نادوا النفير النفير يا خيل الله اركبي قال فأول
من برز للقتال حمير ورجال اليمن وبرز المسلمون للحرب كأنهم أسود ضارية ونظر اليهم أهل
بيت المقدس وقد انشرحوا القتالهم فقبطهم ورشقوا المسلمين بالنشاب وكانت كالجراد
فجعل المسلمون يتلقونها بدرقهم فلم يزل الحرب بينهم من الغداة الى الغروب يقاتلون قتالا
شديدا ولم يظهروا فزعا ولا رعبا ولم يطمعوهم في بلدهم فلما غربت الشمس رجع الناس
وصلى المسلمون ما فرض الله عليهم وأخذوا في اصلاح شأنهم وعشائهم فلما فرغوا من ذلك
أوقدوا النيران واستكثروا منها لان الحطب عندهم كثير فبقي قوم يصلون وقوم يقرؤن وقوم
يتضرعون وقوم نائمون مما لحقهم من التعب والقتال فلما كان الغد بادر المسلمون اليهم
وذكروا الله كثيرا وأثنوا عليه وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدمت رماة النبل
وأقبلوا يرمون ويذكرون الله وهم يضجون الى الله بالدعاء (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ولم
يزل المسلمون في القتال عدة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح وأنه ليس على قلوبهم
من هم ولا جزع فلما كان اليوم الحادي عشر أشرفت عليهم راية أبي عبيدة يحملها غلامه
سالم ومن ورائها فرسان المسلمين وأبطال الموحدين وقد أحدقوا بأبي عبيدة وخالد عن يمينه
وعبد الرحمن بن أبي بكر عن يساره وجاءت النسوان والاموال وضج الناس ضجة واحدة
بالتهليل والتكبير فأجابتهم القبائل ووقع الرعب في قلوب أهل بيت المقدس فانقلب كبارهم
وعظماؤهم وبطارقتهم الى البيعة العظمى عندهم وهي القمامة فلما وقفوا بين يدي جاثليقهم
وكانوا يعظمونه ويبجلونه فلما سمعوا تلك الضجة دخلوا عليه ووقفوا بين يديه وصفعوا له وقالوا
يا أبانا قد قدم أمير القوم الينا ومعه بقية المسلمين وهذه الضجة بسببه فلما سمع بتركهم وجاثليقهم
تغير لونه وتغير وجهه وقال هي هي قالوا ماذاك أيها البترك والاب الكبير قال وحق الانجيل ان
كان

كان قدم أميرهم فقد دناهلاككم والسلام قالوا وكيف ذلك قال لانا نجد في العلم الذي ورثناه عن المتقدمين أن الذي يفتح الارض في الطول والعرض هو الرجل الاسمر الاحور السمهي بعمر صاحب نبيهم محمد فان كان قد قدم فلا سبيل لقتاله ولا طاقة لكم بنزاله ولا بدلي أن أشرف عليه وأنظر اليه والى صورته فان كان اياه عمدت الى مصالحته وأجبته الى ما يريدوان كان غيره فلا نسلم اليه قط لان مدينتنا لا تفتح الا على يد من ذكرته لكم والسلام ثم انه وثب قائما والقسوس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه وفتحوا الانجيل بين يديه واين البطارقة من حوله وصعد على السور من الجهة التي فيها أبو عبيدة فنظر الى المسلمين وهم يسلمون عليه ويعظمونه ثم يرجعون الى القتال كأنهم الأسد الضارية فناداهم رجل ممن كان يمشي بين يدي البترك فقال يا معاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نستخبركم ونسألكم قال فأمسك الناس عن القتال فناداهم رجل من الروم بلسان عربي فصيح اعلموا أن صفة الرجل الذي يفتح بلدنا هذا وجميع الارض عندنا فان كان هو أميركم فلا نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم يكن اياه فلا نسلم اليكم أبدا ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ فلما سمع المسلمون ذلك أقبل نفر منهم الى أبي عبيدة وحدثوه بما سمعوه قال فخرج أبو عبيدة اليهم الى ان حاذاهم فنظر البترك اليه وقال ليس هو هذا الرجل فأبشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم وحريمكم فلما سمعوا قوله رفعوا أصواتهم وأعلنوا بكلمة كفرهم وأقبلوا يقاتلون القتال الشديد وعاد البترك الى القمامة ولم يخاطب أبا عبيدة بكلمة واحدة بل أمر قومه بالحرب والقتال وعاد أبو عبيدة الى أصحابه فقال خالد ما كان منك أيها الامير فقال لا علم لي غير أني خرجت اليهم كما رأيت وأشرف علي شيطان من شياطينهم الذي يضلهم فما هو غير أن نظر لي وتأملني حتى صرخ صرخة واحدة وولى عني ولم يكلمني فقال خالد يوشك أن يكون لهم في ذلك تأويل ورأي فنقف عليه ونعلم نبأه ثم قال شدوا عليهم الحرب والقتال فشد عليهم المسلمون ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ وكان نزول المسلمين على بيت المقدس في أيام الشتاء والبرد وظنت الروم ان المسلمين لا يقدرون عليهم في ذلك الوقت قال وزحف المسلمون اليهم وبرزت النبالة من أهل اليمن وهم أصحاب القسي ورشقوهم بالنبل وكانوا غير محترزين من النبل لقلة اكتراثهم به حتى رأوا النبل ينكسهم على رؤسهم من وراء ظهورهم وهم لا يشعرون قال مهلهل لله در عرب اليمن فلقد رأيتهم يرمون بالنبل الروم فيتهاقتون من سورهم كالغنم فلما رأوا ما صنع بهم النبل احترزوا منه وستروا السور بالجحف والجلود وعباردا النبل قال ونظرت الروم الى ضرار بن الازور وقد أقبل نحو الباب الاعظم وعليه بطريق كبير وعلى رأسه صليب من الجوهر وحوله غلمان وعليهم الطوارق وبأيديهم القسي الموترة والعمد وهو يحرض القوم على القتال قال عوف بن مهلهل فنظرت الى ضرار وقد قصد نحوه وهو يختفي ويستتر الى ان قرب من البرج الذي عليه البطريق ثم أطلق اليه نبلة قال عوف فنظرت الى النبلة مع علو هذا الجدار وقد خرجت من قوس ضرار والبرج عال رفيع فقلت وما تكون هذه النبلة مع علو هذا الجدار وما الذي تصنع في هذا العلج وعليه هذه اللامة اللامعة فأقسم بالله لقد وقعت هذه النبلة في فيه فتردى الى أسفل برجه فسمعت

القوم ضجة عظيمة وجولة هائلة فعلمت أنه قتل قال ولم يزل أبو عبيدة ينازل بيت المقدس أربعة أشهر كاملة وما من يوم الا ويقاتلهم قتالا شديدا والمسلمون صابرون على البرد والثلج والمطر فلما نظر أهل بيت المقدس الى شدة الحصار وما نزل بهم من المسلمين قصدوا القمامة ووقفوا بين يدي بتركهم وسجدوا بين يديه وعظموه وقالوا له يا أبانا قد دار علينا حصار هؤلاء العرب ورجونا أن يأتينا مدد من قبل الملك ولا شك أنه اشتغل عنا بنفسه من أجل هزيمة جيشه وانهم أشهى منا للقتال وانهم من يوم نزلوا علينا ولم نخاطبهم بكلمة واحدة ولم نجبهم احتقارا منا لهم والآن قد عظم علينا الامر وانا نريد منك أن تشرف على هؤلاء العرب وتنظر ما الذي يريدون منا فان كان أمرهم قريبا أجبنا الى ما يريدون و يطلبون وان كان صعبا فتحنا الأبواب وخرجنا اليهم فاما أن نقتل عن آخرنا واما أن نهزمهم عنا فأجابهم البترك الى ذلك واشتمل بلباسه وصعد معهم على السور وحمل الصليب بين يديه واجتمع القسوس والرهبان حوله وبأيديهم الاناجيل مفتحة والمباخر حتى أشرف على المكان الذي فيه أبو عبيدة فنادى منهم رجل بلسان فصيح العربية يامعاشر العرب ان عمدة دين النصرانية وصاحب شريعتها قد أقبل يخاطبكم فليدن منا أميركم فأخبروا أبا عبيدة بمقالهم فقال والله انى لأجيبه حيث دعانى ثم قام أبو عبيدة وجماعة من الامراء والصحابة ومعه ترجمان فلما وقف بازائه قال لهم الترجمان ما الذي تريدون منا فى هذه البلدة المقدسة ومن قصدها يوشك أن الله يغضب عليه ويهلكه فأخبره الترجمان بذلك فقال قل لهم نعم انها بلدة شريفة ومنها أسرى بنبينا الى السماء ودنا من ربه كقاب قوسين أو أدنى وانها معدن الانبياء وقبورهم فيها ونحن أحق منكم بها ولا نزال عليها أو يملكنا الله اياها كما ملكنا غيرها قال البترك فما الذي تريدون منا قال أبو عبيدة خصلة من ثلاث أولها أن تقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فان أجبتم الى هذه الكلمة كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا قال البترك انها كلمة عظيمة ونحن قائلوها الا أن نبيكم محمدا ما نقول انه رسول قال أبو عبيدة كذبت ياعدو الله انك لم توحد قط وقد أخبرنا الله فى كتابه أنكم تقولون المسيح ابن الله لا اله الا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال البترك هذه خصلة لانجيبكم اليها فما الخصلة الثانية فقال أبو عبيدة تصالحونا عن بلدكم أو تؤدون الجزية الينا عن يد وأنتم صاغرون كما أداها غيركم من أهل الشام قال البترك هذه الخصلة أعظم علينا من الاولى وما كنا بالذي يدخل تحت الذل والصغار أبدا فقال أبو عبيدة ما نزال نقاتلكم حتى يظفرنا الله بكم ونستعبد أولادكم ونساءكم ونقتل منكم من خالف كلمة التوحيد وعكف على كلمة الكفر فقال البترك فانا لا نسلم مدينتنا أو نهلك عن آخرنا وكيف نسلمها ولقد استعددنا بآلة الحرب والحصار وفيها العدة الحسنة والرجال الشداد ولسنا كمن لاقيتم من أهل المدن الذين أذعنوا لكم بالجزية فانهم قوم غضب عليهم المسيح فأدخلهم تحت طاعتكم ونحن فى بلد ما من اذا سأل المسيح ودعاه أجاب دعوته فقال أبو عبيدة كذبت والله ياعدو الله ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام فقال أنا أقسم بالمسيح انكم لو أقمتم علينا عشرين سنة ما فتحتموها أبدا وانما تفتح لرجل صفته ونعته فى كتبنا ولسنا نجد صفته ونعته معك أبدا

فقال

فقال أبو عبيدة وما صفة من يفتح مدينتكم قال البترك لا نخبركم بصفته لكن نجد في كتبنا
وما قرأناه من علمنا أنه يفتح هذه البلدة صاحب محمد اسمه عمر يعرف بالفاروق وهو رجل شديد
لا تأخذه في الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم قال فلما سمع أبو عبيدة ذلك من كلام البترك
تبسم ضاحكا وقال فتحنا البلاد ورب الكعبة ثم أقبل عليه وقال له اذا رأيت الرجل تعرفه قال
نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندي وعدد سنينه وأيامه قال أبو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب
نبينا فقال البترك ان كان الامر كما ذكرت فقد علمت صدق قولنا فاحقن الدماء وابعث الى
صاحبك يأتي فاذا رأيناه وتبيناه وعرفنا صفته ونعته فتحنا له البلد من غيرهم ولا نكد
وأعطينا الجزية فقال أبو عبيدة فاني أبعث اليه بأن يقدم علينا أفتصبون القتال أم نكف
عنكم فقال البترك معاشر العرب ألا تدعون بغيكم أخبركم بأنا قد صدقنا كم في الكلام
طلبا لحقن الدماء وأنتم تأبون الا القتال قال أبو عبيدة نعم لان ذلك أشهى الينا من الحياة
نرجو به العفو والغفران من ربنا قال فأمر أبو عبيدة بالكف عنهم وانصرف البترك (قال
الواقدي رحمه الله تعالى) فجمع أبو عبيدة الامراء والمسلمين اليه خبرهم بما قال البترك فرفع
المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا افعل أيها الامير واكتب الى أمير المؤمنين بذلك
فلعله يسير الينا ويفتح هذا البلد علينا فقال شرحبيل بن حسنة اصبر حتى نقول لهم ان الخليفة
معنا ويتقدم خالد اليهم فاذا نظروا اليه فتحوا الباب وكفينا التعب وكان خالد أشبه الناس
بعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما فلما أصبح الصباح قال له الترجمان قد جاء الخليفة وكان
قد قال أبو عبيدة لخالد فركبوا جميعا وقالوا قد جاء الرجل الذي تطلبونه فعرفوا البترك فأقبل
الى أن وقف على السور وقال له قل له يتقدم بحيث نراه عيانا فتقدم خالد قتبينه وقال وحق المسيح
كأنه هو ولكن باقي العلامات ماهي فيه فيحق دينك من أنت فقال أنا من بعض أصحابه فقال
البترك يا فتيان العرب كم يكون هذا الخداع فيكم وحق المسيح لئن لم نر الرجل الموصوف ما نفتح
لكم ولا يرجع أحد منا يكلمكم ولو أقمتم علينا عشرين سنة ثم ولى ولم يتكلم فقال المسلمون
عند ذلك اكتبوا الى أمير المؤمنين وعرفوه بذلك فعسى أن يأتي ويشرف بهذه البقعة فكتب
أبو عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من
عامله أبي عبيدة عامر بن الجراح أما بعد سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين أنا منازلون لاهل مدينة ايلياء نقاتلهم أربعة
أشهر كل يوم نقاتلهم ويقاتلوننا ولقد لقي المسلمون مشقة عظيمة من الثلج والبرد والامطار الا
أنهم صابرون على ذلك ويرجون الله ربهم فلما كان اليوم كتبت اليك الكتاب أشرف علينا
بتركهم الذي يعظمونه وقال انهم يجدون في كتبهم أنه لا يفتح بلدهم الا صاحب نبينا واسمه عمر
وانه يعرف صفته ونعته وهو عندهم في كتبهم وقد سألنا حقن الدماء فسر الينا بنفسك
وانجدنا لعل الله أن يفتح هذه البلدة علينا على يديك ثم انه طوى الكتاب وختمه وقال يا معاشر
المسلمين من ينطلق بكتابي هذا وأجره على الله فأسرع بالاجابة ميسرة بن مسروق العبسي وقال
أنا أكون الرسول وأرجع مع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان شاء الله تعالى قال أبو
عبيدة فخذ الكتاب بارك الله فيك فأخذه ميسرة واستوى على ناقة له كوماء ولم يزل سائرا

الى أن دخل المدينة قد خلها ليلا وقال والله لا نزلت عند أحد من الناس فأناخ ناقته على
باب المسجد وعقلها ودخل المسجد وسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قبر أبي بكر
الصديق رضي الله تعالى عنه ثم أتى مكانا في المسجد فنام وكان له ليال عدة لم ينم فأخذته
عينا ه فما استيقظ الا على أذان عمر وكان عمر يغلس في الأذان فلما أذن دخل المسجد وهو
يقول الصلاة رحمكم الله قال ميسرة فقمت وتوضأت وصليت خلف عمر صلاة الفجر فلما انحرف
عن محرابه قمت اليه وسلمت عليه فلما نظر الى صافحني واستبشر وقال ميسرة ورب الكعبة ثم
قال ما وراءك يا ابن مسروق قلت الخير والسلامة يا أمير المؤمنين ثم ناولته الكتاب فقرأه على
المسلمين فاستبشروا به فقال ما ترون رحمكم الله فيما كتب به أبو عبيدة فكان أول من تكلم
عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أذل الروم وأخرجهم من
الشام ونصر المسلمين عليهم وقد حاصر أصحابنا مدينة ايلياء وضيقوا عليهم وهم في كل يوم
يزدادون ذلا وضعفا ورعبا فان أنت أقمت ولم تسر اليهم رأوا أنك بأمرهم مستخف ولقتالهم
مستحقر فلم يلبثوا الا اليسير حتى ينزلوا على الصغار و يعطوا الجزية فلما سمع عمر ذلك من
مقال عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأي غير هذا فقال علي بن أبي طالب رضي
الله تعالى عنه نعم عندي غير هذا الرأي وأنا أبديه لك رحمك الله فقال عمر وما هو يا أبا الحسن
قال ان القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذلك فتح للمسلمين وقد أصاب المسلمين جهد عظيم من البرد
والقتال وطول المقام واني أرى أنك ان سرت اليهم فتح الله هذه المدينة على يديك وكان
في مسيرك الاجر العظيم في كل ظمأ ومخمصة وفي قطع كل واد وصعود جبل حتى تقدم اليهم فاذا
أنت قدمت عليهم كان لك وللمسلمين الامن والعافية والصلاح والفتح ولست آمن أن ييأسوا
منك ومن الصلح ويمسكوا حصنهم و يأتيهم المدد من بلادهم وطاغيتهم فيدخل على المسلمين من
ذلك الهم والبلاء لاسيما بيت المقدس عندهم وهو معظم واليه يحجون فلا يتخلفون عنه
والصواب أن تسير اليهم ان شاء الله تعالى قال ففرح عمر بن الخطاب بمشورة علي رضي الله
تعالى عنه وقال لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو وأحسن علي المشورة للمسلمين
فجزاهم الله خيرا ولست آخذ الا بمشورة علي فما عرفناه الا محمود المشورة ميمون الغرة ثم ان
عمر رضي الله تعالى عنه أمر الناس بأخذ الاهبة للمسير معه والاستعداد فأسرع المسلمون الى
ذلك واستعدوا وتأهبوا وأمر عمر أن يكونوا خارج المدينة ففعلوا ذلك وأتى عمر المسجد فصلى
فيه أربع ركعات ثم قام الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه وعلى أبي بكر رضي الله
تعالى عنه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وخرج من المدينة وأهلها يشيعونه
و يودعونه ﴿قال الواقدي رضي الله تعالى عنه﴾ وخرج عمر من المدينة وهو على بعير له أحمر
وعليه غرارتان في احداهما سويق وفي الأخرى تمر و بين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة
للزاد وخرج معه جماعة من الصحابة قد شهدوا اليرموك وعادوا الى المدينة منهم الزبير
وعبادة بن الصامت وسار عمر نحو بيت المقدس فكان اذا نزل منزلا لا يبرح منه حتى يصلي
الصبح فاذا انفتل من الصلاة أقبل على المسلمين وقال الحمد لله الذي أعزنا بالاسلام وأكرمنا
بالايمان وخصنا بنبيه عليه الصلاة والسلام وهدانا من الضلالة وجمعنا بعد الشتات على

كلمة التقوى وألف بين قلوبنا ونصرنا على عدونا ومكن لنا في بلاده وجعلنا اخوانا متحابين فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة السابغة والمنن الظاهرة فان الله يزيد المستزيدين الراغبين فيما لديه ويتم نعمته على الشاكرين ثم يأخذ الجفنة فيملأها سويقا ويصف التمر حولها ويقرب المسلمين ويقول كلوا هنيأ مريأ فيأكل ويأكل المسلمون معه ثم يرحل فلم يزل كذلك في مسيره قال عمرو بن مالك العبسي كنت مع عمر بن الخطاب حين سار الى الشام فمر على ماء لجذام وعليه طائفة منهم نزول والماء يدعى ذات المنار فنزل بالمسلمين عليه فبينما هو كذلك وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله اذ أقبل اليه قوم من جذام فقالوا يا أمير المؤمنين ان عندنا رجلا له امرأتان وهما أختان لأب وأم قال فغضب عمر وقال علي به فأتي بالرجل اليه فقال له عمر ماهاتان المرأتان قال الرجل زوجتاي قال فهل بينهما قرابة قال نعم هما اختان قال عمر فما دينك ألست مسلما قال بلى قال عمر أوما علمت أن هذا حرام عليك والله يقول في كتابه وأن تجمعوا بين الاختين الا ماقد سلف فقال الرجل ما علمت وماهما علي حرام فغضب عمر وقال كذبت والله انه لحرام عليك ولتخلين سبيل احداهما والاضربت عنقك قال الرجل أفتحكم علي قال اي والله الذي لا اله الا هو فقال الرجل ان هذا دين ما أصبنا فيه خيرا ولقد كنت غنيا عن ان أدخل فيه قال عمر ادن مني فدنا منه فخفق رأسه بالدرة خفقتين وقال له أتتشاءم بالاسلام يا عدو الله وعدو نفسه وهو الدين الذي ارتضاه الله للانبياء ورسله وخيرته من خلقه خل يا ويلك سبيل احداهما والا جلدتك جلدة المفترى فقال الرجل كيف أصنع بهما واني أحبهما ولكن أقرع بينهما فمن خرجت القرعة عليها كنت لها وهي لي وان كنت لهما جميعا محبا فأمر عمر فاقترعا فوقعت القرعة على احداهما فأمسكها وأطلق سبيل الثانية ثم أقبل عليه عمر وقال له اسمع يا ذا الرجل وع ما أقول لك انه من دخل في ديننا ثم رجع عنه قتلناه فاياك أن تفارق الاسلام واياك يبلغني انك قد أصبت أخت امرأتك التي فارقتها فانك ان فعلت ذلك رجمتك ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ وسار عمر حتى مر على حي من بني مرة فاذا بقوم منهم قد أقاموا في الشمس يعذبون فقال لهم عمر ما بال هؤلاء يعذبون فقيل عليهم خراج فهم يعذبون قال فما يقولون قال يقولون مانجد مانؤدي فقال عمر دعوهم ولا تكلفوهم مالا يطيقون فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تعذبوا الناس في الدنيا يعذبكم الله يوم القيامة فخلي سبيلهم ثم سار حتى اذا كان بوادي القرى أخبروه أن شيخا على الماء وله صديق يوده فقال له صديقه هل لك أن تجعل لي في زوجتك نصيبا وأكفيك رعي ابلك والقيام عليها ولي فيها يوم وليلة ولك فيها يوم وليلة قال له الشيخ قد فعلت ذلك ورضي فلما أخبر عمر بذلك أمر بهما فاحضرا فقال ويلكما مادينكما قالا الاسلام قال عمر فما الذي بلغني عنكما قالا وما هو فأخبرهما عمر بما سمعه من العرب فقال الشيخ قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فقال عمر أما علمتما أن ذلك حرام في دين الاسلام قالا لا والله ما علمنا ذلك فقال عمر للشيخ وما دعاك أن صنعت هذا القبيح قال أنا شيخ كبير ولم يكن لي أحد أثق به ولا أتكل عليه فقلت لهذا أتكفيني الرعي والسقي وتعينني على دوابي وأنا أجعل لك نصيبا في امرأتي والآن علمت أنه حرام فلا أفعله فقال عمر خذ بيد امرأتك فلا سبيل لي عليها

ثم قال للشاب اياك ان تقرب منها فانه ان بلغني ذلك ضربت عنقك ثم ارتحل عمر يريد بيت المقدس حتى دنا من أول الشام وأشرف عليه قال أسلم بن برقان مولى عمر فلما أشرفنا على الشام وأشرف عليه المسلمون نظرنا الى طائفة من خيل المسلمين فقال عمر للزبير أسرع وانظر ماهذه الخيل فأسرع الزبير اليها فلما قرب منها واذا هي خيل من اليمن قد بعثهم أبو عبيدة يأخذون له خبر عمر رضي الله عنه قال الزبير فسلموا علي وقالوا يافتى من أين أقبلت فقلت من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كيف خلفت أهلها قلت بخير قالوا فما فعل عمر هل قدم علينا أم لا قال الزبير من أنتم قالوا نحن من عرب اليمن قد وجهنا أبو عبيدة لنأخذ له خبر عمر قال فرجع الزبير الى عمر وحدثه قال أصبت يا أبا عبد الله فأقبل علينا تبع آخر فسلموا علينا وسألونا عن عمر فقال لهم ها أنا عمر فما تريدون قالوا يا أمير المؤمنين قد ذرفت العيون وطالت الاعناق بطول قدومك فلعل الله أن يفتح بيت المقدس على يدك ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ ثم رجعوا على أعقابهم حتى أشرفوا على عسكر المسلمين وأبي عبيدة ونادوا بأصواتهم ابشروا يا مسلمين بقدوم عمر قال فارتج الناس وهموا أن يركبوا لاستقباله بأجمعهم فقال لهم أبو عبيدة عزيمة على كل رجل أن لا يخرج من مركزه ثم سار أبو عبيدة في أناس من المهاجرين والانصار حتى أشرف بمن معه على عمر قال ونظر عمر الى أبي عبيدة وهو لابس سلاحه متنكب قوسه وهو راكب على قلوصة مغطى بعباءة قطوانية وخطام قلوصه من شعر فلما نظر أبو عبيدة الى عمر رضي الله عنهما أناخ قلوصه وأناخ عمر بعيره وترجل كلاهما ومد أبو عبيدة يده فصافح عمر وتعانقا جميعا وسلم بعضهما على بعض وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبا جميعا وجعلا يسيران أمام الناس وهما يتحادثان ولم يزالا كذلك حتى نزلا بيت المقدس فلما نزلا صلى عمر رضي الله عنه بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم خطبة حسنة فقال في خطبته الحمد لله الحميد المجيد القوي الشديد الفعال لما يريد ثم قال ان الله تعالى قد أكرمنا بالاسلام وهدانا بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأزاح عنا الضلالة وجمعنا بعد الفرقة وألف بين قلوبنا من بعد البغضاء فاحمدوه على هذه النعمة تستوجبوا منه المزيد فقد قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ثم قرأ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا قال فلما تلا عمر ذلك قام قس من النصارى كان حاضرا بين يديه فقال ان الله لا يضل أحدا فلما كررها قال عمر انظروا ان عاد الى قوله فاضربوا عنقه فعرف القس ما قال عمر فأمسك ومضى عمر في خطبته فقال أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله عز وجل الذي يبقى ويفنى كل شئ سواه الذي بطاعته ينفع أولياءه وبمعصيته يضر أعداءه أيها الناس أدوا زكاة أموالكم طيبة بها قلوبكم وأنفسكم لا تريدون بها جزاء من مخلوق ولا شكورا افهموا ما توعظون به فان الكيس من أحرز دينه وان السعيد من اتعظ بغيره ألا ان شر الامور مبتدعاتها وعليكم بالسنة سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فالزموها فان الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة والزموا القرآن فان فيه الشفاء والثواب أيها الناس انه قد قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامي فيكم وقال الزموا أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب حتى يشهد من لم يستشهد ويحلف من لم

يحلف لمن أراد بحبوحة الجنة فالزموا الجماعة وتعوذوا من الشيطان ولا يخلون أحد
منكم بامرأة فانهن من حبائل الشيطان ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن
والصلاة الصلاة فلما فرغ من خطبته جلس فجعل أبو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم وعمر
باهت فتارة يبكي وتارة يهدأ فلم يزل كذلك الى أن حضرت صلاة الظهر فقال الناس يا أمير
المؤمنين اسأل بلالا أن يؤذن لنا وكان بلال مقيما ببلد فلما بلغه أن الناس قد نزلوا على بيت
المقدس أتى اليهم وشاهد قتالهم وجعل يقاتل معهم فلما بلغه أن عمر قد وصل سار مع أبي
عبيدة حتى سلم على عمر فعظم قدره فلما حضرت صلاة الظهر وسأل المسلمون عمر أن يسأل
بلالا فقال له يا بلال ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون أن تؤذن لهم وتذكرهم
أوقات نبيهم صلى الله عليه وسلم فقال بلال نعم فلما قال الله أكبر خشعت جلودهم واقشعرت
أبدانهم قال فلما قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا
حتى كادت قلوبهم أن تتصدع عند ذكر الله ورسوله فلما فرغ بلال من أذانه وجلس قال بلال
يا أمير المؤمنين ان أمراء المسلمين وأجناد الشام يأكلون لحوم الطيور والخبز النقي وما
لا يلحق ضعفاء الناس ومالا تناله أيديهم وان الكل يفنى ومآله الى التراب ومصيرنا اليه فقال له
يزيد بن أبي سفيان ان سعر بلادنا هذه رخيص وانا لا نصيب ما قاله بلال ههنا مثل ما كنا نقوت به
أنفسنا مدة من الزمان في الحجاز فقال عمر ان الامر كما ذكرت فكلوا هنيئا مريا ولست أبرح
من مكاني حتى تجمعوا الي من في المنازل وأن تكتبوا الى فقراء المسلمين ممن في المدن
والقرى فأفرض لكل أهل بيت ما يجزيهم من البر والشعير والعسل والزيت وما يحتاجون
اليه ولا بد لهم منه ثم قال عمر هذا لكم من امرائكم غير ما يأتيكم مني من بيت المسلمين فان
قطعت عنكم امراؤكم فأمروني حتى أعزلهم عنكم ثم أمرهم بالرحيل فلما هم بالركوب على
بعيره وعليه مرقعة من صوف وفيها أربع عشرة رقعة بعضها من أدم (قال الواقدي رحمه
الله تعالى) بلغني ممن أثق به أنها كانت مرقعة من صوف فقال له المسلمون يا أمير المؤمنين
لو ركبت بدل بعيرك جوادا ولبست ثيابا بيضا قال ففعل قال الزبير أحسب أنها كانت من ثياب
مصر تساوي خمسة عشر درهما وطرح على عاتقه منديلا من كتان ليس جديدا ولا بالخلق دفعه
اليه أبو عبيدة وقدم اليه برذون أشهب من براذين الروم فلما صار عمر على ظهره جعل البرذون
يهملج به فلما نظر عمر الى البرذون وفعاله نزل عنه مسرعا وقال أقيلوا عثرتي أقال الله عثرتكم يوم
القيامة فقد كاد أميركم أن يهلك بما داخل قلبي من العجب والكبر واني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من الكبر ولقد كاد أن يهلكني
ثوبكم الابيض وبرذونكم المهملج ثم ان عمر رضي الله تعالى عنه نزع ما كان عليه ثم عاد الى لبس
مرقعته (قال الواقدي) كنا يوما نقرأ فتوح الشام وفتوح بيت المقدس عند قبر أبي حنيفة
وكان الفتوح يقرأ على عبادة بن عوف الدينوري وكان من أهل الفضل وكان يسمع كلامه فلما
وصل الى ما ذكرناه من لبس عمر لمرقعته قال قد سنح بخاطري بما أنا قائله (قال الواقدي) قلت قل
ولا تخف الصدق فتهوي في النار وان الصدق أمانة والكذب خيانة فقال لما لبس عمر مرقعته
وجعل يتميز في شمائل فقره والكائنات تتعجب من زهده وصبره عندما تزينت له الدنيا

بملابسها وتراءت له فى حلل أسنتها بواسطة حدثان مشيتها وقد جلت أشباح شهواتها على قمة أس مرآتها وأتبالشرا كعبة فى حجة مراودته مطلقة عنه الطمع فى طلب زوال مجاهدته معرضة بملابس جمالها على سوق معارضته فى سناء قبة مرآة تبهرجها فى عين مشاهدته واقفة على قدم الاستدراج الى ترك خدمته جاءلة ودادها ذريعة الى وصلته وعمر قد أمسك عرى طاعته بيد عصمته فلما نصبت له حبائل بلاها ولم تره وقع فى أشراك هواها أسمعت فى معناها قد شغفها حبا انا اتراها وقالت يا عمر قد وليت أرضى فلا بد من القيام بفرضى فالولاية لا تقوم الا بالملابس الهنية والمآكل الشهية والظلم فى الرعية فقال عمر اذهبى فلست من رجالك ولا ممن يقع فى حبالك ولا فى أوحالك أما علمت أنى قد تجردت لعاندتك ولا حاجة لى فى مشاهدتك وها أنا على قدم تجردت لاقامة دعوة سيد الامم حتى أفتح بلاد الروم والعجم ثم أطهر فى وجهها صارم اجتهاده من معنى قوله وجاهدوا فى الله حق جهاده (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) فاستحسنت هذا الكلام وألحقت ما قاله فى هذا الموضع بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال وان عمر سار يريد العقبة ليصعد منها الى بيت المقدس فلقيه قوم من المسلمين وعليهم ثياب الديباج مما أخذوه من اليرموك فأمر عمر أن يحثوا التراب فى وجوههم وأن تمزق عليهم ولم يزل على ذلك حتى أشرف على بيت المقدس فلما نظر اليها قال الله أكبر اللهم افتح لنا فتحا يسيرا واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا ثم سار واستقبلته العشائر والقبائل وأصحاب العقود وسار عمر حتى نزل بالموضع الذى كان فيه أبو عبيدة وضربت له خيمة من شعر وجلس فيها هنالك على التراب ثم قام يصلى أربع ركعات (قال الواقدى) وعلت للمسلمين ضجة عظيمة وصياح مزعج بالتهليل والتكبير فسمع أهل بيت المقدس الضجة والجلبة فقال لهم البترك يا ويلكم ما شأن العرب قد ارتفعت لهم جلبة من غير شئ فأشرفوا عليهم وانظروا ما شأنهم (قال الواقدى) فأشرف عليهم رجل ممن يعرف العربية فقال يا معاشر العرب أخبرونا ما قصتكم قالوا ان أمير المؤمنين عمر قد قدم علينا من مدينة نبينا وهذه الضجة من فرح المسلمين به قال فرجع وأعلم البترك فأطرق الى الارض ولم يتكلم فلما كان الغد وصلى عمر بالناس صلاة الفجر قال لأبى عبيدة يا عامر تقدم الى القوم وأعلمهم أنى قد أتيت قال فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال يا أهل هذه البلدة ان صاحبنا أمير المؤمنين قد وردها تصنعون فيما قلتم قال فأعلموا البترك فخرج من كنيسته وعليه المسوح وترجل الرهبان والقسوس والاساقفة معه وقد حمل بين يديه صليب لا يخرجونه الا فى عيدهم وسار معه الباطليق الوالى عليهم وهو يقول للبترك يا أبانا ان كنت تعرفه معرفة حقيقية والا فلا تفتح له ودعنا وهؤلاء العرب فاما أن نبيدهم واما أن يبيدونا قال البترك أنا أفعل ذلك ثم صعد على السور ووقف الباطليق الى جانبه والصليب أمامهم وأشرف على أبى عبيدة وقال ما تشاء أيها الشيخ الباهى قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر وليس عليه أمير قد أتى فاخرجوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة وأداء الجزية فقال البترك يا ذا الرجل ان كان صاحبك الذى ليس عليه أمير قد أتى فدعه يدن منا فانا نعرفه بنعته وصفته وأفردوه من بينكم وليقف بازائنا

حتى نراه فان كان صاحبنا الذى نعته فى الانجيل نزلنا اليه وعقدنا معه الامان وأقررنا له بالجزية وان كان غير الذى نجد نعته فى الانجيل وصفته فما لكم عندنا غير القتال قال فرجع أبو عبيدة الى عمر وأخبره بما قاله البترك فهم عمر بالقيام فقال له أصحابه يا أمير المؤمنين أتخرج اليوم منفردا وليس عليك آلة حرب غير هذه المرقعة وانا نخشى عليك منهم غدرا أو مكرا فينالون منك فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم أمر ببعيره فقدم اليه فاستوى فى ركوبه عليه وعليه مرقعة ليس عليه غيرها وعلى رأسه قطعة عباءة قطوانية وقد عصب بها رأسه وليس معه غير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنهما وهو سائر بين يديه حتى قرب من السور ووقف بازاء السور والبترك والبطارقة عليه فتكلم أبو عبيدة وقال يا هؤلاء هذا أمير المؤمنين قد أتى ففتح البترك عينه ونظر اليه وزعق بأعلى صوته هذا والله الذى نجد صفته ونعته فى كتبنا ومن يكون فتح بلادنا على يديه بلا محالة ثم انه قال لاهل بيت المقدس يا ويحكم انزلوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة هذا والله صاحب محمد بن عبد الله (قال الواقدى) فلما سمعت الروم كلام البترك نزلوا مسرعين وكانوا قد ضاقت أنفسهم من الحصار ففتحوا الباب وخرجوا الى عمر بن الخطاب يسألونه العهد والميثاق والذمة ويقرون له بالجزية فلما نظر اليهم عمر على تلك الحالة تواضع لله وخر ساجدا على قتب بعيره ثم نزل اليهم وقال ارجعوا الى بلادكم ولكم الذمة والعهد اذ سألتمونا وأقررتم بالجزية قال فرجع القوم الى بلدهم ولم يغلقوا الابواب ورجع عمر الى عسكره فبات فيه ليلة فلما كان الغد قام فدخل اليها وكان دخوله يوم الاثنين وأقام بها الى يوم الجمعة وخط بها محرابا من جهة الشرق وهو موضع مسجده فتقدم وصلى هو وأصحابه صلاة الجمعة فهمت الروم بغدرهم وكان أبو الجعيد الذى احتال على الروم باليرموك ببيت المقدس هو وأهله وماله فقالوا ماترى فى غدر هؤلاء العرب اذا هم اشتغلوا بصلاتهم وليس معهم آلة حرب ولا ما يحترزون به من الضرب والقتل فقال لهم أبو الجعيد يا قوم لا تفعلوا ولا تغدروا بهم فان فعلتم ذلك أخبرتهم بما تريدون أن تفعلوا بهم فقالوا وما الذى نصنع فقال أبو الجعيد أظهروا للعرب ما لكم من الزينة ومتاع الدنيا فان متاع الدنيا وما فيها لا يصبر صاحبهما عنهما فان طلبوهما بغدر فشأنكم وما تريدون قال فأقبل القوم على ما كانوا يقدرون عليه من المال والمتاع الحسن فأظهروه وصفوه فى طريق المسلمين وشوارعهم فجعل المسلمون ينظرون الى ذلك فى دخولهم وخروجهم وهم يتعجبون منهم ولم يمل أحد منهم اليه ولم يلمسه وهم يقولون الحمد لله الذى أورثنا ديار قوم لهم مثل هذا ولو ساوت الدنيا عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء قال عوف بن سالم فوالله ما من المسلمين من جعل يده على شئ من متاعهم ولا لمسه فقال لهم أبو الجعيد هؤلاء القوم الذى وصفهم الله فى التوراة والانجيل وانهم لا يزالون على الحق ولا يقربهم أحد ما داموا على ما هم عليه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأقام عمر فى بيت المقدس عشرة أيام قال شهر بن حوشب سمعت كعب الاحبار يقول ان عمر بن الخطاب لما صالح أهل بيت المقدس ودخلها أقام فيها عشرة أيام فأقبلت اليه وكنت فى قرية من فلسطين وتقدمت اليه لأسلم عليه وأسلم على يديه وذلك أن أبى كان أعلم الناس بما أنزل الله على موسى بن عمران وانه كان لى محبا وعلى مشفقا

ولم يكتم على شيأ الا أعلمني اياه مما كان يعلم الناس فلما حضرته الوفاة دعانى اليه وقال لى يا بنى انك تعلم أنى ما ادخرت عنك شيأ مما كنت أعلمه لانى خشيت أن يخرج بعض هؤلاء الكاذبين وتتبعهم وقد جعلت هاتين الورقتين فى هذه الكوة التى ترى فلا تعرض لهما ولا تنظر فيهما الى أن تسمع بخبر نبى يبعث فى آخر الزمان اسمه محمد فان يرد الله بك خيرا فانك تتبعه ثم مات بعد وصيته اياى قال كعب فدفنته لما كان شئ أحب الى بعد انقضاء العزاء من النظر فى الورقتين وقراءة ما فيهما ففتحتهما فاذا فيهما لا اله الا الله محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبى بعده مولده بمكة ودار هجرته طيبة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب أمته الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال ألسنتهم رطبة بالتهليل والتكبير وهم منصورون على كل من عاداهم من أعدائهم أجمعين يغسلون وجوههم ويسترون أوساطهم أناجيلهم فى صدورهم تراحمهم بينهم تراحم الانبياء بين الامم وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الامم قال كعب الاحبار فلما قرأت ذلك قلت فى نفسى وهل علمنى أبى شيأ أعظم من هذا ثم مكثت بعد وفاة والدى ما شاء الله الى أن بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم الموصوف قد ظهر بمكة وهو يظهر مرة بعد أخرى فقلت هو والله لا محالة ولم أزل أبحث عن أمره حتى قيل انه خرج ونزل يثرب فجعلت أترقب أمره حتى غزا غزوات ونصر على أعدائه فتجهزت أريد المسير اليه فبلغنى أنه قد قبض صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى فقلت فى نفسى لعله ليس الذى كنت أنتظره حتى رأيت فى منامى كأن أبواب السماء قد فتحت والملائكة تنزل زمرة بعد زمرة وقائل يقول قد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى عن أهل الارض فرجعت الى دار قومى وجاءنا الخبر أنه قدم من أمته خليفة اسمه أبو بكر فقلت أقدم عليه فلم ألبث حتى جاءتنا جنوده الى الشام ثم جاءتنا وفاته ثم قيل انه استخلف عليهم رجل أسمر اسمه عمر فقلت لا أدخلن هذا الدين حتى أحققه ولم أزل متوقفا حتى قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس وصالح أهلها ونظرت الى وفائهم بعهدهم وما صنع الله بأعدائهم فقلت انهم أمة النبى الامى فحدثت نفسى بالدخول فى هذا الدين فوالله انى كنت ذات ليلة على سطحى واذا أنا برجل من المسلمين يقول يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا قال كعب فلما سمعت هذه الآية خفت والله أن لا أصبح حتى يحول وجهى لما كان شئ أحب الى من الصباح أن يرد فلما أصبحت غدوت من منزلى وسألت عن عمر فقيل لى انه ببيت المقدس فقصدت اليه واذا به قد صلى بأصحابه صلاة الفجر عند الصخرة فأقبلت اليه وسلمت عليه فرد على السلام وقال لى من أنت فقلت له أنا كعب الاحبار وانى جئت أريد الاسلام والدخول فيه فانى وجدت صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فى الكتب المنزلة ان الله عز وجل أوحى الى موسى عليه السلام انى ما خلقت خلقا أكرم على من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولولا ما خلقت جنة ولا نارا ولا سماء ولا أرضا وأمته خير الامم ودينه خير الاديان بعثته آخر الزمان أمته مرحومة وهو نبى الرحمة وهو النبى الامى التهامى القرشى الرحيم بالمؤمنين الشديد على الكافرين سريرته مثل علانيته وقوله لا يخالف فعله القريب والبعيد عنده سواء أصحابه

متراجون متواصلون فقال عمر أحقا ما تقول يا كعب قال اى والله والله يسمع ما أقول و يعلم ما تخفى الصدور فقال عمر الحمد لله الذى أعزنا وأكرمنا وشرفنا ورحمنا برحمته التى وسعت كل شئ وهدانا بمحمد صلى الله عليه وسلم فهل لك يا كعب فى الدخول فى ديننا فقال كعب يا أمير المؤمنين فى كتابكم الذى أنزل اليكم فى أمر دينكم ذكر ابراهيم فقال عمر نعم وقرأ ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون ثم قرأ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ثم قرأ أفغير دين الله يبغون وله أسلم الآية ثم قرأ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه الآية ثم قرأ قل انني هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما الآية ثم قرأ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل الآية قال كعب فلما سمعت هذه الآيات قلت يا أمير المؤمنين أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ففرح عمر باسلام كعب الاحبار ثم قال هل لك أن تسير معى الى المدينة فتزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم وتتمتع بزيارته فقلت نعم يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك قال وارتحل عمر بعد أن كتب لاهل بيت المقدس كتابا أى عهدا وأقرهم فى بلدهم على الجزية وسار بمن معه من العساكر الى الجابية فأقام بها ودون الدواوين وأخذ الخمس الذى الله مما أفاء الله على المسلمين ثم قسم الشام قسمين فأعطى أبا عبيدة من حوران الى حلب وما يليها وأمره بالمسير الى حلب وأن يقاتل أهلها الى أن يفتحها الله على يديه وأعطى أرض فلسطين وأرض القدس والساحل ليزيد بن أبى سفيان وجعل أبا عبيدة واليا عليه وأمر يزيد أن يحارب أهل قيسارية الى أن يفتحها الله على يديه وكان قد أعطى أكثر الاجناد لابى عبيدة مع خالد وسير عمرو بن العاص الى مصر واستعمل على قضاء حمص عمرو بن سعيد الانصارى ثم سار عمر رضى الله عنه يريد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ كعب الاحبار معه وكان أهل المدينة يظنون أن عمر يقيم بالشام لما يرون من كثرة خيرها وطيب فواكهها ورخص أسعارها ولما يخبرون عنها أنها بلاد الانبياء وهى الارض المقدسة وفيها المحشر فبقى الناس يتطاولون نحوه ويخرجون فى كل يوم ينظرونه حتى قدم عمر رضى الله عنه فارتجت المدينة يوم قدومه واستبشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم برؤيته وسلموا عليه ورحبوا به وهنؤه بما فتح الله على يديه فأول ما بدأ بالمسجد سلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم صلى ركعتين ودعا بكعب الاحبار وقال حدث المسلمين بما رأيت فى الورقتين فازداد الناس ايمانا (قال أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى) حدثنا أحمد بن الحسين ابن العباس المعروف بأبى سفيان النحوى قال حدثنا أبو جعفر بن أحمد بن عبيد الناسخ قال حدثنى عبد الله بن أسلم الزهرى وعبد الله بن يحيى الزرقى عمن حدثه ممن تقدم ذكرهم وأسماؤهم أول الكتاب وحديث القوم قريب بعضه من بعض والله يعيذنا من الزيادة والنقصان لان الصدق أمانة والكذب خيانة والله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمدت فى خبر هذه الفتوح الا على الصدق وما حدثت حديثه الا على قاعدة الحق لا ثبت

فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادهم حتى أرغم بذلك أهل الرفض الخارجين عن أهل السنة والفرض اذ لولاهم بمشيئة الله تعالى لم تكن البلاد للمسلمين وما انتشر علم هذا الدين فلله درهم لقد جاهدوا في الله حق جهاده لاجرم وقد قال فيهم الملك المقتدر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر (قال الواقدي) وذلك أنه لما بعث عمر بن الخطاب أبا عبيدة وجعله أمير الشام وأمره بالمسير الى حلب وأنطاكية والمفرق وما يليهم من الحصون بعث عمرو بن العاص الى مصر ويزيد بن أبي سفيان الى ساحل الشام فنازلوا قيسارية وهي آهلة بالخلق كثيرة الجند وكان عليها قسطنطين الى أن نزل يزيد وقسطنطين هذا ابن الملك هرقل وكان معه ثمانون ألفا من الروم والعرب المتنصرة والروسية فلما نظر قسطنطين الى نزول يزيد بن أبي سفيان عليه بعث الى أبيه يستنجده فبعث اليه هرقل بصاحب مرعش وعشرين ألفا من أبطال الروسية وأنفذ له المراكب بالزاد والعلوفة فلما نظر يزيد الى ذلك وأن لا قدرة له على ذلك كتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد بن أبي سفيان العامل على بعض الشام الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني نازلت أهل قيسارية وهي مدينة آهلة بالخلق كثيرة الجند ولبس البهاسيل وان قسطنطين قد استنجد بأبيه وقد أنجده بصاحب مرعش بعشرين ألفا والمراكب ترد عليه كل يوم بالعلوفة والزاد وأريد النجدة والسلام وبعث الكتاب مع عمرو بن سالم بن حميد النخعي فلما ورد المدينة وسلم الكتاب الى عمر بن الخطاب قال عمر من أين هذا الكتاب قال من عاملك يزيد بن أبي سفيان فقرأه فلما أتى على آخره تفكر في أمر يزيد وما وقع له حتى دخل عليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فأراه كتاب يزيد من قيسارية الشام يطلب منه نجدة فقال علي لا تغتم على المسلمين فان الله يفتحها على يديك رغما فانجد يزيد وأنفذ اليه الكتاب

﴿ذكر فتح مدينة حلب وقلاعها﴾

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) كان مع أبي عبيدة عشرون ألفا ومع يزيد وعمرو بن العاص عشرة آلاف (قال الواقدي) فلما وصل كتاب عمر الى أبي عبيدة أنفذ الى يزيد ثلاثة آلاف فارس مع حرب بن عدي وبقي أبو عبيدة في سبعة عشر ألفا وأكثرهم من اليمن وكان أبو عبيدة قد صالح أهل قنسرين والعواصم على خمسة عشر ألف مثقال من الذهب ومثلها من الفضة وألف ثوب من أصناف الديباج وخمسمائة وسق من التين والزيت فلما تم الصلح وجاؤا بما ضمنوه من مدينتهم كتب لهم كتابا وشرط فيه الشروط ودخل أبو عبيدة وخالد في رجال من المؤمنين وسادات المسلمين فخطوا بها مسجدا فبلغ ذلك أهل حلب من الصلح لقنسرين ومسير العرب فاضطربوا واضطرابا شديدا وكان عليهم رئيسان أخوان لاب وأم وكانا يسكنان في القلعة ولم تكن القلعة محيطة بالمدينة بل كانت المدينة منفردة بذاتها وكان البطريقان يقال لأحدهما يوقنا والآخر يوحنا وكان أبوهما ملك البلد وأعماله وضياعه ورساتيقه الى حدود الضروب والى حدود الفرات وقد ملك حلب سنين لا ينازعه فيها منازع وكان هرقل طاغية الروم يهابه ويوقره ولا يحاربه كل ذلك لبقاء ملكهم واجتماع كلمتهم لانه كان قد انتزع من رومية الى أقصى البلاد لئلا يجيش عليه أحد جيشا ولا ينازعه في ملكه لكثرة شره وتدبيره

وشددنى عمه فلما نزل بالعواصم استخلص لنفسه قلعة حلب وبناها وحصنها ومكن فى البلاد فلما هلك آل الامر بعد ملولده يوقنا وكان الكبير وكان شجاعا بطلا جامعا للاموال مقداما للحروب لا يصطلى له بنار ولا يدفع شره وكان أخوه يوحنا دينا قد نزع يده من الرياسة وترهب وكان أعلم الناس فى أهل زمانه وأنه لما بلغهم الخبر أن أبا عبيدة قد قصدا اليهم قال لأخيه يوقنا على ماذا عولت قال على قتال العرب ولا أدعهم يقربون من أرضنا وبلادنا حتى يرى العرب انى لست كمن لقوا من بطارقة الشام ولا من غيرها فقال له أخوه يوحنا وكان قد درس الانجيل وقرأ المزامير وليس له همة الا عمارة الكنائس والاديرة وتشييد المواضع وكثرة الشمامسة والقسوس والرهبان والقيام بأمورهم فلما بلغ هذين الاخوين فتح العواصم عنوة وقنسرين صلحا وأن العرب نازلون عليها وأن خيلهم تضرب الى الفرات والعواصم والبقاع فأقبل يوحنا على أخيه الاكبر يوقنا وقال يا أخى أريد أن أختلى بك الليلة وأشاورك وأطلعك على سرى ورأيى وأشرف على سرك ورأيك قال نعم فلما اجتمعا فى الليل فى دار كانت لأبيهما فى القلعة وجلسا للمشورة أقبل يوقنا على أخيه يوحنا وقال يا أخى ألا ترى ما نزل بنا من العرب الجياع الأكباد العراة الاجساد وما حل بأهل الشام منهم من القتل والنهب وأخذ الاموال وأنهم لا ينزلون مدينة من مدن الشام الا فتحوها وملكوا أهلها فما ترى أن نصنع فى أمر هؤلاء فكأنى بهم وقد أشرفوا علينا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فقال يوحنا يا أخى اذ قد استشرتنى فى أمرك فانى أنصحك ولا أغشك اذا قبلت النصيحة وان كنت أصغر منك سنا فانى أعلم منك بصيرة فوحق المسيح والقربان ان قبلت مشورتى ليعلون أمرك ويسلم لك مالك ونفسك فقال يوقنا يا أخى ما علمتك الا ناصحا فما عندك من الرأى فقال الرأى عندى أن ترسل رسولا الى العرب وتبذل لهم ما شاؤا وتسألهم الصلح وتتفق معهم على معلوم يدفع لهم فى كل عام ما دامت الغلبة لهم فلما سمع يوقنا ذلك من كلام أخيه يوحنا أقبل عليه وقد استوثق منه الغضب وقال ويحك المسيح ما أعجز رأيك ما ولدتك أمك الا راهبا أو قسيسا ولم أقلدك لا ملكا ولا محاربا ولا مقاتلا والرهبان ليس لهم قلوب لا كلهم العدس والزيت والبقل ولا يأكلون اللحم ولا يعرفون النعيم وليس لهم بالقتال بصيرة ولا بملاقاة الرجال خبرة وأما أنا فملك ابن ملك وليس بينى وبينهم الا الحرب ولا ترى الملوك العجز ويلك كيف نسلم ملكنا العرب ونعطيهم القياد من أنفسنا من غير حرب ولا قتال قال فلما سمع يوحنا ذلك من أخيه تبسم من كلامه وتعجب كل العجب وقال له يا أخى وحق المسيح ان أجلك قد اقترب لانك صاحب بغى تحب سفك الدماء وقتل النفس وما أظن جموعك أكثر من جموع الملك هرقل التى جمعها باليرموك مع ماهان ويوم أجنادين وهؤلاء القوم قد أيدهم الله علينا فاتق الله ولا تسع فى قتل نفسك فلما سمع يوقنا كلام أخيه داخله الغضب وقال له قد أكثرت وأطلت فى مدحك العرب وانى لست كمن لاقوه من هذه الجموع التى ذكرتها ولا أقاس بهم ومع ذلك أعلم أن كل من ذكرت من أهل المدن وغيرها أسلم بلده عنوة أو صلحا وقبل أن يقاتل بلا عذر فى القتال ويبذل المجهود عن نفسه وانما جمعت الاموال من قبل الى الآن لأدفع بها الاذى عن نفسى وانى مجمع على قتال العرب ومحاربتهم فان أظفرنى الصليب بهم وأعاننى المسيح عليهم طلبت العرب الى أن

أدخل خلفهم الحجاز وأسود على سائر الملوك وأرجع الى الشام ملكا فلا يقدر هرقل أن ينازعني وان هزمتني العرب طلعت الى قلعتي هذه ولزمتها فاني قد عبيت فيها من الزاد والاطعمة ما يكفيني طول دهري وأكون فيها عزيزا الى أن أموت ولا ألقي يدي الى العرب ولا أبذل أموالي من غير طلب فلا تعارضني في شئ من أمر العرب ولا تدعني الى الصلح والا بطشت بك قبلهم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) واحتوى الشيطان على قلب يوقنا وقد سولت له نفسه العمل فلما سمع يوحنا من أخيه يوقنا هذا المقال قال له كلامك على حرام أبدا حتى ترجع الى رأيي وتعود الى قولي ثم قام عنه مغضبا فلما كان من الغد جمع يوقنا اليه جميع من التجأ اليه من العسكر من الارمن والمتنصرة وغيرهم وعرضهم على نفسه فمن أراد سلاحا أعطاه وفرق فيهم الاموال وجعل يهون العرب عليهم ويقول انما هم قليل ونحن أكثر منهم لان جموعهم قد تفرقت منها جماعة على قيسارية ومنهم من توجه الى مصر ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ وعزم على قتال أبي عبيدة قبل أن يصل اليه والى بلده ثم عمد الى بطريق من بطارقته يقال له كراكس وضم اليه ألف فارس ووكله بحفظ بلده وسار يوقنا بمن معه يريد أن يلقى جيش أبي عبيدة والمسلمين هو وقومه في اثني عشر ألف مدرع غير من كان معه بغير درع ونشرت أمامه الاعلام والصلبان وكان فيهم صليب من الذهب والجوهر ومن حوله ألف غلام عليهم ثياب الديباج المنسوج بالذهب قال ابن ثعلبة الكندي فأقام أبو عبيدة على مدينة قنسرين بعد أن فتحها بالصلح وبعد أن أتاه يزيد بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمره أن يبعث الى يزيد بن أبي سفيان طائفة من جيشه فبعث له ثلاثة آلاف فارس لابسين السلاح الكامل وعول أبو عبيدة على المسير الى حلب فدعا برجل من بني ضمرة يقال له كعب ابن ضمرة وكان بطلا مجربا بشدة البأس وكان اذا ثبت على وجه الارض للقتال لا يهاب الجحافل قلت أو كثرت فضم اليه ألف فارس وسيره على مقدمته وقال يا كعب لا تقاتل جيشا لا تطيقه واختبر أمر هذا العلج واعرف خبره وأنا راحل من ورائك فسار كعب بن ضمرة يريد حلب وكان يوقنا قد قدم أمامه عيونا يأتونه بالاخبار فأتته جواسيسه يخبرونه أن خيول العرب قد أتت تريد بلده وقتاله فقال لهم في كم أتت العرب قالوا في ألف فارس وهم على ستة أميال من بلدك نزول قال فكمن يوقنا كمينا ثم سار اليهم بجيوشه وبطارقته فلما أشرف عليهم وهم نزول على نهر يسقون خيلهم ويتوضؤن فبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم يوقنا بجيوشه وبطارقته والصليب أمامه فنادى المسلمون بعضهم بعضا واستووا على متون خيولهم وورد كعب بن ضمرة على فرسه وسبق في أول الخيل وأشرف على جيش يوقنا فحزره أنه في خمسة آلاف فارس وكان يوقنا قد قسم عسكره شطرين النصف معه والنصف مع الكمين فلما نظر كعب الى يوقنا وجيشه انقلب الى أصحابه وقال يا أنصار دين الله اني نظرت عسكر عدوكم وحزرته فهو في خمسة آلاف وهم لكم مغنم ويقاتل الواحد منكم خمسة قالوا بلى والله وأقبل أصحابه يشجع بعضهم بعضا فقربت الفئة من الفئة وصاح يوقنا بأصحابه ورجاله وغلمانه وعبيده وبطارقته وأمرهم بالحملة على المسلمين فحملوا بأجمعهم حملة صعبة وحمل عليهم المسلمون والتقى الجمعان واشتبك الحرب وقاتل الجمعان قتال الموت وقد أيقن

المسلمون

المسلمون بالظفر والغنيمة فطلع عليهم الكمين من ورائهم وأكبوا عليهم جميعا قال
مسعود بن علوان النخعي شهدت الخيل التي بعثها أبو عبيدة طلائع مع كعب بن ضمرة وكنت
فيها يوم التقى الجمعان وقد خرج علينا الكمين ونحن في القتال ونحن لا نظن أن لهم كمينا
يطلع من ورائنا واذا بأصوات حوافر الخيل أكبت علينا وأيقنا بالهلكة بعد ما كنا موقنين
بالغلبة وصرنا في وسط عسكر الكفار فلم يكن لنا بد من القتال فافترقت المسلمون ثلاث فرق
فرقة منهم منهزمة وفرقة قصدت قتال الكمين وفرقة مع كعب بن ضمرة قصدت قتال يوقنا ومن
معه قال مسعود بن علوان فلله در كندة يومئذ لقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا ووهبوا
أنفسهم لله تعالى حتى قتل منهم ذلك اليوم مائة رجل في مقام واحد وعمل أهل الكمين عملا
عظيما وكعب بن ضمرة قلق على المسلمين فجاهد عنهم وهو يجول بالراية وينادي يا محمد يا محمد
يا نصر الله انزل معاشر المسلمين اثبتوا انما هي ساعة ويأتي النصر وأنتم الاعلون فاجتمع
المسلمون عليه والجراح فيهم فاشية وقتل من المسلمين مائة وسبعون رجلا من الاعيان منهم عباد
بن عاصم النخعي وزفر بن أم راضي وحازم بن شهاب المقري وسهل بن أشيم ورفاعة بن محصن
وغانم بن برد وسهيل بن مفلح وكان ممن شهد يوم السلاسل وتبوك بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشهد قتال اليمامة مع خالد بن الوليد قال مسعود بن عون والله لقد تأسفنا على قتله
ووجدنا فيه أربعين ضربة كلها في مقدمه رضي الله عنه ولم نجد واحدة في ظهره وكان الاعيان
أربعين رجلا لان الرجل منا ما قتل حتى قتل عددا من المشركين فلما نظروا الى ثبات المسلمين
مع قتلهم وما لهم ممن قتل منهم هم المشركون أن ينهزموا فاتبعهم يوقنا وقال ويلكم ما العرب
الا مثل الذئاب ان صدمت ولت وان تركت طمعت ولما نظر كعب بن ضمرة الى من قتل تحت
رايته اغتم لذلك غما شديدا فنزل عن فرسه ولبس درعا من فوق درعه وشد وسطه بمنطقته
ومسح وجه فرسه ومنخره وقبله بين عينيه وكان قد شهد معه المواطن وجاهد معه وبين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد سماه الهطال فقال يا هطال هذا يوم المحمود عاقبته
فاثبت للقتال في طاعة الله ولما استوى على متنه وقف امام المسلمين وجعل ينظر الى القتلى
وهو متفكر في أمره والراية بيده وهو ينتظر من أبي عبيدة جيشا يقبل عليه أو طليعة تنجده
فلم ير لذلك أثرا وذلك أن أبا عبيدة ما قطعه عن المسير اليه الا قدوم أهل حلب عليه وذلك أنه لما
سار يوقنا الى حرب المسلمين اجتمع مشايخ أهل حلب والروسية بعضهم الى بعض وقال يا قوم
تعلمون أن هؤلاء العرب قد أطاعهم أهل دين النصرانية والصليب ودخلوا في دينهم ومنهم من
رجع الى دينهم ومنهم من قاتلهم فأما الذي قاتلهم فخسر فهل لكم أن تسيروا الى أمير المؤمنين
ونسأله الصلح ونصالح عن مدينتنا وندفع اليه ما أحب من أموالنا فان ظفر المسلمون بالبطريق
يوقنا نكن نحن آمنين غير وجلين منهم وتقر عيننا من بأسهم وان صالح يوقنا القوم نكن نحن
قد سبقناه الى الصلح وان غلب ورجع سالما لم نبلغه ولم نعلمه واستوى رأيهم على ذلك فخرج
منهم ثلاثون رجلا من رؤسائهم وسلكوا الطريق غير طريق يوقنا حتى أشرفوا على عسكر المسلمين
فنادوا الغوث الغوث وكان العرب قد علمت أن الغوث بالرومية هو الامان وقال لهم الامير فمن
سمعتموه يقولها فلا تعجلوا عليه بالقتل لئلا يطالبكم الله به يوم القيامة وعمر بريء منه فكان

العرب يعرفونها فلما سمع المسلمون منهم ذلك أسرعوا اليهم وأوقفوهم بين يدى أبى عبيدة فقال
خالد وشك أن هؤلاء يطلبون الصلح والامان لانفسهم وهم أهل حلب قال أبو عبيدة أرجو ذلك
ان شاء الله تعالى وان صالحوني صالحتهم وهو لا يعلم ما أصابه من الحرب الشديد والقتل العنيد
وكان قدومهم عليه ليلا والنيران تضرم بين يديه وكان فى العسكر رجال قيام فى صلاتهم يتلون
القرآن فجعل بعضهم يقول لبعض بهذه الفعال ينصرون علينا فلما سمع الترجمان مقالهم أخبر
أبا عبيدة وبما قد تناجوا بينهم فقال أبو عبيدة انا قوم قد سبقت لنا العناية من ربنا وانا رجال
لا نريد من الله ورسوله بدلا ولن نجزع من قتال الاعداء فأخبرهم الترجمان بذلك ثم قال لهم من
أنتم قالوا نحن سكان حلب من تجارها وسوقتها ورؤسائها وقد جئنا نطلب منكم الصلح فقال
أبو عبيدة فكيف نصالحكم وقد بلغنا أن بطريقكم قد صمم على قتالنا وقد حصن قلعته
وجعل فيها ما يقويه منينا واتخذ الجند وأكثر من ذلك وما لكم عندنا صلح فقالوا أيها الامير ان
صاحبنا قد خرج من عندنا يريد حربكم وقتالكم قال أبو عبيدة ومتى خرج قالوا خرج سحرا
ونحن من بعده وسلكنا طريقا غير طريقه وانا نرجو أنه هالك لا محالة لانه ركب البغى ولم يرض
بالصلح وقد أطاع هواه فقد وقع فى شرك الردى فلما سمع أبو عبيدة بخروج البطريق خاف على
طليعته منه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هلك والله كعب ومن معه انا لله وانا اليه
راجعون ثم أطرق الى الارض فقالوا لبعض مشايخ أهل حلب كلم لنا الامير فى الصلح قال فكلمه
فقال أبو عبيدة بضجر لا صلح لكم عندنا قال فخاف الشيوخ على أنفسهم وقالوا انا قد اجتمع عندنا
من القرى والرساتيق خلق كثير فان صالحتمونا عمرنا لكم الارض وكنا لكم عونا على عمارتها
وعشنا فى ظلكم أيام عدلكم وان أنتم أبيتم ذلك فر الناس عنكم وطلبوا أقصى البلاد وشاع
الخبر عنكم أنكم لا تصالحون فلا يبقى حولكم أحد قال فأعلمه الترجمان بما قالوا فجعل ينظر اليهم
واذا قد برز من القوم وصاح رجل أحمر الوجه وكان من حكماء الروم فصيحا بلسان عربى فقال
أيها الامير اسمع ما ألقيه اليك من العلم الذى أنزل الله فى الصحف على الانبياء قال أبو عبيدة قل
لنسمع فان كان حقا علمناه وان كان غير حق لم نسمعه ولم نعمل به وكان اسمه دحداح فقال أيها
الامير ان الله سبحانه وتعالى أنزل على أنبيائه يقول أنا الرب الرحيم خلقت الرحمة وأسكنتها
فى قلوب المؤمنين وانى لا أرحم من لا يرحم من أحسن أحسنت اليه ومن تجاوز تجاوزت عنه
ومن عفا عفوت عنه ومن طلبنى وجدنى ومن أغاث ملهوفا أمنته يوم القيامة وبسطت له
فى رزقه وباركت له فى عمره وأكثرت له أهله ونصرته على عدوه ومن شكر المحسن على احسانه
فقد شكرنى وانا قد أتينا لك ملهوفين خائفين فأقل عثراتنا وآمن روعتنا وأحسن الينا قال فبكى
أبو عبيدة من قوله وقرأ ان الله يحب المحسنين ثم قال اللهم صل على محمد وعلى جميع الانبياء
فهذا والله أرسل نبيا أرسله الله الى جميع الخلق والحمد لله على هدايته لنا ثم أقبل على المسلمين
وهم حوله وفيهم الرؤساء من المهاجرين والانصار وقال لهم الحمد لله على هدايته ثم قال ان
هؤلاء أهل متجر وسوقة وضياع وهم مستضعفون وقد رأينا أن نحسن اليهم ونصالحهم
ونطيب قلوبهم ومتى كانت المدينة فى أيدينا والسوقة معنا فانهم يميرونا بالعلوفة ويعلمونا بما
يعزم عليه عدونا ويكونون عونا لنا عليه فقال رجل من المسلمين أصلح الله الامير ان مدينة

القوم

القوم بالقرب من القلعة ولا نأمن أن القوم يدلون على عوراتنا ويخبرون بأحوالنا وما أتى القوم الا ليخدعونا الا ترى الى بطريقهم وقد خرج يبغى قتالنا وحربنا فكيف يطلب هؤلاء الصلح منا ولا شك أنهم مكروا بكعب بن ضمرة ومن معه من المسلمين فقال أبو عبيدة أحسن ظنك بالله وثق بالله فان الله ينصرنا ولا يسلط علينا عدونا فرحم الله من قال خيرا أو صمت واذا أشرط عليهم النصيحة فى صلحهم للمسلمين ثم أقبل على القوم وقال انى أريد أن تبذلوا فى صلحكم مابذله أهل قنسرين فقالوا أيها الامير ان قنسرين أقدم من مدينتنا وأكثر جمعا ومدينتنا خالية من السكان لجور صاحبنا لانه قد أخذ أموالنا وغلاتنا وأصعد الكل الى قلعته ومابقي عندنا الا الضعفاء ومن لا مال له وانا نسألك الترفق بنا والعدل فينا والاحسان الينا فقال أبو عبيدة فما الذى تريدون أن تبذلوا فى صلحكم قالوا نعطى نصف ما أعطى أهل قنسرين فقال أبو عبيدة قد قبلت منكم ذلك على اننا اذا نزلنا بصاحبكم أعنتمونا بالميرة والعلوفة وتبيعون وتشترون فى عسكرنا ولا تكتموا عنا خبرا تكونون تعلمونه من اعدائنا ولا تتركوا جاسوسا يتجسس علينا وان رجع اليكم بطريقكم فتمنعوه أن يصل الى القلعة فقالوا أيها الامير اما قولك هذا أن نمنع البطريق أن لا يصعد الى القلعة فانجد الى ذلك من سبيل ولا نقول لك مالا نفعله مالنا به طاقة ولا بمن معه من أعوانه وجنوده قال أبو عبيدة فلا تمنعوه من الصعود الى القلعة وعليكم عهد الله وميثاقه والايمان المؤكدة الغليظة أن لا تقولوا هذا القول وأن توفوا لنا كل شرط تم عليكم ثم حلفهم بالايمان التى يعرفونها فحلف القوم عن آخرهم وصالحوا عن رجالهم ودوابهم وأبنائهم ونسائهم وعبيدهم وسائر أهاليهم وانتهوا على ذلك فقال أبو عبيدة انكم قد حلفتم وقد قبلنا قولكم وايمانكم فان أصبنا أحدا قد أخلف أو علم من البطريق علما ولم يعلمنا به فقد وجب عليه القتل وأخذ ماله وولده حلال لنا الا يطلبنا الله بذمته ومتى نقضتم ماشرطنا عليكم فلا عهد لكم عندنا ولا ذمة لكم علينا ولنا عليكم الجزية فى العام المقبل قال سعد بن عامر التنوخى فرضى أهل حلب بما شرطه عليهم أبو عبيدة وأخذوا عهدهم وكتب اسماءهم وعزم القوم على الانصراف الى ديارهم فقال لهم أبو عبيدة على رسلكم حتى أبعث معكم من يسير معكم الى مأمنكم فقد وجب علينا حفظكم الى أن تعودوا سالمين الى بلدكم فقال له الدحداح أيها الامير اننا نرجع من الطريق الذى جئنا منه وماتريد أحدا يسير معنا فتركهم أبو عبيدة وبات بقية ليلته قلقا على كعب بن ضمرة ومن معه ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ ورجع القوم من ليلتهم الى حلب وانفجر الصبح ولم يصلوا فلما أشرفوا على حلب نظر اليهم بعض اعلاج البطريق وهم راجعون فأقبل اليهم وسألهم من اين أقبلتم وماصنعتم فظنوا أنه من أهل حلب فأخبروه بصلحهم مع أبي عبيدة فتركهم ومضى وان القوم استقبلهم أهل حلب فسألوهم فاخبروهم بالصلح ففرحوا بذلك وأقبل العلج حتى أشرف على عسكر يوقنا وهو نازل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أحاط بهم وهو يظن أنه قد ملكهم وهو يتوقع الصباح اذ أتى عليه العلج فقال له أيها البطريق انك غافل عما نزل بك ودهمك قال له وماذا لك يا ويلك قال له ان أهل بلدك قد صالحوا العرب وكأنك بهم وقد ملكوا القلعة وأخذوا الاموال والنسوان فلما سمع يوقنا ما أخبره به العلج خشى على قلعته أن يملكوها

في غيلته فانعكس عليه ما كان يؤمل أن يفوز به من الظفر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان قد قتل من المسلمين نيف عن المائتين وكعب قد أجهد نفسه في الحرب وأيقنوا
انهم هالكون لا محالة قال كعب بن ضمرة وكنت ذلك اليوم صاحب القوم وأنا أثبتهم في
الحرب والى الحرب أنهضهم بهمتي وأدفع عنهم بهمتي فاذا أجهدني القتال وركبني الحرب
التجأت الى أصحابي وأنا مع ذلك أتوقع فرجا من الله تعالى وأترقب راية أبي عبيدة أن تطلع فبعد
علينا ذلك ولم يزل الحرب بيننا يوما وليلة الى الصباح من اليوم الثاني فأقسم بالله أن كان أحدنا
ليصلي ولا حصل له زاد يأكله ولا ماء يشربه وأنا بين اليأس والرجا أترقب طريق قنسرين
أن تطلع منه علينا راية الاسلام فما أرى لها أثرا فرأيت عند الصباح جيش العدو وقد اضطرب
من جوانبه وقد علت لهم ضجة عظيمة من جميع جوانبه فقلت ما هذا الا عدد لحقهم من البلد
أو من الملك فالتجأت الى كلمة الشدائد وهي لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال كعب
ابن ضمرة فوعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت الكلمة حتى رأيت جيش العدو وقد
انكشف عنا على عقبه فقلت الحمد لله حمد الشاكرين واني أظن أن صائحا صاح بهم من
السماء فبددهم أو ملائكة نزلت عليهم كيوم بدر فلم أر لهم أثرا قال كعب فهممت أن
أتبعهم فصاح المسلمون الى أين يا كعب أما كفاك ما نحن فيه انزل بنا الى الارض وارض بما
نحن فيه من التعب والنصب ونودي فرسنا ونريح خيولنا فما رد الله هؤلاء القوم الا بمشيئته
وقدرته قال فنزل كعب وشربوا الماء وأسبغوا الوضوء وصلوا ما فاتهم وأكلوا زادهم
واستقبلوا الراحة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وأبطأ خبر كعب على أبي عبيدة فلما صلى
الصبح انتقل من صلاته وأقبل على المسلمين وخاطب من بينهم خالدا وقال يا أبا سليمان ان أخاك
أبا عبيدة ما رقد الليلة غما وانه كان يجب علينا الشكر بما فتح الله علينا وان نفسي تحدثني
بان الذين مع كعب بن ضمرة قد قتلوا لما أخبرني هؤلاء الذين يسألون الصلح أن صاحبهم يوقنا قد
سار اليهم ولم أر أثرا وأظن أنه صادف أصحابنا وقتلوهم وأفنوهم عن آخرهم فقال خالد والله
اني ما نمت مثلك من الغم عليهم فما الذي عزمت أن تصنع قال الرحيل ثم أمر الناس بالرحيل
وارتحلوا وساروا يريدون حلب وعلى المقدمة خالد بن الوليد وعلى الساقة أبو عبيدة فما كان غير
بعيد حتى أشرف على المسلمين خالد بن الوليد وهم نيام وقد أقاموا لهم من الديدبان من يحرسهم
فلما أشرف عليهم خالد والراية في يده رفعها فوق رأسه فلما رآها الديدبان صاح النفير
يا أنصار الدين فثاروا عن مضاجعهم كأنهم أسد ثائرة واستووا في متون خيولهم واستقبلوا
صاحب الراية فعرفوه فصاح بعضهم ببعض هذه والله راية الاسلام والمسلمين فنزل خالد وسلم
عليهم واتصلت بهم الساقة وأقبل أبو عبيدة فلما نظر كعب بن ضمرة حمد الله وأثنى عليه
ونظر الى موضع القتلى مطروحين وما كان من المسلمين ورآهم فلما نظروا الى ذلك عاد
فرحهم ترحا واسترجعوا وقالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون
وسأل كعبا كيف قتل أصحابك هؤلاء ومن قتلهم فأخبره كعب بقتال يوقنا وانه أشرف هو
وقومه ومن كان معه على الهلاك حتى لم يبق فيهم حركة وغمنا ليلتنا هذه فلما أصبحنا واذا هم
قد صاحوا وانقلبوا راجعين عنا من غير قتال فقال أبو عبيدة فسبحان مسبب الاسباب ليت

أبا عبيدة فقتل أمامهم ولم يقتلوا تحت رايته ثم أمر يزيد فن المسلمين بعدما جمعهم زمرا زمرا وصلى عليهم ودفنوهم باسلابهم ودمائهم ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يوم القيامة ودماؤهم على أجسادهم اللون لون الدم والريح ريح المسك والنور يتلألأ عليهم ويدخلون الجنة فلما واروهم في حفرهم قال خالد ان كان عدو الله يوقنا رجع الى القوم وعلم بصلحهم لنا فيلقون منه تعبا عظيما فالحق بهم فقد وجب علينا أن نذب عنهم لانهم تحت ذمتنا وارتحل أبو عبيدة يريد حلب فلما وصل البهار أي البطريق وجنوده قد أحدقوا بأهل البلد وهم يريدون قتلهم و يقال لهم يا ويلكم صالحتم العرب عن أنفسكم وصرتم عونا لهم علينا قالوا قد فعلنا ذلك وانهم قوم منصورون فقال يا ويلكم ان المسيح لا يرضى بفعلكم فوحق المسيح لاقتلنكم عن آخركم أو تخرجون معي الى قتالهم وتنقضون ما بينكم بينهم من العهد والميثاق فاخبروني بمن بدأ بهذا الامر حتى أبدأ به قال فلم يطيعوه على ذلك فقال لعبيده ادخلوا عليهم وائتوني بهم لاقتلهم فقد أخبرني فلان انه لقيهم وعرفني بهم فهجم العبيد عليهم وجعلوا يقتلونهم على فرشهم وأبواب منازلهم فسمع أخوه يوحنا الضجة في البلد وهم في القلعة فنظر الى أخيه وهو يقتل في الناس وقد قتل من أهل البلد ثلثمائة فصاح بهم وبأخيه على رسلك لا تفعل فان المسيح يغضب عليك وقد نهانا أن نقتل عدونا فكيف بمن هو على ديننا فقال يوقنا لاخيه انهم صالحوا العرب عن البلد وصاروا لهم عونا علينا فقال يوحنا وحق المسيح لا أبقت عليك العرب أبدا وان لهم من يقتص منك قال ومن يقتص مني قال المسيح يقتلك كما قتلتهم بغير ذنب فقال يوقنا أنت حملتهم على ذلك وأنت أول من أبطش به ثم عمد الى أخيه وقبض عليه وجرد سيفه ليعلوه به فلما نظر يوحنا الى أخيه وقد جرد سيفه وعلم انه هالك رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اشهد علي أني مسلم واني مخالف لدين هؤلاء القوم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم قال لاخيه اصنع ما أنت صانع فان كنت قاتلي فاني صائر الى جنات النعيم فورد على يوقنا من اسلام أخيه مورد عظيم من أهل بلده ومن فزع من المسلمين فحمله الغيظ على أن يرمي برأس أخيه عن جسده والتفت الى أهل البلد فوجدهم يستغيثون فلا يغاثوا و يسألونه فلا يجيبهم ولا يكف عنهم فكثر منهم الضجيج وعلت الجلبة وقد أخذوا عليهم البلد من سائر جوانبها وقد أيس أهل حلب من نفوسهم واذا بالفرج وقد أتى والمعونة وقد أدركتهم وأشرفت عليهم رايات المسلمين وابطال الموحدين وهم ينادون بكلمة التوحيد ويقدمهم خالد بن الوليد فلما نظر خالد الى أهل حلب ولهم ضجيج بالصياح والبكاء قال لابي عبيدة أيها الامير هلك والله أهل صلحك وذمامك كما ذكرت فصاح بجواده وحمل الراية وزعق في القوم وقال أفرجوا معاشر الاعلاج عن أهل صلحنا ثم أجاد فيهم الطعن وحمل المسلمون معه و بذلوا السيف في الاعلاج فلما نظر يوقنا الى ذلك انهزم الى القلعة ومعه بطارقته قال محصن بن عترة فرج الله عن أهل البلد بقتل الاعلاج يوم حلب في البلد فمن لجأ الى القلعة سلم ومن طلب الهرب قتلناه . قال محصن فكان جملة من قتل يوقنا من أهل صلحنا ثلثمائة وقتلنا نحن من أصحابه ثلاثة آلاف أو يزيدون فكانت وقعة عجيبة ففرح المسلمون بها فلما قتل من قتل وفرج الله عن أهل حلب

ما يجدون أخبروا أبا عبيدة كيف قتل يوقنا أخاه يوحنا وبالقصة جميعها ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ فلما سمع يوقنا سيوف المسلمين صعد القلعة هو ومن معه من جنده واستعد للحصار ونصب المجانيق ونشر السلاح على الاسوار وكثر آلة الحصار وأما أهل حلب فانهم أخرجوا لعساكر المسلمين أربعين أسيرا من البطارقة فقال لهم أبو عبيدة لاي سبب أسر تم هؤلاء قالوا لانهم من أصحاب يوقنا هربوا الينا فلم نر أن نخفيهم منك لانهم ليسوا منا ولا معنا في الصلح قال فعرض عليهم الاسلام فأسلم منهم سبعة وأما الباقون فأبوا فضرب رقابهم وقال لهم لقد دخلتم في صلحكم وسترون منا ما يسركم وصار لكم ما لنا وعليكم ما علينا وهذا بطريقكم قد تحصن في هذه القلعة فهل تعرفون لها عورة تدلونا عليها حتى نقاتلهم منها فان فتحها الله علينا جعلناها لكم غنيمة مع ما غنمتم من قومكم حتى نكافئكم بفعلكم الجميل فقالوا أيها الامير والله ما نعرف لها عورة وان يوقنا قد شحن طرقاتها وقطع مسالكها ووعر فجاجها وهذا ما نعلمه ولولا أنه قتل يوحنا لكان أخذها سهلا لكم فقال أبو عبيدة وما جرى له فاخبروه بخبره وحديثه مع أخيه وانه أسلم بعد ما رفع يديه الى السماء وما ندري ما قال غير أننا سمعنا طرف كلامه وهو يقول اللهم انى أشهد أن لا اله الا أنت وأن عيسى عبدك ورسولك ومحمدا عبدك ورسولك ختمت به الانبياء وجعلته سيد المرسلين ولا دين أعلى من دينه فاصنع ما أنت صانع فلما أسلم قتله قال فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال في أي موضع قتله ثم وثب وأخذ خالدا معه وجماعة من المسلمين وأتوا الى موضع قتله وهو رأس سوق الساعة فوجده ملقى على ظهره وهو كأنه البدر ليلة تمامه مشيرا بأصبعه الى السماء وقدمات وأصبعه قائمة فأخذه أبو عبيدة وكفنه وصلى عليه ودفنه في مقام ابراهيم فلما واروه أتى الى أبي عبيدة رجل من المسلمين فقال أصلح الله الامير انظر الى هؤلاء القوم فان كانوا من حزبنا فعسى أن يدلونا على عورات قومهم فقال لا والله ما يفعلون ذلك أبدا فعندها أقبل أبو عبيدة على المسلمين وقال أشيروا علي رحمكم الله فقال له ذلك الرجل وكان اسمه يونس بن عمرو الغساني وكان رجلا بصيرا بالشام وجباله ومدنه وجميع أرضه وعارفا بطرق الشام أصلح الله الامير انظر الى ما أعرفه من البلد وما عندي من الرأى قال أبو عبيدة تكلم يا ابن عمرو فأنت عندنا ناصح للمسلمين فقال ان الله قد فتح على يدك الشام سهله وجبله وحزنه ووعره وقتل طاغية الكفر وحاميته وأما بقايا عساكرهم فهي من وراء الدروب وهي جبال وعرة ومضايق والقوم قد رعبت قلوبهم مما أباد الله منهم وليس لهم قلوب يقاتلون بها المسلمين فاصرهذه القلعة وبث الخيل وشن الغارات في بقايا البلاد وشاطئ الفرات فما لهم زاد يقوم بهم فتبسم خالد من كلام الغساني وقال هذا والله هو الرأى وأنا أشير عليكم بمشورة أخرى أن نزحف نحو القلعة فلعل الله أن يفتحها في وقتنا هذا فاني أخشى ان طال بنا المقام ان تعطف علينا جيوش الروم من جهة أخرى فيحيلوا بيننا وبينها قال أبو عبيدة يا أبا سليمان لقد أشرت فأحسنت وقلت فصدقت ثم أمر أبو عبيدة بالزحف الى القلعة فترجلت الفرسان عن خيولهم وتجردت من ثيابهم واختلط العبيد والسادات وافتخرت القبائل وانبثت العشائر وتجاوبوا بالاشعار وتداعوا بالانساب قال مسروق بن مالك فوالله ما رأيت في قتال حصون الشام يوما كان أعظم من ذلك

اليوم لاننا كنا نشبه دوران الحرب كدوران الرحى تهشم مادرات عليه وقد برزنا اليهم فى أول حربهم وتبادرت أبطال اليمن وسادات ربيعة ومضر يتلو بعضهم بعضا وجعلوا يطلبون القلعة من حيث لا طريق عليها فاذا دنوا منها أخذتهم الحجارة من كل جانب ورموهم بالمجانيق والفرادات وكنت أنا وأصحابى أقرب الناس الى الأرض ففزعنا راجعين على أعقابنا يدفع بعضنا بعضا لا نظن أن ينجو منا أحد فوقعت الخذلة فى المسلمين وقد شدخت منا الحجارة خلقا كثيرا فقتلت بعضنا وبعضنا زمنته فكان من جملة من قتل يوم حصار قلعة حلب بالحجارة عامر ابن الاصلع الربعى ومالك بن غزعل الربعى وحسان بن حنظلة ومروان بن عبد الله وسليمان ابن فارغ العامرى وعطاف بن سالم الكلابى وسراقة بن مسلم بن عوف العدوى ورجال من أهل اليمن من آل عامر ومن بنى كلاب وغيرهم وسبعة من بنى عبد الله قال مرزوق بن مالك فلقد كنا نرى بعد ذلك بسنين خلقا كثيرة عرجا من يوم حصار قلعة حلب فعندها نصب أبو عبيدة رايته خارج المدينة وجعل ينادى بالمسلمين فاجتمعوا اليه فقال أيها الناس انكم قاتلتم اليوم على غرة فادفنوا الشهداء وشدوا كل من أصابه جرح فانتدب المسلمون الى ذلك وفرح الروم بهزيمة المسلمين وما قد نزل بهم فقال لهم يوقنا ان العرب لا تدنوا من القلعة بعد هذا اليوم أبدا وان حاصرونا فلا كيد لهم ولأهبطن الى عسكرهم ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ ولقد حدثنى عبد الله بن سليمان الدينورى وكان ممن نقل أخبار الشام وفتوحه من ثقات المسلمين قال حدثنى عمرو أن يوقنا انتخب الفين من خيار بطارقته وأبطاله وقال لهم انزلوا مسرعين وليحذر بعضكم بعضا وميلوا على طرف عسكر المسلمين اذا خمدت نيرانهم واغتنموا غرتهم وأمر عليهم وزيره فنزلوا الليل من القلعة وجعلوا يدورون حول العسكر الى ان أتوا الى مكان وقد خمدت نيرانهم وكان القوم بادية من أهل اليمن مثل مراد وبنى كلاب وعبيدهم قال عبد الله بن صفوان البكى كما تلك الليلة غادين من عدونا آمنين لكثرتنا وقد غفل حرسنا فلم نشعر الا وجماعة الروم قد هجموا علينا وهم ينادون بلغتهم وقد أعلنوا التهرج بزينتهم فلا نعلم ما يقولون ووضعوا السيف فينا فكان النجيب منا من استوى على جواده وطلب النجاة وهو لا يعلم من أين دهى ولا كيف يتخلص وقد وقعت الجندلة فى أبطال المسلمين وعساكرهم والقوم ينادون المغير المنفرد دهينا ورب الكعبة وهم يسرعون الى خيمة أبى عبيدة وينادون أيها الامير كبسنا يوقنا فعندها ركب الامير فى بعض الرجال وجعل يدور حول العسكر فنظر صاحب الروم الى العرب وقد لحقته فصاح بأصحابه من كان أخذ شيأ فليتركه ويطلب نجاة نفسه قال عبد الله بن صفوان أخذوا من رجالنا نحو خمسين رجلا من أخلاط الناس وأكثرهم من ربيعة ومضر ومضوا يجمع بعضهم بعضا ويطلبون القلعة فلما نظر خالد الى ذلك حمل فى أصحابه واقتطع من الروم زهاء من مائة رجل ووضع فيهم السيف فقتلهم عن آخرهم فلما وصل أصحاب يوقنا الى القلعة فتح لهم وأدخلهم فلما أضاء الفجر وطلعت الشمس دعا يوقنا بالمسلمين الخمسين رجلا وهم موثقون بالحبال فقربهم الى موضع ينظرهم المسلمون ويسمعون أصواتهم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله حتى قتلوا عن آخرهم فلما نظر أبو عبيدة الى ذلك أمر مناديا ينادى فى عسكره عزيمة من الله ورسوله ومن

الأمير أبي عبيدة على كل رجل لا يكل حرسه الى غيره وليكن كل رجل منكم حارس نفسه ولا يتكل
بعضكم على بعض قال فأخذ القوم حذرهم وأعدوا حرسهم وأقبل يوقنا يدبر أمره في مكيدة
أخرى ليكيد بها المسلمين اذ علم أنهم محاصرون ومع ذلك جواسيسه تأتيه بالاخبار في الليل
والنهار وكان أعظم جواسيسه من متنصرة العرب لانهم كانوا يحسنون لسان الرومية قال
فبينما يوقنا ذات يوم جالس في قلعته والبطارقة من حوله وقد أضربهم الحصار وأشد ما كان
عليهم من أهل المدينة لانهم لا ينظرون الى رجل من أصحابه يعرفونه الا أخذوه وسلموه
للمسلمين واذا الجاسوس قد أقبل وهو من عيونه فقال له أيها السيد ان أردت ان تكيد العرب
فهذا وقتك فقال له يوقنا وكيف ذلك وما الذي عندك من الخبر قال ان العلافة منهم قد خرجوا
الى وادي بطنان وقد صالحوا أهله وعلوفة العرب وميرتهم منه وقد رأيت لهم جمالا وبغالا
ومعهم طائفة منهم وعليهم القمصان الخلقة وبأيديهم الرماح المشبعة وهم يقصدون القرى
في طلب الميرة وهم قليلون وليس هم في كثرة فلما سمع يوقنا ذلك من جاسوسه اختار ألفا من
أصحابه وقال لهم أصلحوا شأنكم فوحق المسيح لاضيقن على العرب مسالككم ولاقطعن
عليهم طرقاتهم فلما أقبل الليل فتح لهم الباب وسار الجاسوس أمامهم حتى استقاموا على
الجادة وجعلوا يسيرون تحت جنح الليل فبينما هم كذلك اذ هم براع ومعه سرح من البقر يريد
بها بلده وقد خرج بها من بلد آخر وهو يسير بها سيرا عنيفا فلما نظروا اليه أسرعوا نحوه
وقالوا أحسست بأحد من العرب قد عبر عليك قال نعم والشمس عند الغروب قد اصفرت وهم
نحو مائة رجل على خيول وهم مسرعون ومعهم جمال وبغال وهم يريدون الميرة من هذا
الوادي من الذين هم في صلحهم ولسنا نخاف منهم فقال له المقدم عليهم الآن قد ألقيت علينا
من صلح أهل هذا الوادي مالم يكن عندنا منه خبر فبحق المسيح أخبرنا بأي طريق ذهبت العرب
فقال من ههنا وأومأ بيده الى الشرق فسار البطريق بمن معه ولم يعرفوا ان صاحب البقر منهم
حتى اذا قرب الصبح أشرفوا على خيل المسلمين وكان الامير عليها يقال له مناوش فلما نظر
مناوش الى خيل الروم قد أقبلت أقبل على أصحابه وقال يا بني العرب هذا بطريق من بطارقة
الروم قد أقبل الينا فدونكم واياه والجهاد والصبر على الشدة تنالوا الجنة ثم حمل وحمل معه
أصحابه فحملت عليهم الروم فثبت لهم المسلمون واقتتلوا قتالا شديدا وقتل مناوش بن الضحاك
والغطريف بن ثابت ومنيع بن ثابت ومنيع بن عاصم وكهلان بن مرة فقتل من المسلمين
ثلاثون رجلا كلهم من طي وانهزم الباقون وملكت الروم ما كان مع المسلمين من الابل
والبغال وعاد المسلمون منهزمين فعند ذلك أقبل البطريق على أصحابه وقال ارموا الاحمال
عن هذه الدواب واعقروها وسوقوا بقية الدواب بما عليها فانها لنا ميرة واطلبوا الجبل
واختفوا عن أعين العرب والا ففي هذه الساعة تطلع علينا خيول العرب كالرياح تهزمكم
فاكمنوا حتى اذا جاء الليل طلبنا القلعة واعتصمنا بها ففعلوا ذلك وقتلوا الجمال وساقوا الدواب
والتجؤا الى الجبل الى قرية فاقاموا بقية يومهم يرقبون الليل ليرجعوا الى القلعة وأقاموا لهم
ديدبانا قال عوف بن صباح الطائي كنت في الخيل لما قتل عمي مناوش ونحن في قلة وقد هممتنا
الخيل فلما نظرنا الى كثرة الروم وشدة بأسهم مع قلتنا أخذنا على أنفسنا وأتينا المسلمين فبادر

الينا

الينا أبو عبيدة وقال لنا ما وراء كم قلنا الحرب والطعان قتل منا من أوش وقتل معه خلق كثير من فرساننا وأخذ ما كان معنا من الزاد والدواب فقال أبو عبيدة وما الذي دهاكم وقد حاصر الله الروم وما يجسر أحد أن يخرج منهم قالوا الاعلم لنا غير أنا رأينا بطريقا عظيما قد أشرف علينا وهو في عدة حسنة وخيول كثيرة مستعدون للقتال لا نعلم عددهم ولا من أين أتى مددهم فهجموا علينا ونحن سائرون فاصيب أميرنا وقتل رجالنا وأخذوا ما كان معنا من الدواب والزاد فلما سمع أبو عبيدة ذلك دعا بخالد بن الوليد اليه وقال يا أبا سليمان أنت لها والمعد لمثلها واني واثق بالله ثم بك مع أني أستخير الله في جميع أموري سر على بركة الله تعالى وخذ معك من المسلمين من أردت لعلك أن تقفو القوم وتعاين موضع أثر الوقعة وتتبع آثارهم عسى الله أن يوقعنا بهم والعلهم أينما كانوا وحيث ساروا والعلك تأخذ بثار المسلمين واعلم انا صالحنا أهل الوادي وانا لا ننقض عهدنا ولا نحول عن قولنا الا أن يكون القوم قد مكروا بنا فنجد الى قتالهم سبيلا فاتق الله فيهم سر يرحمك الله قال فاسرع خالد الى خيمته ولبس سلاحه واستوى على متن جواده وهم بالمسير وحده فقال له أبو عبيدة الى أين يا أبا سليمان قال له أسارع الى ما أمرتني به فقال له خذ من أردت معك من المسلمين فقال خالد أنا أمضي وحدي وما أريد أحدا فقال له أبو عبيدة كيف تمضي وحدك وعدوك في عدد كثير قال خالد لو كانوا في ألف أو ألفين ألقاهم بمعونة الله تعالى فقال له أبو عبيدة انك كذلك ولكن خذ معك رجالا قال فأخذ ضرارا وأمثاله وسار حتى أتى الى موضع الوقعة فرأى القتلى مطروحين ورأى حولهم أهل الوادي وهم يبكون خوفا من المسلمين على أنفسهم وذراريهم وان العرب تطالبهم بهم فلما طلع عليهم خالد ومن معه كأنهم شعلة نار تصارخ القوم في وجهه وألقوا أنفسهم بين يديه فقال لهم خالد من هؤلاء القوم الذين قتلوا أصحابنا قالوا انا نحن بريئون من دماء أصحابكم ونحن في صلحكم فاستحلفهم خالد أنهم لا يعلمون من قتلهم فحلفوا له فقال لهم من الذي أوقع باصحابي فقالوا بطريق بعثه يوقنا من القلعة ومعه ألف فارس من أشد قومه وان لهم في عسكركم عيونا يخبرونه بما أنتم فيه كل ساعة فقال لهم وفي أي طريق قصدوا قالوا في هذا الطريق فقال خالد وما حلفتم أن ما عندكم علم بهم قالوا هذا الذي يخبرك من أهل حلب قد أتى يشتري طعاما ولولا أنك أقبلت في هذه الساعة ما كنا عرفنا من قتلهم فقال له خالد أعلى هذا الطريق أخذوا فقال له الرجل نعم ورأيتهم يطلبون الجبل فقال خالد لاصحابه ان القوم علموا انهم لا بد لهم من خيل تطلبهم وتتبعهم وقد عدلوا عن طريقنا حتى اذا هجم عليهم الليل رجعوا الى قلعتهم فعولوا على المسير في طلبهم ثم انهم أرخوا الاعنة وخالد يقدمهم وقد أخذ معه رجالا من المعاهدين يقفون بهم أثر الطريق والقوم فلما حصلوا على الطريق قال خالد لواحد من المعاهدين ألهم طريق الى قلعتهم غير هذا قال نعم ولكن اكمن ههنا فانك تفوز بهم ان شاء الله تعالى فنزل خالد ومن معه في الوادي وهم يرقبون الطريق فما مضى من الليل الا قليل اذ سمع وقع حوافر الخيل والبطريق أمامهم والخيل من ورائه وهو يزجرهم ويحثهم على المسير فلما توسطوهم صاح خالد صيحة شديدة ووثب خالد كأنه الاسد وخرج عليهم هو وأصحابه فما كان قصد خالد غير البطريق وظن أنه يوقنا فضربه ضربة رماه نصفين وقد وضعوا

السيف فيهم وجعلوا يطلبونهم وهم فى الهرب فلم ينج منهم الا من أطال الله أجله وحازوا جميع ما معهم وأتوا برأس البطريق الى أبى عبيدة على رأس رمح فوجدوه متلهفا على قدومهم فلما أشرف خالد بمن معه من الاسارى والاسلاب والدواب هللوا وكبروا فأجابهم العسكر بالتهليل والتكبير قال وأتى خالد ومن معه بالرأس والاسلاب والاسارى فكانوا أزيد من ثلثمائة أسير ورؤس القتلى سبعمائة فعرضوا عليهم الاسلام فأبوا وقالوا نحن نعطيك الفداء فقال خالد فضرب رقابهم قبال القلعة لنوهن بذلك عدو الله قال فضرب رقابهم قبال القلعة فقال خالد انا كنا نظن انا محاصرون القوم واذا نحن بخلاف ذلك وهم يرقبون غفلتنا وينتظرون غرتنا وقد قتلوا جمالنا والدواب والصواب أن نجعل عليهم حرسا فى كل طريق يمكننا ولا نمكنهم أن يخرجوا من قلعتهم ونضيق عليهم ما استطعنا قال أبو عبيدة جزاك الله خيرا يا أبا سليمان ما أبصرك بالامور فلما كان من الغد صلى أبو عبيدة بالناس صلاة الفجر ودعا بعبد الرحمن بن أبى بكر وبضرار بن الازور وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقيس بن هبيرة وميسرة ابن مسروق ففرقهم حول القلعة ومعهم من اختاروا وأمرهم أن يمسكوا الطريق والمسالك على يوقنا حتى لو طار طائر منها أو اليها اقتنصوه وأقام القوم على ذلك مدة فلما طال عليهم ذلك ضجر أبو عبيدة لطول مقامه فأمر الناس بالرحيل عنهم وعزم أن يتباعد عنهم أى عن القلعة لعل أن يجد منهم غفلة فينتهزها قال فبعد عن المدينة فنزل قرية بقرب منها يقال لها التيزب وهو يريد حيلة يصل بها الى يوقنا قال ويوقنا لا ينزل من القلعة ولا يفتح بابها ففكر أبو عبيدة غاية الفكرة وقال لخالد يا أبا سليمان ان جواسيس عدو الله تكشف أخبارنا وتوصلها اليه وتخوفه وانى أقسم عليك يا أبا سليمان الا ما جلت فى عسكرنا جولة واختبرت أمر الناس فلعلك تقع بأحد من جواسيسه قال فركب خالد وأمر الناس أن يدوروا فى عسكرهم وأن يقبضوا على كل من أنكروه قال فبينما خالد فى طوافه اذ نظر الى رجل من العرب المتنصرة وبين يديه عباءة يقلبها فجعل خالد يرمقه واستراب الرجل منه فناداه وقال له من أى الناس أنت يا أخا العرب قال أنا رجل من اليمن قال من أيها قال فأراد أن يقول وينتمى الى غير قبيلته فجرى الحق على لسانه فقال أنا من غسان فلما سمع خالد كلامه قبض عليه وقال له يا عدو الله أنت عين علينا لعدونا قال ما أنا متنصر وأنا مسلم فأتى به الى أبى عبيدة وقال أيها الامير قد رابنى أمر هذا الا نى ما رأيته قط الا يومى هذا وقد ذكر انه من غسان ولا شك انه من عباد الصليب فقال أبو عبيدة اختبره يا أبا سليمان قال وكيف أختبره قال اختبره بالقرآن والصلاة فان أجابك والا فهو كافر فقال له خالد فصل ركعتين واجهر بالقراءة فيهما فلم يدر ما يقول فقال له خالد أنت يا عدو الله عين علينا ثم استخبره عن شأنه فأخبره وأقر انه عين عليهم فقال له خالد أنت وحدك قال لا ولكنا ثلاثة أنا أحدهم والاثنان قد ذهبوا الى القلعة ليخبر وا يوقنا بخبركم وأنا قد تخلفت لأنظر ما يكون من أمركم فقال أبو عبيدة أخبرنى أيما أحب اليك القتل أو الاسلام فليس بعدهما شئ فقال الغسانى أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم رجع أبو عبيدة الى حلب وما زالت القلعة محاصرة أربعة أشهر وقيل خمسة أشهر وأبطأ خبر أبى عبيدة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب الى أبى عبيدة يقول بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله

عمر الى عامله أبي عبيدة سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أبا عبيدة أن انقطاع كتابك وابطاء خبرك يكثر قلقي و يضني جسدي على اخواني المسلمين ومالي ليل ولا نهار الا وقلبي عندكم ومعكم فاذا لم يأت منك خبر ولا رسول فان عقلي طائر وفكري حائر وكأنك لا تكتب الي الا بالفتح أو الغنيمة واعلم يا أبا عبيدة أني وان كنت نائيا عنكم فان همتي عندكم واني داع لكم وقلبي عليكم كقلق الوالدة الشفيقة على ولدها فاذا قرأت كتابي هذا فكن للاسلام والمسلمين عضدا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعث الكتاب الى أبي عبيدة فلما ورد عليه وقرأه عليهم قال معاشر المسلمين اذا كان أمير المؤمنين داعيا لكم وراضيا عنكم في فعالكم فان الله ينصركم على عدوكم ثم كتب جواب الكتاب يقول بسم الله الرحمن الرحيم الى أبي عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عامله بالشام أبي عبيدة سلام عليك واني أحمد الله تعالى وأصلي على نبيه وبعد يا أمير المؤمنين فان الله تعالى له الحمد قد فتح على أيدينا قنسرين وقد شننا الغارة على العواصم وقد فتح الله علينا مدينة حلب صلحا وقد عصت علينا قلعتها وبها خلق كثير مع بطريقها يوقنا وقد كادنا جرارا وذكر له ماجرى له مع أخيه يوحنا وانه قتل منا رجالا ورزقهم الله الشهادة على يديه ثم انه ذكر له من قتل والله تعالى من ورائه بالمرصاد وقد أردنا الحيلة عليه فلم نقدر وأردت الرحيل عنه وعن محاصرته الى البلاد التي بين حلب وانطاكية وأنا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين وبعث الكتاب مع عبد الله بن قرط وجعدة بن جبير فسارا الى ان أخذا في طريق هيشة العتيقة وجدا في السير حتى قطعا أرض الجفار الى صكاصكة وهي حصن العرب قريبة من تيما فلما وصلا اليها عارضهما فارس وعليه درع سابغ وعلى رأسه بيضة تلمع وهو معتقل برمح كأنه قد برز الى عدوه أو قاصد الى قتال فلما نظر اليهما قصدهما فقال عبد الله ابن قرط لجعدة بن جبير يا بني أما ترى هذا الفارس وقد عارضنا في مثل هذا المكان على مثل هذه الحالة فقال له جعدة وما عسى أن تخوف من فرسان العرب ورجالها وليس في هذا الموضع من رفع عمودا أو ضرب وتدا الا وأصبح معنا ودخل تحت طاعتنا وفي شريعتنا فلما قرب الفارس منا سلم علينا وقال من أين أقبلتما والى أين قاصدان فقالا له نحن رسولان من الامير أبي عبيدة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمن أنت أيها الرجل قال أنا هلال بن بدر الطائي فقالا له مالنا نرى عليك آلة الحرب قال اني خرجت في طوائف من قومي وجماعة من أصحابي نريد الشام للجهاد لكتاب ورد علينا من عمر بن الخطاب فلما رأيتكما في بطن الوادي قصدتكما لأنظر ماقصتكما ولي أصحاب من ورائي مقبلون ثم سلم عليهما وولى فركضا مطيتهما وسارا واذا بالخيل قد أشرفت والابل قد أقبلت تتبع هلال بن بدر أرسالا يتبع بعضها بعضا الى أن لحقوه فأخبرهم بقصة صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك وساروا يريدون الشام وأما عبد الله بن قرط وجعدة بن جبير فانهما وصلا المدينة ودخلا المسجد وسلما على عمر بن الخطاب وعلى المسلمين ودفعوا اليه الكتاب فلما قرأه استبشر ورفع كفيه الى السماء وقال اللهم اكف الناس شر كل ذي شر ثم أمر مناديا فنادى في الناس الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس قرأ عليهم كتاب أبي عبيدة فلما قرأه قدم عليه ركب من

حضرموت وأقاصي اليمن من همدان وبدان وسبا ومارب يسألونه أن ينفذهم الى الشام فقال
لهم عمر في كم أنتم بارك الله فيكم قالوا نحن زهاء من أربعمائة فارس وثلثمائة مطية مردفين
ومعنا أناس يمشون على أقدامهم لا ركاب لهم فان كان عند أمير المؤمنين ما يحملهم عليه حتى
نصل الى عدونا فقال لهم عمر وكم يبلغ الرجال الذين معكم قالوا أربعين ومائة رجل فقال لهم
عرب أو موال قالوا عرب وموال أذن لهم ساداتهم في الجهاد والمسير الى الاعداء فعندها دعا
عمر بعبد الله ابنه رضي الله تعالى عنهما وقال امض الى مال الصدقات فأت القوم بسبعين
راحلة ليتعقبوا عليها ويحملوا ازوادهم وميرتهم على ظهورها فأسرع عبد الله بن عمر وأتى
بسبعين بعيرا وسلمها اليهم وقال لهم جدوا رحمكم الله الى اخوانكم المسلمين وأسرعوا الى
حرب عدوكم ثم كتب الى أبي عبيدة أما بعد فقد ورد علي كتابك مع رسلك فسرني ما سمعت من
الفتح والنصر على أعدائكم ومن قتل من الشهداء وأما ما ذكرته من انصرافك الى البلاد التي
بين حلب وانطاكية وتركك القلعة ومن فيها فهذا رأي غير صواب تترك رجلا قد دنوت من
داره وملكت مدينته ثم ترحل فيبلغ الى جميع النواحي أنك لم تقدر عليه ولم تصل اليه
فيضعف ذكرك ويعلو ذكره ويطمع من يطمع ويجترئ عليك أجناد الروم خاصتهم وعامتهم
وترجع اليه الجواسيس وتكاتبه ملوكها في أمرك فاياك أن تبرح عن مجاهدته حتى يقتله
الله أو يسلم اليك ان شاء الله تعالى أو يحكم الله وهو خير الحاكمين وبث الخيل في السهل
والوعر والضيق والسعة وأكناف الجبال والاودية وشن الغارات في حدود الغارات ومن
صالحكم منهم فاقبل صلحه ومن سالمك فسالمه والله خليفتي عليك وعلى المسلمين وقد أنفذت
كتابي اليك ومعه عصبة من حضرموت وغيرهم وأهل مشايخ اليمن ممن وهب نفسه لله تعالى
ورغب في الجهاد في سبيل الله وهم عرب وموال فرسان ورجال والمدد يأتيك متواترا ان شاء
الله تعالى والسلام وختم الكتاب وسلمه لعبد الله بن قرط وجعدة وجعل القوم يجدون
في سيرهم ومع ذلك يسألون عبد الله بن قرط وصاحبه عن بلاد الشام وفتح البلاد وقتل الروم
الى أن سألوهما عن مستقر العسكر فقال لهم عبد الله ان جميع المسلمين وأميرهم محاصرون
لقلعة حلب وفيها عظيم من عظماء الروم ومعه أعلاج من أصحابه وقد تحصنوا في رأس قلعته
فقالوا له يا ابن قرط ما هؤلاء لا يدخلون في جملة من صالح من أصحابهم فقال لهم يا معاشر العرب
ألم تر بعد وقعة اليرموك رجالا أشجع من هذا فلقد قتل رجالا وجندل أبطالا وانه ليغير
على أطراف العسكر في وقت صلاتهم فيقتل رجالهم وينهب أموالهم ويرجع الى قلعته
وربما انه يستتر في سواد الليل في طلب العلافة فيقع بهم فيأسرهم ويأخذ دوابهم وجميع
زادهم وميرتهم ثم يعود الى قلعته ونحن لا نعلم به وان المسلمين له محاصرون ومنه خائفون
حذرون قال وكان فيمن سمع كلامه وفهمه مولى من موالي بني ظريف من ملوك كندة يقال له
دامس ويكنى بأبي الاهوال مشهور باسمه وكنيته وكان أسود كثير السواد بصاصا كأنه النخلة
السحوق اذا ركب الفرس العالي من الخيل تخط رجلاه بالارض وان ركب البعير العالي
تقارب ركبتاه رجلي البعير وكان فارسا شجاعا قويا قد شاع ذكره ونما أمره وعلا قدره في بلاد
كندة وأودية حضرموت وجبال مهرة وأرض الشجرة وقد أخاف البادية ونهب أموال

الحاضرة وكان مع ذلك لا تدركه الخيل العتاة وكان اذا أدركته العرب في بداياتها تعجبت من
صولته وشجاعته وبراعته فلما سمع دامس أبو الهول بذكر بوقنا وما فعل بالمسلمين كاد أن يتمزق
غيظا وحنقا وقال لعبد الله بن قرط أبشر يا أخا العرب فوالله لأجتهدت في أن يخذله الله على
يدي فلما سمع عبد الله كلامه جعل ينظر اليه شزرا وقال يا ابن السوداء لقد حدثتك نفسك
آمالا لا تبلغها وأشياء لا تدركها يا ويلك ألم تعلم أن فرسان المسلمين وأبطال الموحدين بأجمعهم
لمحاصرون ولاصحابه محاربون ومع ذلك لا يقدر أحد له على شر وقد كادوا لو كانوا قهروها فلما سمع
دامس كلام عبد الله بن قرط غضب وقال والله يا عبد الله لولا ما يلزمني لك من أخوة الاسلام
لبدأت بك قبله فاحذر أن تزدري بالرجال وان أحببت أن تعرفني فسل عني من حضر من
أهلي وما قد تقدم من فعلي الذي من ذكره تطيش العقول وتضيق الصدور وكم من عساكر
قتلتها وجموع فرقتها ومحافل بددتها وغارات شننتها ولا يضام الجار ولا يخفى عار ويحمد
الله أنا فارس كرار غير فرار ثم تركه مغضبا وسار أمام الناس وان قوما من العرب قالوا لعبد الله
ابن قرط يا أخا العرب ارفق بنفسك فانك وأيم الله تخاطب رجلا يقرب اليه البعيد ويهون عليه
الصعب الشديد وانه لجليد فريد لا تهوله الرجال ولا تفزعه الابطال ان كان في حرب كان في أولها
لا يدركه من طلب ولا يفوته من هرب فقال عبد الله لقد كثر وصفكم وأطنبتم في ذكركم
وأرجو أن يجعل الله فيه خيرا وفرجا للمسلمين قال ثم أخذ القوم في حث السير حتى قدموا حلب
الى أبي عبيدة وهو منازل أهل قلعة حلب ومحاصرها وقد أحاط المسلمون بالقلعة من كل
جانب فلما أشرف القوم عليهم أخذوا في زينتهم وجردوا سيوفهم وأشهروا سلاحهم ونشروا
راياتهم وكبروا بأجمعهم وصلوا على نبيهم فأجابهم أهل العسكر بالتكبير من كل جانب
واستقبلهم أبو عبيدة وسلم عليهم وسلموا عليه ونزل كل قوم عند بني عمهم وعشيرتهم ويوقنا
ما زال في كل ليلة يخبط اليهم برجاله ويناوشهم وذلك انه كان لا يقاتلهم الا قليلا ولا يظهر
من القلعة نهارا أبدا وكان أكثر خروجه في وقت خروج الناس فلما بات المسلمون
القادمون في تلك الليلة ونظرت طيء وشميس ونبهان وكندة وحضرموت الى شدة الحرس
وعظم حرسهم وحذرهم أقبل دامس أبو الهول على أهله الذين نزل عليهم من طريف وكندة
فقال لهم دامس والله ما أنتم محاصرون لا محالة فقالوا له وكيف ذلك قال لان العدو في رأس
قلعتهم وأنتم قدام العدو من الارض لقربكم ولا عسكر بازائكم تخافونه فما هذا الخوف
قالوا يا أبانا يا أبا الهول ان صاحب هذه القلعة علج ميشوم يترقب غفلتنا ويغير على أطرافنا
ويأتينا من مأمننا فبينما دامس يخاطب القوم واذا بالصيحة قد وقعت في طرف عسكر
المسلمين ولها جلبة عظيمة فوقف دامس منتضيا حسامه متمكنا جحفته وطلب الناحية التي سمع
منها الصوت حتى بلغ اليها واذا بيوقنا في خمسمائة رجل أبطال أنجاد وليوث شداد وقد وجد
فرقة من القوم فلما نظر دامس الى الروم وقع في وسطهم وجعل يقول

أنا أبو الهول واسمي دامس * أكر في جمعهم مداعس
ليث هزبر بطل ممارس * مدمر كل عدو ناكس

قال وجعل يضرب في أعراضهم بسيفه ومعه طائفة من بني طريف من شجعانهم وفرسانهم فلما

تنظر يوقنا ما نزل به تقهقر الى ورائه وقد قتل من رجاله مائتان ودامس يكر عليهم ويتبعهم الى رأس درب القلعة وكندة من ورائه فناداهم أبو عبيدة عزيمة مني عليكم أن لا يتبعهم منكم أحد في ظلمة هذا الليل فقال الناس يا أبا الهول ان الامير يعزم علينا وعليك بالرجوع فارجع رحمك الله فرجع دامس الى رحله وتراجع القوم الى رحالهم وقد أبليت كندة بلاء حسنا والناس قد خرجوا فلما أصبح الناس اجتمعوا للصلاة مع أبي عبيدة فلما قضيت الصلاة تفرقوا ولم يبق الا نفر يسير من امراء المسلمين فجعلوا يذكرون ليلتهم فقال خالد أصلح الله الامير لقد رأيت كندة وقد أبليت بلاء حسنا وقد تقدمت رجالها وثبتت أبطالها ومارأت تضرب حتى أزالت عنا حامية الكفر والعدو فقال أبو عبيدة صدقت والله يا أبا سليمان والله لقد أسعدت الناس كندة بثباتها والله لقد سمعتهم يقولون أحسن دامس وأجاد أبو الهول فقام الى أبي عبيدة رجل من رؤساء كندة يقال له سراقة بن مرداس بن يكرب فقال أصلح الله الامير دامس هو أبو الهول وهو مولى لطريف قدم مع هذا الوفد الذي ورد بالامس وهو رجل يفجر ويقول على الابطال ويفضح الشجعان ويذل الاقران لا يهوله جمع ولا يصعب عليه غارة فقال أبو عبيدة لخالد أما تسمع كلام سراقة في عبدهم دامس فقال خالد بوشك أن يكون صادقا في قوله ولقد سمعت بذكره وحديثه وشجاعته وبراعته ولقد أخبرني رجل يقال له النعمان بن عشيرة المهري ان دامسا هذا أغار وحده وهم على ساحل البحر في سبعين رجلا من أهل مهرة وكان دامس هذا يطلبهم لاجل ثار كان له عند القوم وكانوا يخافون منه ومن شره وبأسه فكانوا مع ذلك يفقدون بأموالهم ودوابهم ويهربون الى أطراف الجبال وسواحل البحر حذرا منه وكان مع ذلك يسأل عن أخبارهم ويطلع على آثارهم فلما صح عنده نزولهم على ساحل البحر استصرخ قومه للغزو فتثاقلوا ولم ينفر منهم أحد معه وكان خبيرا بالبلاد سهلها ووعرها برها وبحرها فلما أيس من قومه دخل الى خبايته واحتمل رزمة على عاتقه فأتاه أناس من قومه وقالوا له الى أين تريد وما هذا الذي معك فقال يا قوم أنا أريد الغارة على بني الشعر وآخذ بالثار وأكشف العار فقال له مشايخ الحي ما رأينا أعجب من أمرك وأنت تعلم أن بني الشعر سبعون فمن يريد أن يغير عليهم وحده ويأخذ منهم بالثار ما سمعنا بهذا أبدا وانا نرى أن تجهد جوادا وكانت جوادهذه أمة لبني حباس من الحضارمة وكانت بقرية من قرى حضرموت يقال لها أسفل وكان دامس بهذا يهواها وكل ما يأخذه من الاموال والخيل والابل يدفعه اليها ولا يعظم عليه كثرته وكان لا يرضى لها بالقليل ولا يشبع لها بالكثير فظن القوم أنه مضى اليها وقصد نحوها بحملته التي معه من رزمته فقال لهم وأيم الله اني بطل لما تظنون وسوف تعلمون أن ما أفعله الحق واليقين قال فرجع قومه وتركوه وسار الى أن أتى الى مرعى قومه فأخذ راحلته من ابلهم ورحلها وأخذ سيفه وجحفته وجعل الرزمة تحته وسار بقية يومه وليلته حتى اذا كان آخر الليل عطف بالراحلة الى بعض الاودية فأبركها وحل رحلها وعقلها ودورها ترعى معقولة ثم كمن بين حجرين وكان قريبا من القوم ويخاف أن يدور وابه فلما مضى عليه نهاره وأقبل ليله أتى الى راحلته وأبركها ورحلها واستوى في كورها وسار حتى أشرف على نار القوم فعدل بناقته حتى أشرف على الحي وكان في ذلك الشرف شجر من

الطلح

الطلح فأبرك ناقته وزم شدقها أثلا ترغي فيسمع القوم رغاءها ثم عمد الى رزمته فحلها واستخرج منها الثياب وأتى الى تلك الشجرة فجعل على عود منها مثل عمامة الرجل ويأتي بالعود ينصبه ويسنده بالحجارة ويطرح عليه الازار ولم يزل حتى أقام أربعين عودا على هذه الصفة وجعل عليه حلة حمراء أرجوانية وهبط من ذلك الشرف الذي عليه الثياب وقصد الحي ودار حول بيوتهم وتفكر في أمره وكيف يحتال وقد مضى أكثر الليل ثم صبر الى أن طلع الفجر وسار نحو الساحل فلما قرب منهم صاح فيهم وقال دنا أجلكم أنا أبو الهول ولقد أصبحتم بالويل وأخذتم من البر والبحر وجعل ينادي بالثار لظريف يا آل ظريف يا آل كندة فلما وقع صوته في أسماعهم ذهلت رجالهم وتصارخت نساؤهم وفزع القوم بين يديه من البيوت هاربين والى الساحل نحو الجبل طالبين وهو من خلفهم فلما رأوه وحده شجع بعضهم بعضا ورجعوا اليه يقاتلونه وطمعوا فيه لما رأوه وحده ولم يروا أحدا من ورائه وأخذوا في طلبه فجعل يكر عليهم ويرجع عنهم ويقتل رجلا بعد رجل فلما نظروا الى شدة بأسه وعظم مراسه وهول صولته وشدة حملته أرادوا أن يسبقوه الى الشرف ليأتوا اليه من ورائه فلما علم أنهم قد قاربوا الاعواد التي عملها وعليها الثياب خاف أن ينظروا اليها ويعلموا ما فعله من المكر فسبقهم الى الشرف وسار أمامهم وأقبل على الاعواد مخاطبا لها كأنه يخاطب الرجال وهو يقول يا أهل ظريف يا آل كندة يا أهل ظريف اياكم والقوم قد أتتكم الرجال فلا تحملوا عليهم وأنا أفديكم بنفسي فان رأيتم عليّ الحيف فاحملوا على القوم فمد القوم أبصارهم اليه فوجدوا عنده الثياب على الاعواد في انشقاق الفجر فلم يشكوا أنهم رجال فانقلبوا راجعين نحو البحر وجعل دامس ينادي ألا يا قوم أقسمت عليكم أن لا تبرحوا من أماكنكم وأنا أكفيكم مؤنة القوم وحدي فرجعت بنو مهرة ناكصين على أعقابهم هذا قد أردف زوجته وهذا أولاده وهذا أمته وهذا أخذ ما قدر عليه من أثاثه ورجع أبو الهول الى الحي فلم يصادف فيه الا العبيد والصبيان والمشايخ والعجائز وأمر العبيد أن يوقروا الجمال فحملوها وكتفهم وساق الجميع قدامه وعاد وأخذ الثياب من على الاعواد ولحقهم وأتى بهم ديار قومه فعجبوا منه ومن فعاله فلما سمع أبو عبيدة ذلك من خالد أقبل على سراقة وقال له ادع لي عبدكم حتى أنظر اليه وأسمع كلامه فأتى به سراقة فقال له أبو عبيدة أنت دامس قال نعم أصلح الله الامير فقال له بلغني عنك عجائب وأنت وأيم الله أهلها لانك جزل من الرجال واعلم انك وقومك تقاتلون في بلاد سهلة لا تؤتون الجبال ولا القلاع ولقد اقتحمت البارحة أثر القوم اقتحاما منكرا فارفق بنفسك واحذر من هذا البطريق يوقنا فقال له دامس أصلح الله الامير لقد غزوت مهرة وأخذت أموالها وان جبالها منيعة شامخة رفيعة ذات وعر وحجر وما هذه بأمنع من تلك الجبال فقال أبو عبيدة أنا أراك نجيبا فهل حدثتك نفسك من أمر هذه القلعة بشيء فقال دامس أصلح الله الامير اني لما قدمت عليك في هذا الوقت كنت رأيت في نومي رؤيا فقال أبو عبيدة وما الذي رأيت أراك الله الخير قال رأيت كأني سائر في وطاة من الارض واني مجد أطلب قومي فبينما أنا في مسيري اذ أشرفت عليهم وهم حائرون لا يتقدمون ولا يتأخرون فناديتهم يا قوم ما شأنكم وأي شيء عرض عليكم في طريقكم فقال لي

القوم ماترى هذا الجبل كيف قد عرض امامنا في آخر هذا الطريق وليس لنا فيه مسلك ولا مطلع فقلت صلى رسلكم ألا ترون هذه الفجوة في هذا الجبل فقالوا هيهات ليس لنا فيه منفذ ولا مطلع فقلت ولم ذلك قالوا الان فيه ثعبانا عظيما لا يمر به أحد الا وأهلكه وقد قتل رجالا وجندل أبطالا فقلت يا قوم ألا تهجمون عليه بأجمعكم قالوا لا نقدر على ذلك لان النار تخرج من أنفاسه وليس لنا عليه من سبيل فقلت لهم فالتمسوا لكم طريقا من وراء ظهره فقالوا لا نقدر على ذلك من عظم جثته فتركتهم والتمست لي طريقا فلم أجد الا طريقا صعبا حرجا فاقتحمته فما سلكته الا بعد المشقة وأتيت الى الثعبان من ورائه فقتلته ثم أشرفت على قومي فاتبعوني فما وصلوا الا بعد جهد جهيد وهم آمنون من عدوهم ثم استيقظت فرحا مسرورا فقال أبو عبيدة خيرا رأيت وخيرا يكون يادامس أمارؤياك هذه فانها للمسلمين بشارة ولعدونا خسارة ثم قال له اجلس مكانك وأمر أبو عبيدة أن ينادى المسلمين فحضر رؤساء المسلمين وأعيانهم فلما حضروا قال أبو عبيدة الله أكبر فتح الله ونصر وحبانا بالظفر وخذل من كفر ثم قال يا معاشر المسلمين اسمعوا رؤيا أخيكم دامس فانها عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن افتكر قال فاقبلوا يسمعون له فعندها قام أبو عبيدة على قدميه وقال الحمد لله وصلى الله على رسوله وسلم ثم معاشر الناس ان الله سبحانه وتعالى له الحمد قد وعدنا في كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الغلبة على أعدائنا والظفر بمرادنا وما كان الله ليخلف وعده واني نذرت ان فتح الله هذه القلعة على يدي أصنع من البر ما استطعت والآن قد هجس في نفسي ووقع في قلبي انا ظافرون بهذه القلعة ومن فيها ان شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لانه قد دلني على ذلك رؤيا هذا الغلام ثم قبض بكفه على زند أبي الهول وقال له رحمك الله حدث اخوانك بما رأيت في منامك فقام دامس قائما وقال اعلموا اني رأيت في منامي كذا وكذا وجعل يقص على الناس رؤياه من أولها الى آخرها فلما فرغ منها أقبل المسلمون على أبي عبيدة وقالوا له أيها الامير قد سمعنا قوله وحفظنا شرحه فما تأويل رؤياه قال أبو عبيدة اعلموا رحمكم الله أما الجبل الذي رآه عاليا شامخا شديد الامتناع بين الشعاب والقلاع فذلك دين الاسلام بلا شك وسنة محمد صلى الله عليه وسلم وأما الثعبان الذي رآه وقد منع الناس وقد هجم عليه بسيفه فأمر حسن هو أن يفرج الله على يديه عن المسلمين ففرح الناس بتأويل أبي عبيدة وقالوا أيها الامير فما الذي تأمرنا به فقال آمركم بتقوى الله سرا وجهرا ثم المكيدة على الاعداء طوعا وصبرا فارجعوا الى رحالكم حفظكم الله وأصلحوا شأنكم وآلة حربكم وما تحتاجون اليه فاني أقدمكم غداة غد الى أعاديكم الى أن يحدث لي رأي غير هذا فاني لست أدع الاجتهاد في الرأي والمشاورة لمن أثق به وبرأيه من المسلمين فقالوا بأجمعهم وفق الله رأيك أيها الامير وظفرك بأعدائك انه سميع عليم فعال لما يريد ومضوا الى رحالهم فجعل هذا يحد سيفه وهذا يصلح آلة حربه وفرسه وهذا يتفقد درعه وهذا قوسه ونشابه وما زالوا كذلك بقية يومهم فلما أصبحوا دعا أبو عبيدة بدامس وقال له أيها الولد المبارك ماذا ترى في أمر هذه القلعة وما عندك من الحيلة فقال دامس اعلم أيها الامير أنها قلعة منيعة شامخة حصينة تعجز الوافد وتمنع القاصد في أهلها المحاصرة ولا تضيق صدورهم من قتال غير اني أفكر في حيلة أحتال لها أو بلية أعملها

وأرجو من الله أن يتم ذلك عليهم فيكون ملاقيه لبد يدهم وعلك عشيرة القصد بارهم ونفتح الأرهم
فقال أبو عبيدة يا دامس وما هي فقال أصلح الله الأمير أنت تعلم ما في اذاعة الأسرار من الشر
والاضرار ومن كتم سره كانت الخيرة في يده وقال ان دامسا هذا أول من تكلم بهذه
الكلمة فصار مثلا فقال أبو عبيدة فما الذي تشير اليه وما الذي تعتمد عليه قال ترحل بعسكرك
وجملة من معك من أصحابك حتى تنزلوا بازاء القلعة ليظهر لهم منك الحرص والهيبة واعلم أن
في ذلك من الحيل ما أرجو من الله أن يتمها ان شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم فأمر أبو عبيدة عسكره بالرحيل فارتحلوا ونزلوا تحت القلعة وهللوا وكبروا وأظهروا
سلاحهم وأرهبوا أعداء الله تعالى قال فأشرف عليهم الروم ونظروا الى جميعهم فهابوهم
وألقى الله الرعب في قلوبهم حتى أنهم اضطربوا في قلعتهم وماجوا وجعل كبراؤهم يستشيرون
فيما بينهم فقال قوم نقاتلهم وقال قوم بل نقعد في قلعتنا فانهم لا يقدرون علينا ثم اجتمع رأيهم
على القتال من فوق القلعة وقعدوا على الابراج والبنيان وجعلوا يرمون المسلمين بالحجارة
والسهام وقد أقاموا على ذلك ليلا ونهارا ودامس مع ذلك يعمل حيلة يصل بها اليهم بسوء قال
فلما كان بعد السبعة والاربعين يوما أقبل دامس على أبي عبيدة وقال له أيها الامير قد عجزت
وأنا أعمل حيلا أخاصمهم من يدي في حقهم شيء وقد افتكرت في شيء وأرجو من الله أن يكون
به الظفر والظهور على أعداء الله فقال أبو عبيدة وما الذي دبرت قال تضيف الي من صناديد
الرجال ثلاثين رجلا وتأمرهم بالطاعة وترك المخالفة والاعتراض علي فيما آمرهم به وأفعله
وأراه فقال أبو عبيدة سأفعل ذلك ثم ضم اليه ثلاثين رجلا من الشجعان حتى اذا اجتمعوا قال
لهم أبو عبيدة معاشر المسلمين اني قد أمرت دامسا عليكم وأمرتكم بالطاعة والقبول لامره
واعلموا رحمكم الله أني ما أمرته عليكم لكونه أجل منكم حسبا ونسبا ولا أعظم موكبا
ولا أشد بأسا ولا أكثر مراسا فلا يقل أحدكم اني قد أمرت عليكم عبدا احتقارا بكم وبالله
أحلف مجتهد الولا ما يلزمني من تدبير هذا العسكر لكنت أول من ينطلق معه في جمعكم وأنا
أرجو من الله أن يفتح على أيديكم فأقبلوا عليه بجمعهم وقالوا أصلح الله الامير ما نشك في
اعظامك لنا ومعرفتك بسابقيتنا ولقد كان كلامك الاول أثر في نفوسنا وها نحن لك وبين
يديك لو أمرت علينا عبدا أغلف لم نخرج لك من أمر ولا رأي اذ علمنا انك لا تريد الا نصرة الدين
وحياطة فالسمع والطاعة لله ثم لك ثم لمن وليته علينا من قبلك كائنا من الناس أجمعين قال
ففرح أبو عبيدة بما قالوه ووثق بكلامهم وجزاهم خيرا وقال لهم اعلموا رحمكم الله تعالى ان
نفسي تحدثني أن الله تعالى يفتح هذه القلعة على يد هذا العبد المقبل لانه دقيق الحيلة حسن
البصيرة فسيروا معه وثقوا بالله وتوكلوا عليه وقد تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
ولى قوادا على سادات العرب من المسلمين والاشراف من عشيرته ثم أقبل على دامس فقال له
يا دامس ما الذي تحب بعد هذا قال ترحل أنت بجيشك من وقتك هذا فتكون منا على مسيرة
فرسخ فتنزل بالعسكر وتأمرهم بقلة الحركة وأن يختفوا ما استطاعوا ويكون لك رجال تثق
بشدتهم ونصحهم للمسلمين يتجسسون عن أخبارنا وآثارنا من غير أن يعلم بهم وبنا أحد ويكونون
بغير سلاح سوى الخناجر فاذا عاينوا منا الظهور على أعدائنا والظفر بهم لحقوك

ويشير بذلك فتطيب بنا ان شاء الله تعالى ولكن لا تكونوا متفرقين في موضع واحد فان ذلك أسلم لهم
وأبلغ لما يريدون من أمورهم والله المستعان في جميع الامور والاحوال فعلم أبو عبيدة أنه
نصيح من الرجال صاحب رأي وبصيرة ثم ان دامسا أقبل على رفاقه الذين ولي عليهم وقال لهم
يا فتيان العرب انهضوا بنا بارك الله فيكم حتى نكمن في بعض هذا الوادي ما دام الناس
عازمين على الرحيل لئلا تشرف الروم فينظروا الى رحيلنا فلا يتفق لنا أن نطلب لنا مكمنا
اذا أشرفوا من أعلى حصنهم وليكن مع كل رجل منكم سيفه وحجفته وخنجره لا غير ففعلوا ذلك
فلما تكاملوا لبس دامس لامة حربه وجعل خنجره تحت أثوابه وأخذ جماعته وخرج بهم حتى
اذا فارق العسكر جعلوا يخفون آثارهم وأشخاصهم وهو سائر بهم حتى أتى بهم كهفا في الجبل
فأمرهم بالدخول اليه وجلس على بابه قال وأما أبو عبيدة فانه أمر الناس بالرحيل بعد ما رتب
الرجال كما وصاه أبو الهول فارتحل العسكر وأشرف عليهم أهل القلعة فرأوهم يرحلون
ففرحوا بذلك وسروا سرورا عظيما وصاروا يصيحون على المسلمين من أعلى القلعة وقالوا
لبطريقهم أيها السيد افتح لنا الباب حتى نخرج وراء العرب فلعل أن نقتل منهم أحدا
أو نأسره فنهاهم عن ذلك قال وداموا بقية يومهم الى العشاء فقال دامس لاصحابه من فيكم
ينهض الى تحت القلعة ويأتينا بخبر منها أو يقدر على رجل يأسره فيأتينا به فنأخذ منه خبرا
فلم يجبه أحد فقال أنا أعلم أن ما في هذه الجماعة الا من هو ضنين بنفسه كاره للموت وأنا لكم
الفداء فانظروا كيف تكمنون ثم تركهم دامس ومضى فغاب عنهم ساعة واذا به قد أتى ومعه
علج وقال لهم يا فتيان العرب دونكم هذا فاسألوه فسألوه فلم يفقهوا قوله فقال على رسلكم
وغاب غير بعيد وأتى بثلاثة أخر فلم يكن فيهم من يفهم بلغة العرب فقال دامس لعن الله هؤلاء
ما أقطع لغتهم وأكثر طمطمتهم ثم أوثقهم كتافا وغاب الى أن مضى من الليل نصفه ولم يأت فقلق
عليه أصحابه قلقا شديدا واغتموا عليه وقال بعضهم لبعض أنا أقول ان دامسا قد فطن به فقتل
أو أسر وماجوا في ذكره وهموا أن يرجعوا الى العسكر فبينما هم في ذلك اذ دخل عليهم
دامس وهو يقود رجلا من الروم فتواثبوا اليه وقبلوه بين عينيه وسألوه عن ابطائه وقالوا له
يا دامس لقد حدثتنا نفوسنا بالعظائم وصعب علينا ابطاؤك عنا فقال اعلموا رحمكم الله
تعالى اني لما فارقتكم سرت الى قريب من سور القلعة وكمنت لهم وهم يمرون علي وهم
يرطنون بلغتهم وأنا لا أتعرض للقوم كل ذلك وأنا أطلب من يتعرض للعربية ويتكلم بها
فلم أر أحدا حتى أيست وهممت بالرجوع خائبا اذ سمعت هدة شديدة قد وقعت من أعلى
السور فأسرعت اليها لانظر اليها ما هي فاذا أنا بهذا الرجل وقد ألقى نفسه من القلعة الى
أسفل السور فبادرت اليه وأخذته وأتيت به اليكم فانظروا ما هو فدنوا اليه وخاطبوه فلم
يكلمهم الا بلغته واذا به قد انفتحت جبهته فقال لهم دامس اعلموا أن له شأنا وأي شأن واني
أظنه هاربا من القوم وليس فيكم من يفهم ما يقول ولكن على رسلكم فأنا آتيكم بمن يتكلم
بلسانه وبالعربية ثم أسرع دامس من عندهم فلم يكن الا قليلا واذا به قد عاد ومعه رجل
قد نزلت عمامته في رقبته وهو يقوده حتى مثله عندنا فقالوا له من المدينة أنت أم من القلعة
فقال له دامس ممن أنت تكون أمن الروم أم من العرب المتنصرة قال لا والله لكني من العرب

المتنصرة

المتنصرة فقالوا يا هذا اهل لك أن تطلعنا على عورات القلعة أو عورة من عوراتها ونحن نطلق سبيلك ولا يتعرض اليك أحد بسوء فقال يا هؤلاء لست أعرف لهذه القلعة عورة ولا طريقا ولو عرفت لما وسعني في ديني ولا رأيت أن أدلكم عليها وحق المسيح قال فاغتاظ منه دامس وقال له اسأل هؤلاء الاسارى هل فيهم أحد من أهل الربض فان بيننا وبينهم صلحا قال فسألهم فلم يجد فيهم أحدا من أهل الربض بل كلهم من أهل القلعة وأنا أعرفهم فقال له دامس فاسأل هذا الرجل لم طرح نفسه من السور وما دعاه الى ذلك فسأله فقال له انه يقول ان الملك يوقنا غضب على أهل الربض لاجل صلحهم لكم وبعث يتهددهم فلما انصرفت العرب نزل يوقنا فجمع رؤساءهم وأصعدهم الى القلعة وأنا في جملتهم وطلب منا من الاموال ما لا طاقة لنا به ولا نقدر عليه فلما رأيت ما قد نزل بنا هربت وألقيت نفسي من القلعة أطلب الفرج وأنجو من العقوبة فلم أشعر الا وأنت قد قبضت علي وأنا من أهل الربض فان كنتم من العرب فأنا في ذمتكم وأمانكم فلا تنكثوا ولا تغدروا وان كنتم من غيرهم فاطلبوا مني ما أردتم من الفداء فاني قد هربت من العقوبة فقال له دامس قل له نحن من العرب ولا بأس عليك ولا خوف ولا ينالك منا سوء وأراد دامس أن يرى الربضي ما يفعل بأعدائه فأخرج الروم والمتنصرة وضرب رقابهم ولم يدع غير الربضي ثم أطلقه واستمروا الى الليل وعمد دامس الى مزوده واستخرج منها جلدا ماعزا وألقاه على ظهره وأخرج كعكا يابسا وقال لاصحابه بسم الله استعينوا بالله وتوكلوا عليه وأخفوا انفوسكم وقدموا الحزم في أموركم فاني معول على فتح هذه القلعة ان شاء الله تعالى فقالوا اسر على بركة الله تعالى فقاموا مسرعين وتقدم دامس وبعث رجلين من أصحابه يعلمان أبا عبيدة بشأنهم ويقولان له ابعث الخيل عند طلوع الفجر قال فانطلق الرجلان وصعد دامس ومن معه تحت الظلام ودامس على المقدمة يمشي على أربعة والجلد على ظهره وكلما أحس بشئ قرض في الكعك كأنه كلب يقرض عظما وهم من ورائه يقفون أثره وهم يستترون بين الاحجار فلا زالوا كذلك حتى لاصقوا السور وسمعوا أصوات الحرس وزعقات الرجال من أعلى القلعة والحرس شديد فلم يزل دامس دائرا بهم حول السور الى أن أتى الى مكان لم يجد به حسا واذا بحرسه قد ناموا وراء المكان ولم يروا في السور أقرب منه فقال دامس لاصحابه أنتم ترون هذه القلعة وعلوها وتحصينها وليس فيها حيلة لشدة الحرس ويقظة القوم فالذي ترون من الرأي أن نصنع بها وكيف الحيلة في الصعود اليها الى أن نحصل في وسطها فقالوا يا دامس ان الامير أمرك علينا وأنت أدرى منا وأجرأ جنانا ونحن لك وبين يديك فمهما رأيت فيه الصلاح للمسلمين فلا نتأخر عنه ووالله ان قتل نفوسنا وذهاب أرواحنا أسهل علينا من الرجوع بغير فائدة فمنك الامر ومنا السمع والطاعة فليس منا من يتأخر عنك ولا نموت الا تحت ظلال السيوف وفي طاعة الله ونصرة دين الاسلام فقال دامس شكر الله فضلكم ورزقكم النصر على أعدائكم فان كانت هذه نيتكم فالتصقوا بنا الى هذا المكان قال وكانوا ثمانية وعشرين رجلا واثنان كانوا أرسلوهما الى الامير يعلمانه بان يأتي اليهم في الصبح فقال لهم دامس أيكم من يقدر على الصعود على هذه القلعة فقلنا له يا أبا الهول وكيف لنا أن نرقى اليها وعلى أي شئ نصل الى أعلاها بغير سلم فقال على رسلكم ثم انه اختار

مناسبعة رجال كالاسود الضوارى لو كلفوا حمل ذلك البرج على مناكبهم لما عظم ذلك عليهم
ثم جلس على قرافيصه وقال لاحد السبعة اجلس على منكبي وارم بجنبيك الى الجدار واجلس
كما أنا جالس ففعل الرجل ما أمره به وأمر آخر ان يفعل ويصعد على منكبه الآخر وأن يرمي
بقوته على الجدار قال ففعل ثم انه لم يزل يصعد واحد بعد واحد الى أن صعد الثامن
بقوته على الجدار وهم متمسكون به فعند ذلك أمر الاعلى أن يقوم قائما وان يطرح حيله على
الجدار فقام الاول وقام الثاني ثم قام الثالث ثم قام الرابع والخامس والسادس وكل واحد منهم
قد طرح نفسه على الجدار ثم قام دامس آخرهم فاذا الاعلى قد وصل الى شرافة السور وتعلق
بها فاستوى على السور ونظر الى حارس ذلك المكان فوجده نائما وهو ثمل من الخمر فأخذ بيده
ورجله ورماه فلما وصل الى الارض قطعوه وأخفوا جسده ووجد من أصحابه اثنين سكارى
وهم رقود فذبحهم بخنجره ورمى بهم ثم أرخى عمامته لصاحبه ونشله اليه فاذا هو معه على السور
وكان دامس قد أعطاه حبلا فبقوا يشيلون به بعضهم الى أن تكاملوا على السور وأصعدوا من
بقي معهم على الارض وكان آخر من صعد أبا الهول فقال لهم مكانكم حتى أقفو الخبر وأكشف
لكم الاثر ثم انه أتى الى دار البطريق وهو في وسط القلعة واذا عنده سادات البطارقة
وأكابرهم وهم جلوس وبين أيديهم بواطي الخمر ويوقنا جالس في وسطهم على بساط من الديباج
منسوج من الذهب وعليه بدنة من اللؤلؤ ومعصب بعصابة من الجوهر والقوم يشربون
والمسلمون بالبخور يفوح عندهم فعاد دامس الى أصحابه وقال اعلموا ان القوم خلق كثير وان
هجمنا عليهم فلا نأمن الغلبة من كثرتهم ولكن ندعهم فيما هم فيه فاذا كان وقت السحر
هجمنا على يوقنا ومن معه من الملوك نقتلهم بسيوفنا فاذا ظفرنا بهم واذلهم الله لنا وعلى أيدينا
فهو الذي تريدون وان كان غير ذلك فيكون الصباح قد قرب ولا شك أن الرجلين من أصحابنا قد أعلما
خالد بن الوليد فيأتينا فقالوا ما نخالف لك أمرا ونحن قد صرنا في قلعة هؤلاء الاعداء وليس
ينجينا الا صدق جهادنا والعزم والشدة من قوتنا فقال لهم مكانكم فلعل ان أفتح الباب
قال وكان للقلعة بابان وبينهما دهليز والبوابون داخلهما والرجال تنام عندهم بالنوبة فلما
وصل دامس الى الباب وجده مغلقا واذا بالقوم رقود من السكر فعاجلهم بالذبح ثم فتح البابين
وتركهما مردودين ورجع الى أصحابه وقد قرب الفجر فقال لهم أبشروا فاني قد فتحت البابين
وقتلت من كان وراءهما فدونكم والباب فاسبقوهم اليه وخذوه عليهم فقد بقي القوم
حصيدا بأسياف المسلمين ان شاء الله تعالى قال وأرسل من يستعجل خالدا ويبشره بذلك ثم
أرسل خمسة من أصحابه يمسكون الباب وأخذ الباقين ومشى نحو دار يوقنا فصاحوا عليه ووقع
الصائح في القلعة فرجعوا بأجمعهم الى الباب وأخذ كل واحد منهم مكانا يحميه فعندها
جاءتهم الابطال وصاحت الروم ويلاه كيف تمت علينا هذه الحيلة وصرخ يوقنا بأصحابه فأتوا
من كل جانب فعندها كبر المسلمون ونادوا بلسان واحد الله أكبر فخيل للروم أن القلعة ملآنة
منهم قال ابن أوس وقاتلت الروم قتالا شديدا وأما المسلمون فكانوا كالاسد الضاري فما رأيت
أقوى بأسا ولا أشد مراسا من دامس أبي الهول في ذلك اليوم فلقد عددنا في بدنه بعدما
انفصلنا ثلاثة وسبعين جرحا كلها في مقدمة بدنه قال فبينما نحن في أشد القتال ونحن يحمي

بعضنا بعضا وقد بقى منا ثلاثة وعشرون وقتل منا أربعة وهم أوس بن عامر الحزمى من بنى حزم وأبو حامد بن سراقة الحميرى والفارع بن مسيب التميمى وفزارة بن مرداد العوفى ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ لقد حدثنى نوفل بن سالم عن جده غويلم بن حازم وكان ممن صحب دامسا فى قلعة حلب قال لما قتل من قتل منا وقد قتل أيضا ملاعب بن مقدام بن عروة الحضرمى وكان ممن حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية وتبوك ومرارة بن ربيعة العامرى وهلال بن أمية وهو ابن أخى كعب الذى تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تبوك وأنزل الله فيه ما أنزل قال وبقينا عشرين رجلا وتكاثرت الروم علينا فى أزيد من خمسة آلاف وهم سد من حديد قال ونحن قد أيسنا من الحياة اذ دخل علينا خالد بن الوليد ومعه جيش الزحف فوحدونا ونحن فى أشد ما يكون من القتال فلما دخلوا علينا صاح فيهم خالد فجفلت الروم عما قال أوس فلما رآيناهم كذلك وانفرج عنا ما كنا فيه اشتدت قلوبنا فعندها كبرت المسلمون ودخل ضرار وأمثاله يضربون رقابهم فلما رأى الروم ذلك وعلموا أنهم لا طاقة لهم بما وقع بهم ألقوا السلاح ونادوا الغوث الغوث وكفوا أنفسهم عن القتال فكفت المسلمون أيديهم عنهم فبينما هم كذلك اذ أقبل أبو عبيدة ومعه عساكر الاسلام فأخبروه أن الروم يطلبون الامان وأن المسلمين قد رفعوا عنهم القتل الى أن تأتى وترى فيهم رأيك فقال أبو عبيدة قدوهم وسدوا وأمر باحضار رجالهم ونسائهم فعرض عليهم الاسلام فكان أول من أسلم بطريقهم يوقنا وجماعة من ساداتهم قال فرد عليهم أموالهم وأهاليهم واستبقى منهم الفلاحين وعفا عنهم من القتل والاسر وأخذ عليهم العهود أن لا يكونوا الا مثل أهل الصلح والجزية وأخرجهم من القلعة قال ثم أخرج المسلمون من الذهب والاوانى مالا يقع عليه عدد فأخرج منه الخمس وقسم الباقى على المسلمين وأخذ الناس فى حديث دامس وحيله وعجائبه وعالجوا جراحته حتى برأت قال وأعطاه أبو عبيدة سهمين ثم ان أبا عبيدة طلب أمراء المسلمين وأكابرهم وشاورهم فى امره وقال ان الله وله الحمد قد فتح هذه القلعة على أيدى المسلمين وما بقى لنا موضع نخافه فهل نقصد أنطاكية وهى دار الملك وكرسى عزهم وفيها بقية ملوكهم مع هرقل فما ترون من الرأى قال فعندها قام البطريق يوقنا وتكلم بلسان عربى فصيح وقال أيها الامير ان الله تبارك وتعالى قد أيدكم وأظفركم بعدوكم ونصركم وما ذلك الا أن دينكم هو الدين القويم والصراط المستقيم ونبيكم هو المشهور فى الانجيل وهو لا محالة الذى بشر به المسيح ولا شك فيه ولا مراء وهو الفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل وهو النبى الكريم اليتيم الذى يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه فهل كان ذلك أم لا أيها الامير فقال أبو عبيدة نعم هو نبينا صلى الله عليه وسلم والذى بالرأي يوقنا قد حرت فى أمرك وأنت بالامس تقاتلنا ومرادك أن تكسر عسكرنا وتقطع الطريق على علوقتنا واليوم تقول مثل هذا القول وقد بلغنى أنك لا تفهم بالعربية شيأ فمن أين لك حفظها فقال لا اله الا الله محمد رسول الله وأنت تعجب أيها الامير من هذا الامر قال نعم قال له اعلم أيها الامير أنى كنت البارحة مفكرا فى أمركم وقد وصلتم الى قلعتنا ونصرتم علينا وانه لم يكن عندنا أمة أضعف منكم وتوسوست فى ذلك فلما نمت رأيت شخصا أبهى من القمر وأطيب رائحة من المسك الاذفر ومعه جماعة فسألت عنه فقيل لى هذا محمد

رسول الله فكانى أقول ان كان نبيا حقا فليسأل ربه أن يعلمنى العربية وكان يشير الى وهو يقول يا يوقنا أنا محمد الذي بشر بي المسيح وأنا لا نبي بعدي وان أردت فقل لا اله الا الله وانى محمد رسول الله قال فاخذت يده فقبلتها وأسلمت على يده واستيقظت وفى من تلك الليلة كالمسك الاذفر وانا أتكلم بالعربية ثم انى جئت الى منزل أخي يوحنا وفتحت خزانة كتبه فوجدت فى بعض الكتب صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما يكون من أمره ووجدت كل الصفات وهو ان أبغض الخلق اليه اليهود أكان ذلك أيها الامير أم لا فقال أبو عبيدة نعم كانت اليهود تطلبنا أشد الطلب حتى نصرنا الله عليهم وأخذنا حصونهم وقتلنا أبطالهم قال يوقنا ووجدت هذا فى سيرته وجملة أخباره وأن الله تعالى كان يوصيه بأصحابه وبالمسلمين وبالايتام والمساكين أكان ذلك أم لا قال أبو عبيدة نعم أما وصيته من الله على أصحابه فقد قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال فى حق اليتيم والمسكين فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر فقال يوقنا كيف قال ووجدك ضالا فهدى فما معنى وصفه بالضلال وهو عند الله كريم فقال له معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه وجدناك ضالا فى تيه محبتنا فهديناك الى مشاهدتنا وأيضا سهل لك الوصول الى سبل المكاشفة ووفقك للوقوف فى مقام المشاهدة ووجدك ضالا فى مجال الطلب على مركب الطلب فهداك الى سواحل الحق وقربك الى ظل حقائق الصدق لتكون بقلبك مائلا عن الاغيار وتهيم فى ميدان الاختيار متمنيا ساعات الوصول والتلاق وليس لك مصابر ولا معك ما تر أحبابك لوائح الرضا وكشفنا لك عن واضح القضا أما علمت يا يوقنا أنه لا شئ عند المؤمن أوفى من العلم ولا أربح من الحلم ولا حسب أونفع من الدين ولا قرين أزين من العقل ولا رفيق أشر من الجهل ولا شئ أعز من التقوى ولا شئ أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أعلى من الصبر ولا سيئة أخزى من الكبر ولا دواء ألين من الرفق ولا داء أوجع من الخرق ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصح من الصدق ولا فقر أذل من الطمع ولا شئ أشقى من الجمع ولا حياة أحسن من الصحة ولا معيشة أهنى من العفة ولا عبادة أفضل من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت فلما سمع يوقنا هذا الكلام من معاذ تهلل وجهه وقال هكذا قرأته فى كتب أخي يوحنا وهو مذكور فى الانجيل والتوراة ثم خر ساجدا وقبل الارض شكرا وقال الحمد لله الذى هدانى الى هذا الدين ووالله لقد رسخ هذا الدين فى قلبى وعلمت أنه الحق وسأقاتل فى الله كما كنت أقاتل فى طاعة الشيطان ووالله لأنصرن هذا الدين حتى ألحق بأخي يوحنا ثم انه بكى بكاء شديدا على ما فرط فى أمر أخيه فقال له أبو عبيدة قال الله فى حق اخوة يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وقال له ان أخاك فى عليين مع الحور العين وأما أنت فساعة أسلمت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك فبكى لذلك وقال أشهد على المسلمين أنى كلما جاهدت وقتلت من المشركين فثوابه فى صحيفة أخي يوحنا ولا بد أن أقاتل فى سبيل الله وأمحو ما سلف من الفعال فقال أبو عبيدة يا عبد الله دلنا أين نسير فقال يوقنا اعلم أيها الامير أن حصن أعزاز حصن منيع وهو قوى بالرجال والعدد والزاد وفيه ابن عم لى اسمه دراس بن جوفناس وهو ذو شدة وبأس وقوة ومراس جلمد فى الحرب قوى عند الطعن

والضرب

والضرب وان أنتم تركتموه ومضيتم الى غيره أفلطا كيسة أغار على حلب وقنسرين والله انهم شرا

فقال أبو عبيدة يا عبد الله لقد أنطق الله لسانك بالحق والصواب فما عندك من الحيلة فقال

يوقنا عندي من الرأي أن أركب جوادي وتضم الي مائة فارس من المسلمين ويلبسون مثل زي

الروم ولباسهم وأتقدم بهم ثم يتقدم أميرمن العرب ومعه ألف فارس على أخفاف الخيل وآثار

المقدمة بالمائة فارس على مقدار فرسخ كأننا هاربون منكم وأوائل الخيل الالف في طلبنا

فاذا أشرفنا على أعزاز دق الصوت [illegible] واذا نار البلد [illegible] لابد أن ينزل الينا ويلقانا

[illegible] أنى أخبرته أني أسلمت [illegible] العرب في طلبي فانه اذا سمع مني ذلك

[illegible] فاذا كان [illegible]

[illegible] السيف في [illegible] كان [illegible] الفجر [illegible]

العرب [illegible] أبو عبيدة [illegible] خالدا ومعاذا في ذلك

[illegible] فقال أبو عبيدة [illegible]

[illegible] والله [illegible] الامور

والمسلمين [illegible] الاديان

والله [illegible] محمد ورسوله صلى الله عليه وسلم

[illegible] أفعل شيأ [illegible]

[illegible] ولم [illegible] كان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] نعمة الله [illegible] ولاخره خير

وأرز [illegible] واعلم [illegible]

والمؤمن [illegible] الا [illegible]

بالذكر [illegible] والزهد [illegible] شعاره والخوف [illegible]

[illegible] والتقوى [illegible]

والعبادة [illegible] والجنة داره [illegible] قال [illegible]

ومثل [illegible] الله [illegible]

أربعا أعطي أربعا [illegible] الله تعالى من أعطي [illegible]

[illegible] لان الله تعالى يقول اذكروني أذكركم ومن أعطي الدعاء أعطي الاجابة لان الله

تعالى يقول ادعوني أستجب لكم ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة لان الله يقول لئن شكرتم

لأزيدنكم ومن أعطي الاستغفار أعطي المغفرة لان الله تعالى يقول استغفروا ربكم انه كان

غفارا ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ حدثني [illegible] قال حدثني يونس

ابن عبد الاعلى قراءة عليه [illegible] عن جده عامر [illegible] قال كنت ممن شهد فتوح

الشام وكنت في فتوح قنسرين وحلب مع أبي عبيدة وكنت كثيرا ما أعجب الروم الذين دخلوا

في ديننا لم أر منهم أشد اجتهادا ولا أخلص اعتقادا ولا أعظم يقينا ولا أحسن في الجهاد نية

ولا أبلغ في قتال الروم من يوقنا ولقد نصح والله المسلمين وجاهد في الكافرين وأرضى ربنا العال[illegible]
ولقد فعل في الروم ما لم يقدر أحد عليه من أبناء جنسه من بعد ما لاقى المسلمون منه على [illegible]
حلب ومن [illegible] كهم ينامون ولا يقر [illegible] ولياليه لا ولا نهارا وما قتل من المسلمين رضي الله تعا[لى]
[عن]هم أجمعين

﴿ذكر فتح أعزاز﴾

﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ [illegible] أعزاز [illegible]
[illegible] مائة فارس [illegible] الروم [illegible] وكان [illegible] قال وهم من طي [illegible]
[illegible] على كل عشرة [illegible]
[illegible]
[illegible] الخدارمة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الله [illegible]
[illegible] الله [illegible] قال [illegible] أرسل [illegible]
[illegible] فارس وأمر [illegible]
[illegible] هذا الحصن [illegible]
[illegible] يقدم قومه [illegible]
في قرية [illegible] الحصن وهي [illegible]
طريق وسار طالبا اعزاز ﴿قال الواقدي﴾ حدثني [illegible] بن عبد الله اليشكري [illegible]
[illegible]
[illegible] اعزاز [illegible] اعلموا باقتنان [illegible]
[illegible]
[illegible] فادارا [illegible] صاحب الحصن [illegible] بسم الله تعالى ثم سار وأوب[illegible]
[illegible] من نور الصدر ﴿قال الواقدي﴾ حدثني سليمان بن عبد الله اليشكري [illegible]
حدثني عبد الرحمن الداري وكان ممن يكتب فتوح الشام قال حدثني الاكوع بن عامر [illegible]
قال كنت مع مالك الأشتر في جملة الألف حين سرنا في أثر يوقنا صاحب حلب حتى إذا [illegible]
تلك الشجر [illegible] الصباح وإذا نحن بجيش من ورائنا من عرب الشجر [illegible] فسار مالك
الاشتر وقصد الحصن فغار عنا [illegible] وعاد ومعه رجل من العرب المتنصرة وقد أقبل به
[illegible] فسأله [illegible] هذا الرجل فقلنا وما الذي يقول قال [illegible]
[illegible] وقلنا من أي الناس أنت قال من غسان من بني عم جبلة بن الايهم فقال له ما
ما اسمك قال اسمي طارق بن شيبان فقال له يا طارق بحق ذمة العرب لا تكتمنا أمرا تعرفه
[illegible] قال والله لا أكتم أمرا أعرفه ولكن خذوا على أنفسكم قبل قدوم عدو [illegible] قال
وكيف ذلك قال [illegible] جاسوس من عندكم وهو [illegible]

وكان

الى كتب رقعة وربطها ... فبعثت اليه بالرسالة وهو قادم في
لصاحب الراوندات لوقا بن شماس يستنجد بمثلكم وقد هجموا فخذوا حذركم (قال الواقدي) وأما ما كان من أمر
فارس وكان معكم ... ومعه أصحابه وهو سائر
سار حتى وصل الى الحصن فوجد صاحبه قد تجهز بنفسه ومعه أصحابه وهو خارج
كان اللعين يركب في ثلاثة آلاف فارس من الروم وأناس من العرب المتنصرة غير من
ومن السواد فلما قدم عليه لوقا لم يوهمه في شيء من أمره بل استقبله وترجل اليه
كأنه يقبل ركابه وكان في يده سكين أمضى من القضاء فقطع بها حزام فرس لوقا وجذبه
اذا به قد وقع على أم رأسه فاطبق الاربعة آلاف على أصحاب رسول الله صلى الله عليه
عليهم حتى أخذوهم قبضا باليد وشدوهم كتافا وبصق دراس في وجه لوقا وقال
غضب عليك المسيح والصليب فارقت دينك ودخلت في دين أعدائك ووحق المسيح
أن أبعثك الى الملك الرحيم هرقل يصلبك على باب انطاكية بعد ما أضرب رقاب هؤلاء
ثم انه أصعدهم الى الحصن (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ومن خديعة الله للمسلمين أن
سوس لم يكتب لصاحب اعزاز في مكاتبته بمسير مالك الاشتر قال وان مالكا الاشتر لما سمع
المتنصر أيقظ أصحابه وربط المتنصر عنده وأقاموا ينتظرون صاحب الراوندات فلما
في الليل سمعوا وقع حوافر الخيل فلم يكلمهم مالك حتى توسطوا الكمين وأطبقوا عليهم
كل التكبير ... واحد من الروم وأخذوهم بالكف ولم يفلت منهم أحد وبنوا ثيابهم
وفعوا رايتهم وسلبهم كما كانت ثم ان مالكا الاشتر قال للمتنصر هل لك أن ترجع الى دين الله
وجل ودين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيمحو عنك ما سلف من الكفر بالايمان وبقي لنا
من حمله الاخوان فقال ان قلبي وأبي عندكم فلا جزى الله من أخذنا الى الدخول في هذا الدين
تمرا وأنا والله من الطائفة التي هي أول من أسلم على يد عمر بن الخطاب وقد سمعنا عن محمد
صلى الله عليه وسلم أنه قال من بدل دينه فاقتلوه فقال له مالك لقد صدقت في قولك ولكن
نسخ هذا الحديث بقول لا اله الا الله فقد قال الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا
فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات الآية وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبة وحشي
قاتل عمه حمزة فأنزل الله فيه الآيات فلما سمع الغساني ذلك فرح وقال أنا أشهد أن لا اله الا الله
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والآن والله يا مالك قد طاب قلبي وانجبر كسري أخذ الله بيدك
وأنقذك الله يوم القيامة قال ففرح مالك باسلامه وقال له وفقك الله وثبت ايمانك ثم قال له
يا عبد الله اني أريد أن تمحو ما سلف منك بما تفعله فقال وما تريد أيها الامير قال تمضي الى صاحب
اعزاز وتبشره بقدوم صاحب الراوندات الى نصرته فقال أفعل ذلك ان شاء الله تعالى وان
كنت في شك من أمري فأرسل معي من تثق به حتى يسمع ما أقول فان الليل قد تنصف والحرس
شديد وباب الحصن مقفول وأنا أخاطبهم من شفير الخندق قال فأرسل معه مالك ابن عمه يقال
له راشد بن مقيس ووصاه أن يكون متيقظا فسارا جميعا الى أن وصلا الى الحصن فوجدا
الحرس شديدا والروم تضرب بوقاتها والصوت عال في وسط الحصن فقال طارق لابن عم

بالاسلام ثم توجه الى الاقتتال وضرب بحرابه ما نسكا رد له وكما قال طارق (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان السبب في ذلك أن ابن صاحب اعزاز شاب شجاع يقال له لاوان كان يأتي دراس في كل وقت برسله الى يوقنا بالهدايا والتحف لما بينهم من القرابة وكان يقيم عنده أشهرا اعزمكان واتفق حضر عنده في بعض المرات في عيد الصليب في البيعة التي في البرج الخامس وكان يدخل في كل وقت فرأى يوما ابنة يوقنا وهي بين جواريها وخدمها وحشمها فوقع بقلبه حبها فكتم أمرها وعاد الى اعزاز وشكا حاله الى أمه وما كان لا يسعه ولغيره وهي شيء امعجبة عظيمة فقالت له أنا اخاطب اباك في ذلك والزمه ان يرسل لخطبها من أبيها ويزوجها بها وبذل له من المال ما اراده وطلبه واشتغل قلب الشاب بحب الجارية وفي أثناء ذلك بعثة العرب الى بلادهم واشتغلت خواطرهم بما وقع بيوقنا ان مدأمه وكان من أمره ما كان وقبض عليه وعلى المائة من اهله لم يروا سهم جميعا في دار ولد لاوان ووصل امدنسا بهم فقال لاوان ويقسم في ديني ان ابن عمك يوقنا أعقل من أي الاديان ولو [illegible] الامر ما جهم بعدما قتلهم أشد القتال وايضا ان جيوش الملك [illegible] نصرهم على نفسهم وأن قلبي متعلق بابنته واني أرى من الرأي السديد ان آخذ [illegible] من الوثاق وارجع الى دينهم بعد أن اتوصل بابن عمي أن يزوجني ابنته فانه [illegible] ما طلبت بعدها وازوج ابنته فلما حدثته نفسه بذلك اتى الى يوقنا وجلس بين يديه وقال له يا عم اني عولت على أن أحل وثاقك أنت وأصحابك وقد اخترت على أهلي وأبي [illegible] تعلم ان فراق الاهل صعب واخترت الايمان على الكفر وقد علمت ان دين هؤلاء [illegible] لي عليك شرط أن تزوجني ابنتك ومهرها [illegible] وهؤلاء الناس [illegible] باني [illegible] مالك الى زواجها من سبيل اذا [illegible] في [illegible] عرض الدنيا [illegible] ما عاين قلبك في ان الله ما جزاك على ما تفعله وانا ان شاء الله تعالى [illegible] من الدنيا والآخرة فقال لاوان انا اشهد أن لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله [illegible] وأعطاه سلاحه [illegible] وأعطاهم [illegible] وقال [illegible] الى أبي وهو قتل بالحصن [illegible] الى في رضا الله بعدما قال يوقنا الا تأتي تشهد [illegible] [illegible] فدخل الى دار [illegible] فوجده مقطوع الرأس واخوته عنده فقال لهم من فعل هذا بأبي قالوا نحن قال ولم ذلك قالوا اردنا بذلك وجه الله وقد سمعنا ما تحدثت به يوقنا وأصحابه فخفنا عليك أن لا يتم لك هذا الامر ويتكاثر الجمع على القوم ويبلغ أباك الخبر فيقتلك فبطشنا به قبلك قال ففرح لاوان بذلك ورجع الى يوقنا وأصحابه وأعلمهم بما جرى فخرجوا من دار لاوان وتوسطوا الحصن ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير والسراج المنير ووضعوا السيف في الروم قال ووقع الصائح في الحصن كما وصفنا وبادرت الروم لقتال المسلمين وفي تلك الساعة قدم طارق ورفيقه قال فسمعنا الاصوات فرجعنا الى مالك وأعلمناه بما سمعنا فقال مالك لاصحابه اركضوا الاعنة لكم واركضوا خيولهم وخلف منهم مائة يحفظون الاسرى فلما قربوا من الحصن وكان يوقنا قد قال للاوان ان نجدة من المسلمين تأتينا فأتى لاوان فرأى المسلمين قد أتوا فقوي لهم

لعدو من باب السر وأدخلهم فلما حصل مالك الاشتر في حصن اعزاز [illegible]
كبر فتح الله ونصر وخذل من كفر فلما رأى أهل الحصن ذلك تدهشوا واسلاحهم ونادوا الغوث
ثم قرعوا عنهم السلاح وأخذوهم أسارى وشكروا البوقنا ومن معه قال فحدث بوقنا
الاشتر بحديث الغلام لاوان فقال مالك اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه (قال الواقدي
الله تعالى) حدثني قيس عن عقبة عن صفوان بن عمرو بن عبد الرحمن عن جبير بن
قال سألت أبا لبابة بن المنذر وكان ممن حضر فتوح الشام كيف كان فتوح اعزاز وقتل
من كان فيه تشكر هذا وأريد قصته فقال لما وضعت الحرب أوزارها ورجع مالك الاشتر
أسارى والمال والثياب والذهب والفضة والآنية وأمر باخراج ذلك من الحصن وكل ما به
بن سعد وكان ممن حضر وأصابه سهم فعقره وكذلك أبو لبابة بن المنذر وكلاهما حضر
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق أحد في اعزاز ثم قام مالك يفتش في الحصن وتفقد
ابن فوجده مقتولا فقال من قتل هذا اللعين فقال لاوان قتله أخي لوقا وهو أكبر مني سنا
مالك باحضاره وقال له لم قتلته وهو أبوك وما سمعنا ولدا اقتل أباه من الروم سواك فقال
اني على ذلك محبة دينكم لان في بيعة هذا الحصن قسا من المعمرين وكنا نقرأ عليه
الانجيل ويعلمنا بعلم الروم واني كنت في بعض الايام في البيعة أنا وهو وليس عندنا أحد
كان اسمه أبا المنذر فقلت له يا أبا المنذر ألا ترى الى بلاد الشام كيف استولت عليها العرب
ملكوا أكثرها وهزموا جيوش الملك وما كنا نظن أن العرب تقدر على ذلك لانه ليس في
الأمم أضعف منهم وان الله تعالى نصرهم على ضعفهم فهل قرأت ذلك في كتب الروم أو
ملاحمهم أو ملاحم اليونانية فقال يا بني نعم اني قرأت ذلك ولقد أخبرنا الملك هرقل بذلك قبل
وقوع هذا الامر وجمع اليه الملوك والاساقفة والبطارقة وغيرهم وأخبرهم أن العرب لا بد
أن يملكوا ما تحت سريري هذا ولقد بلغنا عن نبي القوم أنه قال زويت لي الارض فرأيت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها فقلت له يا أبتاه فما تقول في نبي القوم قال
يا بني ان في كتبنا ان الله تعالى يبعث نبيا بالحجاز وقد بشر به عيسى المسيح بن مريم ولا ندري
أهو هذا أم لا فعلمت أنه كتم عني أمره مخافة أن أذيع سره فكتمت ما قال لي البارحة فلما
رأيت بوقنا وأصحابه أسرى قلت هذا بوقنا قد قتل أخاه يوحنا وعاند العرب وقاتلهم ثم انه
رجع الى دينهم وما ذلك الا أنه قد علم الحق معهم فقلت أنا لنفسي قم أنت واقتل أباك وخلص
بوقنا وأصحابه وارجع الى دين هؤلاء فهو الدين الحق لا شك فيه فلما نام أبي بعدما شرب الخمر
وسكر قتلته وصرت الى خلاص بوقنا ومن معه فوجدت أخي لاوان قد سبقني الى ذلك فقال له
مالك يا غلام لم فعلت ذلك قال محبة في دينكم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله
فقال له مالك قبلك الله ووفقك ثم خرج مالك من الحصن وولاه سعيد بن عمرو الغنوي وترك معه
المائة الذين كانوا مع بوقنا وقدموا اليه صاحب الراوندات ومن معه فعرض عليهم الاسلام
فأبوا فضرب رقابهم (قال الواقدي) حدثني عبد الملك بن محمد عن أبيه عن حسان بن كعب عن
عبد الواحد عن عبد الله بن قرط الازدي ان فتح اعزاز كان هكذا والذي ذكر ابن شهاب [illegible]
وروحنه قتلوا لهم والله أعلم ثم ان مالكا الاشتر أراد أن يرحل فعرض عليه سبي اعزاز